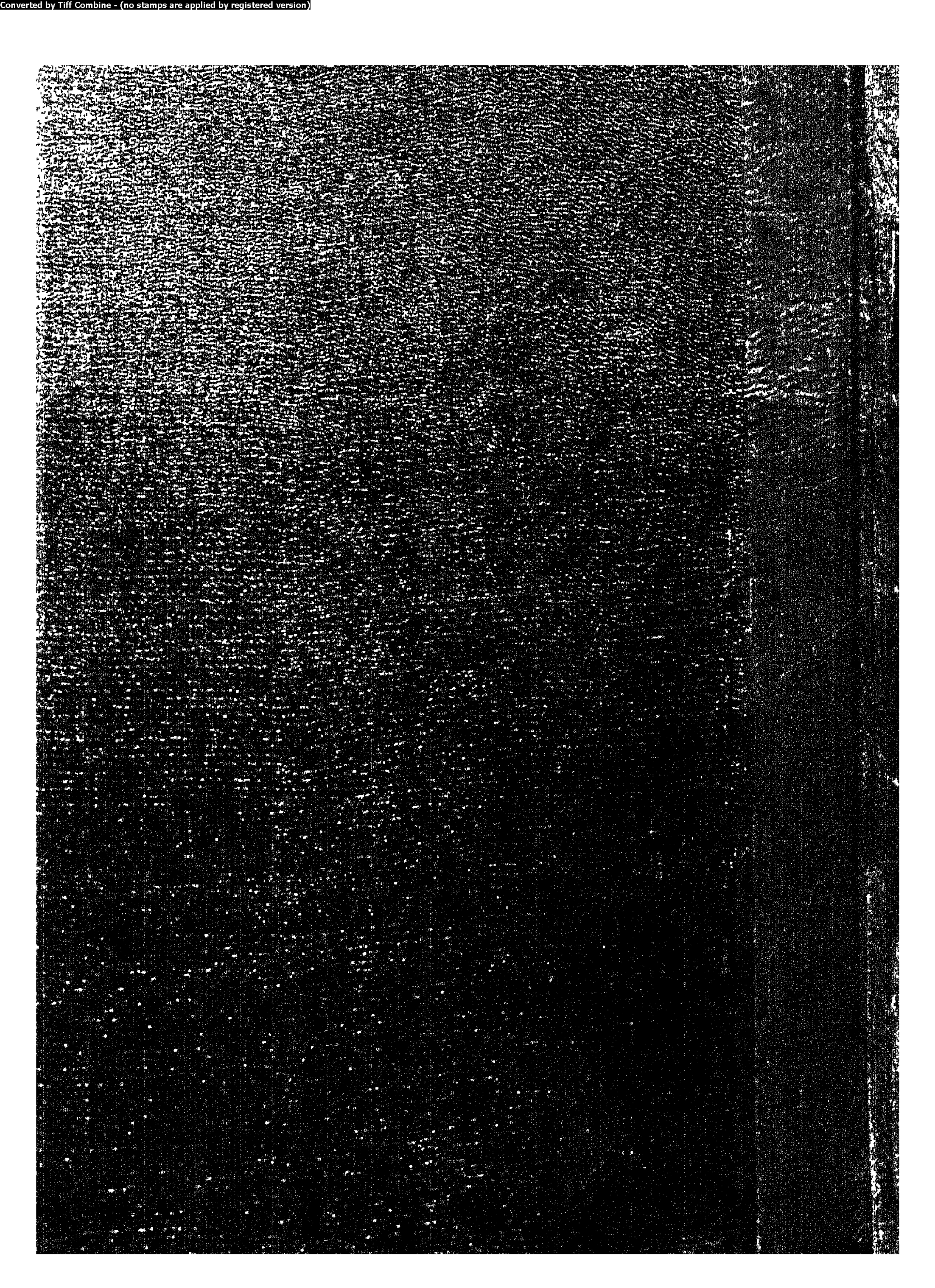


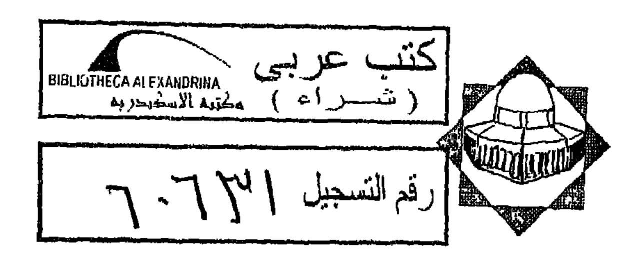






المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جامعة حلب مركز الآثار الفلسطيني



دراسات في تاريخ وآثار فلسطين

وقائع الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية

١

أشرف على التحرير والطباعة
الدكتور شوقي شعث



١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

ساعد في تصحيح تجارب الطباعة الاساتذة :

الدكتور دانيل سنيل Daniel Snell ـ شحادة كرزون ـ محمد مغربي ـ سليم زيد

اقيمت الندوة العالمية الاولى للاثار الفلسطينية في رحاب جامعة حلب في الفترة ما بين ٢١ ذي القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩/٩/١٩٨١ و ٢٦ ذي القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٤/٩/١٩٨١ بتعاون مثمر بين :

- **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**
- **منظمة اليونسكو**
- **جامعـة حلب**
- **مركز الاثار الفلسطيني**

تألفت **اللجنة التحضيرية** التي أشرفت على الاعداد للندوة من السادة :

الاستاذ الدكتور محمد علي حورية ـ رئيس جامعة حلب — رئيسا

الاستاذ الدكتور عفيف بهنسي ـ المدير العام للاثار والمتاحف بالجمهورية العربية السورية — عضـوا

الاستاذ الدكتور صالح الخرفي ـ مدير ادارة الثقافة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس • — عضـوا

الاستاذ الدكتور معاوية ابراهيم ـ رئيس دائرة العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة اليرموك ـ الاردن • — عضـوا

الاستاذ الدكتور شوقي شعث ـ الاستاذ المحاضر بالاثار والتاريخ القديم ـ جامعة حلب ـ مدير مركز الاثار الفلسطيني — أمينا عاما

وتألفت اللجنة العلمية من السادة :

الدكتور عفيف بهنسي

الدكتور معاوية ابراهيم

الدكتور شوقي شعث

فقدت أسرة الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية علماء أجلاء أسهموا في دعم الندوة وشاركوا في أبحاثها وهم :

– الأستاذ الدكتور أسعد عربي درقاوي

وزير التعليم العالي بالقطر العربي السوري (عضو لجنة الإشراف العليا بالندوة)

– الأستاذ الدكتور محمود الغول

نائب رئيس جامعة اليرموك – الأردن

– الأستاذ الدكتور محمد أبو الفرج العش

أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة قطر

– الأستاذ أنطوان نعم

راعي الكنيسة الباسلية الحلبية

– **Prof. Heinrich RYFFEL** الأستاذ بجامعة اليرموك – الأردن

رحمهم الله وأسكنهم فسيح جناته

محتويات الكتاب

كلمة المحرر

هذا هو المجلد الأول من بحوث الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية التي عقدت في رحاب جامعة حلب في شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٨١ . كرس هذا المجلد إلى وقائع حفل الافتتاح والأبحاث العربية الإسلامية ، وكم كان بودنا أن يظهر هذا الكتاب قبل الآن ولكن ظروفاً فنية وإدارية حالت دون ذلك فالعذر للأخوة الباحثين الذين ساهموا معنا بأبحاثهم ومع أن المحرر على قناعة بأن ذلك التأخير لا يبرر نشر بعض الزملاء لأبحاثهم خارج إطار بحوث الندوة فإنه يلتمس العذر لهم .

جعلت الأبحاث المتعلقة بالقدس الشريف تتصدر الابحاث بعد وقائع حفل الافتتاح أما الأبحاث الأخرى فجاءت وفق التسلسل التاريخي .

لم تقرأ كل الأبحاث المنشورة هنا بسبب تعذر حضور بعض أصحابها أعمال الندوة ولكنها وزعت في الندوة على المشاركين بناء على رغبة منهم ، وقد أشير إلى تلك الأبحاث التي لم تقرأ بإشارة « نجمة » التزاماً بالنهج العلمي الذي نهجناه منذ البداية .

خلاصة القول يمكن اعتبار أعمال الندوة العالمية الأولى مدخلا لأعمال الندوات المقبلة معنىً . حيث جاءت شاملة نسعى مستقبلاً أن تكون الندوة المقبلة متخصصة في موضوع رئيسي معين أو مشكلة تاريخية أو أثرية محددة تحتاج إلى إغناء ودراسة

وفي الختام أشكر جميع من ساهم في إنجاح هذه الندوة قولاً وفعلاً ، مادياً ومعنوياً تلك المساهمات التي ستظل نعتز بها، مشيعةالعطر في النفوس، ومنيرة لنا مسيرة صيانة ورعاية وحفظ التراث الوطني للشعب العربي الفسلطيني، تأصيلاً لحقه الطبيعي من أن يجد مكانته بين الشعوب وتأكيداً لخطه النضالي حتى قيام دولته فوق ترابه الوطني .

والله ولي التوفيق

د . شوقي شعث

المقدمة

الدكتور محي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

هذا هو الكتاب الذي يضم وقائع (الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية) التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع مركز الآثار الفلسطينية منذ أن كانت فكرة ومشروعا إلى أن تحققت تأليفاً وأبحاثاً ودراسات .

وإنه من همي هنا أن أشيد بالاهتمام الكبير الذي أضفته منظمة اليونسكو على موضوع الندوة ، والدور الذي اضطلعت به لانزالها المنزلة العالمية التي تستحق ، ولاعطائها الأبعاد الدولية الفلسطينية .

كذلك فإني أنوه في هذا المجال بالدور الرائد والرعاية الكريمة اللذين أولتهما جامعة حلب لانعقاد الندوة في رحابها العامرة ، التزاماً بتقاليدها الراسخة مناراً للعلم ومناخاً للثقافة والمعرفة .

لقد كانت هذه الندوة ، هي أول عمل يتم في هذا النطاق وعلى هذا المستوى ، بمثل هذا التنوع ، ولقد كان في الاستجابة الكريمة لكبار الباحثين والأساتذة وللعلماء العالميين ، لدعوة المنظمة ؛ واشتراكهم في الندوة . وفي الاسهام بأبحاثهم ودراساتهم ، مايعبر عن أصالة هذا العمل وأهميته انسانياً وحضارياً وعالمياً ، ذلك أن شهادة أكثر من سبعين عالماً وباحثاً من مختلف الأقطار والجنسيات ، والمعتقدات الدينية والسياسية ، لايجمع بينهم سوى البحث عن الحقيقة العلمية بروح من التجرد الفكري والنزاهة العالية . في اثبات هوية الشعب الفسلطيني ، وانتمائه الحضاري العريق ، لتدحض دعاوي الصهيونية زيفاً وباطلاً في يهودية الأرض وعبرانية التاريخ والحضارة .

وقد تصدت الأبحاث والدراسات المقدمة ، بما طرحته من حقائق علمية واضحة ، بدون تعصب ولا غوغائية ، لدمغ ماتألبت قوى الشر والحقد للقيام به في محاولات آثمة من

طمس لأسماء المدن والأماكن الجغرافية الفلسطينية ، وتشويه للمعالم والمآثر ، وقلب للمفاهيم والحقائق ، لتغريب هذا الوطن العربي الأصيل عن جماعته ، واقتلاعه من جذوره الحضارية العريقة ، وابتزاز مراتعه ومغانيه .

(ومن حسن الحظ فان تقدم العلوم والعلوم الطبيعية بصفة خاصة وتطبيق منهجيتها ساعدت على تطوير البحث الأثري وعلى تفهم نتائجه ، وتفسيرها تفسيراً علمياً منطقياً ، بعد أن كان يخضع لمفاهيم عتيقة ، ويستند إلى روايات لاتخرج عن كونها أساطير في بعض الأحيان ، وتبدد أمام هذه الأبحاث العلمية المنهجية كثير من الزعم الذي استند إلى معلومات توراتية بهدف اثبات حق سياسي مزعوم ، فقد أثبتت الحفريات التي أجريت في الضفة الغربية بأنه لاتوجد آثار عبرانية ، كما أن التنقيبات التي أجريت في القدس أظهرت عدم وجود أي عمائر تنسب إلى داود أو سليمان ، وأن الجزء من السور الذي نسبه أحد المنقبين خطأ إلى داود ، إنما يعود في الحقيقة إلى العصر الهلنيسي) .

وهكذا فإن المتأمل في المحاور والدراسات والبحوث التي تناولتها الندوة يلمس مدى مطابقتها للعمل العلمي الجاد ، وبعدها على التعصب والهوى ، فقد تناول الباحثون والعلماء بالتدرس والمناقشة مجمل تاريخ وحضارة فلسطين منذ أقدم الأحقاب إلى العصور الإسلامية المتأخرة ، في ثلاثة وسبعين بحثاً ودراسة ، تجلت عن مجموعة من النتائج التي لايتطرقها الشك ، منها : أن هذا البلد كان عامراً بسكانه المستقرين في أرضهم ، تظللهم تنظيمات سياسية واقتصادية واجتماعية مقننة ، يطورون معارفهم ، وثقافتهم ويفلحون أراضيهم ، ويعمرون مدنهم ، وينشؤون مصانعهم ، ويمدون طرقهم ومسالك تجاراتهم وأسفارهم ، وكانت تربطهم بالأقطار المجاورة لهم روابط اقتصادية وثقافية متينة قبل مجيء اليهود بآلاف السنين ، كما شهدت بذلك الأدلة الأثرية والتاريخية .

هذا وان تخصيص موضوع الآثار الفلسطينية في الندوة بواحد وعشرين بحثاً يدل دلالة قاطعة على أن الشعب الفلسطيني متميز بخصائصه العمرانية والحضارية العريقة الأصيلة ويدل في الوقت نفسه على مستوى النضج الذي بلغته تلك الحضارة وذلك العمران من جهة ، وعلى مدى اسهامه في مسيرة التقدم الحضاري في منطقة الشرق الأدنى في مسيرة التقدم الإنساني من جهة ثانية ، أي أنه لم يكن شعباً مستهلكاً ، وإنما كان مصدراً للصناعات والثقافات والفنون ، وليست المحاولات الظالمة للحركة الصهيونية لطمس المعالم ، والعدوان على الشواهد التاريخية وتزييف الوثائق الأثرية الا فزعاً من تلك الأدلة الناصعة المتوافرة التي تثبت هوية الشعب الفلسطيني ، وشخصيته العربية المتميزة في ابداعه الفني ، والثقافي مدى

العصور ، لذلك عمدت بشتّى أساليب التضليل والبهتان إلى نسبة تلك الوثائق التاريخية ، والشواهد الحضارية إلى الشعب اليهودي لتضيف إلى اغتصاب الأرض ، استلاب الهوية الثقافية ، والشخصية التاريخية للشعب الفلسطيني .

على أن هناك جانباً آخر هاماً ، يسترعي الانتباه هو الفترة العربية الإسلامية ، فإن أفراد هذا العهد بستة عشر بحثاً اشارة إلى الدور البارز الذي اضطلع به الشعب الفلسطيني منذ العصر الإسلامي المبكر في المساهمة في اغناء الحضارة العربية الإسلامية .

ذلك إلى جانب أن المدينة المقدسة التي تلاقت في رحابها الأديان وتمازجت فيها العقائد والثقافات ، لم تعد رمزاً دينياً تهفو إليه أفئدة المؤمنين فحسب ، بل أصبحت قيمة فنية وحضارية في عمارتها ، وطرز فنونها ، وأساليب زخرفتها ، فقد احتفظت على مر الأجيال ، بمجموعة فريدة من العمائر البارزة ، والمعالم الأثرية الرائعة الخالدة ، كما ألقي علينا شرف السعي الواجب في مجالس المنظمات الدولية ، لتسجيلها ضمن قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر ، وقد كان نفسه دليلاً على اقتناع تلك المنظمات بأهمية القدس الحضارية والثقافية والروحية بالنسبة إلى التراث الانساني .

إن الأمل معقود وبحقه على مركز الآثار الفلسطينية الذي كان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم شرف العون على انشائه ودعمه ، أن يواصل المسيرة وأن يصل بالتعاون مع المؤسسات القومية والوطنية إلى تحقيق أهدافه الكبيرة التي قام لها .

وان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد حمدت عقب هذا العمل الجماعي الجليل ؛ قد خططت لتنظيم الندوة العالمية الثانية خلال سنة ١٩٨٥ ، لرصد المزيد من المعلومات والحقائق التي لم يزل تتدفق بغزارة من ينابيع تاريخ أمتنا المجيد .

وهنا فإن شكراً مستحقاً يتجه إلى كل المؤسسات والمنظمات العربية والدولية وإلى الأساتذة الباحثين من العرب والأجانب الذين تجشموا عناء البحث ، وآثروا ؛ رغم كل الاعتبارات ؛ البقاء إلى جانب الحقيقة . وإلى منظمة التحرير (دائرة التربية والتعليم العالي ، ودائرة الاعلام والثقافة) ، وإلى كل من أعان برأي ، أو فكر أو جهد في تنظيم وادارة وإغناء هذه الندوة ، فإن لهم جميعاً مايستحقون من فضل وكرامة .

وان هذه الوثيقة سوف تصبح مرجعاً علمياً وحضارياً ، معيناً على تصحيح ماطال تزييفه من تاريخ ؛ وما كثر العدوان عليه من حقائق ، وحجة مبينة على عروبة الأرض والحضارة في هذه المنطقة منذ بدء التاريخ ... إنها خطوة على طريق طويل نحن فيه وأجيالنا سائرون بإذن الله بالرؤية الواضحة والإيمان الراسخ والقدرة المبدعة .

والله يوفق ويعين

الدكتور شوقي شعث

أمين عام الندوة

الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية

أوصى المؤتمر الثامن للآثار في البلاد العربية بدعوة بعض من الأساتذة المختصين في الدراسات الأثرية الفلسطينية للمشاركة بالندوة التي أوصى المؤتمر السابع للآثار بالبلاد العربية بعقدها ، وتنفيذاً لتلك التوصية قام السيد المدير العام للمنظمة بتوجيه الدعوة لفريق من كبار الاختصاصيين بالآثار الفلسطينية لإعداد بحوث علمية للندوة وعليه كان المشاركون من خيرة الاختصاصيين .

موضوعات الندوة :

بعد دراسة مستفيضة أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من خلال خبرائها ولجان مؤتمرات الآثار واللجنة الدائمة للآثار والمتاحف تم اعتماد الموضوعات التالية :

أولاً – تاريخ البحث والاستكشاف : ويمكن أن يندرج تحت هذا دوافع البحث في الآثار الفلسطينية ، الآثار الفلسطينية من خلال التنقيبات الأثرية ، الأسس التي قام عليها البحث في الآثار الفلسطينية، مراكز ومدارس ومعاهد وجمعيات البحث في الآثار الفلسطينية ، دور النشر التي اهتمت بنشر الدراسات الأثرية الفلسطينية ... الخ .

ثانياً – الآثار الفلسطينية والكتاب المقدس : العهد القديم والآثار الفلسطينية ، العهد الجديد والآثار الفلسطينية ، التوراتيون وصلتهم بالآثار الفلسطينية والدور الذي نهضوا به في هذا الباب ... الخ .

ثالثاً – دراسة التسلسل التاريخي الحضاري والسياسي في فلسطين في ضوء المكتشفات الأثرية .

١ – عصور ماقبل التاريخ : من الإنسان الفلسطيني حتى أواخر العصر الحجري النحاسي .

٢ ــ العصور التاريخية .

أ ــ **العصر البرونزي القديم** ، العصر البرونزي البسيط ، العصر البرونزي الحديث ، (يمكن أن يعالج الباحث هنا موضوعاً من الموضوعات التالية أو موضوعاً ذا صلة بها) :

ــ المميزات العامـــة :

ــ العمارة : مايتصل بها (المساكن ، المعابد ، الأسوار والتحصينات ، المدافن ، مخططات المدن ، الرسوم الجدارية ... الخ) .

ــ الفخار : أشكاله وتزييناته .

ــ الفن التشكيلي : النحت ــ الدمى الفخارية ..

ــ الفنون الأخرى : الحلي ــ العاج ــ النقود ــ الأدوات المعدنية ... الخ .

ــ الشعوب ، اللغات ، الديانة .

ب ــ **العصور الحديدية** (الأول والثاني والثالث) (يمكن أن يكون البحث على نسق البحث في العصور البرونزية) .

ج ــ **العصور الكلاسيكية والبيزنطية** :

ــ العمارة وما يتصل بها كالرسوم والفسيفساء .

ــ الفخـــار .

ــ الفن التشكيلي .

ــ الفنون الأخرى مثل العاج والخشب ، الخشب ، الحلي ...

ــ الديانة (الأرباب وطقوسها ، الطقوس الجنائزية) .

د ــ **العصور العربية الإسلامية** :

ــ العمارة وما يتصل بها : المساكن ، المساجد ، القصور ، الزوايا ، التكايا ، الرباطات ، الكنائس ، الكنس ، الأضرحة ، المواضع المقدسة الأخـــرى .

ــ الفخار : أشكاله ، رسومه ، مميزاته ، تطـــوره .

ــ الفنون الأخرى .

ــ الكتابات والنقوش .

رابعاً – التيارات الحضارية المتبادلة بين فلسطين والبلدان الأخرى من خلال اللقى الأثرية : كالجزيرة العربية ، سوريا ، بلاد مابين النهرين ، قبرص ، الجزر اليونانية ، الأناضول ، مصر ، القوقــاز .

خامساً – المصادر الكتابية التي ورد ذكر لبلاد فلسطين (كنعان) فيها : الوثائق المصرية – الوثائق السومرية ، الأكادية الايبلائية – الآشورية – البابلية – العبرية – الفينيقية المؤابية ... الخ .

سادساً – نظرة العرب إلى تراث الماضي في فلسطين : من خلال الذهنية العربية بالمقارنة مع الافرنج ، الصهاينة ...

سابعاً – الشعوب التي غزوت فلسطين ، العلاقات التي قامت بينهما وبين سكان البلاد الأصليين ، العلاقة التي قامت فيما بين بعضها البعض ، الآثار المادية والكتابية ، مثل الهكسوس ، الخابيرو ، شعوب البحر ، العبريو

ثامناً – التعديات الصهيونية على الآثار المادية الحضارية في فلسطين : الاستلاب والاهمال ، التنقيبات الأثرية وتفسيراتها ، المتاجرة بالآثار ، تغيير معالم المدن والمراكز الحضرية الفلسطينية ، (القدس ، عكا ، حيفا وغيرها) ، موقف المنظمات العربية والدولية من تلك التعديات

وقائع حفل الافتتاح :

برعاية الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية وفي صباح يوم السبت الواقع في ١٢ ذي القعدة ١٤٠١هـ و الموافق ١٩ ايلول ١٩٨١ جرى الاحتفال على مدرج كلية الطب بجامعة حلب بافتتاح أعمال الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية وقد ناب عن سيادته الرفيق الدكتور وهيب طنوس رئيس مكتب التعليم العالي بالقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي كما حضر حفل الافتتاح كل من الأستاذ الدكتور أسعد درقاوي وزير التعليم العالي والأستاذ نجيب السيد أحمد وزير التربية والأستاذ طلال ناجي رئيس دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية والأستاذ الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والرفيق علاء الدين زيتون امين فرع الجامعة والرفيق رشيد اخترتي امين فرع الحزب بالمدينة والسيد محافظ

حلب ورئيس مجلس مدينة حلب والأستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب رئيس الندوة وجمهور غفير من السادة الرسميين والمهتمين من القطر العربي السوري والأقطار العربية الأخرى إلى جانب عدد كبير من المشاركين العرب والأجانب والبعثات الأثرية العاملة في القطر العربي السوري والقطر الأردني الشقيق .

بعد الاستماع إلى آيات بينات من القرآن الكريم تحدث في حفل الافتتاح كل من الدكتور وهيب طنوس ممثل راعي الاحتفال والأستاذ طلال ناجي والدكتور محي الدين صابر والدكتور رئيس الجامعة والدكتورة ايفا شترومنغر من الباحثين وقد أكد الجميع في كلماتهم على أهمية انعقاد هذه الندوة في هذه الآونة التي يتعرض فيها التراث الحضاري بفلسطين المحتلة إلى الطمس والتخريب والاستلاب كان آخرها اجراء التنقيبات الأثرية حول الحرم الشريف بالقدس كما أعلن الدكتور طنوس أن التوجيهات قد صدرت إلى جامعة حلب بضرورة الاسراع في طباعة البحوث المقدمة في شكلها النهائي كما ذكر أن القطر العربي السوري على استعداد كامل لتبني أي مشروع يرمي إلى دراسة التراث الحضاري في فلسطين المحتلة (١) .

امتدت أعمال الندوة اسبوعاً كاملاً ١٩ — ٢٤ / ٩ / ١٩٨١ وتوزعت أبحاثها على عدة جلسات علمية خصت كل جلسة بموضوع من الموضوعات كانت على التوالي :

١ — أبحاث ماقبل التاريخ والطبوغرافيا وعلم الحياة ونشوء المدن : ضم هذا المحور سبعة أبحاث لسبعة باحثين من السودان ، السويد ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة ، وألمانيا الاتحادية .

٢ — الآثار الفلسطينية والعهد القديم وضم ستة بحوث قدمها باحثون من الولايات المتحدة هولندة ، استراليا ، الولايات المتحدة ، سوريا .

٣ — العلاقات الحضارية بين فلسطين وجاراتها وضم ثمانية بحوث قدمها باحثون من : تونس ، فلسطين ، سوريا ، فرنسا ، ألمانيا الديمقراطية ، إيطاليا ، اليابان .

٤ — الآثار الفلسطينية وضم إحدى وعشرين بحثاً وزعت على ثلاثة جلسات علمية قدمها

---

(١) نصوص الكلمات كاملة منشورة في الصفحات التالية

باحثون من ألمانيا الاتحادية ، المملكة المتحدة ، إيطاليا ، الأردن ، لبنان ، سوريا ، العراق ، وفرنسا .

٥ — اللغة والنصوص وضم سبعة بحوث قدمها باحثون من إيطاليا ، ألمانيا الاتحادية ، الولايات المتحدة ، المملكة المتحدة .

٦ — الأبحاث العربية الإسلامية وضم ستة عشر بحثاً قدمها باحثون من ألمانيا الاتحادية ، سوريا ، العراق ، السعودية ، لبنان ، الأردن ، فلسطين ، المغرب .

٧ — دراسات وأبحاث عامة وضم ثمانية بحوث قدمها باحثون من سويسرا ، بولونيا (بولندا) ، فلسطين ، ألمانيا الديمقراطية والأردن .

لقد حرصت اللجنة التحضيرية للندوة على توزيع البحوث بنصوصها الكاملة قبيل القائها مما مكن الباحثون والحضور من الاطلاع على الأبحاث في حينها ومناقشة الباحث فيها ، هذا إلى جانب مطبوعة ملخصات البحوث التي وضعت بين أيدي الباحثين باللغتين العربية والإنجليزية .

خلاصة القول أن الندوة امتدت على مدار اسبوع مليء بالأبحاث والمناقشات العلمية في جو هادىء باعث على الرضى والطمأنينة تتخلّلتها جولات أثرية داخل مدينة حلب وخارجها كما أقيمت عدة مآدب تكريمية على شرف المشاركين ، كان من أهمها حفل عشاء باسم السيد رئيس الجمهورية العربية السورية وثان باسم السيد رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وثالث باسم السيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ورابع باسم السيد رئيس بلدية حلب كما قام الباحثون بزيارة الى كل من قلعة سمعان وعين دارا وتل مرديخ ــ ابيلا وفي قلعة سمعان أقامت المديرية العامة للآثار والمتاحف استقبالاً قدمت فيه المرطبات والشاي الى الزائرين من الضيوف هذا بالاضافة الى أنهم شاهدوا فيلماً تسجيلياً عن ايبلا ، قدمه الاستاذ قاسم طوير من المديرية العامة للآثار والمتاحف .

وإلى جانب النتائج العلمية الرفيعة التي حققتها الندوة أصدر المشاركون في الندوة أجانب وعرب بياناً عرف ببيان حلب كما أصدروا عدة توصيات اليكم نصوصها .

بيـــان حلب :

إن المشاركين في الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية المنعقدة في جامعة حلب بين ٢١ ــ ٢٦ ذي القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ١٩ ــ ٢٤ ايلول ١٩٨١ م من علماء آثار وتاريخ وحضارة إقراراً منهم بما كان للنشاط الأثري في الكشف عن آثار الشرق الأدنى عامة وفلسطين خاصة ، من خدمة لمعرفتنا بالتراث الإنساني وتقدم الإنسان في مجالات الحضارة الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية على مدى العصور كلها ، ورغبة منهم في توفير الدعم المعنوي والمادي لمثل هذه الجهود العلمية السليمة في المستقبل أن يوجهوا هذا البيان إلى المنظمات والمؤسسات الدولية والقومية التي تعنى بخدمة التراث الحضاري الأثري وحمايته ورعايته مقررين مايلي :

١ ــ إن الآثار حيثما وجدت تراث حضاري انساني عام إلى جانب كونها تراثاً قومياً للبلاد التي قامت عليها الحضارات القديمة وللشعوب التي شاركت في إشادة صروحها وتطوير قيمها الإنسانية . ولذا يجدر بعلماء الآثار أن يراعوا في كشفهم عن الآثار ودراستها وصيانتها خدمة جميع النواحي التي تستخرج أو تستنتج من أعمالهم واعطاءها أهمية كاملة متساوية بقدر مايستطيعون من دراسة وصيانة .

٢ ــ إن الزمن الذي كان بعض علماء الآثار يركزون فيه دراساتهم وكشوفهم على محاولة الوصول إلى نتائج معينة خدمة لأغراض مقررة مسبقة ينبغي أن يكون قد زال وانقضى وان كل محاولة للكشف عن الآثار لأغراض مسبقة أو اعتبارات موجهة عاجلة يعتبر إساءة لكرامة علم الآثار واستهانة بالتراث الإنساني .

٣ ــ إن المكتشفات الأثرية وثائق أساسية من وثائق الحضارة الإنسانية وعلى علماء الآثار دراستها ونشر البحوث والتقارير عنها أولاً بأول وان على سلطات الآثار القومية حفظها حفظاً ملائماً وتيسير الاطلاع عليها لجميع العلماء الجادين المخلصين في نواياهم العلمية .

٤ — ان الأوضاع الفعلية التي تتعرض لها الآثار الفلسطينية تحت وطأة سلطة احتلا
عسكري تجعل من الضروري صيانتها من العبث وتشويه الحقيقة ومن عمليات التنقي
والكشف التي تجرى خدمة لأغراض سياسية دينية تخالف النهج الموضوعي في الع
ولا يرتضيها ضمير الباحث وتخالف الاتفاقات الدولية السارية التي تحظر على سلطا
الاحتلال العسكري التصرف بالتراث الحضاري للأراضي المحتلة .

٥ — إن على جميع العلماء والعاملين في ميدان الآثار الفلسطينية أن يحترموا القرارا
والمواقف التي اتخذتها المنظمات الدولية ، مثل اليونسكو والمنظمات العربية للتر
والثقافة والعلوم لحماية الآثار والعمارة والمدن الفلسطينية وعلى المنظمات والهيئا
الدولية متابعة جهودها في رعاية الآثار الفلسطينية وصيانتها من كل مايسيء الي
ويفسدها .

حلب في ٢٦ ذي القعدة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٤ ايلول ١٩٨١ م

التوصيـــات :

يوصي المشاركون بالندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية بما يلي :

١ — دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى تشكيل لجنة متابعة بإشرافها مو
ممثلين عن : مركز الآثار الفلسطينية ، جامعة حلب ، منظمة اليونيسكو تتولى تنفيــ
التوصيات الصادرة عن الندوة وللجنة أن تستعين بمن تشاء من المؤسسات العلمية أ
المنظمات أو الخبراء .

٢ — دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمات الأقليمية والمنظمات الدولي
والدول العربية إلى دعم مركز الآثار الفلسطينية الذي بادرت منظمة التحرير بإنشائ
وتكرمت الجمهورية العربية السورية باستضافته ليتمكن من القيام بمهامه في الحفاظ
على التراث الحضاري الفلسطيني ونشره .

٣ — دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى العمل على جعل الندوة العالمية الأولى
للآثار الفلسطينية مشروعاً من مشروعاتها بعقد مرة كل أربعة أعوام والعمل على طباعة
بحوثها بما أمكن من السرعة .

٤ – دعوة الدوائر العربية الرسمية والعلمية إلى الاهتمام بتنميط أسماء المواقع الجغرافية الفلسطينية وضبطها ضبطاً صحيحاً واستعمالها دون غيرها .

أهمية انعقاد الندوة :

إن ترسيخ الوجود الثقافي لشعب من الشعوب هو من المهام الأساسية لأي حركة تحرير وطني ، فالثقافة هي الفكر الذي يغذي كل نضال مهما كان نوعه وشأنه فالسياسي والجندي والضابط والمثقف لابد أن يؤمن بالقضية التي يناضل من أجلها ولا بد أن ينقل هذا الإيمان إلى غيره من الناس وقضيتنا « القضية الفلسطينية » هي قضية صراع حضاري قبل كل شيء ، وهي ليست بين الشعب العربي الفلسطيني وبين الشراذم الغازية الآتية من الغرب فحسب بل بين الشعب العربي من جهة وبين الغزاة المستعمرين الغربيين ، وهذا الأمر يذكرنا بالصراع الحضاري المستمر بين شعوب المنطقة العربية والشعوب الغربية ، فلقد جاءت شعوب البحر ودمرت كل شيء وعندما أرادت الاستقرار استوعبتها حضارة المنطقة وجاء الغزاة الاسرائيليون القدماء وعندما عمدوا إلى الاستقرار إذا بهم وهج الحضارة في المنطقة وجاء اليونان والرومان والافرنج والمستعمرون الحديثون ولكنهم ذهبوا وبقيت المنطقة والسبب في هذا كله عراقة المنطقة الحضارية وبالتالي قدرة شعبها على العطاء والاستمرار والمقاومة ، لقد جاء أولئك الغزاة إلى منطقة عرفت قيام أقدم حضارة في التاريخ فأخذوا منها أكثر مما أعطوها وشعروا بالخجل يلفهم وانتهت كل محاولاتهم إلى الفشل الذريع واليوم نجدهم يقفـــون فئة حاقدة نبذتها شعوب الأرض قاطبة لنذالتها وخستها وشذوذية سلوكها في المجتمعات التي عاشت فيها بل طهقت تلك الشعوب منها وعافتها ووضعت الخطط للتخلص منها ، فالتقت هذه الرغبة مع رغبة نفر مغامر من اليهود الصهاينة بإقامة دولة عرقية عنصرية في فلسطين فسار الجميع نحو ذلك الهدف مع اختلاف الغايات والمرامي فالمستعمرون الذين طردوا من الأرض العربية نتيجة لنضالات شعوبها يريدون تأمين مصالحهم وذلك عن طريق زرع الدولة الاسرائيلية لتقوم باستمرار بتهديد الدول العربية واشغالهـــا عن التطور والنمـــو وبالتالي تصبح في وضع تكون فيه وباستمرار في حاجة إلى مساعدة الدول الصناعية ناهيك عن إثارة النزعات الإقليمية والطائفية .

ومما يجسد موضوع الصراع ويجعله صراعاً حضارياً أن بعض علماء الآثار الصهاينة دأبوا باستمرار على طمس المعالم الحضارية العربية في الأرض المحتلة فقاموا بإزالة الطبقات العربية الإسلامية من كل موقع قاموا بالتنقيب فيه لقطع الصلة الحضارية بينها وبين الطبقات الأقدم ليزيلوا كل

وجود حضاري عربي كما أقدم العدو الصهيوني على تغيير البنية التاريخية والطبيعية للمدن والقرى الفلسطينية عن طريق تهديمها أوتشويهها بأبنية حديثة وشوارع تخدم مصالحه الأمنية أو أن يتركها فريسة للاهمال الذي يعقبه السقوط والاندثار ، وعندما يجد نفسه في حل من الرقيب أو يصعب عليه التدمير والتخريب نجده ينسب الأمر لنفسه وصولاً بالاسرائيليين القدماء ، كل ذلك من أجل خدمة قضيته السياسية ألا وهي تدعيم الكيان اللاشرعي بوثائق شرعية مزعومة .

قبل أن أصل إلى نهاية هذه العجالة أجد لزاماً عليّ أن أزجي الشكر لأهله فالشكر كل الشكر للسلطات في هذا القطر من القمة إلى القاعدة للرعاية الكريمة التي أحاطوا الندوة والمؤتمرين بها وللتسهيلات التي قدمت دون حدود ، فبتوجيهات الرفيق راعي الندوة رئيس الجمهورية وبإشراف الرفيق الأمين القطري المساعد والرفيق رئيس مجلس الوزراء والرفيق رئيس مكتب التعليم العالي للقيادة القطرية قامت جامعة حلب وشركة الطيران العربية السورية ودوائر الأمن والهجرة والجوازات وأجهزة أخرى كثيرة في هذا القطر بتقديم التسهيلات المتاحة للترحيب بضيوف الندوة الأكارم والسهر على راحتهم طيلة مدة إقامتهم .

كما لايغيب عن البال الجهود البناءة والدعم المادي والمعنوي الذي قدمهما كل من : الأستاذ الدكتور وزير التعليم العالي والدكتورة وزيرة الثقافة والارشاد القومي والسيد رئيس دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والسيد المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والسيد المدير العام لمنظمة اليونيسكو ، والسيد امين فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في جامعة حلب والسيد امين فرع الحزب بمدينة حلب والاستاذ الدكتور رئيس جامعة حلب والاستاذ الدكتور رئيس جامعة اليرموك باربد (الاردن) . والسيد المدير العام للآثار والمتاحف ، والى السيد رئيس بلدية حلب والى كافة السلطات الحزبية والحكومية والسيد مدير عام دائرة الاعلام والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والسيد رئيس مجلس ادارة الموسوعة الفلسطينية وإلى جميع الذين أسهموا بأي جهد ساهم في إنجاح الندوة . وفق الله الجميع في خدمة قضايا الثقافة العربية .

وقائع حفل افتتاح الندوة
العالمية الاولى للآثار الفلسطينية



كلمة

الدكتور وهيب طنوس

رئيس مكتب التعليم العالي القطري

ممثل راعي الندوة

أيها الحفل الكريم :

أيها السادة العلماء ، يامن توافدتم من مختلف أصقاع الدنيا ، بعقولكم النيرة ، وأقلامكم الجريئة ، أقلام الحقيقة والعدالة ، التي دبجتم بها أبحاثكم العلمية الدقيقة ، لتشاركوا مشاركة نعتز بها ، ولتسهموا اسهاماً هاماً كبيراً في إنجاح هذه الندوة العلمية العالمية الهامة ، التي تدور حول قضية من أقدس قضايا كفاحنا العربي المعاصر ، مستقطبة كل أصوات الحق والعدالة والتأييد من الأحرار في العالم ، ألا وهي قضية فلسطين وعلى وجه الخصوص ، هذا الجزء التاريخي الهام من الأرض العربية ، والوجود العربي والحضارة العربية .

أيها السادة : ياعلماء الآثار والتاريخ الذين أخذتم على عاتقكم ، بكل علمية وموضوعية ، تأكيد عدالة قضيتنا بالعلم والوثائق ، ودحض ادعاءات الصهيونية الغاشمة ، وافتراءات مدعي العلم ، الذين يخدمون أغراضها السياسية والاستيطانية البشعة ، يامن جئتم لتؤكدوا بأبحاثكم أصالة الآثار العربية الفلسطينية ، ولتبرهنوا بالتالي ، على أصالة فلسطين وعروبتها تدحضون بذلك كل كذب وافتراء وتزييف .

فإليكم أنتم جميعاً . إلى من هدفوا إلى خدمة الحقيقة ، أنقل ، بكل صدق واخلاص وتقدير ، **تحيات قائد مسيرتنا على دروب النضال والتحرير ، تحيات الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي، رئيس الجمهورية راعي هذه الندوة العالمية، الرفيق المناضل حافظ الأسد** الذي شرفني أن أنوب عنه في افتتاح ندوتكم الأولى للآثار الفلسطينية ، في رحاب جامعة حلب ، وفي اطار الشهباء العريقة ، التي تزهو اليوم باستقبال هذه النخبة من علماء العالم أنصار حقنا وعدالة قضيتنا ، باستقبال هذا الحفل التاريخي الرائع .

أيها السادة :

إن انعقاد ندوتكم الأولى هذه ، في هذه الأيام بالذات التي تزداد بها محاولات الامبريالية والصهيونية لتوتير الموقف الدولي ، ولطمس الكيان العربي والوجود العربي ، في فلسطين العربية المناضلة المكافحة ، في هذه الأيام التي طلب فيها تغيير المعالم الحضارية الفلسطينية العربية ، لصهينة فلسطين ولتكون ترسانة للأسلحة ، وخطأً متقدماً لمناهضة شعوب العالم ، الساعية إلى تحقيق كرامتها واستقلالها وعزتها ، ان انعقاد ندوتكم هذه في هذه الظروف الدقيقة التي يمر بها العالم ، وتمر بها قضيتنا الفلسطينية ، انما هــو بالنسبة لنا أكبر دعم وتأييد لحقنا ، لتاريخية تاريخنا ، وعنوان بارز لعلميه العــالم ووجدانية الباحث .

فالحديث أيها السيدات والسادة عن آثار الماضي هو حديث علمي موثق ، لايعتمد على الادعاء أو الأسطورة ، أو الوهم ، ونحن في هذا القطر العربي المناضل ، نعتمد في تنظير فكرنا القومي وفي توضيح معالم حضارتنا وتاريخنا ، على وثائق راسخة ، تركها لنا السلف في طيات آثار الماضي ، فأقمنا عليها حقنا وحقيقتنا ، فكان هذا أول الطريق إلى ايضاح أهدافنا القومية الكبرى التي لم تكن نزوة أو تجاوزاً ، ولم تكن شوفينية أو عنصرية بل كانت علماً يرفد فكراً ، وكانت برهاناً يرفد عقيدة .

ولأن التاريخ ربط الأمة العربية أرضاً ولغة وحضارة برباط الوحدة منذ بدايته وحتى اليوم ، فإن مايكتشف هنا ، يرى صداه هناك في أنحاء الأرض العربية .

وما يثبت هناك يؤيد مايظهر هنا . وهكذا فان المكتشفات الأثرية في أية بقعة من بقاع هذا القطر ، كانت جزءاً متمماً لما يكتشف في أية بقعة من بقاع الأرض العربية ، وبخاصة ضمن هذه المنطقة التي أطلق عليها اسم بلاد الشام ، والتي تشكل الجزء الشمالي الشرقي من بلاد العرب .

لقد مضى ذلك العهد الذي كان فيه علم الآثار وسيلة لخدمة أغراض غير علمية ، أرادت الصهيونية العالمية أن تستفيد منها ، عبثاً ، في منطقتنا العربية . فالأغراض غير العلمية التي كانت تسعى اليها الجمعيات البريطانية والامريكية التي انشئت في نهاية القرن الماضي ، على أرض فلسطين واضحة ومكتوبة في دستور نشأتها ، وأنتم أدرى الناس باعترافات العلماء بما ارتكب بحق التاريخ الفلسطيني من زيف وتحريف لمصالح الصهيونية .

« ففي فلسطين ، ارتكب باسم البحث عن الآثار ، من الخطايا أكثر مما ارتكب في أية بقعة أخرى من الأرض » .

ومن حسن الحظ فان كل الحفريات التي تعاقبت أكدت شيئاً واحداً وهو : أن الآثار التي عثر عليها لاعلاقة لها بتاريخ العهد القديم. وهذا ماأيده العلماء النزيهون الذين يخدمون بصدق التاريخ والعلم، لا لأغراض سياسية لديهم تحكم بها أفكار مسبقة لاعلاقة لها بالعلم.

يشير الباحثون أيها السادة ، إلى أنه قد عثر في فلسطين على آثار هامة تعود إلى العصر الحجري الوسيط في وادي النطوف ، وعثر في أريحا على أهم أثر يعود إلى الألف التاسع والألف السابع قبل الميلاد ، لعله معبد مبني بالحجر المنحوت وهذه إشارة إلى أن اريحا كانت أقدم مدينة في العالم .

وقد عثر أيضاً في شمالي سورية على مستوطن سكني في موقع المريبط يرجع إلى نفس التاريخ ، وآثاره معروضة في متحف حلب هنا ، مهما يؤكد وحدة الأواصر التاريخية في عصور ماقبل التاريخ السحيقة .

واكتشافات ايبلا الأثرية ، في موقع غير بعيد من هنا ، تدحض ادعاءات الصهيونية المعروفة ، وتؤكد الوحدة الثقافية والعقائدية لمنطقتنا العربية عبر التاريخ .

وبهذا يتأكد الوجود العربي راسخاً على هذه الأرض منذ بداية التاريخ ويبقى الوجود الا الاسرائيلي الصهيوني طارئاً في التاريخ ، كما هو طارىء في الحاضر . كل ذلك بفضل موضوعية علم الآثار وخدمته للتاريخ العربي وتاريخ الحضارة الانسانية .

فعمليات التنقيب المتعثرة التي يقوم بها الاسرائيليون المحتلون في منطقة الحرم الشريف في القدس ، وقد أزاحوا العلماء الذين أظهروا آثاراً تكذب ادعاءاتهم ، تدفعهم إلى إزالة جميع المعالم المكتشفة ، وتدفعهم إلى توسيع استلاب جدار المبكى الذي أكدت لجنة — البراق — الدولية تبعيته للعرب وأعطت اليهود حق البكاء فقط أمامه .

ولكن الصهاينة المحتلين ماضون في ازالة الشخصية العربية عن فلسطين والقدس الشريف ، هذه الأرض التاريخية التي تشهد بمواقعها ، وآثارها ، ومعالمها على أصالتها العربية ، وأنتم أيضاً تشهدون ، بأبحاثكم العلمية الموضوعية على ذلك ، بل انكم تدينون جميع عمليات التخريب والتشويه التي تقام على مرأى العالم ، ومسمع الهيئات الدولية ، من حريق

المسجد الأقصى إلى تغيير الأسماء التاريخية ، إلى ايقاف جميع أعمال البحث الأثري الموضوعي ، وتغيير معالم القدس والمدن التاريخية .. وحتى إلى نشر الكتب التاريخية الكاذبة الملفقة .

إن بعض الحفريات التي تمت في جوانب الحرم الشريف بهدف إيجاد الدليل الذي يساعد المحتلين على تثبيت دعواهم القائمة على الخرافة والتضليل جاءت بنتائج عكسية لما يبغون ، إذ كانت النتيجة ظهور آثار لقصور ومسجد تعود هذه الآثار إلى عهد الأمويين الأوائل ، ولذلك سعت العصابات السياسية للصهاينة لإزالة آثار هذا الكشف الذي لم يدعم دعواهم في تغيير هوية القدس العربية ، وغيرها من المدن الفلسطينية . تماماً كما فعلوا في أراضي الجولان المحتلة إذ انتهكت الآثار القديمة ، وجعلت المدن الرئيسية العامرة أطلالاً وخرائب تشهد على همجيتهم وبربريتهم .

إن الكشوف الأثرية هناك في فلسطين وهنا في هذا القطر لم تخيب الآمال الصهيونية فحسب ، بل أكدت بطلان دعواهم ، وبأن مانشأ في هذه المنطقة من حضارات إنما يعود فضله بشكل أساسي إلى العرب منذ بداية تاريخهم وإلى اليوم .

أيها السيدات والسادة :

لقد أحدثت اتفاقات كامب ديفيد الخيانية ثغرة عارضة في جبهة الصمود العربية ، وكانت مؤامرة سوداء مازالت تقاومها الأمة العربية بكل ضراوة ، وانتفاضة شعبنا العربي الأصيل في مصر العربية أكبر دليل على أن إرادة الشعوب لن تقهر . ولكن هذه المؤامرة أفرزت خيانات أخرى . كعملية التطبيع الزائفة ، التي أفسحت المجال أمام الصهاينة كي يجهروا بدعوى التفوق والنفوذ التاريخيين ، وكي يجهروا بتزييف الواقع الحضاري الأثري . والعلم الأثري وحده هو الذي يجيبهم اليوم ، وهو الذي سيضع حداً حاسماً لكل ارهاص وزيف ، ولكن نكتب تاريخ المنطقة القديم الا من خلال اكتشافاتكم العلمية فنحن نؤمن بمعطيات الآثار القديمة من كتابات مرقومة أو منقوشة أو مخطوطة مما تركه السلف القديم بكل نزاهة ، ولا نؤمن بالهرطقات والأراجيف . فاذا كان ماستقدمونه من أبحاث هو كتابة علمية لبعض جوانب تاريخ فلسطين فإننا نسعى أن نستكمل الكتابة الشاملة لتاريخنا العربي معتمدين على الوثائق التي تقدمها أرضنا بعد سبر أغوارها ، وكشف أسرارها . ولنا الحق أن نهزأ واياكم من تلك التصورات الكاذبة التي يروج لها سياسيو التطبيع خدمة للوجود الاسرائيلي .

أيها السيدات والسادة :

ونحن نفتتح الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية التي تقام في قطرنا المناضل ، وبرعاية قائد نضالنا وصمودنا الرفيق المناضل حافظ الأسد لنؤكد أننا في جميع مواقفنا السياسية والقومية والثقافية لن نتجاوز المنطق والحق والعلم والموضوعية ، ولن يقبل العالم ، وبخاصة ، أنتم العلماء أن يقوم على أرض فلسطين والأراضي المحتلة الأخرى ، وجود غاشم يزيف التاريخ ويغتصب الحقوق . فإذا كنتم تصححون التاريخ ، فليكن من واجب من يضعون السياسة أن يلتزموا أخلاق العلم ، ويحترموا حقوق شعب سلبت أرضه تحت شعار كاذب ترفضونه وسيبقى هذا الشعب مشرعاً راية النضال والكفاح في وجه الغاصب الدخيل المحتل حتى يحقق تحرير أرضه واستعادة حقوقه، معتمداً في ذلك على كل الأحرار الشرفاء في العالم .

أنتم أيها العلماء أساتذة المنابر العادلة ، من سيعلم الساسة الذين يساندون الوجود الاسرائيلي الغاشم دروس الحقيقة، ومن سيكشف الكذبة المفضوحة في حق مزعوم للصهاينة عنصريين ، مازالوا يحتلون أرضنا تساندهم قوى الامبريالية الغاشمة وتعقد معهم معاهدات للعدوان وتحالفات خطيرة لن تستسلم لها الأمة العربية بل ستدافع عن مستقبلها ومصيرها وكرامتها وسيكون النصر لأمتنا العربية بالتأكيد .

ونحن إذ نرحب بكم ، فلأنكم تجنبتم التحيز ، ورفضتم خدمة أغراض لاتنتمي إلى علمكم وأهدافكم ، وسنبقى أصدقاءكم، لأنكم تقولون كلمة الصدق التي أملتها عليكم وثائق لايمكن تكذيبها أو تحويرها .

وستكون حصيلة أبحاثكم في هذه الندوة مرجعاً هاماً لنا ، ولجميع من يريد أن يعرف حقيقة الوجود التاريخي لفلسطين المحتلة ، وسيصبح هذا المرجع رداً راسخاً على الادعاءات الكاذبة وسبيلاً إلى شعوب العالم كي تفهم القضية الفلسطينية من خلال معطيات العلم الصحيح الصادق ، لامن خلال التضليل والعدوان .

من أجل هذا واعترافاً بجهودكم فإن التوجيه قد جرى لتكليف جامعة حلب بنشر جميع وقائع ندوتكم الأولى هذه . ولأننا نعتقد بأن الحديث عن الآثار الفلسطينية لاينتهي في ختام هذه الندوة ، فاننا ندعو إلى استمرار عقد ندوات متتالية لاستكمال الحديث عن أرض عربية ، ابتدأت فيها الحضارة قبل أية بقعة من بقاع العالم ، كما نقترح تأليف لجنة

خاصة يراعى فيها التوزع الجغرافي العالمي ، والاختصاصات لتضع خطة مستقبلية لدراسة التراث العربي الفلسطيني في الأرض المحتلة وحمايته .

وأخيراً : فانه ليسعدنا أن نتقدم بالشكر والتقدير إلى منظمة اليونيسكو والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وإلى جميع الهيئات الدولية والعلمية والسياسية ، واللجان الفنية التي أسهمت في إقامة هذه الندوة ، والاعداد لها ، وانجاحها ، هذه الندوة التي ضمت خيرة المختصين والعلماء الذين ندين لهم بالعرفان ، ونشكركم جميعاً ، متمنين لندوتكم أن تصل إلى أهدافها المرسومة ، ولكم طيب الإقامة في وطننا المكافح .

والسلام عليكم .

كلمـــة الأستاذ

طلال ناجي

عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
رئيس دائرة التربية والتعليم العالي

السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الرئيس المناضل حافظ الأسد – راعي الندوة
السادة الوزراء
السيد مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
السادة الضيوف الأكارم

يسعدني كامل السعادة أن تتاح لي الفرصة لألتقي بكم ، وأتحدث إليكم بهذه المناسبة الهامة باسم منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا العربي الفلسطيني وأتقدم بالشكر العميق للجنة التحضيرية التي استطاعت أن تقوم بعمل كبير بالتحضير الجدي لعقد الندوة العالمية للآثار الفلسطينية ، وإلى جامعة حلب على الجهود والتسهيلات التي قدمتها لعقد الندوة، وكذلك إلى أخي وصديقي الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على العناية التي أولتها المنظمة العربية لعقد هذه الندوة وإلى منظمة اليونسكو على المساعدة التي قدمتها لإنجاح هذه الندوة .

أيها السادة الكرام :

من نافلة القول أن نذكر ان الاهتمام بالتراث الحضاري بفلسطين بدأ مبكراً نظراً لأهمية فلسطين الدينية والحضارية فهي موطن الديانات السماوية الثلاث ، من هذا المنطلق أقبل كثير من العلماء والباحثين على دراسة طبيعة الأرض الفلسطينية ودراسة سكانها ومعالمها التاريخية ، وتأسست من أجل ذلك الجمعيات والمؤسسات الكثيرة التي يصعب حصرها هنا ، كان من أهمها « صندوق الاستكشافات البريطاني » الذي تأسس عام ١٨٦١ ومؤسسة الاستكشافات الأميركية التي تأسست بعد ذلك بنحو عشرة أعوام وغيرها الكثير

ومع تقديرنا للجهود التي بذلتها تلك المؤسسات الا أننا نذكر أن أخطاء علمية جسيمة قد ارتكبت وكانت سبباً في كثير من الأخطاء التاريخية ، ولا يقلل من خطر تلك الأخطاء الا اعادة دراسة مانشر حول الآثار الفلسطينية حتى الآن . هذا الأمر لانقوله جزافاً بل يتحدث به كثير من علماء الآثار اليوم .

سيداتي سادتي :

إننا نفهم علم الآثار على أنه فرع من العلوم الانسانية وظيفته البحث عن نقاط التلاقي بين الشعوب التي أسهمت ببناء الحضارة الإنسانية ، ولا يفهم على أنه علم سياسي يكون وسيلة لإثبات حقوق تاريخية مزعومة على حساب شعب يعيش منذ آلاف السنين فوق أرض وطنه . إن الحضارة أينما كانت وكيفما وجدت هي ارث حضاري اشتركت شعوب الأرض قاطبة في بنائها وتطويرها ، على هذا الأساس لايحق لأي فئة من البشر أن تدعي لنفسها أنها أسست وأقامت الممالك عليها ولسنا بحاجة إلى دحض تلك الادعاءات فالبحث الأثري الحديث حمل عنا عناء تلك المهمة، إن النظرة العنصرية الشوفينية للتراث الحضاري مرفوضة أنا كان مصدرها فنحن كعرب وكفلسطينيين لا نجادل في ذلك أبداً فاعتقادنا الراسخ الذي لايتزعزع هو أننا شعب من شعوب العالم له اسهامات حضارية في الماضي والحاضر ، ومجموع تلك الاسهامات جزء لايتجزأ من الارث الحضاري العالمي لذلك فنحن لسنا بحاجة إلى علم الآثار ليؤكد لنا حقـاً تاريخيـاً أو لتذيب عقد عدم الشرعية لكياننا السياسي المرتقب على أرض وطننا فقناعتنا أكيدة بأن لنا الحق في أن نعيش فوق أرض وطننا فلسطين الذي انتزعته منا مجموعات من الغزاة الصهاينة قادمين من شتى بقاع الأرض ففلسطين كانت دائماً نموذجاً للتعايش بين مختلف الديانات وهي ملتقى الديانات الثلاث ومن هنا كان اسهامها اللامحدود في بناء الحضارة الانسانية وقد كانت دوماً كذلك إلى أن جاءت الصهيونية العنصرية مدعومة من قبل الامبريالية العالمية لتقيم بالارهاب والقتل والتدمير كياناً عنصرياً على حساب شعب فلسطين الذي طرد بالقوة والارهاب من أرضه ولتبدأ فيما بعد بشن الحروب العدوانية على شعوبنا العربية لتحقيق مشروعها الاستيطاني العنصري على حساب الأرض العربية والفلسطينيين ، فقادة الكيان الصهيوني الذين تسمعون عنهم وعن عدوانيتهم كل يوم، مهاجرون جاءوا إلى فلسطين على رأس عصابات قتل وتدمير ومن قرأ منكم تاريخ فلسطين الحديث سمع عن مدن وقرى أعملت فيها هذه العصابات القتل والتدمير ، هذا هو الوجه الحضاري للصهيونية العنصرية .

وما تقوم بهاسرائيل الآن داخل الأرض المحتلة من عمليات الاستيطان وسلب الأراضي من الفلاحين بالقوة واغلاق المؤسسات الثقافية والتعليمية ، إلى تهديم أحياء عربية كاملة في القدس ومدن أخرى فلسطينية تحت حجج وهمية أحياناً كاعادة التنظيم مثلاً إلى سياسة الإبادة اللاإنسانية التي تمارس ضد تجمعات شعبنا ومخيماتنا ، وضد أبناء الشعب العربي في لبنان إلا دليل آخر على العنصرية الفاشية التي تحكم تفكير قادة الحركة الصهيونية .

إن منظمة التحرير الفلسطينية والتي هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني والتي تخوض كفاحاً وطنياً عادلاً تحت شعارات العودة لأبناء شعبنا إلى أرض وطنهم وحق تقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة تحمل إلى جانب البندقية اشعاعات الفكر والمعرفة والبحث العلمي . فعندنا جامعات فلسطينية داخل الوطن المحتل ونحن في طريقنا إلى إقامة الجامعة الفلسطينية المفتوحة وعندنا مركز للبحث العلمي في شتى المجالات وتشترك مؤسساتنا وكوادرنا العلمية بكافة المؤتمرات والنشاطات الدولية والعربية فلدينا جيش من العلماء هم دعامتنا إلى المستقبل ، أما في الآثار فتؤكد منظمة التحرير الفلسطينية باستمرار على أهمية هذا الفرع من العلوم الانسانية لذلك اشتركت بمؤتمرات الآثار العربية والدولية جميعها وهي تتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على اصدار كتاب عن الآثار الفلسطينية كما قامت مؤخراً بتأسيس مركز الآثار الفلسطينية ليتولى اعداد الكوادر العلمية وليقوم بالتعاون مع أمثاله من المراكز العلمية لإعادة النظر في الدراسات الأثرية التي أشرنا إلى ضرورة إعادة النظر فيها وتدعيم النظرة الفلسطينية للتراث على أنه عالمي لكل شعوب العالم دون استثناء مساهمة في بناء هذه الحضارة الانسانية ومن هنا تأتي مسؤولية علماء الآثار والباحثين من أمثالكم ، إنها لاشك مسؤولية عظيمة الأهمية جليلة القدر ، ولا نشك لحظة أنكم غير أهل لتحمل تلك المسؤولية .

وفقكم الله وسدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة

الدكتور محي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الأخ الدكتور وهيب طنوس ممثل ، راعي الاحتفال
الأخ الدكتور وزير التعليم العالي
الأخ طلال ناجي
رئيس دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية
الإخوة ضيوفنا الكرام
أيها الحفل الكريم

إنه ليسعدني ، أن أحيي في مفتتح هذه الندوة العلمية العالمية باسم منظمتكم العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وباسمي ، الجمهورية العربية السورية ، القائد الرئيس المناضل حافظ الأسد وحكومته الرشيدة والشعب العربي السوري المناضل ، على حسن اللقاء شيمة ، وكرم الضيافة خلقاً . وإنه ليسعدني بهذه المناسبة أن أحيي الرفيق الدكتور وهيب طنوس ممثلاً في هذا اللقاء .

وإنه لأمر بليغ الدلالة ، أن تنعقد هذه الندوة ، في هذه المدينة العربية المجيدة « حلب » الشهباء ، والتي ظلت ، أبداً قطعة رائعة في ملحمة الصمود والشموخ نضالاً وعطاء في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، في سند موصول من الأصالة ، ونسب ممدود من العراقة ، ثم أن يكون هذا اللقاء في حلب ، في رحاب جامعتها القادرة ، إحدى قواعد العلم والمعرفة والابداع ، في هذا الوطن العربي والتي كان لجهدها ولتعاونها الفضل الأكبر في أن يتم في هذه الصورة المشرقة ، من الاعداد الوثيق ، والتنظيم الدقيق ، وإني إذ أشيد بهذا الجهد فاني أعبر عن اعتزازي بذلك التعاون المثمر القائم بينها وبين المنظمة في مجالات

السعي الفكري . وان الشكر والتقدير ليمتدان مستحقين إلى سيادة الدكتور الأخ أسعد الدرقاوي وزير التعليم العالي والأخ الأستاذ الدكتور محمد علي حورية رئيس جامعة حلب ومعاونيهما الأكفاء . على ذلك العون الكبير الذي قدموه لإنجاز هذا العمل العلمي الراسخ .

وهنا أجد واجب التنويه بالدور البارز الذي قامت به إدارة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، في عقد هذه الندوة ، في تعاون مع المنظمة منذ أن كانت فكرة ، ومشروعاً حتى استوت حقيقة . وهنا يسعدني أن أحيي الأخ المناضل السيد طلال ناجي عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس دائرة التربية والتعليم العالي بدوره القادر والمبادر في تحقيق هذه الندوة العالمية ولتعاونه الدائم والداعم لمشروعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وإنه من همي في هذا المقام أن أحيي ممثلي المنظمات العربية والدولية الذين يشاركوننا في هذااللقاء، وممثلي الجامعات العربية والدولية، وممثلي ادارات الآثار وأكاديميات البحث الأثري، وتمتد هذه التحية بحقها إلى العلماء الذين أسهموا بدراساتهم التاريخية والفنية الرصينة في مجال هو من أكثر مجالات الحياة القومية حيوية ، وأبعدها أثراً في اتصالها بحضارة أمة ، وميراث شعب ، وان في عالمية هذه الدراسات مايدل على أن الحقيقة تظل دائماً مطلقة ، مهما اختلف عليها الزمن ، أو تباعد بها المكان وان في اشتراك هؤلاء الأساتذة العلماء في هذه الندوة ، وفي دراساتهم وفي بحوثهم دليلاً على وحدة الحقيقة فتحية إلى ضيوفنا من العلماء المشاركين من استراليا ، وألمانيا الاتحادية والديمقراطية ، وامريكا ، وبريطانيا ، وبولندا ، والدانمارك ، والسويد ، وسويسرا ، وفرنسا ، وكندا ، واليابان ، تحية الشكر على وفائهم للحقيقة ، فيما أسهموا به من بحوث أمينة ، مدعومة بالمنهج العلمي ، تبرز هوية هذه الأرض العربية حضارة وبشرا ...

وبعد ، فإن الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وبالتعاون مع جامعة حلب ومع اليونسكو لهي حدث علمي جليل ، وان العلماء الذين أشرفوا على التخطيط لها ، وعلى تحديد مجالاتها ، وتفريع مسائلها وتشقيق موضوعاتها ، هم أهل لكل تقدير فهناك أكثر من سبعين دراسة ، تناولت منهجياً نشوء الحضارة وتسلسلها ، منذ أقدم العصور في مختلف مجالات التعبير البشري ، بصورة متوازنة حتى الفترة المعاصرة ، وهي دراسات موضوعية بعيدة عن الهوى ، بريئة من التعصب ، وهي كلها تثبت ، هوية الوطن الفلسطيني وشخصية شعبه العربي ، في الأدلة القائمة في معجزات الابداع الفني ، والحضاري ، على مدى العصور .

وليست محاولات العدو الصهيوني في طمس الحقائق ، والعدوان على المشاهد التاريخية ، وتزييف الوثائق الأثرية ، الا صورة من صور الاستلاب الثقافي مكملة لاغتصاب الأرض لقد استطاعت الحقيقة الحضارية العربية ، أن تغالب الزمن فتغلبه ، وأن تقاوم الأحداث ، فتنتصر عليها ، وتبادلت الأجيال العربية في قدرة وعطاء عبء الحفاظ على الهوية ، وعلى الشخصية ، في كل الظروف .

إن العدو الصهيوني يحاول ، ضلالاً وطغياناً الاستمرار في عدوانه ليقضي على كل وشيجة تربط هذا الانسان الفلسطيني بوطنه ، وان محاولة تهويد القدس ليمثل الصورة المجسدة لهذا العدوان فقد أزال العدو اثر نكبة ١٩٦٧ مباشرة ، حي المغاربة بدوره ومدارسه وتراثه ، وحوله إلى حلبة يمارس فيها الاثارة والتحدي للمترددين على الحرم الشريف ، ثم بدأ يطوق الحرم بالتسلط على حي الاشراف ، الذي أحاله إلى حي يهودي حديث ، تقوم فيه غابة من العمائر الاسمنتية ، المشوهة للمدينة العتيقة ذات المنزلة العالمية ، وقد كان حي الاشراف هذه الفترة من الزمن قبل سنة ١٩٤٨ حياً يسكنه اليهود ولكنه كان ملكاً للأوقاف الاسلامية .

كما عمد العدو إلى افتعال مأساة حرق الجامع الأقصى متحدياً مايمثله هذا الرمز الكبير من معاني لكل مسلم انى كان من الأرض . ولقد اندثر بهذا الحريق تراث من مفاخر تراث الانسانية جمالاً وروحانية ، فقد وجدت آثار النار في النوافذ العليا للمجاز القاطع بمصلى الجامع ، مما يعني أن النار أضرمت في وقت واحد من نقاط مختلفة فلم تنتشر وانطفأت من ذاتها لأنها لم تتصل بمواد قابلة للاشتعال ، بينما أتت على روائع الفنون والتراث الموجود في قبة المحراب لوجود المنبر النوري العظيم ، وهذا سلوك غير حضاري يبرهن على مدى حقد العدو ، وإلى استهدافه استئصال هذه الحضارة العريقة واستنزاف ذلك التراث الإنساني الخصيب .

لقد تعمدت السلطة قطع الماء عن المدينة آنئذ لتتيح للنار أن تدمر كل شيء بلا مقاومة ولكن مشهداً من الفداء ، والاستبسال سوف يظل مثلاً رائعاً للأجيال العربية ، ذلك هو مشهد سكان المدينة من العرب ينقلون ماء الصهاريج بكل الوسائل يواجهون به ضراوة النار ويوقفون مدها ، ويعمد العدو مع هذا إلى تلمس مايحلم أن تقدمه له الحفريات من أسانيد تبرر وجوده فيما يعتقد ، فهو مايزال يحفر تحت أرض الحرم مما يهدد المسجد بالانهيار .

ثم هو إلى ذلك يختلق المشكلات لسكان المدينة من العرب ، ويعرض منازلهم للهدم حتى يضطروا لتركها بوجه من الوجوه ، طمساً لصورة القدس العربية ، ولتاريخ شعبها . وإنه من أجل ذلك ومن أجل تراث مدينة مقدسة من مدن هذا الوطن بما حوته من تراث اسلامي ومسيحي ، نتعاون في لجنة التراث العالمي في اليونسكو لتسجيل مدينة القدس بأسوارها في قائمة التراث العالمي وقد تم هذا في الأسبوع الماضي بعد معركة ضارية مع العدو ومع من يعينونه ، وذلك بفضل تعاون المجموعة العربية في اليونسكو ودعم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وبفضل مساندة الدول الأفريقية والآسيوية والاسلامية ، والدول الصديقة .

وإن هذا لنصر عظيم على المستوى العالمي ، يحفظ به هذا التراث ، بعيداً عن التشويه والتزييف .

وفي هذه المناسبة ، فإنه يطيب لي أن أشيد بمواقف اليونسكو ، ممثلة في مؤتمرها العام ، ومجلسها التنفيذي ، من تأييد لحق الشعب الفلسطيني ومن دفاع عن القدس ، وعن شخصيتها الحضارية التاريخية ، واستنكار لمحاولات المسح والتزييف التي تقوم بها السلطات الصهيونية . وأشيد بدور مديرها العام السيد امبو لجهوده العظيمة في القيام على تلك القرارات وعلى تنفيذها .

أيها الأخوة :

سوف تظل قضية فلسطين ، هـي قضية العرب المركزيـة ، وتقوم منظمتكم العربية ، في تعاون وثيق مع منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها التربوية والثقافية ، بدورها في هذا المجال وان هذه الندوة هي أحد برامجها في حماية المقومات والممتلكات الفلسطينية وحمايتها ، وهي ، تعمل كذلك بالتنسيق مع دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير على اصدار كتاب عن الآثار الفلسطينية وقد تبرعت المملكة العربية السعودية ، مشكورة ، بتكاليف هذا الكتاب ، الذي تتولى المنظمة تكاليف طبعه ، وكذلك فان المنظمة تواصل التعاون مع جامعة حلب لطبع دراسات هذه الندوة وأعمالها لتكون مرجعاً علمياً متداولاً ، على المستوى العربي والعالمي .

والمنظمة تسهم في دعم مركز الآثار الفلسطينية الذي استضافته الحكومة السورية مشكورة في دمشق للقيام على حفظ تلك الآثار ودراستها . وإلى جانب هذه فان المنظمة تسهم في انتاج فيلم سينمائي عن الآثار الفلسطينية .

وهكذا يفرد لفلسطين ، مجال متميز في شتّى مشروعات المنظمة وبراجها في مختلف مجالات سعيها ، واسهاماً في المعركة القومية المقدسة لتحرير فلسطين العربية . فهذا هو التحدي التاريخي لهذا الجيل العربي ، وهو تحدٍّ لابد من مواجهته بالقدرة والإرادة .

أيها الأخوة

إني عائد لشاكر ، لجامعة حلب وللإدارة المشرفة على الاعداد لهذه الندوة علمياً وفنياً وإدارياً ، الشكر هم كفؤه ، على مايسروا لهذا اللقاء من فرص النجاح ، وعلى أن يتم في هذا المستوى الرفيع من التنظيم والأداء ... والتوفيق، من الله مسؤول لكم في جهدكم العلمي هذا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمـــة

الدكتور محمد علي حورية

رئيس الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية
رئيس جامعة حلب

الرفيق الدكتور وهيب طنوس
رئيس مكتب التعليم العالي القطري
ممثل راعي الندوة الرفيق حافظ الأسد
رئيس الجمهورية

السيد ممثل منظمة التحرير الفلسطينية
الأستاذ الدكتور محي الدين صابر رئيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
السادة الباحثون والمشاركون
أيها الحفل الكريم

يسرني أن أرحب بكم أجمل ترحيب في مستهل افتتاحنا للندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية ، في رحاب جامعة حلب ، باسم اللجنة التحضيرية للندوة ، وباسم جامعة حلب وباسمي شخصياً ، وإنه لمن دواعي سعادتنا ، أن تكون جامعتنا ــ جامعة حلب ــ الأولى بين شقيقاتها العربيات التي حظيت باستضافة هذه الندوة الأولى للآثار الفلسطينية ، ولئن خُصّت جامعتنا بهذا السبق الذي نعتز به ، فانه يأتي انسجاماً مع منطلقات قطرنا العربي السوري المبدئية في كل مايتعلق بقضايا الأمة العربية ، فقطرنا كان ــ ولا يزال ــ يولي القضايا القومية المقام الأول من اهتماماته العربية والدولية ، وقطرنا ــ كما تعلمون في ظل القيادة الحكيمة للرفيق المناضل حافظ الأسد ، الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية ، يعتبر قضية فلسطين القضية المركزية الأولى ، في نضالنا المستمر من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للأمة العربية ، ومنطلقات حزبنا حافلة بهذه التوجهات .

من هنا ، لم تكن إقامة هذه الندوة في رحاب جامعتنا من قبيل الصدفة بل جاءت إلتزاماً وطنياً وقومياً ، ومن هنا جاءت الرعاية الكريمة لهذه الندوة من قبل الرفيق المناضل حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية .

أيها السيدات والسادة

تعلمون ولا شك مقدار ماتعرض له قطرنا العربي الفلسطيني السليب من استلاب وعدوان ثقافي إلى جانب المعاناة اليومية لشعبنا الصامد في الأرض المحتلة وتعلمون مقدار مايمارسه الصهاينة من تزييف لنتاج الحضارة ، بما يخدم أغراضهم العدوانية العنصرية ، فهم – تحت غطاء مزيف من إدعاء البحث – يجرون الحفريات والمسوح الأثرية في كافة الأراضي المحتلة في فلسطين ، والجولان ، وسيناء ، ضاربين بعرض الحائط بكل الاستنكارات والضوابط الدولية والأخلاقية ، التي تمنع المحتل – أياً كان – من اجراء مثل هذه التعديات الصارخة على الأراضي المحتلة وعلى حقوق شعبها ، وهذا ليس بمستغرب من عدو يمارس كل أساليب القهر والعدوان على شعبنا ، مما تتناقله كل يوم وكالات الأنباء فيوضع تحت تصرف الضمير الإنساني والعالمي ، الذي يجد نفسه عاجزاً عن كبح جماح المعتدى ، طالما هو يحظى بتأييد القوى الامبريالية العالمية .

أيها السادة الحضور ، أيها الباحثون الكرام

إن جامعتنا تهتم اهتماماً كبيراً في مختلف العلوم والتكنولوجيا والصحة وتتوسع وتنمو في كل منهم وتهتم اهتماماً خاصاً بالتراث العلمي العربي وبالتراث العلمي الانساني وبنتاج الحضارة الانسانية عامة ، دون النظر إلى جنسية الباحثين في هذا التراث من العرب والأجانب ، طالما أن هذا التراث وذلك النتاج يتوخى الموضوعية ، ويخدم الحضارة ، ومن دواعي اعتزازي أن أذكركم ان جامعتنا حظيت بانشاء أول معهد للتراث العلمي العربي من بين شقيقاتها جامعات الوطن العربي ، وكان للدعم الحق والرعاية الكريمة للتعليم العالي من الرفيق المناضل حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية الأثر البالغ في انطلاقة المعهد نحو رسالته في تنشيط البحث في التراث العلمي العربي واغنائه .

وليس لنا من تحفظ في دعوتنا الباحثين العرب والأجانب إلى اغناء مساهماتهم في مجالات البحث في التراث ، والحضارة وفروع الثقافة الانسانية ، ومن بينها البحث في

الآثار ونأمل أن يكون العطاء إيجابياً مستمراً في كشف الحقائق وإزالة الستار عن التضليل في طمس الحقائق، أن إيجاد الحقائق في إيصال الشعب العربي الفلسطيني إلى حقه في استرجاع أرضه سيكون سبباً في اعادة الاستقرار والسلام والرفاهية ليس لهذه المنطقة من الشرق الأوسط فحسب بل للمناطق الأخرى من العالم ومنها البلدان التي أتيتم منها .

أيها الباحثون

أيها المنتدون

إنه ليشرفنا أن نؤكد لكم دعمنا الوثيق لكل ما تقدمونه من أبحاث مفيدة عن الآثار الفلسطينية ، ولكل ماتكشف عنه أبحاثكم القيمة من خدمة للحق والعدل والسلام ، وان جامعة حلب لتؤكد لكم في هذا المقام استعدادها للمساهمة في أي مشروع يهدف إلى حماية التراث الوطني الفلسطيني في أرضنا المحتلة وتوثيقه متعاونين في ذلك مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي أبعث لها تحية اكبار في شخص رئيسها الزميل السيد الدكتور محي الدين صابر على مايبديه من اندفاع مخلص في سبيل تدعيم أسس الثقافة والتربية العربية في طموحها القومي وعلى مايقدمه من تشجيع لكل مامن شأنه خدمة قضية الثقافة والتربية على امتداد الوطن العربي منطلقاً من حقيقة وحدة الأمة العربية ، أملاً ومصيراً ، في الماضي والحاضر والمستقبل ، ونأمل أن يكون تعاوننا معها ومعكم بارزاً في المشروع المنتظر لمركز الآثار الفلسطينية بدمشق ومركز توثيق القدس ، كما نؤكد استعداد جامعتنا – جامعة حلب – للتعاون في انجاز الأبحاث الأثرية والحضارية عموماً ، مايتعلق لنها بسورية أو أقطار الوطن العربي أو الحضارة الانسانية .

وأخيراً اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر للرفيق القائد حافظ الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية ليس على دعمه وتكرمه برعاية هذه الندوة فحسب وانما لدعمه المستمر للتعليم العالي في القطر ولهذه الجامعة بالذات وإلى الرفيق الأستاذ محمد زهير مشارقة الأمين القطري المساعد لجهوده الكبيرة في هذه الندوة وللرفيق الدكتور عبدالرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء لدعمه المادي وإلى الرفيق الدكتور وهيب طنوس رئيس مكتب التعليم العالي والبحث العلمي القطري وإلى الأستاذ الدكتور أسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي والبحث العلمي وإلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ممثلة بمديرها

الدكتور محي الدين صابر وإلى الدكتور مختار امبو مدير عام اليونسكو وإلى عشرات السادة في الجامعة وخارجها من عرب سوريين وفلسطينيين وغيرهم الذين حَضّروا وعملوا لهذه الندوة .

أيها المنتدون

أيها السادة الباحثون

اكرر الترحيب الحار بكم جميعاً راجياً لندوتكم أن تحقق أسباب النجاح وأن تجدوا في رحاب جامعتنا وفي قطرنا مايوفر لكم العطاء الأمثل للحقيقة والسلام .

ON BEHALF OF PARTICIPANTS
AN ADDRESS BY

Dr. EVA STROMMENGER
(Berliu W. Germany)

Scholars from the whole world have gathered here today. In the next few days they will discuss the cultural relations between Syria and Palestine through an everchanging history through the course of millennia.

The geopolitical situation of the region of the Syrian Arab Republic has made it a meeting place of people and cultures throughout history. Important trade routes reaching from Iran to the Mediterranean and from Sumer to Asia Minor already determined the economic prosperity of the earliest cities. Here Babylonians met Hittites and Egyptians met people from the Islands of Crete and Cyprus. The variety of stimuli was absorbed and creatively wrought. This is evident to the archaeologist from the material culture remains. To the philologist it is evident from written sources, and today everyone still perceives the local variety and the market tolerance of the Syrians toward foreigners.

In order to study both the old and the more recent cultures of what is today Syria, it is therefore necessary to have a knowledge of an extremely far–reaching area.

But the historic research of other regions has also grown in breadth and intenseness, and this task has become increasingly difficult for the individual. Everyone is therefore compelled to work more intensively together. Among other things, this cooperation can happen within the framework of a symposium, such as the one beginning here today in Aleppo. We all hope for a productive exchange of information and an open discussion of many still unsolved, relevant questions.

The point of focus is in this case Palestine, a region rich in material culture remains which shed light not only on its own local history, but also offer much information about the changing relations with its neighboring regions, in particular with Syria in the north and Egypt in the south. But, because of its geographic location, Palestine is also an area of cultural ex-

change. The advanced cultures of the Near East and Egypt met there both in peaceful trade and in political conflict. Excavations in Palestine have produced many finds from Egypt and the eastern Mediterranean area. These import pieces fascilitate a more precise dating of the local finds, because of the more elaborate chronology of their places of origin. For this reason, many colleagues must deal time and again with the result of the research in Palestine even if their primary concern is with other regions of the Near East. Thus, many of us, not being specialists for the area of Palestine, await the results of this symposium with special interest.

Many of the scholars here today who have come from abroad work in this country, be it as an archaeologist or as an architect. I am speaking here for all participants from abroad, but I would like to speak above all for this group, of which I myself am a member.

The Syrian Arab Republic and its Department of Antiquities offers us all such excellent working conditions as I have found in no other country heretofore. It is not only the world-known Arab hospitality which is offered to us as a matter of course, but also the cooperation with our competent colleagues in the General Management in Damascus, Aleppo, and in other cities of the respective geographic areas. The way through all authorities is smoothed for us, generous concessions are given for excavations and study-trips, the export of material for further study is granted, and much more. I gladly take this opportunity to give our warmest thanks to all our Syrian colleagues, administrative officials, and restorators for their constant readiness to help , and for their generous support.

We would also like to thank those Syrian colleagues who work actively with us in our research projects. They often interrupt their own research to lend us their help. Despite their extensive work load, they always find time for our problems. Discussions with those who have grown up in this country have enriched our knowledge substantially, and have often opened new perspectives.

Much has happened in this country during the past ten years. Interest in historical investigation has taken a noticeable leap. A great number of museums have been and continue to be founded, built, and extended. At this time in Raqqa we are witnessing the establishment of a museum in an historic building. It is a large operation, and the work is progressing rapidly for its opening in October. At the same time in Raqqa, a significant building is being excavated and reconstructed, and the huge city wall and Great Mosque are being restored with hard work in a project planned over a number of years. The museum and historic buildings give the aspiring city of

Raqqa an attractive center which displays the city's history both to its inhabitants and to tourists. But Raqqa is only one of many examples. I have chosen to mention it here, because it is the example closest at hand. We have been making efforts since last year to investigate the oldest predecessor to Raqqa in Tall Bi'a, and this gives us a particularly close connection with this city.

The interest in the history of this country is brought to the people of the communities in many ways. Great contributors are the archaeological societies that already exist in numerous cities. They are comprised of interested people of many professions who contribute substantially to the information about the history of this country. Their participation will also be of immeasureable value in the future for the study and rescue of antiquities and monuments which Syria possesses in such great quantity. We would therefore also like to thank these workers who share our goals in recognition of their private initiative and cooperation.

Last but not least we would like to extend our thanks to our hosts, and to those colleagues who have planned this symposium, and who have done all the organisational works that a symposium of this kind demands.

Furthermore, we hope for interesting discussions in a congenial atmosphere, and are of course prepared to make our own contributions.

كلمة تحية من السيدة

الدكتورة نجاح العطار

وزيرة الثقافة والارشاد القومي بالجمهورية العربية السورية

(القيت بالنيابة)

السيد ممثل رئيس الجمهورية العربية السورية الرئيس المناضل حافظ الأسد — راعي الندوة

السادة الوزراء

السيد مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

السادة الضيوف الأكارم

ان نستنطق التاريخ ، تراثاً حضارياً باقياً ، وأن نترجم عن الآثار ، شهادات دامغة لاتقبل النقض فذلك كفاح كبير وخطير على جبهة الفكر ، لايؤكد حقيقة اصالتنا العربية حضارياً فقط ، ولا ارتباط شعبنا العربي بأرضه الفلسطينية العربية فحسب ، بل يكشف أيضاً عن النبوغ الحضاري العربي الذي كان على مستوى الحضارات العالمية الرئيسية ، كحضارة مابين النهرين والحضارة المصرية ، بشهادة رقم ايبلا التي فتحت آفاقاً لقراءة جديدة للتاريخ ، وأثبتت أن حضارتنا العربية ترقى إلى الألف الثالث قبل الميلاد وتشكل مع الحضارات الأخرى ، أسس الحضارة العالمية الراهنة .

إن ندوتكم الدولية ستثبت ، من خلال الدراسات الموضوعية العربية والعالمية ، باطل الادعاءات الصهيونية المسيسة للآثار ، وباطل مزاعم اسرائيل التي سبق ودحضها علماء عالميون كبار في الآثار .

وهذا الجهد الذي تقوم به جامعة حلب ، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جهد كبير وجليل ، يقدم إضافة ثمينة لعلم الآثار بعامة ، ولأصول الآثار الفلسطينية بخاصة ، ويطلع الدنيا على حقنا الحضاري الذي تحاول الصهيونية تشويهه واغتصابه ، وتتخذه سلاحاً في المعركة الكبرى الدائرة بين الأمة العربية وأعدائها من امبريالية وصهاينة ،

وقد آن الأوان لأن نشحذ نحن هذا السلاح الأثري ، فهو سلاحنا ومن صنع أجدادنا الأول ، وستكون ندوتكم الكريمة فاتحة سبيل في هذا المضمار ، وجبهة صراع جديدة وخطيرة ضد تشويهات وتزويرات الأعداء .

وإذا كانت مسؤوليات العمل الوزاري قد حالت بيني وبين حضور الندوة ، فإن هذا لن يحول بيني وبين متابعتها ، والثقة الأكيدة بنجاحها في مهمتها ، وازجاء أفضل التحيات للقائمين بها ، دراسة وتنظيماً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمـــة

الدكتور صالح خرفي

مدير إدارة الثقافة ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
نيابة عن السيد المدير العام في حفل اختتام الندوة

حضرات السادة العلماء

في اختتام الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية ، يشرفني باسم الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أن أحيي من خلال ندوتكم هذه ـ الحقيقة العلمية الخالدة ، التي جئتم خير رسل لها . والصوت الوفي للتراث الحضاري الانساني ، والنبرة المتجاوبة الأصداء في أعماق التاريخ ، والعرق الممزوج بالتراب بحثاً عن الابداع الانساني في أعماق الأرض .

لقد كانت ندوتكم التاريخية هذه ، مظهراً من مظاهر الأسرة العلمية الواحدة ، تنصهر فيها الجنسيات ، وتذوب المسافات ، وتتوحد اللقاءات في لغة واحدة ، غنية عن الترجمة ، مفصحة بنفسها ، لغة العلم والمعرفة لغة البحث النزيه عن الحقيقة التاريخية .

حضرات العلماء

إن تلاقيكم أسرة واحدة في ظل التراث الحضاري الانساني يتجلى مثلاً رائعاً في فترة يُسخّر فيها هذا التراث لخدمة العرق ، والعنصر ، والاستعلاء تلك الرواسب التي أفرزتها العصور البدائية للإنسان ، وما نزلت الديانات السماوية الا حرباً عليها ، وتبشيراً باللحمة الآدمية التي تظل البشرية جمعاء .

حضرات السادة العلماء

إن ندوتكم هذه بما سادها من موضوعية ، ورحابة صدر ، وحرية نقاش وأصالة حوار ، لتعتبر أصدق ترجمة عن تقديرنا لـ (جامعة حلب) العريقة موطناً ، الحديثة

مولداً ، الأصيلة خدمة للعلم والعلماء ، فهي راعية كل هذه القيم التي ميزت الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية .

تقديرنا للجنود المجهولين الذين سهروا على هذه الندوة آناء الليل وتحملوا تبعاتها أطراف النهار ، لرسل الأعلام الذين عززوا العمق التاريخي للندوة ، بالبعد الاعلامي العالمي عنها .

تقديرنا لمنبت الحضارات ، ومعقل البطولات ، سورية عز الشرق . دامت منبراً للحقيقة الخالدة وجبهة للوقفة الصامدة ، وملتقى العلم والعلماء .

بيان حلب

ALEPPO DECLARATION

The archaeologists, historians and others scholars participating in the First International Symposium on Palestinian Antiquities currently held at Aleppo University between 19–24 September, 1981, being aware of the great service rendered by archaeological discoveries of Near Eastern Antiquities in general and of Palestinian Antiquities in particular to our knowledge of the human heritage and the progress of man in the social, political, religious and economic fields of civilization through the ages, and bring solucitous in their desire for the continuation of both moral and material support for such sound learned efforts in the future, have deemed it opportune to address this declaration to the various international and national organizations and institutes concerned with the support and protection of cultural heritage, and to state the following:

1– That antiquities, wherever located or found, are a common human heritage as well as a national heritage of the lands where they had existed or been set up and the people that had participated in constructing the monuments and developing the cultural values inherent therein. It is, therefore, the binding duty of all archaeologists and interested scholars, when excavating, studying or preserving antiquities, to make sure that they give adequate and equal attention to each and every human and cultural aspect to be observed or concluded as a result of their activities.

2– That the time when certain scholars concentrated their activities and studies on trying to arrive at pre–determined and highly selective conclusions in service of particularistic religious, political or ethnic ideologies should no longer be tolerated or considered admissible.

3– That all archaeologlical finds are basic documents of human civilization and must, therefore, be reported and studied in proper and timely reports and publications. It is also the duty of national archaeological authorities to ensure their proper safakeeping, and to facililete access to them for all *bona fide* scholars for the purpose of examination and study.

4– That the actual conditions to which Palestinian Antiquities are subjected under a military occupation authority make it necesary to show concern for their protection from willful manipulation and distortion of facts, and from excavation and exploration carried out for political and reli-

gions objectives which contravene sound academic and scientific methods and are repulsive to serious and sincere scholarship, and which violate effective international conventions and agreements which prohibit military occuption authorities from disposing of the cultural heritage of the occupied lands.

5– That scholars and archaeologists engaged on Palestinian antiquities are called upon to respect the resolutions and attitudes adopted by International bodies, like UNESCO & ALECSO, for the protection of Palestinian antiquities, architecture and cities. The international bodies are also called upon to follow up their concern for Palestinian antiquities and to protect them from any action which might misrepresent or spoil them.

Aleppo: 26/11/1401 AH
24 Sept. 1981

قصيدة شعرية ألقاها الاستاذ الدكتور يحي أبو ريشة
تحية الى المشاركين بالندوة

TO THE SYMPOSIUM

Ladies and Gentlemen, allow a word,
I do not know a tortoise from a bird;
But I do know that people live and die,
Leaving behind them works that muse the eye,
Or monuments that breathe their history,
Some cast in clay and some in ivory;
Some minted coins and some carved images
That stood voracious, old Time's ravages;
Some built strong castles that defended them,
Except from death, a thief that struck at them,
Some made canals and pyramids and caves,
Contented were they not eve'n in their graves,
And now before me sit a noble throng
That make all relics speak each in its tongue,
The relics come to life as scholars peep
Into a past so rich, remote, and deep
But as the Sufi who looks at the Universe
And sees that God exixts in a world diverse,
So does the scholar look for man's old traces
And a universal law, distinct, embraces.
Man is the greatest quest in ancient relics,
Whether in clay, in bronze, or stone or bricks.
So, let us celebrate the Palestinian
To Whom such miracles are not alien,
But still he lives outcast upon the sea
Of an unjust and cruel world to flee
From home to home but never resting still
Until he finds his Home upon the hill

Where once he worked so beautiful and true
And made those monuments to come to you.
Then pray with me that Justice shall be done,
For Archeology is truth and no more fun,
I have a word to scholars ere I end:
That each of you is welcome as a friend
And we do wish that once the truth is out,
We'll not forget it's man it's all about.

Prof. Dr. Y. Abu-Risha
Faculty of Arts,
Aleppo University

20 / 9 / 1981



الابحاث العلمية



أولا : الابحاث العربية الاسلامية



احمــد قاسم جمعــة

جامعة الموصل – العراق

العناصر المعمارية والفنية لقبة الصخرة والمسجد الأقصى

تعد قبة الصخرة والمسجد الاقصى ، من اهم العمائر العربية الاسلامية قاطبة ، وذلك لكونهما من اقدم العمائر التي لا تزال تحتفظ بعناصر معمارية وفنية متميزة ترجع الى عهد البناء الأول والتي لعبت دوراً بارزاً في تبلور الطراز العربي الاسلامي .

وسيركز البحث على تلك العناصر من حيث خصائصها وتتبع اصولها وبيان اهميتها ومدى انتشارها وتطورها دون التطرق الى العناصر اللاحقة والادوار المعمارية التي مر بها هذان البناءان الا بالقدر الذي تتطلبه طبيعة البحث .

فقبة الصخرة التي بناها الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٢ هـ / ٦٩١ م (١) امتازت بتصميمها الفريد في تاريخ العمارة العربية في العصر الاسلامي . وقوامها حائط خارجي مثمن الاضلاع تليه دائرة وسطية من الدعائم والاعمدة تحيط بالصخرة التي تتوسط المبنى وترتكز عليها قبة خشبية ويفصل بين التثمينة الخارجية ودائرة القبة الداخلية تثمينة وسطية من الدعائم تعلوها عقود دائرية مدببة (رسم ١ / ٢) وقد نجم عن التثمينة الوسطية رواقان خارجي وداخلي غطيا بسقف خشبي .

والتصميم المذكور للمسجد اقتضته الضرورة المعمارية والدينية ، فالتخطيط المضلع المثمن زاد من متانة البناء في حين التخطيط الدائري سهل عملية ارتكاز القبة ذات المسقط الدائري . اما الرواق الخارجي فقد حقق غرض الطواف حول الصخرة للتبرك بها كما ان الرواق الداخلي استخدم للغرض نفسه علاوة على اقامة الصلاة (٢) .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، م ٢ ، بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٢٦١ .
Creswell (K.A.C.) Early Muslim Architecture, 2nd. Ed. Vol. I, Part 1, Oxford 1969, p. 225.

(٢) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م ١ ، القاهرة ٩٧٠ . م، ص. ٧٨

ونحن لا نميل بل نستبعد بعض الروايات التاريخية (١) وآراء المحدثين التي تدّعي بأن وراء اختيار عبد الملك بن مروان لهذا التصميم هو رغبته في تشييد مبنى يحيط بالصخرة المقدسة ، ليكون مزاراً للمسلمين يحجون اليه ويطوفون حول الصخرة ، للتبرك بها بدلا من الذهاب الى مكة التي خرجت عن طاعة الامويين ووقعت تحت تأثير ابن الزبير لسنوات عدة (٢) لان ذلك يعتبر خروجا عن احد اركان الاسلام ويثير تذمر المسلمين ولم يكن لصالح عبد الملك في اي حال من الاحوال ، كما ان المعروف عن هذا العاهل تدينه الذي يجعله لا يقدم على مثل هذا العمل (٣) .

ومن المرجح ان عبد الملك كان يرمي من وراء ذلك تعظيم الصخرة المقدسة والحفاظ عليها وانشاء بناء يعتز به المسلمون في بلاد الشام (٤) .

ويظن ان التصميم المذكور للمسجد قد تأثر بعض الشيء بتصاميم المساقط المضلعة والدائرية لبعض الكنائس المحلية التي كانت موجودة في بلاد الشام قبل الاسلام مثل كنيسة بصرى (حوالي سنة ٥١٣ م) ذات المسقط الدائري الذي يحف بمضلع (رسم ٣) (٥) وكنيسة الصعود في جبل الزيتون في فلسطين القرن ٤ م ذات المسقط المضلع الذي يحيط بدائرة (٦) (رسم ٤) وكنيسة القيامة القريبة من المسجد (٧) .

---

(١) اليعقوبي : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) الدومنكي : بلدانية فلسطين العربية ، بيروت.١٩٦٨ م ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ ؛ فلها وزن تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريده ومراجعة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة.١٩٠٨ م ص ٢٠٦ .
الدكتور كمال الدين سامح : العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٦٤ م . ص.١٨ .
الدكتور عفيف بهنسي : تكوين الفن العربي الاسلامي في ديار الشام، الحوليات الاثرلة السورية، م ٢٢، سنة ١٩٧٢ ص ١٧ ؛ محمود العابدي : الاثار الاسلامية في فلسطين والاردن ، عمان ١٩٧٣ ، ص ١٨٧ . نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ، مصر ٩٧٤م ص ٢١ .

(٣) الدكتور محمود ضياء الدين الريس. : عبدالملك بن مروان والدولة الاموية ، ط ٢ . القاهرة ٩–١٩ م . ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) كريستي وزملاؤه : تراث الاسلام ، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن ، القاهرة ١٩٣٦ م ، حـ ٢ ص ١٢٢ ؛ توفيق احمد عبد الجواد : تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ م ، حـ ٣ ص. ٧٨ ، ٧٩ .

(٥) Creswell, op. cit, vol. 1, p, 102, Fig, 2 36.

(٦) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ش ١ .

(٧) كريستي : المرجع السابق ص ١٢٤ .

ويرى البعض بأنه تطور عن تصميم بعض الكنائس البيزنطية في القسطنطينية مثل كنيسة سرجيوس وباخوس (١) وهذا امر مستبعد لان التأثيرات المحلية تكون عادة اقوى من التأثيرات الاجنبية .

وعلى اي حال فان تصميم قبة الصخرة لم يكن مشابها تماما لتصاميم الكنائس المحلية والاجنبية المذكورة ، وانما اصابة نوع من التصرف والتجديد ليكون ملائما للغرض الذي شيد البناء من أجله . وهذا التصرف له اهمية كبيرة في تاريخ العمارة العربية اذ يدلّ على ان العرب المسلمين انتقلوا في عهد مبكر من مبدأ الاقتباس الى مبدأ التحوير والابتكار ، والذي كان يحمل بطياته بذور الطراز العربي الاسلامي .

وظل تصميم القبة فريدا من نوعه منذ انبثاق الاسلام حتى الوقت الحاضر ، ولم يقلده المسلمون في المساجد التي شيدوها بعد ذلك لان نظام المساجد لا يتفق اطلاقا مع نظام البناء المثمن الذي كان يتقيد بالتخطيط المستطيل ذي الصحن المكشوف طيلة اربعة قرون على الأقل (٢) ولا سيما مساجد العصرين الاموي والعباسي ، كما هو الحال في مسجد الكوفة من عهد تجديد زياد بن ابيه (٥١ هـ / ٦٧١ م) (٣) والمسجد الجامع بواسط بالعراق (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) (٤) والجامع الاموي بدمشق (٨٧ — ٩٦ هـ / ٧٠٥ — ٧١٤ م) (٥) ومسجد البصرى جنوب الشام (١٠٢ هـ / ٧٢٠ م) (٦) .

والمسجد الجامع بالقيروان من عهد تجديد هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ/٧٣٢ م) (٧) والمسجد العلوي باسكاف بني جنيد بالعراق (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) (٨) ومسجد المنصور ببغداد (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) (٩) ومسجد الرقة (١٥٦ هـ / ٧٧١ م) (١٠) ومسجد قرطبة

---

(١) Rice (D.T) Islamic Art, London 1965; p. 11.

(٢) كريزيل . : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٣) الدكتور احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) القاهرة ص ١٠٢ ش ٨١ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢١٥ ، ش ٨٩ .

(٥) المرجع نفسه ص ٢١٩، ش ٩٠ .

(٦) المرجع نفسه ص ٢٢١، ش ٩١ .

(٧) فكري : المرجع السابق ص ٢٠٦، ش ٨٦ .

(٨) المرجع نفسه ص ٢٢٣ ، ش ٩٢ .

(٩) المرجع نفسه ص ٢٣٢، ش ٩٤ .

(١٠) المرجع نفسه ص ٢٣٦، ش ٩٦ .

الجامع (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) (١) والجامع الكبير بسامراء (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) (٢) . والمسجد الجامع بسوسة في تونس (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) (٣) وجامع ابي دلف بالقرب من سامراء (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) (٤) ومسجد الزيتونة الجامع بتونس (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) (٥) .

وليس معنى هذا ان العرب المسلمين لم يستخدموا الأبنية المثمنة . فقد كانت هناك ابنية ذات تصميم مركزي ولكنها اتخذت لاغراض اخرى وكانت وقفا على الاضرحة (٦) كما يلاحظ ذلك في قبة الصليبية بالقرب من سامراء (٧) رسم ٥) .

وتعد قبة الصخرة من اولى القباب التي بنيت في الاسلام (٨) وتعد من العناصر المعمارية النادرة من حيث المادة والتصميم .

فهي من نوع القباب المزدوجة حيث تتكون من طبقتين من الخشب تتركان بينهما فراغا (رسم ٦) (٩) . وقد غطيت من الخارج بصفائح من الرصاص فوقها الواح من النحاس البراق (١٠) ومن الداخل بطبقة من الجبس المنقوش (١١) .

وهذا الاسلوب البنائي للقبة ساعد على تخفيف القوى الضاغطة على الاسس والدعائم والاعمدة التي ترتكز عليها ، كما أن السقوف المقببة تكون اكثر تماسكا من السقوف المستوية ولها اهمية دينية حيث تضفي على البناء قدسية وتعطيه نوعاً من الشموخ والعظمة

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٤٣ ش ٩٩ .

(٢) الدكتور طاهر العميد : العمارة العباسية في سامراء في عهد المعتصم والمتوكل بغداد ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ١٤ ش ٢٢ .

(٣) فكري : المرجع السابق ص ٢٥١ ، ش ١٠٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٤١ و ص ٩٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ٢٥٩ ، ش ١٠٦ .

(٦) توفيق عبد الجواد : المرجع السابق ج ٣ ص ٧٩ .

(٧) سامح : المرجع السابق ص ٩٥ ، ش ٤٥ .

(٨) الدكتور صالح لمعي مصطفى : القباب (اشكالها - مصادرها - تطورها) بيروت ١٩٧٧ م ، ص ٧ .

(٩) Creswell, op. cit., p. 93 Fig 33.

(١٠) سامح : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١١) كريستي : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

فالتقعر الحاصل في سقف القبة من الداخل يقود الانسان الى التأمل قلما يجده المرء في الابنية المسطحة او القائمة على سلسلة من الاعمدة (١) .

ووجود الفراغ في القبة ادى هو الآخر الى تخفيف الثقل وعمل على تلطيف درجات الحرارة صيفا وشتاءا ، كما ان الغطاء الخارجي الرصاصي والنحاسي للقبة قلل من تأثير العوامل الطبيعية عليها ، واعطاها نوعا من التجسيم وساعد على عكس اشعة الشمس ، مما ادى الى الحد من الحرارة المتسربة الى المبني في فصل الصيف .

والجدير بالذكر ان القباب الخشبية نادرة الشيوع في الطراز المعماري العربي في العصر الاسلامي كندرتها في الطرز السابقة للاسلام . ومن امثلتها في تلك الطرز قبة معبد مارينون (بغزة في فلسطين) من القرن الثاني الميلادي) (٢) ، وقبة كنيسة القيامة (٣٣٥م) وقبة كنيسة القديس سمعان بالقرب من حلب (في حدود القرن الخامس الميلادي) (٣) .

وتعد قبة الصخرة من اولى الامثلة للقباب الخشبية (٤) في الاسلام ، وربما تأثرت من هذه الناحية بقباب الكنائس المذكورة ، ثم وجدت بعد ذلك بمصر في العهد المملوكي ، كما هو الحال في قبة الامام الشافعي الحالية والتي من المعتقد انها ليست القبة الاصلية التي شيدت مع البناء سنة ٦٠٨ هـ/١٢١١م(٥) ، وقبة مسجد الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م (٦) .

والقباب المزدوجة هي الاخرى نادرة الشيوع في العمارة العربية الاسلامية والتي تعد قبة الصخرة من الامثلة الاولى لها . ومع هذا فقد وجدت أمثلة لها في الموصل بالعراق في العهد الاتابكي كقبة الجامع النوري (٥٦٦ / ٥٦٨ هـ) / ١١٧٠ — ١١٧٢ م (٧) التي

---

(١) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق : القباب المخروطية في العراق ، بغداد ١٩٧٤ م ص ٩ ، ١٠ .

(٢) Creswell, Op. Cit., p. 116.

(٣) صالح لمعي مصطفى : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٤) الجدير بالذكر ان القبة الاصلية سقطت سنة (٤٠٧ هـ) ، اما القبة الحالية فيرجع تاريخها الى سنة (٤١٣ هـ) .

(٥) شافعي . : المرجع السابق ص ١٩٩ .

(٦)

(٧) احمد قاسم جمعة : محاريب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتابكة ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لجامعة القاهرة سنة ١٩٧١ م ص ٢٨ ، صورة ٧٥ .

ازيات مؤخرا ، وقبة مزار يحيى بن القاسم ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م (رسم ٧) وقبة مزار الامام عون الا ين ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م (١) .

ومن المميزات الاخرى التي تدلّ على براعة المعمار في قبة الصخرة هي احداثه نوعاً من الانحناء البسيط في دائرة دعائم القبة مما ادى الى تجنب حجب الاعمدة الواقعة امام الرائي للاعمدة الاخرى المقابلة لها في الجهة الاخرى .

وبغية منع تسرب مياه الامطار والثلوج داخل القبة عمد المعمار الى احداث نوع من الانحناء البسيط نحو الخارج في حلقتها السفلى بحدود ٨٥ سم وقد حوفظ عليها بهذا الشكل بوساطة سلسلة من العضادات (٢) .

وتعد القباب كعناصر معمارية من مبتكرات وادي الرافدين منذ العصر السومري فالقباب المخروطية التي اكتشفت في المقبرة الملكية في اور تعد الامثلة الاولى لهذا العنصر المعماري (٣) ثم عرفتها بعد ذلك بعض الطرز القديمة كالطراز الروماني والبيزنطي (٤) .

وتتميز تيجان أعمدة القبة باتصالها مع بعضها عند بدء الأقواس بروابط (عوارض) خشبية ضخمة من المحتمل أن تكون قد استخدمت لتقاوم الهزات الأرضية التي تكثر في بقاع الشام (٥) ، كما أدت الى زيادة قوة احتمال العقود والأقواس وخففت الضغط الناتج من القبة التي تركز عليها . وقد غطيت هذه العوارض بصفائح من البرونز شغلت بزخارف مختلفة (٦) . وتتجلى أهمية هذه الصفائح في الحد من تأثير عوامل الطبيعة على تلك العوارض من جهة ، والاستفادة منها للغرض الزخرفي من جهة أخرى .

---

(١) Pagliero (R), Coservation of Two Islamic Monuments in Mosul, Sumer A Journal of Archaeology and History in Iraq, Vol, XXI, 1965, Baghdad 1965, Fig. 7.

(٢) الجمعة : المرجع السابق ص ٢٦٨ ، صورة ٦٥ .

(٣) Creswell, A Short Acount of Early Muslim Architecture, 1 st pub. 1958, pelican books, p. 205.

(٤) عطا الحديثي وزميلته : المرجع السابق ، ص ٩ ، ١١ .

(٥) كريستي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

(٧) سامح : المرجع السابق ، ش ٩ ، ١٠ .

ومن المميزات الأخرى في المسجد تعدد مداخله ، اذ يحتوي كل ضلع من الأضلاع المقابلة للجهات الأربعة مدخلا محورياً ، تتقدمه سقيفة على أعمدة [1] (رسم ١) وله باب مصفح بالرصاص . وهذا التعدد بالمداخل ساعد على دخول الزوار والمصلين من جهات عدة نظرا لاتساع المسجد . أما تغطية الأبواب بصفائح الرصاص فيعود الى حفظ أخشابها من عوامل الطبيعة شأنها في ذلك شأن الصفائح النحاسية والرصاصية التي تغطي أخشاب القبة والعوارض .

ويظهر أن بعض عمائر الشام تأثرت بالمداخل المحورية في قبة الصخرة ، كما هو موجود في المسجد الأموي بدمشق ٨٧ — ٩٦ ﻫ / ٧٠٥ — ٧١٤ م [2] ، بحيث أصبحت هذه المداخل احدى المزايا المعمارية لبلاد الشام . ومع هذا فقد وجدت أمثلة نادرة لها في العراق ، كما في قصر الجوسق الخاقاني بسامراء من عهد المعتصم (٢٢١ ﻫ / ٨٣٥ م) [3] .

وفي حالة كون السقائف التي تتقدم مداخل قبة الصخرة تعود الى عهد البناء الأول ، فتمثل والحالة هذه أولى الأمثلة للسقائف في العصر الاسلامي ، ثم وجدت بعد ذلك في قصر الاخيضر في العراق المنسوب الى عيسى بن موسى حوالي عام (١٦١ ﻫ ٧٧٧ م) [4] وانتقلت بعد ذلك الى المغرب العربي كما يلاحظ في سقيفة مدخل جامع أبي فتاتة في مدينة سوسه (٣١٣ ، ٣٢٦ ﻫ / ٩٢٥ ، ٩٣٧ م) .

ويظهر أن الفاطميين تأثروا بفكرة هذه السقيفه فنقلوها الى مدخل مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥ ﻫ / ١١٦٠ م) [5]. التي تعد من أقدم أمثلة السقائف التي تتقدم المداخل في مصر [6] .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٨ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ .
(٥) سامح : العمارة في صدر الاسلام ، ص ١٣٩ .
(٦) حسن عبد الوهاب : الاثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، المؤتمر الرابع للاثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ١٩ مايو (ايار) ١٩٦٣ ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٢٦١ .

والسقائف وجدت في مباني بعض الطرز السابقة للاسلام ، مثالها السقيفة التي تتقدم برج الرياح بأثينا القرن (ق . م) من العهد الاغريقي (١) وسقيفة مدخل معبد فينوس ببعلبك ، من العهد الروماني (٢) . رسم (٨) .

وفكرة تعدد المداخل وجدت مع أول مسجد بني في الاسلام . وهو المسجد النبوي في المدينة المنورة (١ هـ/٦٢٢ م) ، حيث كان يحتوي على ثلاثة مداخل(٣) ثم عمت فيما بعد معظم المساجد وأصبحت من مزاياها المهمة .

والجدير بالتنوية ان المساجد المبكرة في سورية امتازت بوجود ثلاثة مداخل محوريه ، ما عدا الجانب القبلي (٤) وذلك لوجود المحراب والمنبر ، بينما في المساجد العراقية تعددت فتحات مداخلها ، وقد أثرت هذه بدورها على أغلب المساجد اللاحقة في مصر ، حيث نجد التأثير العراقي واضحاً في تعدد مداخل الجامع الطولوني ، في حين يتضح التأثير السوري في وجود ثلاثة مداخل محورية في كل من مسجد الظاهر بيبرس ٦٦٥ — ٦٦٧ هـ / ١٢٦٦ — ١٢٦٨ م ، ومسجد الناصر محمد بالقاهرة ٧٣٥ هـ — ١٣٣٤ م وتعدت التأثيرات العراقية مصر الى شمال أفريقية والاندلس (٥) .

ويلاحظ ذلك في تعدد مداخل مسجد قرطبة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) (٦) ، وجامع الزيتونة بتونس (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) (٧) .

ويعد مبنى الصخرة من المباني غير المكشوفة ، فقد غطيت دائرة الأعمدة بوساطة القبة في حين غطي الرواقان الخارجي والداخلي بسقف خشبي مزدوج الكسوة ، فصفائح الرصاص تغطيه من الخارج وألواح الخشب المنقوش تغطيه من الداخل (٨) . وهذه الميزة

---

(١) **Flecher (B), A history of Architecture on Comparative Method. 7th ed. London, 1961, P. 141 G**

(٢) **Ibid, p. 195 H.**

(٣) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، ص ١٦٩ .

(٤) الدكتور كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر ، القاهرة ، ص ١٧٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٧٥ .

(٦) فكري : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ ، ش ٩٩ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٥٦ ، ش ١٠٥ .

(٨) نعمت علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الاسلامية ، ص ٢١ .

نادرة الشيوع في المساجد التي كانت تعد الصحون أو الأفنية المكشوفة من صفاتها الأساسية بصورة عامة كما مر بنا ، ومع هذا فيقال إن مسجد عمرو بن العاص ٢٢ هـ / ٦٤٢ م لم يكن له صحن مكشوف (١) .

والجدير بالذكر أن ظاهرة تغطية سقوف المساجد والمباني بالأخشاب نادرة الشيوع في العمارة العربية المبكرة في العصر الاسلامي ، ومع هذا فقد وجد لها مثال في مسجد البصرة ، الذي غطي بسقف من خشب الساج عند توسيعه من قبل زياد بن أبيه في عهد معاوية ابن أبي سفيان (٢) ، كما ان جامع قرطبة كان مسقفاً بالأخشاب (٣) ثم شاعت الأسقف الخشبية بعد ذلك في مصر في العهد المملوكي وخاصة في تغطية أواوين المباني (٤) ولكي يعالج المعمار مسألة الإضاءة والتهوية في بناء قبة الصخرة المسقف ، استحدث في كرسي القبة (١٦) نافذة كما استخدمت في كل ضلع من أضلاع المثمن الخارجي خمس نوافذ تعلو الطاقات الوسطى التي تتخلل الوجه الخارجي لتلك الأضلاع (رسم ١ ، ٩) .

والغاية من استحداث الطاقات الصماء المذكورة هي إحداث نوع من الانسجام الفني بين الأضلاع لتكون نوعا من التجسيم بفعل تفاوت الظلال التي تحدثها .

وتعود ظاهرة استحداث الطاقات في الحيطان الخارجية للمباني الى وادي الرافدين منذ العصر السومري ، كما هي الحال في المعبد الرئيسي لمدينة أورك (الوركاء) (٥) . وبالاضافة لما تقدم فان الأجزاء السفلى لتلك الاضلاع في مسجد الصخرة كسي بأفريز من الرخام لحفظها من التأثيرات الخارجية ، أما الأجزاء العليا فكانت مغطاة بطبقة من الفسيفساء ازيلت في العهد العثماني عام ٨٥٠ هـ / ١٥٤٣ م واستبدلت بألواح من القاشاني (٦) .

ولقد تأثرت بعض المباني الأموية اللاحقة بهذه الميزة مثل الجامع الأموي بدمشق ، اذ

---

(١) كريسي : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، القسم الثاني ، نشر الدكتور صلاح الدين المنجد القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ١١٨ .

(٣) توفيق عبد الجواد : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٤) الدكتور صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري في مصر ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٥) Moortgat (A.), The Art of Ancient Mesopotamia, the Classical Art of the Near East, 1st pub. London 1969, Pl. 227.

(٦) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ٢١ .

كانت الأجزاء السفلى لحيطانه الخارجية مغطاة بالرخام المجزع ، وما تبقى منها الى السقف غطي بالفسيفساء الملونة والمذهبة (١) .

وتنوع المواد المستخدمة في تغطية الجدران على الرغم من تأديته غرضاً معمارياً وجمالياً فقد كان اكثر تقبلا للنظر فيما او شغلت بنوع واحد من المواد والزخارف، لأن العين تمل عادة السطوح الواسعة المشغولة بنوع واحد من المعالم التزيينية .

وللمحراب المجوف المثبت في الضلع الجنوبي للحائط الخارجي من الداخل الذي يرجع الى عهد البناء الأول (٢) أهمية كبيرة لأنه دلّ على خطأ آراء بعض المستشرقين القائلـة بأن الأقباط هم أول من أدخل المحراب المجوف في المسجد النبوي ا ى تجديده من قبل الوليد بن عبد الملك ٨٨ — ٩١ هـ / ٧٠٦ — ٧٠٩ م (٣) وبعد أن تجاهلوا المحراب المجوف في مسجد القيروان الذي يرجع الى عهد البناء الأول من قبل عقبة بن نافع سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م (٤) .

وتعد الفسيفساء الزخرفية في مسجد قبة الصخرة من أقدم الأمثلة الاسلامية لهذا النوع من الصناعات التطبيقية وبقيت مستعملة طيلة العصور الوسطى (٥) الا انها كانت اكثر شيوعا في العصر الأموي ، كما في الجامع الأموي بدمشق (٦) والمسجد النبوي لدى تجديده من قبل الوليد (٧) ، وحمام المفجر المنسوب الى هشام بن عبد الملك ١٠٥ / ١٢٥ هـ ٧٢٣ — ٧٤٢ م (٨) وقصر المنقوشة في الموصل بالعراق الذي بناه الحر بن يوسف سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م (٩) والى هشام نفسه على الموصل .

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٩ ، ص ١٠٥٧ .
(٢) شافعي . : المرجع السابق ، ص ٦٠٤ ، ش ٨ .
(٣) الدكتور احمد فكري. : بدعة المحاريب ، مجلة الكاتب المصري ، م ٤ ، العدد ١٤ نوفمبر ١٩٤٦ م، ص ٣٠٦ — ٣٢٠ .
(٤) Creswell, Op. Cit. P. 44.
(٥) الدكتور حسن الباشا : التصوير الاسلامي في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٩ م : ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٦) المقدسي . : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، عبد القادر الريحاوي : فسيفساء الجامع الأموي ، الحوليات الأثرية السورية ، م ١٠ سنة ١٩٦٠ ، ص ٣٨ .
(٧) الدكتور احمد شكري : مسجد القيروان ، مصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٨ م ، ص ٥٥ .
(٨) Harding (G.L.) , The Antiquities of Jordan, New Ed. London 1967, Pl. 27b.
(٩) الأزدي : تاريخ الموصل حـ ٢ ، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٢٥ .

وتتميز فسيفساء قبة الصخرة بدقتها المتناهية وتنفيذها المدهش ، وبخاصة تلك التي نفذت على الأجزاء الخارجية . وربما تأثر الفنان بمثيلاتها من الفسيفساء المحلية في كنيسة الميلاد في بيت لحم (١) .

وقد صممت فسيفساء قبة الصخرة بحيث توافق المساحات المعمارية ، ومن هنا أصبحت تنسجم مع التصميم المعماري وتؤلف وحدة مع البناء ، وكانت تتألف من فصوص دقيقة من الزجاج والحجر والصدف وبعضها كان مذهبا ومفضضا . وقد ثبت على طبقه من الجص وروعي في لصقها ان تكون مسطحة وفي وضع افقي ، وعلاوة على ذلك ، فكان لصق الفصوص المذهبة والمفضضة بصورة مائلة ، لكي تعكس الضوء ويزداد بريقها . وكانت الألوان الغالبة للفصوص هي : اللون الأخضر والأزرق ويضاف اليها ألوان اخرى هي : الأحمر والفضي والرمادي والبنفسجي والبني والأسود والأبيض ، كما استعمل اللون الذهبي للخلفية ، وأحيانا لابراز بعض العناصر الزخرفية كرسوم الفاكهة (٢) .

وطريقة صنع الفصوص المذهبة والمفضضة بالغة التعقيد . فكان الفنانون يأخذون نوعا من الزجاج المستعمل في الفصوص السابقة ، ويطاونه بقشرة رقيقة من الذهب الخالص او الفضة ثم تغطى تلك القشرة بطبقة رقيقة من الزجاج الأبيض الشفاف غايتها الاحتفاظ باللون الذهبي والفضي براقاً على المدى البعيد ، وبعد ذلك يقطع اللوح الى فصوص غالباً ما تكون مستقيمة الحافات خلافاً للفصوص الأخرى (٣) .

وعلى أي حال فان فسيفساء قبة الصخرة قد أجريت عليها بعض الاصلاحات في عهود مختلفة غير أن القسم الأكبر منها يرجع الى عهد البناء الأول، كما أن الاصلاحات المتتالية كانت من غير شك تتبع خطة التنفيذ الأصلية (٤) .

والفسيفساء ليست جديدة في الفن العربي الاسلامي وانما وجدت في الفنون السابقة للاسلام ، كما في العراق ومصر . ففي العراق تمثلت بمعبد الوركاء حوالي ٤٠٠٠ ق. م (٥)

---

(١) Creswell, Op. Cit, P. 39.

(٢) الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) الريحاوي : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٤) الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٥) الباشا : تاريخ الفن في العراق القديم ، ١٧ ، القاهرة ١٩٠٦ ، ص ٧ .

كما ازدهرت في العصر الأغريقي والبيزنطي (١) ثم تدهورت في سورية في أواخر العصر البيزنطي وعادت الى الازدهار ثانية في العصر الأموي (٢) .

وتميزت زخارف مسجد قبة الصخرة بتعدد اساليب تنفيذها ، وتنوع عناصرها مع الاحتفاظ بانسجامها واتزانها الفني ، ولعبت دوراً كبيراً في تبلور زخرفة التوريق العربية التي أصبحت ميزة ملازمة للعرب والمسلمين ورمزاً لتواجد هم اينما حلوا .

فبعض الزخارف نفذ بطريقة الفسيفساء عن طريق لصق الفصوص على طبقة من الملاط حسب المواضيع المطلوبة ، كما مر بنا . والبعض الآخر نفذ بوساطة الحفر على الخشب كما هي الحال في زخارف الألواح التي تبطن السقف الخشبي لرواقي المسجد من الداخل ، ومنها ما نفذ بوساطة الطرق على البرونز ، ومثالها الزخارف الكائنة على الصفائح البرونزية التي تغطي العوارض الخشبية . وبالنسبة لعناصر الزخرفة فتغلب عليها العناصر النباتية ، كأشجار النخيل والزيتـــون ، وأوراق الاكانتاس والعنب والأوراق اللوزية المركبة ، وكيزان الصنوبر ، وفاكهة الرمان والعنب ، والوريدات علاوة على عناصر اخرى منها الكأسية والحبيبات المجمعة والمزهريات .

فعناصر الشجر تمتاز بحيويتها ، ولكن تلاعب الفنان بجزيئياتها اخرجها من هيئاتها الطبيعية التي عاشته في كنف معظم الفنون القديمة وطبعتها بالطابع الزخرفي ، ويتجلى ذلك زخرفة السيقان بفصوص من الجواهر والاشكال الهندسية الصغيرة ، وتشابك الأغصان تشابكاً زخرفياً (٣) (رسم ١٠) . واحياناً يجمع ساق الشجر بين اللحاء على الجانبين وبين الدوائر وحبات اللؤلؤ على الوجه . والسعف مرسوم رسماً عاماً دون العناية بالتفاصيل وبهذا اصبح الفنان يجمع بين خاصية تمثيل الطبيعة وبين الطابع الزخرفي . وفي حالات اخرى يحف بالنخلة الرئيسية نخلتان صغيرتان من الجانبين لملء الفراغ وتحقيق التوازن . ورسم لحاؤهما على هيئة أقواس متوالية في حين رسم جذع الشجرة الكبيرة على هيئة مستطيلات متجاورة رأسية يعلو بعضها بعضا ، في صفوف متتالية وبهذا تحاشى الفنان التكرار الممل ، وأكد على التوازن بين الجانبين (٤) وحقق خاصية التناظر التمثيلي .

---

(١) الريحاوي : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢) نعمت علام : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٣) الباشا : التصوير الاسلامي في العصور الوسطى ، ص ٢٦ .

Creswell, Early Muslim Architecture, Vol, 1, part 1, P. 264, Fig. 212.

(٤) الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

وظاهرة الابتعاد عن التكرار الممل ، وملء الفراغ والتحوير عن الطبيعية والابتكار والتناظر التمثيلي اصبحت فيما بعد من أهم خصائص الفن العربي الاسلامي .

وربما ترجع ظاهرة التحوير والبعد عن تصوير الواقع من بعض الوجوه الى التعاليم الدينية التي تنفر من مضاهاة خلق الله (١) والى ملكات الحس والشعور والخيال التي كانت تنبع من القوى الدفينة في حياة العرب ، وكانت تختلف عن نظيراتها عند غيرهم من الدول والشعوب ، وأدت الى تشكيل العناصر المعمارية ، وابتكار التعبيرات الفنية في العهود العربية الاسلامية (٢) .

وكما كان الفنان في مسجد قبة الصخرة موفقاً في تحوير العناصر النباتية ، وطبعها بالطابع الزخرفي فانه كان في الوقت نفسه موفقا في تمثيل الطبيعة بكل دقة ، ويلاحظ ذلك في احدى مناظر الفسيفساء التي تمثل أجمعة من القصب . فالرسم قريب جداً من الطبيعة وعني الفنان بالتعبير عن الشكل وبتوزيع الضوء والظل وبتحقيق بعض التفاصيل الطبيعية الدقيقة (٣).

أما أوراق الأكانتاس ، فعلى الرغم من شيوعها في الفن البيزنطي ، الا أن هيئاتها في قبة الصخرة غالباً ما تكون محلية اكثر من كونها بيزنطية (٤) ، بسبب التحوير الذي أصابها ولاحتضانها مزهريات زخرفية احياناً (٥) (رسم ١١) ، ولاستخدامها كمزهريات في الات اخرى (٦) (رسم ١٢) ، وورقة العنب هي الأخرى وجدت في الفنون السابقة للاسلام كالفن الآشوري (٧) (رسم ١٣) ، وأجنبية كالفنين البيزنطي (٨) (رسم ١٤) والساساني ، لكنها كانت قريبة من هيئاتها الطبيعية ، ثم ظهرت في الفن الاسلامي في عهد مبكر (٩) كما في قبة الصخرة مع شيء من التحوير (١٠) (رسم ١٥) ، وازداد

---

(١) الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٢) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، ص ٣١ .
(٣) الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(٤) Rice, Islamic Art, p. 11.
(٥) Creswell, Op. Cit., Fig. 265.
(٦) Ibid., Fig. 203.
(٧) Parrot (A.), Ninavah and Babylon, France 196, Fig, 71.
(٨) Lechler (G.), The Tree of life in Indo:- European and Islamic Cultures, Art Islamic, Vol. IV New York 1968, Fig. 27 c.
(٩) الجمعة : المرجع السابق ، ص ١٥٢ ، رسم ١٧٠ .
(١٠) Dimand (M.), Studies in Islamic Ornament, Art Islamic, Vol. IV, New York, 1968, Fig. 9.

ذلك التحوير في الأوراق المتمثلة في المسجد الأقصى (١) رسم (١٦ — ١٨) واتضحت معالمه بصورة جلية في زخارف سامراء عندما دخلت العيون بين فصوصها ، واقتضبت العروق التي تتخللها وزالت معظم تسنناتها (٢) (رسم ١٩) حتى تحولت في العصور التالية الى عناصر تجريدية بحته (٣) (رسم ٢٠) .

والأوراق المركبة رسمت بصورة تجريدية وتخللتها الثمار كالرمان (٤) (رسم ٢١) والبندق (٥) (رسم ٢٢) الذي اتخذ هو الآخر طابعا تجريدياً بعيداً عن الطبيعة .

أما كوز الصنوبر فترجع أصوله الى الفنون العراقية القديمة (٦) كالفن الآشوري (٧) (رسم ٢٣) وطالعتنا امثلته الاولى بقبة الصخرة في العصر الاسلامي (٨) (رسم ٢٤). ثم شاع بصورة جلية في العصر الأموي وبداية العصر العباسي (٩) .

والوريدات المفضضة كانت اكثر العناصر انتشاراً في جميع الفنون القديمة ، وكانت قريبة من الطبيعة على الرغم من تنوعها (١٠) (رسم ٢٥ — ٢٧) ثم ظهرت امثلتها الأولى في الاسلام بقبة الصخره بهيئات تجريدية نتيجة التحوير الكبير الذي أصابها (١١) (رسم ٢٨ — ٢٩) وتمثلت فيما بعد في معظم المخلفات المعمارية والفنية (١٢) .

---

(١) Creswell, Early Muslim Architecture, Vl 11, Oxford 1932-40 P. 133, figs 132.133 (EI).

(٢) Herzfeld (E.), Die Ausgrabungen Von Samarra, Berlin 192/3 Band I, p. 194.

(٣) فكري : المرجع السابق ، ص ٤١ ، ش ١٠ .

(٤) Creswell, Op. Cit. Vol, I, P. 267, Fig. 222.

(٥) Ibid, P. 268, Fig., 228.

(٦) الدكتور فريد شافعي : الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي ، مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة ، م ١٤ ، حـ ٢ ، سنة ١٩٥٢ م ، ص ٧٠ .

(٧) محمد وهبة : الزخرفة التاريخية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، ص ٢١ .

(٨) Creswell, Op. Cit., Vol. I, Figs, 297, 298.

(٩) الدكتور احمد قاسم الجمعة : الزخارف الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والايلخاني ، رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة القاهرة ١٩٧٥ م ، م٢ ، ص ٤١٩ .

(١٠) الجمعة : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(١١) Creswell, Op. Cit., Vol. I, Figs. 323, 324.

(١٢) الجمعة : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

وبالنسبة للعناصر الكأسية فقد وجدت في الفنون السابقة للاسلام ومنها : الفن الاغريقي (رسم ٢٠) ، والبيزنطي والساساني (١) (رسم ٣١) ثم ظهرت نماذجها الاسلامية الاولى في قبة الصخرة (٢) (رسم ٣٢ – ٣٣) والمسجد الاقصى (رسم ٣٤ – ٣٥) وشاعت بصورة جلية في العهد الأموي ، كما في قصر المشتى (رسم ٣٦) وقصر الطوبة (٣) (رسم ٣٧) وندرت بعد ذلك . وربما كان لعناصر قبة الصخرة علاقة وثيقة بعناصر اللوتس الكأسية التي وجدت في الفن الساساني (٤) (رسم ٣٨) .

وعناصر الحبيبات المجمعة المنتهية بنصل في الأعلى التي تمثلت في زخارف قبة الصخرة (٥) (رسم ٣٩) تعد من العناصر النادرة في العهد الاسلامي وما قبله . ومع هذا فقد وجد مثيل لها في المسجد الاقصى (٦) (رسم ٤٠) وربما تطورت بالأصل عن عناقيد العنب .

أما عناصر المزهريات والأواني التي تخرج منها العناصر النباتية في قبة الصخرة (٧) رسم (٤) فقد وجدت قبل ذلك في بعض الفنون القديمة كالفن الروماني (٨) والبيزنطي (٩) (رسم ٤٢) ثم وجدت بعد ذلك لصورة ملحوظة في العهد الأموي ، وأوائل العباسي كما في زخارف المسجد الأقصى (١٠) (رسم ٤٣) وقصر المشتى (١١) (رسم ٤٤) ومحراب جامع الخاصكي من عهد المنصور ببغداد (رسم ٤٥) ونجد في بعض الحالات تخرج من

---

(١) شافعي : المرجع السابق ، ص ٦٩ ، ش ٢ ، ٣ .

(٢) Creswell, Op. Cit., Vol. I. Figs. 319-320.

(٣) شافعي : المرجع السابق ، ص ٦٩ / ٨١ ، ١٩١ ش ٥ ، ١٠ – ١٤ ، ٢٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦٩ ، ش ٥ .

(٥) شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م ١ ، ص ٢٢١ .
Creswell, Op. cit. Vol.1. Figs, 215-218.

(٦) شافعي : الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي ، ص ٨٢ ، ش. ١٨ .

(٧) الصفحة نفسها ، ش ١٦ ، ١٧ .

(٨) Creswell, Ip. Cit., Vol. I, Figs, 253-263.

(٩) الجمعة : المرجع السابق ، م٣ ، ص ٣٤٤ ، رسم ٨٠٧ .

(١٠) Lechler, Op. Cit., Figs. 270.

(١١) Herzfeld (E.), Archaeologish Reise Im Euphrat und Tigris Gebiet Berlin, 1911-1920. Vol. II. P. 130, Fig 12 (e2).

(١٢) Dimand, Op. Cit., Fig. 62.

مزهريات قبة الصخرة اغصان تجريدية تنتهي بعناصر كأسية او جناحية [1] (رسم ٤٦).
وتعود العناصر الجناحية بأصولها الى الفن الساساني [2] رسم (٤٧) ثم حورها المسلمون فيما بعد وعذت عنصراً زخرفياً بحتاً.

وبالاضافة لما تقدم فان زخارف قبّة الصخرة تتخللها عناصر اخرى. كالأهلة والنجوم [3] (رسم ٤٨) والجواهر واللآلئ [4] (رسم٤٩) وقرون الرخاء[5] (رسم ٥٠).

فالجواهر ترجع باصولها الى الفنون الشرقية القديمة [6] بينما الأهلة والنجوم كانت معروفة في الفنين الساساني والبيزنطي [7] واتخذها المسلمون بالاضافة الى الغرض الزخرفي كشارة دينية، كما في تركيا ومصر [8] أما قرون الرخاء فهي من العناصر النادرة في الفنون القديمة كندرتها في الفن العربي الاسلامي، حيث لم تجد لها امثلة واضحة المعالم كما هي الحال في قبة الصخرة الا في محراب السيدة رقية من العصر الفاطمي بمصر [9] (رسم (٥).

ولم تقتصر اهمية مبنى قبة الصخرة علــى تصميمه المعماري والمميزات والعناصر الفنية التي تطرقنا اليها، وانما تتجلى بالنصوص الكتابية التي تضمنها المبنى فهناك نص يحتل الجزء العلوي من التثمينة الداخلية نفذت حروفه بوساطة الفصوص المذهبة على ارضية زرقاء من زخارف الفسيفساء تتضمن آيات قرآنية وعبارة انشائية نصها (بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين) [10].

---

١) Creswell, Op. Cit., Vol. 1, Fig. 201.

(٢) الدكتور فريد شافعي: مميزات الاخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر، مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة، م ١٦، حـ١، مايو ١٩٥٤، ص ٦٠، ش ٢، ٣.

(٣) Creswell, Op. Cit., Figs, 273, 274.

(٤) Ibid., Figs. 275-282.

(٥) Ibid., Figs. 238-242.

(٦) Rice, Op. Cit., P. 13.

(٧) نعمت علام: المرجع السابق ص ٣٢.

(٨) سامح: العمارة في صدر الا سلام ص ٢٠.

(٩) شافعي: المرجع السابق ص ٨٠، ش ٢١.

(١٠) سامح: المرجع السابق ص ١٨، ١٩؛ توفيق عبد الجواد: المرجع السابق ص ٨٠
Creswell, Op. cit., Vol. 1, P. 22

اما النص الثاني فقد نفذ بوساطة الطرق على لوح من النحاس تضمن آيات قرآنية (١) والملاحظ على النص الأول ان اسم الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط يخالف الخط المستعمل في بقية اجزاء النص فضلا عن ان سنة اثنتين وسبعين لا تقع في حكم المأمون ، بل ضمن سني حكم عبد الملك (٦٥ — ٨٦ هـ) وهذا يدل على حدوث تغيير في النص في عهد المأمون ولكن الصانع فاته ان يغير التاريخ بعد ان غير الاسم (٢) .

وتتجلى اهمية هذه النصوص في كونها توضح لنا احد انواع الخطوط العربية ، التي سادت القرن الأول الهجري ، وهو الخط اليابس الذي يعتمد في رسم حروفه على الخطوط المستقيمة سواء القائمة منها والمستلقية ، والذي اطلق عليه مجازاً اسم (الخط الكوفي) كما أن التاريخ المدون في النص الاول حدد بما لا يقبل الشك عودة البناء على هذا العاهل وجاء دعماً للمصادر التاريخية التي تنسب المبنى بدورها الى العاهل المذكور . علاوة على أن ذلك يأخذ بيد الدارسين لارجاع النصوص المشابهة غير المؤرخة الى هذه الفترة او مقاربة لها عن طريق الدراسة المقارنة . هذا ويعد التاريخ هنا من أقدم التواريخ المدونة على المباني العربية الاسلامية .

وتنفيذ النص الأول بوساطة الفسيفساء والبوادر الفنية التي ظهرت في اشكال حروف النصين توضح لنـــا بأن الخط العربي جاوز في عهد مبكر حدود المضمون الى النواحي الجمالية . ويعد هذا مقدمة لاستعمالات الخط العربي لأغراض الزخرفة وهي الميزة التي امتاز بها عن بقية خطوط الأقوام الأخرى .



أما المسجد الأقصى فيعتقد بأنه انشئ من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (٣) ، ثم أعيد بناؤه في العصر الأموي ، ولا يعرف على وجه التحديد من الذي بناه في هذا العصر فقد اختلفت الآراء فيه ، فبعضها ينسب ذلك الى عبد الملك بن مروان (٤) والبعض الآخر

---

(١) الدكتور ابراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٨٠ ش ٨ .

(٢) سامح : المرجع السابق ص ١٩ ؛ توفيق عبد الجواد : المرجع السابق ص ٨٠ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ، ص ٢٤٠٠ ، وكان مسجد عمر بسيطا بني بالخشب واللبن (الدكتور غازي رجب : المسجد الاقصى ، مجلة سومر م.٢٨ سنة ١٩٧٢ م ، ص ١٣٧ .

(٤) ابن الاثير : تاريخ الكامل جـ ٥ ، ص ٤ ؛ ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية القاهرة ، ص ١٠٢ .

ينسبه الى ابنه الوليد (١) . ويرجع هذا الاختلاف الى عدم وجود نص تذكاري يثبت ذلك كما في قبة الصخرة علاوة على أن المؤرخين والجغرافيين في العصور الوسطى لم يثبتوا ذلك بدقة (٢) . ولكن من الراجح عودة البناء الى الوليد ، وذلك لأن عبد الملك كان قد قام ببناء مسجد قبة الصخرة الضخمة وبهذا فمن غير المحتمل اتساع وقته وامكاناته لاعادة بناء مسجد آخر في آن واحد ، علاوة على انشغاله بمسؤولية الحكم ، كما أن المسجد الأقصى مجاور لقبة الصخرة ، وهذا بدورة يبعد احتمال قيام شخص واحد بانشاء واعادة بناء مسجدين في بقعة واحدة .

ومهما يكن من أمر ، فالمسجد الاقصى يمثل نمطاً جديداً في العمارة الاسلامية (٣) مما جعله يتصف بمميزات وخصائص معمارية وفنية نادرة الشيوع في المساجد الاسلامية يرجع معظمها الى العهد الأموي .

ومن تلك المميزات خلو المسجد من الصحن او الفناء الداخلي المكشوف (رسم ٥٢) وهي ميزة نادرة في المساجد ولا سيما التي ترقى الى صدر الاسلام والعهدين الأموي والعباسي حيث كان الصحن المفتوح من خصائصها الهامة (٤) .

كما امتاز المسجد الاقصى بعدم توسط محرابه لجدار القبلة (٥) (الرسم السابق) وبهذا شذ عن القاعدة العامة لأغلب المساجد الاسلامية التي روعي فيها توسط المحراب لذلك الجدار ، ولكنها لم تكن قاعدة ثابته . فهناك أمثلة لبعض المساجد السابقة واللاحقة تمثلت بها هذه الميزة مثالها : المسجد النبوي بالمدينة منذ عصر الرسول (ص) (٦) ، وجامع عمرو ابن العاص بالفسطاط (٢١ هـ/٦٤١ م) (٧) والجامع الأموي بدمشق (٨) ومسجد البصرى (٩)

---

(١) المقدسي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) رجب : المرجع السابق ص. ١٣٨ .

(٣) Rice, Islamic Art, P. 13.

(٤) تطرقنا الى ذلك في مطلع هذا البحث .

(٥) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، ص ٢١٢ ، ش ٨٨ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ١٨٩ ، ٢٩٨ ، ش ٨١ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٢٩٨ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ٢٢٢ ، ش ٩١ .

والمسجد العلوي في اسكاف بني جنيد بالعراق (١) والمسجد الجامع في حران شمال الرقة حوالي سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) ، ومسجد القرويين بفاس بالمغرب (٢) .

وتتميز بلاطات المسجد الاقصى منذ أقدم عصوره بصورة عمودية على جدار القبلة وليست موازية له (٣) (الرسم السابق) ، وربما اثرت بدورها في مسجد قرطبة (١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) (٤) ، ومسجد القيروان عند اعادة بنائه عام (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) وجامع أبي دلف (٥) ومسجد الزيتونة بتونس (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) (٦) التي امتازت بلاطاتها بالميزة نفسها .

وبهذا يكون المسجد الاقصى قد خالف من هذه الناحية أغلب مساجد العصر الأموي وغالبية المساجد اللاحقة التي كانت بلاطاتها موازية لجدار القبلة ، وليست عمودية عليه كما هي الحال في المسجد الجامع بواسط (٧) والمسجد الأموي بدمشق (٨) ومسجد (٩) البصرى والمسجد العلوي في اسكاف بني جنيد (١٠) والمسجد الجامع بحران (١١) .

ويكاد المسجد الجامع بمدينة سوسة (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) يكون المثل الوحيد الذي تتكون ظلة المحراب من أروقة متقاطعة ثلاثة موازية لجدار القبلة وثلاثة عشر تتعاقد عليه (١٢)

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٢٤ ، ٢٩٨ ، ش ٩٢ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥ ، ٢٩٨ ، ش ٩٣ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٩٨ ، حاشية ٤ .
(٤) رجب : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
(٥) شافعي : العمارة العربية في مصر الا سلامية ، م ١ ، ص ٢٤٣ ، ش ٧ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ ، ش ٦ .
(٧) فكري : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ ، ش ١٠٦ .
(٨) المرجع نفسه ، ص ٢١٥ ، ش ٨٩ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ٢١٩ ، ش ٨٠ ؛ شافعي المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ، ش ١٦٥ .
(١٠) فكري : المرجع السابق ، ص ٢٢١ ، ش ٩ .
(١١) فكري : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ ، ش ٩ .
(١٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢٦ ، ش ٩٣ .
(١٣) شافعي : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ ، ش ١٦٨ .

ولم يكن للمسجد الاقصى بلاطة وسطى في العصر الأموي واسعة وانما كانت مساوية ومشابهة لبقية البلاطات ، وذلك لخلو المسجد من القبة (١) في حينها (الرسم السابق) .

وهذه الميزة على الرغم من ندرتها في المساجد اللاحقة التي كانت تمتاز بصورة عامة باتساع البلاطة الوسطى عن بقية البلاطات ، الا أنها وجدت بعض امثلتهـا فيما بعد في مسجد القيروان من عهد تجديد هشام بن عبد الملك (٢) والمسجد الأول في الرقة (٣) .

وعدم وجود القبة في المسجد الاقصى ربما يرجع الى الرغبة في ابراز قبة الصخرة القريبة منه ، كما أن المحراب لم تكن له تلك الأهمية المعمارية في القرن الأول الهجري ، وبالتالي فلم تكن هناك حاجة قائمة الى توسيع البلاطة الوسطى لتقوم عليها القبة التي وجدت لتأكيد أهمية المحراب بعد ذلك ، كما هي الحال في أغلب المساجد اللاحقة كالمسجد الأموي بدمشق ، والمسجد الجامع بسوسة ، ومسجد القيروان لدى تجديده سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م والمسجد الكبير بتونس ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م ، ومسجد قرطبة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م (٤) .

وفي العهد العباسي استحدث الخليفة المهدي سنة ١٦٣ هـ / ٧٨٠ م توسيعاً في البلاطة الوسطى بالمسجد الاقصى بعد الاستغناء عن صف من الدعامات الذي كان يتوسط بيت الصلاة (٥) (رسم ٥٣) وغطاها بسقف جملوني ضخم يعلوه منور لادخال الضوء ، وقبة خشبية مزدوجة مغلفة بصفائح الرصاص من الخارج ومزينة بالجبس من الداخل (٦) تتميز حلقتها السفلى بانحنائها نحو الخارج بمقدار ٧٥ سم وقد حوفظ على هذا الشكل بوساطة سلسلة من المساند او الكوابيل البارزة (٧) .

ومما لا شك فيه ان مزايا السقف الخشبي وقبته من حيث مادتها الخشبية وخاصيتها المزدوجة وتصفيحها بالرصاص من الخارج ، وتزيينها بالجبس من الداخل ، وانحناء حلقتها السفلى نحو الخارج متأثرة بالمزايا نفسها التي سبق أن تمثلت في قبة الصخرة .

---

(١) فكري : المرجع السابق ، ص ٢١٣ ، رجب : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
(٢) فكري : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ، ش ٨ .
(٣) شافعي : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .
(٤) لمعي مصطفى : القباب ، ص ٧ .
(٥) فكري : المرجع السابق ، ص ٢١٣ ، رجب : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ١٤١ ، ١٤٤ .
(٧) **Creswell, A Short Account of Early Muslim Archetecture P. 205.**

والجدير بالذكر أن الخليفة الظاهر الفاطمي احدث ترميماً بالمسجد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٣٤ م بعد الزلازل العنيفة التي ضربت بلاد الشام ، ولا سيما في سنتي ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م و ٤٢٥ هـ / ١٠٣٣ وهدمت معظم أجزائه ويظهر أنه سار نفس على تخطيط مسجد المهدي باستثناء بعض التغييرات ولاسيما في بلاطاته (١).

ويعد السقف الجملوني في المسجد قليل الشيوع في العمائر العربية الاسلامية ، واقتصرت أمثلته على بلاد الشام تقريبا دون غيرها ، وظهرت أولى أمثلته في العصر الاسلامي في المسجد الأموي بدمشق (٢) .

وعلى الرغم من شيوع السقف الجملوني في الطرز الغربية القديمة كالاغريقية (٣) واليونانية والرومانية (٤) (رسم ٨) ، الا ان الجذور التاريخية ترجع اصله الى العراق منذ أوائل العصر الحجري المعدني ، فقد كشفت التنقيبات في موقع تل حسونة على اسس منازل طينية تمكن (لويد) أن يستعيد هيئتها الأصلية متخيلا لها سطحا مسنما اي جملونيا (٥) .

وتعد الكوابيل المزخرفة التي ترتكز عليها عضادات السقف الجملوني في المسجد الأقصى (٦) من أولى الأمثلة لهذا اللون من الكوابيل ، سواء في الطراز المعماري الاسلامي أم الطرز السابقة له . لأن الكوابيل على الرغم من وجودها في الطرز القديمة كالطراز البيزنطي (٧) (رسم ٥٤) الا أنها كانت بسيطة وخالية من الزخرفة . اما في العصر الاسلامي ، فقد وجد مثال لها في جامع عمرو بن العاص بالقاهرة على هيئة عنصر رحمي تعلوه ورقة نخيل مفصصة (٨) (رسم ٥٥) ثم طالعتنا امثلة اخرى في الأندلس بعضها تميز بواجهاته المقعرة التي توازيها على السطح زخارف نباتية حلزونية الفصوص والبعض الاخر مزين بصفين متناظرين من الفصوص المتتابعة (٩) (رسم ٥٦) . ثم بلغت الكوابيـــل اقصى

---

(١) رجب : المرجع السابق ، ص ١٤٢ — ١٤٤ .

(٢) سامح : الما المرجع السابق ، ص ٢١ ، ش ١٢ .

(٣) Fletcher, A history of Architecture on the Comparative Method. P. 141 G.

(٤) Ibid., P. 195 H.

(٥) فواد سفر : حفريات حسونة ، مجلة سومر ، سنة ١٩٤٥ م ، حـ ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ش ٤ أ .

(٦) Creswell, Op. Cit., P. 205-206.

(٧) الجمعة : الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الأتابكي والايلخاني ، ص ٨٢ .

(٨) مانويل جوميث : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز ، مصر ١٩٦٨ م ، ص ٣٤٢ ش ٢٤ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ٢٦٠ ، ش ٢٧٦ .

درجات تعقيدها الفني نتيجة كثرة التقعرات والمنحنيات والزوايا الحادة والقائمة ، وزخارف الأرابسك العربية التي زينت سطوحها في القرنين (٦ — ٧ ه / ١٢ — ١٣ م) (١) (رسم ٥٧ — ٥٨) . وبهذا يكون فنان المسجد الاقصى أول من استخدم الكوابيل في الأغراض المعمارية والجمالية في آن واحد .

وتتميز أعمدة المسجد الأقصى بقصرها . وسمك قطرها ، لكي تكون قادرة على صف اضافي من الأعمدة تساعد على ارتكاز السقف الخشبي عليها (٢) .

ومن المميزات المبرزة الأخرى في المسجد الاقصى التي تأثرت بمثيلاتها في قبة الصخرة هي : تعدد مداخله ، وتصفيح أبوابه بالذهب والفضة ، واستخدام الفسيفساء التزينية فيه (٣) ، ووجود العوارض ذات الكسوات المزخرفة التي تحمل سقف البلاطة الوسطى (٤)

وتعد العناصر الزخرفية المتمثلة في كسوات العوارض الخشبية الحاملة لسقف البلاطة المذكورة ، والمنسوبة الى العهد العباسي من أعمال المهدي (١٦٣ ه / ٧٨٠ م) (٥) ذات أهمية كبيرة في تطور الزخرفة العربية الاسلامية شأنها في ذلك شأن العناصر والمميزات الزخرفية التي وجدت في قبة الصخرة .

ومن أهم تلك العناصر : العناصر المعمارية ، وعناصر الكؤوس المركبة ، وثمار الرمان المركبة ، وأوراق العنب المركبة المحورة ، والوريدات المفصصة ، والحبيبات المجمعة والمزهريات التي تحمل عناصر نباتية .

أما العناصر المعمارية فتمثلها بعض الحنيات المسطحة التي يتوجها عقد يحمله عمودان (٦) وتتجلى أهمية هذه الحنيات في استخدام العناصر المعمارية للأغراض الزخرفية .

---

(١) الجمعة : الآثار الرخامية خلال العهدين الأتابكي والايلخاني ، ص ٨٣ ، رسم ٢٧٩ — ٢٨٧ .

(٢) رجب ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٣) المقدسي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٤) شافعي : الأخشاب المزخرفية في الطراز الأموي ، ص ٧٩ — ٨٠ .

(٥) الدكتور زكي محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، القاهرة ١٩٠٦ م ، ش ٣١٠ ، ٣١١ .

(٦) المرجع والشكل نفسه .

Marcias (G.) . L'Art De L'Islam, Paris, 1940, Fig. V.

والملاحظ على بعض أعمدة الحنيات تكونها مـــن حلزونات مائلة ومتقاطعة بصورة عكسية بالتناوب (١) . كما ان البعض الآخر كان نصفه السفلي على هيئة جذع نخلة ، في حين كان نصفه العلوي على هيئة عمود حلزوني (٢) . وبهذا يكون فنان المسجد الاقصى قد جمع بين العناصر المعمارية والنباتية الطبيعية في آن واحد من ناحية ، وحور في شكل الأعمدة الحلزونية التي وجدت في الفنون القديمة ولا سيما البيزنطي (٣) منها من ناحية أخرى.

وتحمل أعمدة هـــذه الحنيات تيجاناً بصلية يتكون لكل منها من تقابل نصف ورقة أكانتاس (٤) (رسم ٥٩) ، وهو تطور مبسط للتاج الكورنتي وبعد مرحلة تمهيدية للتيجان الكأسية الاسلامية التي انتشرت في المشرق العربي ، ومثالها تاج عمود من خربة المفجر (٥) (رسم ٦٠) ثم وجدت بعـــد ذلك امثلتها الصريحة في سامراء ، كمـــا في قصر الجوسق الخاقاني (٦) (رسم ٦١) وعلى الرغم من ندرة هذه التيجان في المغرب العربي الا أنه وجدت بعض امثلتها في أعمدة طاقات جامع القيروان (٧) (رسم ٦٢) .

وعنصر الرمان هو الآخر وجد في الفنون التي سبقت الاسلام ، كالفن الساساني (٨) ، إلا أن التحوير هنا أصاب هيئته الطبيعية (رسم ٦٣) ، وأصبح ضمن العناصر المركبة بفعل تداخل الأوراق معة (٩) (رسم ٦٤) وقد ظهرت أمثلته للعنصر المذكور متداخلة مع الأوراق النباتية في زخارف قبة الصخرة (رسم ٢١) .

أما أوراق العنب ، وعناصر الحبيبات المجمعة ، والكؤوس المركبة والمزهريات والوريدات المفصصة قد تمثلت قبل ذلك في زخارف قبة الصخرة ، ونوهنا عن اصولها ، إلا أن بعض هذه العناصر في زخارف المسجد الاقصى كانت اكثر تطوراً وتحويراً ، ويتجلى

---

(١) زكي حسن : المرجع السابق ، ش ٣١١ .
(٢) المرجع نفسه ، ش ٣٠٢ .
(٣) Lechler, The Tree of Life, Fig. 270.
(٤) شافعي : المرجع السابق ، ص ٨١ ، ش ٩ .
(٥) المرجع نفسه ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ش ٣٢ .
(٦) الدكتور احمد قاسم الجمعة : اهم التأثيرات المعمارية والفنية المتبادلة بين العراق والمغرب العربي في العصر الاسلامي ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، رسم ١٩ .
(٧) الجمعة : المرجع نفسه ، ص ٢١٧ ، رسم ٢١ .
(٨) شافعي : المرجع السابق ، ص ٧٧
(٩) المرجع نفسه ، ص ٨٣ ، ش ٢٢ ، ٢٤ .

ذلك في ظاهرة العيون الواضحة بين أنصال ورقة العنب ، وقلة تسننات المحيط الخارجي لتلك الأنصال اقتضاب العروق داخلها (١) (رسم ١٦) كما تخلل بعضها الوريدات (رسم ١٧) وثمار الرمان (٢) (رسم ١٨) فأدخلها ضمن العناصر المركبة وامتد التطور ايضا الى عناصر الحبيبات المجمعة عندما استحدثت الثقوب داخل الحبيبات (٣) (رسم ٣٨) في حين انعدمت في حبيبات العناصر المماثلة في زخارف قبة الصخرة (رسم ٣٧) .

وهكذا اتضح لنا مما تقدم بأن قبة الصخرة ، والمسجد الاقصى يمثلان من حيث التصميم والعناصر المعمارية والفنية نمطاً جديداً في العمارة العربية الاسلامية استمد أصوله من الأذواق العربية ، ومن بعض الطرز السابقة للاسلام ، الا أن المعمار والفنان لم يقف عند حد الاقتباس ، بل جاوزه الى مرحلة التحوير والابتكار والتطوير معتمداً على ذوقه ، وخياله الخصب ، آخذا بنظر الاعتبار النواحي : الدينية والمناخية والهندسية والجمالية . وكان محصلة ذلك ظهور بوادر طراز جديد هو الطراز العربي الاسلامي الذي اتضحت شخصيته المستقلة المميزة عن جميع الطرز السابقة والمعاصرة واللاحقة قبل انقضاء القرن الأول الهجري / السابع الميلادي .

---

(١) شافعي : الصفحة نفسها ش ١٩ — ٢١ .
(٢) زكي حسن : المرجع السابق ش ٣١١ .
(٣) شافعي : المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ش ١٦ ، ١٧ .

سعيد الديوه جي

الموصل — العراق

قبـــة الصخـــرة وما لفقوه عن سبب بنائهـــا

لم يخلص العرب والمسلمون من اعداء : يحرفون الحقائق وينشرون التشكيك في الدين والثقافة ويسعون الى الانتقاص من اعمال رجالنا العظام الذين كان لهم اعظم الاثر في الحضارة الانسانية .

كانت هذه الحملة منذ اول الاسلام ، يغذيها اليهود والشعوبيون الذين ناصبوا ما جاء به الاسلام من مبادىء سياسية : حرر العقول وفك الاغلال ، وانقذ الناس من الاستعباد والظلم ونشر بينهم المساواة . فلا كسرى ولا قيصر بعد اليوم وانما يتفاضل الناس بأخلاقهم واعمالهم .

هذه المبادىء لم تجد عندهم قلوبا واعية ، تتقبل الحق وتعمل به وتنبذ الباطل وتحذر منه . فسعوا في طرق ذميمة بالدس بما يلفقونه من اكاذيب وما يضعونه من اخبار ، ولكن الحق واضح ولن يضر الشمس سحابة صيف .

وفي القرون المتأخرة شاركهم بهذا انصار الاستعمار من بعض المستشرقين الذين اوقفوا حياتهم على التضليل والتحريف باسم البحث العلمي الذي يدعونه ، تغذيهم اموال عباد العجل والمستعمرين الذين يسيرون بأوامرهم .

ومن ذلك : ما لفقوه ان الخليفة عبد الملك بن مروان بنى قبـــة الصخرة ليصرف المسلمين عن الحج الى بيت الله الحرام فحجوا اليها ايام الدولة الاموية وليس لهم ما يرجعون به اليه سوى ما ذكره اليعقوبي في تاريخه واليعقوبي ينفرد بهذا النص وبنصوص اخرى لا نجد لها ذكرا في غير كتابه .

فما ذكره اليعقوبي : ومنع عبد الملك اهل الشام من الحج ، ذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم اذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام.؟ وهو فرض من الله علينا فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم ان رسول الله قال : لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس . وهو مقام المسجد الحرام . وهذه الصخرة التي يروى ان رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج واقام لها سدنة واخذ الناس بأن يطوفوا حولها ولها كما يطوفون حول الكعبة واقام بذلك ايام بني أمية . (١)

واليعقوبي معروف بعدائه لبني امية ، يضع اخبارا عنهم وعن سواهم ليس لها حقيقة وهذه كتب التاريخ والسير كلها تكذب ما ينقله . وهو نفسه ينقض هذا في كتابه فيقول : ان الحجاج بن يوسف بعد ان قضى على حركة ابن الزبير ، اعاد بنيان الكعبة وجعل لها باباً واحداً . على ما كانت عليه قبل ان يبنيها ابن الزبير . زاده مما يلي الحجر وهو ستة اذرع وكبسها بالردم الذي خرج منها ورفع بابها على ما كان قبله ونقص من طوله حتى صيره على ما هو عليه اليوم ، وفرغ من بنائها سنة ٧٤ هـ (٢) .

واليعقوبي نفسه يذكر ان عبدالملك حج سنة ٧٥ هـ فبدأ بالمدينة واحرم من ذي الحليفة ، ودخل المسجد وهو يلبي — فكيف يحج من يمنع الناس عن الحج (٣) ؟

ولما حج عبد الملك امر عامله ان يجدد سقف المسجد الحرام واتخذ له خشبا من الساج واستورد له السواري محلاة رؤوسها بالذهب وامر عامله خالداً القسري باضاءة ما بين الصفا والمروة ، كما امر باتخاذ مصابيح كبيرة مقابل الركن الاسود ثم انشأ للمصباح عمودا وهو اول عمود اتخذ في المسجد الحرام واهدى الى الكعبة شمسيتين من الديباج وقدحين من زجاج فعلق ذلك في سقفها وغير ذلك ... (٤) فهل يفعل هذا من يمنع الناس عن الحج الى بيت الله الحرام ؟ .

واما الوليد بن عبد الملك فانه نقض عمارة ابيه وعمر المسجد الحرام عمارة متينة محكمة وهو اول من اتى بالاساطين الرخام من مصر والشام ونقلها من هناك الى مكة على العجل وسقفه بالخشب والساج المزخرف ، وجعل على رؤوس الاساطين صفائح الذهب وآزر داخل المسجد بالرخام وزينه بالفسيفساء وحج نفسه سنة ٩١ هـ (٥) .

ان الحج الى مكة لم ينقطع في الدولة الاموية وخاصة بعد ان وطد الأمر عبد الملك فكانت امارة الحج يتولاها الخليفة او من ينيبه عنه من رجال الدولة او مـن ولاة مكة المكرمة الى انقراض الدولة الاموية (٦) .

وكيف يقدم خليفة على تبديل ركن من اركان الدين الاسلامي ويسكت المسلمون عن هذا وفي البلاد التابعون والفقهاء والكل يعلم ان تبديل ركن من اركان الاسلام يؤدي الى الكفر فهل يصلح كافر ان يتولى خلافة المسلمين ؟ وعبد الملك نفسه من فقهاء زمانه حتى كانوا يسمونه حمامة المسجد فهل يخفى عليه هذا الأمر ؟ .

ولا غرابة فيما ذكره اليعقوبي عن قبة الصخرة فقد ذكر اعظم من هذا عن القرآن الكريم فيقول عنه : نزل القرآن على اربعة ارباع : ربع فينا وربع في عدونا وربع امثال وربع محكم ومتشابه (٧) فاذا كان كلامه هذا عن كتاب الله الذي لا يأتيه ، الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا غرابة اذا قال ما قاله عن سبب عمارة قبة الصخرة .

أما عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى ، فان الامويين عنوا بتشييد المساجد فأحسنوا تخطيطها وبناءها . وزينوها بالذهب والفسيفساء والكتابات الجميلة والاخشاب المطعمة ليظهروا بيوت الله بما يناسبها مـن العناية والاهتمام ويصرفوا المسلمين عن الاعجاب بكنائس النصارى وما كانت عليه مـن التزويق – خاصة وفي بلادهم كنائس كبيرة في الشام والقدس والرها وحمص وغيرها من البلاد ، ومن الحكمة ان تكون المساجد لا تقل عنهـا روعة وجمالا فالاسلام ديـن الدولة والخليفة امير المؤمنين والبلاد تزهو بثروتها وعمرانها .

لذا عنوا بالمساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال ، وأنشأوا جامع دمشق وغيره من المساجد في الحواضر الاسلامية وجعلوها مناسبة بما هم عليه من الثروة والعظمة ، لا أن يتخذوا قبة الصخرة كعبة يحج اليها الناس .

يؤيد هذا ما ذكره المقدسي وهو من اهل القرن الرابع عن سبب بناء قبة الصخرة والجامع الاموي فقال : (٨) قلت ياعم لم يحسن الوليد حيث انفق أموال المسلمين على جامع دمشق . ولو صرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورم الحصون لكان اصوب وافضل . قال : لا تفعل يابني ان الوليد وفق وكشف له عن امر جليل وذلك انه رأى الشام بلد

النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة ، قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقيامة وبيت لد والرها ، فاتخذ للمسلمين مسجدا اشغلهم به عنهن، وجعله احد عجائب الدنيا . الا ترى ان عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيئتها خشي ان تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى . (٩)

هذا ما حمل عبد الملك على بناء قبة الصخرة وابنه الوليد على بناء جامع دمشق .

على ان عبدالملك لم يقدم على عمارة القبة الا بعد ان استشار المسلمين فيما ينوى عمله. وقد حدثنا الشيخ مجير الدين الحنبلي فقال : ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وامر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب الى جميع عماله والى سائر الامصار يسألهم رأيهم في بناء القبة على الصخرة وبناء المسجد وكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته فلتكتب الرعية اليه برأيها وما هي عليه .

فوردت الكتب عليه من سائر الامصار : ترى رأي امير المؤمنين موافقا رشيدا ان شاء الله يتّم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ، ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه .

وهذا ما حمل عبد الملك عـــلى عمارتّها وولى الاشراف على هذا العمل الخيري احد اعلام العلماء الاتقياء ابا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندي وهو من جلساء عمر بن عبد العزيز . وذكروا انه ارصد لها خراج مصر سبع سنين وامرهم ان ينفقوا على البناء بجود وسخاء وانتهوا من العمارة سنة ٧٣ هـ .

هذا ما فعله عبد الملك بعد استشارة اهل الرأي والسداد من المسلمين في الامصار لا ان يتخذها كعبة يحج اليها المسلمون كما لفقوه .

والخلفاء الذين تولوا بعد عبد الملك والوليد لم ينكروا ما فعلاه من الانفاق على هذه المساجد وخاصة عمر بن عبد العزيز فانه على زهده وتمسكه بأمور الدين كان قد هم بنزع الذهب والجواهر من مسجد دمشق ولكنه لما سمع بعض سفراء الروم في دمشق اعجبوا بغنى المسلمين ودقة اعمالهم وما بذلوه في النفقة عليه قال عمر : اني ارى ان مسجدكم هـــذا غليظ على الكفار وترك ما عزم عليه . (٩)

ومن الامور التي بنوا عليها دسهم : قضية الوقوف يوم عرفه في مساجد الشام عـــلى

ما ذكره ابن جبير وغيره قال ابن جبير : ومن عادة اهل دمشق وسائر تلك البلاد المستحسنة المرجو لهم فيها من الله عز وجل قبول ، انهم في كل سنة يتوخون الوقوف يوم عرفه بجوامعهم اثر صلاة العصر يقف بهم أئمتهم كاشفي رؤوسهم داعين الى ربهم التماسا لبركة الساعة التي يقف فيها وفد الله عز وجل وحجيج بيته الحرام بعرفات فلا يزالون واقفين داعين متضرعين الى الله عز وجل وحجاج بيته الحرام متوسلين الى ان يسقط قرص الشمس ويقدروا نفر الحاج فينفصلوا باكين على ما حرموه من ذلك الموقف العظيم بعرفات وداعين الى الله عز وجل في ان يوصلهم اليها ولا يضلهم من بركة القبول في فعلهم ذلك (١٥) .

فهم يدعون ان عبد الملك سن لهم هذا ليكون وقوفهم عوضا عن وقوفهم بعرفات .

ذكر المقريزي عن هذا التعريف : عن الجاحظ في كتابه نظم القرآن « ان اول من سن التعريف في مساجد الامصار عبد الله بن عباس – المتوفى سنة ٦٨ ه اي قبل ما قام به عبد الملك – وانكر العلماء عليه هذا النفل وذكر ابو عمر الكندي ان عبد العزيز بن مروان اول من سن التعريف بالمسجد الجامع بمصر بعد العصر (١١) .

وسواء انكر هذا العلماء او لم ينكروه فان التعريف لا علاقة له بالحج وانما تطوع يقوم به مـــن لم يستطع الحج يتضرعون الى الله ويسألونه ان يمن عليهم بالحج في الوقت الذي يقف به اهل عرفة وهذا لا يسقط عنهم فريضة الحج – كما يدعي المدلسون ولا يتعارض مع اركان الحج وانما هو مشاركة في الدعاء لا غير ومثل هذا يشارك المسلمون الحجاج فيكبرون ايام التشريق وبعضهم يصوم وهو من باب التطوع .

المصـــــــادر

١ – تاريخ اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب المعروف بابن واضح . النجف ١٣٥٨ هـ (٣ : ٧) .

٢ و ٣ – المصدر السابق : (٣ : ١٧ – ١٩) .

٤ – اخبار مكة للازرقي (١ : ١٤٧) .

٥ – تاريخ اليعقوبي : (٣ : ٢٨ - ٢٩) .

٦ – مروج الذهب ومعادن الجوهر : ابو الحسن علي المسعودي – مصر ١٣٤٦ هـ (٢ : ٥٦٦) وتاريخ اليعقوبي .

٧ – تاريخ اليعقوبي : (٢ : ١١٥) . (٣ : ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٣ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥)

٨ – احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . البشاري المقدسي – بريل ...١٩٠ م (ص / ١٥٩) .

٩ – الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل : ابو اليمن مجيرالدين الحنبلي . مصر ١٢٦٣ هـ (١ : ٢٤١–٢٤٢).

١٠– رحلة ابن جبير . دار مصر للطباعة (ص : ٢٨٠) .

١١– مآثر الانافة في معالم الخلافة – الكويت ١٩٦٤ م (١ : ١٢٩) .

عبدالقادر ريحاوي

(جامعة الملك عبد العزيز - جده)

تاريخ الحرم القدسي الشريف وآثاره
- الأقصى وقبة الصخرة في تاريخ الفن والعمارة -

المقدمـــة :

وبعد فاني احمد الله على ان كتب لي مشاهدة هذه البقعة المشرفة والآبدة التاريخية العظيمة قبل سقوطها بأيدي الصهاينة بأشهر معدودات من عام سبعة وستين وعشت في رحاب الحرم الشريف ساعات اتجول بين آثاره ومعالمه وأتأمل ما في المسجد الاقصى وقبة الصخرة من فنون العمارة والزخرفة . واحسست هناك كيف امتزجت المادة بالروح والفكر والثقافة امتزاجاً نقرؤه ونلمسه في كل ركن وتحت كل قبة ، وعند كل نقش وكتابة .

ثم رحت بعد هذه الزيارة اقرأ المزيد عن هذه البقعة المشرفة وتلك الآثار الخالدة وألخص ما كتبة المؤرخون والجغرافيون والرحالة العرب واطلع على ما سجله المستشرقون والعلماء ومؤرخو الفن والعمارة المحدثون من آراء وملاحظات وما اثبتوه من معلومات .

فلقد دفعت عظمة البناء ومكانته الرفيعة القدماء والمحدثين للكتابة عنه بحوثاً مطولة ومؤلفات عديدة ، واكاد اراهم لم يتركوا شاردة ولا واردة من خطط المكان وعناصر عمائره الا اثبتوه واشبعوه وصفاً وتدقيقاً .

ويجدر بي هنا ان آتي على اسماء بعض المشاهير منهم ، فأذكر من العرب المسلمين المهلبي ، وابن الفقيه ، والاصطخري ، والمقدسي ، وابن شداد ، والعماد الاصفهاني ، وناصر خسرو ، وابن فضل الله العمري ، ومجير الدين الحنبلي ومن تبعهم من الكتاب المعاصرين والمحدثين .

اما المستشرقون ومؤرخو الفن والعمارة فأذكر منهم : كريزويل ، وروبيرت هاملتون وسوفاجيه ، وسالادان ، وكولفان ، وهوغ ، وبوركارت ، وغرابار وغيرهم .

ومن هذا السيل من المعلومات وما تطلبه من دراسة وتنسيق وتمحيص ، ومن مشاهداتي على الطبيعة استخرجت هذه الدراسة الموجزة عن الحرم وآثاره وعن مكانة مسجديه الاقصى وقبة الصخرة في تاريخ الفن والعمارة . آملا ان تعطي صورة واضحة متكاملة عن هذا التراث العظيم ، العزيز على نفوس العرب والمسلمين . كما ارجو ان يكون بحثي اسهاما مفيدا في برنامج الندوة العالمية للآثار الفلسطينية .

١ — تاريخ الحرم وآثاره

كانت حادثة الاسراء والمعراج وما ورد فيها من آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية بداية اهتمام المسلمين بهذه البقعة التاريخية من بيت المقدس ، ثم كانت الخطوة الثانية حينما حرر العرب المسلمون القدس من ايدي الروم البيزنطيين وحضر امير المؤمنين عمر ابن الخطاب بنفسه ليشهد الفتح ويزور الصخرة الشريفة ويعنى بها على انها غدت جزءا من تراث الاسلام والمسلمين ، بل من اكثره قدسية . وقبل ان يغادر عمر بيت المقدس أمر باقامة مسجد للمسلمين عليها ، وما تزال ذكراه باقية فيما حفظه المسلمون من آثاره الى يومنا .

وكل ما نعرفه عن مسجد عمر ذلك الوصف البسيط الذي قدمه لنا سائح إفرنجي يدعى « اركولف » في عام ٦٧٠ للميلاد ويقول فيه بأنه بناء مربع من الخشب ، وليس غريباً ان يحتفظ المسلمون بمكان محراب عمر ، كما فعلوا بمحراب الصحابة عند تجديد مسجد دمشق في عهد الوليد بن عبد الملك .

ثم جاءت الخطوة الثالثة التي عززت الى الابد مكانة بيت المقدس وحرمه الشريف في انظار العالم الاسلامي ، حين شيد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان صرح المسجدين العظيمين قبة الصخرة والاقصى ، وكان هذا العمل من الناحيتين المعمارية والفنية انطلاقة مبكرة لم يعرفها تاريخ الحضارات من قبل ، وسجل تاريخ الفن والعمارة بكل تقدير واعجاب هذا الانجاز العظيم لحضارة العرب والاسلام .

وأرى قبل ان امضي في البحث ان أشير الى مشكلة اسماء الاماكن . فالمعروف اليوم ان المسجد الاقصى اصبح خاصا بالمسجد الجامع الذي لا يشغل سوى جانبا من ارض الحرم، بعد ان كان يطلق في الاصل على الحرم كله ، منذ ان ورد اسمه في القرآن الكريم في سورة

المعراج ، وقصد به تلك البقعة التاريخية المتميزة التي تضم صخرة المعراج وما حولها . واستمر الحال كذلك عدة قرون وشيئا فشيئا يصبح هذا الاسم خاصا بالمسجد الجامع من باب اطلاق الكل على الجزء ، او لانه المكان الذي تقام فيه الخطبة ، ثم تعارف الناس على ذلك حتى يومنا ، بينما دعي المكان بمجمله بالحرم او الحرم القدسي ، اسوة بالحرم المكي والحرم المدني .

ولا ندري على وجه الدقة متى حدث ذلك ، لكني حين راجعت كتب الاولين لاحظت بان اول من اسمى الجامع بالمسجد الاقصى الرحالة ناصر خسرو الذي زار القدس في عام ٤٣٨ / ١٠٤٧ م وتبعه الهروي الذي زارها في عام ٥٦٩ للهجرة . ثم تأكد التخصيص بشكل واضح عند ابن شداد في القرن السابع وابن بطوطه في القرن الثامن ، ومجير الدين الحنبلي في القرن التاسع وهكذا ...

ولكن لفت نظر هذا الاخير هذا التبدل في الاسماء فقال حين وصف المسجد الاقصى « فالجامع الذي هو في صدره عند القبلة الذي تقام فيه الجمعة المتعارف عند الناس انه المسجد الاقصى ، وحقيقة الحال ان الاقصى هو اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور » . ونتساءل هنا ، ماذا كان يدعى المسجد حين كان يطلق على الحرم اسم المسجد الاقصى ؟ الواقع ان القدماء لم يكن لديهم اسم خاص به ، فابن حوقل مثلا عبر عنه حينما وصف الحرم بقوله « بناء سقف في قبلته » واحيانا كان يسميه « المسجد القبلي الذي فيه المحراب » .

اما المهابي « فسماه الرواق القبلي » وسماه المقدسي « المغطى » ودعاه ياقوت الحموي « المصلى الذي يخطب فيه للجمعة » .

وحين اقترن اسم المسجد الاقصى بالمسجد الجامع ، التبس الامر على الناس ورأينا الهروي الرحالة في عام ٥٦٩ هـ يطلق اسم الاقصى على المكانين معا ، الحرم والمسجد الجامع ، الى ان توقف الناس نهائيا عن تسمية الحرم بالاقصى تخلصا من الالتباس ، ونرى ابن جبير يسمى الحرم مسجد بيت المقدس .

وكان العمري في القرن الثامن اول من استعمل كلمة الحرم ، والحرم الشريف .

وتكرس هذا الاصطلاح عندئذ والى يومنا .

اذن هما في عرف المسلمين مسجدان : الصخرة والاقصى ، في مسجد واحد كبير هو الحرم القدسي .

نعود لاستئناف الحديث عن الحرم وآثاره ، واول ما نلاحظه الموقع المتميز والمساحة الواسعة التي لا يضاهيه فيها اي مسجد آخر ، فبالنسبة للموقع فانه يمثل الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس بحيث يؤلف سوراه في الشرق والجنوب جزءا مكملا لاسوارها ، وقد ظلت هذه الاسوار طوال عهود التاريخ مكشوفة ، معزولة عن العمران ، بينما اتصلت اسوار الحرم في الشمال والغرب بأحياء المدينة واسواقها ، ولهذا فانا نجد اكثر ابواب الحرم مفتوحة في جداريه الغربي والشمالي ، وكذلك مآذن الحرم الاربع قد توزعت من هذه الناحية ايضا ، ليكون الآذان اقرب الى اسماع السكان .

اما مساحته فيكفي ان نعلم بان طول ضلعه الشرقي ٤٦٢ مترا ، والغربي ٤٩٢ مترا ، وعرضه في الشمال ٣١٠ امتار ، وفي الجنوب ٢٨١ مترا ، فهو أشبه بمدينة صغيرة . ولذا نراه لا يقتصر على المسجدين الرئيسيين ، الصخرة والاقصى ، بل يحفل بالعديد من المنشآت الاخرى كالمدارس والمساجد والزوايا والبيمارستانات والقباب والسبلان ، مما جعل البقعة التي يحتلها مجمعاً روحياً وثقافياً له شأن هام في دراسة تاريخ العرب والمسلمين الديني والثقافي والاجتماعي .

وأرى من المفيد ان استعرض بشكل سريع اسماء المنشآت التاريخية التي غصت بها بقعة الحرم والتي ملأت كتب التاريخ والرحلات في وصفها والتحدث عنها ، وأحسن من يعتمد عليه في ذلك من المصادر في القرون الماضية مؤلفنا العمري صاحب مسالك الابصار من القرن الثامن ومجيرالدين الحنبلي صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، من القرن التاسع .

آ ــ أبواب الحرم :

للحرم قرابة خمسة عشر باباً اكثرها في الجهة الغربية والشمالية ، كما قلنا . وقد اتخذت لها اسماء تاريخية كان بعضها يتبدل مع الزمن . في الشرق باب البراق، وباب التوبة وباب الرحمة ، وهي مسدودة غير مستعملة في اغلب الاحيان . وفي الشمال باب الاسباط وباب حطة وباب شرف الانبياء الذي أصبح في أيام الحنبلي (القرن التاسع) باب الدوادارية لكونه يجاور الخانقاه المسماة بهذا الاسم . ثم أخذ اسما آخر في القرن الاخير فأصبح الباب العتم وباب فيصل .

وفي الجهة الغربية ثمانية ابواب هي من الشمال الى الجنوب : باب الغوانمه والثاني باب الرباط الناصري الذي اصبح باب الناظر في ايام الحنبلي الذي قال بأنه كان يدعى قديما باب ميكائيل ، ثم دعي حديثا باب الحبس وباب المجلس ، والثالث باب الحديد ، والرابع باب القطانين وهو أهم الأبواب ، بني في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧ ﻫ (١٣٣٦) ، وصفه العمري بقوله : « أبواب مصفحة بالنحاس المذهب المخرم ، متقن العمارة والزخرفة » . والخامس باب الطهارة او باب المتوضأ والسادس باب السلسلة والسابع باب السكينه والثامن باب المغاربه .

ب ـ المدارس والمساجد :

اضافة لمسجدي الصخرة والاقصى الكبيرين ، هناك مساجد صغيرة منها مسجد يلاصق الاقصى من جهة الغرب دعي مسجد النساء ، ويليه جامع المغاربه . اما المدارس فقد ذكر العمري والحنبلي مجموعة منها على السورين الشمالي والغربي بعضها أقيم فوق أروقة سور الحرم ، وبعضها على السور وحوله ، وهي :

في السور الشمالي : المدرسة الكريميه نسبة لمنشئها كريم الدين ناظر الخواص الناصرية . والرباط الدواداري والمدرسة القادريه من العهد المملوكي ، والتربة الاوحديه نسبة للملك الاوحد نجم الدين الايوبي ، والمدرسة الامينية نسبة لمنشئها الصاحب امين الدين ، ومدرسة سيف الدين الجوكنداري ، وخانقاه مجير الدين الاسودي ، والمدرسة الفارسية والصبيبيه .

ومن الجهة الغربية ، يوجد الرباط المنصوري والمدرسة التنكزية والمدرسة المعظمية والمدرسة الاشرفيه (قايتباي ٨٨٧) ثم الزاوية الصخرية في الناحية الجنوبية الغربية عند جامع المغاربة .

جـ ـ المآذن :

كانت المآذن مشيدة على اسوار الحرم ، وعلى الجدارين الشمالي والغربي ، كما ذكرنا لتكون اكثر صلة بأحياء المدينة ، وهي اربع مآذن :

الاولى : على السور الشمالي بين باب الاسباط وباب حطة ، شيدت في عام ٧٦٩ للهجرة في ايام السلطان الاشرف شعبان .

والثانية : في الزاوية الشمالية الغربية من السور عند باب الغوانمه ، بناها ناظر اوقاف الحرمين

القاضي شرف الدين بـن الوزير الخليلي ايام السلطان المنصور حسام الدين لاجين بحدود سنة ٦٩٧ هـ وهي اتقنها عمارة وأعظمها بناء كما يقول الحنبلي .

والثالثة : على باب السلسلة في منتصف السور الغربي بنيت في ولاية الامير تنكز نائب الشام سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م .

والرابعة : في الجهة الجنوبية الغربية شيدت على سطح المدرسة الفخرية .

تلقت هذه المآذن ترميما في العهد العثماني وفي العصر الحديث لكنها ما تزال تحافظ على طابعها القديم كنموذج لهندسة المآذن في العهد المملوكي .

د ـ القباب والمنشآت الأخرى :

كان السور محاطا بالاروقة من داخله تحملها العمد والعضائد ، لكنها لم تكن تحيط بكل اجزائه ، وظل قسم من الحرم مغروسا باشجار الزيتون والتين وغيره ، لا سيما في الجهة الشرقية ومعظمه مفروش بالبلاط كما انه ليس في مستوى واحد ، فالقسم الذي اقيمت عليه قبة الصخرة كان مرتفعا يؤلف ما يسمى بالدكة يصعد اليه من ارض الحرم بوساطة ادراج حجرية او ما عرف بالمداقي ، موزعة في الجهات الاربع للدكة ، تنتهي غالبا بمجموعة من القناطر اطلق عليها اسم الميازين ، وتتوزع حول مسجد الصخرة قباب صغيرة أهمها قبتا السلسلة والمعراج ، ويبدو ان هذه القباب قديمة وبعضها من العهد الاموي ، ذكر المهابي في القرن الرابع اربعاً اسماها السلسلة والمعراج والميزان والحشر .

وهناك حول الدكة وفي أرض الحرم زوايا وقباب عديدة من عهود مختلفة ، احصاها ووصفها العمري والحنبلي ، منها قبة سليمان الكائنة في الجانب الشمالي ، وقبة موسى ، بناها الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٣ هـ في الجهة الغربية قريبا مـن باب السلسلة والزاوية النحوية جنوبي الدكة بناها المعظم عيسى ، وقبة الطومار في الجانب الشرقي الجنوبي ومن الجهة الشرقية زاوية كانت تسمى الصمادية والى جانبها زاوية البسطامي . ومع هذه القباب والمنشآت يجب ان لا ننسى المنبر الرخامي الموضوع على الطرف الجنوبي للدكة (صحن مسجد الصخرة) وهو مـن العهد المملوكي ونسبه الحنبلي الى القاضي برهان الدين جماعة .

وهناك الآبار والصهاريج الموزعة في انحاء الحرم والتي عد منها الحنبلي اثنتين وثلاثين بئرا ، وسمى الكثير من اسمائها : بئر الرمانه، بئر الجنة ، بئر الشوك وبئر الكأس ... الخ .

وهناك السبلان العديدة التي احسن بناؤها وزخرفتها أنشيء اكثرها في العهدين المملوكي والعثماني ، وأهمها سبيل من عهد السلطان قاتيباري (٨٧٠ / ١٤٤٥) وسبيل قاسم باشا عند باب السلسلة من عهد السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ / ١٥٣٦) .

٢ ـ المسجد الأقصى

نعود بعد هذه الكلمة العامة للحديث عن المسجدين الهامين الاقصى وقبة الصخرة كأثرين بارزين من آثار الحضارة العربية الاسلامية . والبناءان تاريخهما واحد، ومن غير المشكوك فيه انهما شيدا في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان . وهذا ما اجمعت عليه اكثر الروايات التاريخية ، والكتابة التاريخية التي ما تزال في اعلى قناطر مسجد الصخرة مكتوبة بالفسيفساء بالخط الكوفي وتتضمن تاريخ الانشاء من عام ٧٢ للهجرة ، واسم عبد الملك الذي دخله التحريف ليوضع مكانه اسم المأمون .

لكنَّا نجد من المؤرخين من ينسب اعمال البناء الى الوليد بن عبد الملك كالمهلبي وابو الفداء وابن كثير ، وكذلك ما أشار اليه العالمان سوفاجه وكريزويل من وجود نصوص مخطوطة على اوراق البردى عثر عليها في مصر تتضمن امر الوليد لعامله قرة بن شريك بارسال العمال الى بيت المقدس للاسهام في اعمال البناء في المسجد الاقصى وقصر الامارة . هذه الدلائل كلها نفسرها كالتالي :

جرى التخطيط للمسجدين والقيام بأعمال البناء في ايام عبد الملك ، واحتاج الامر لاستكمال بعض الزخارف من رخام وفسيفساء فأكملها الوليد ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه مخطط الاقصى الاموي الذي كان يقوم على اساس البلاطات المتعامدة مع القبلة ، الاوسط منها واسع ومرتفع عن بقية البلاطات المجاورة له . هذا التخطيط قريب الشبه بمخطط الكنائس البيزنطية ، على خلاف جامع دمشق وجوامع الشام الاخـــرى التي تتجه بلاطاتها موازية لجدار القبلة .

ولو ان الوليد بنى المسجد الاقصى لاقامه على شاكلة مسجد دمشق الذي كان له يد في تصميمه بهذا الشكل المغاير لما قبله من المعابد مستدلين من قوله الشهير « اني أريد ان أبني مسجداً لم يبن قبلي ولن يأتي بعدي من يبني مثله » .

الأقصى الأموي :

ومن المؤسف ان لا يصف لنا احد من الاقدمين الاقصى الاموي الذي تقول الروايات بأنه قد تهدم في زالزال عام ١٣٠ للهجرة وامر ابو جعفر المنصور بترميمه في عام ١٥٤ ه . ثم تعرض لزلزال آخر في عام ١٥٨ فأمر المهدي باعادة بنائه، كما تذكر الروايات حين قدم لزيارة بيت المقدس وينسب الحنبلي للمهدي قوله : انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه.

على كل حال بقيت اجزاء من الاقصى الاموي فادمجت في مخطط المسجد العباسي الواسع والمرجح ان مسجد عبد الملك شيد على سور الحرم الجنوبي ، ويقدر طوله من القبلة الى الشمال بـ ٨٠و ٥٠ مترا . استناداً الى قطعة من جداره كشف عنها اثناء الترميمات الاخيرة اما عرضه فلا يمكن معرفته ، لكنه كان يتألف من بلاطات عمودية على القبلة يتراوح عددها من الثلاث والخمس ، الا اننا نرجح العدد الاخير او اكثر منه . اذ لا يعقل ان يكون بحجم متواضع كالذي تفرضه البلاطات الثلاث ، ولا سيما وان المقدسي وصفه بانه كان احسن من مسجد دمشق قبل انهدامه .

ويبدو ان البلاطة الوسطى واثنتين على جانبيها على الاقل ظلت باقية من الاقصى الاموي مـن حيث تخطيطها وبعض عناصرها . ومن المستبعد ان يكون للاقصى الاموي قبة كالموجودة حاليا ، ولكن غناه بالزخرفة المكونة من الكسوة الرخامية والفسيفساء الزجاجية على شاكلة مسجد دمشق وقبة الصخرة امر لا شك فيه .

الأقصى العباسي :

والاقصى العباسي ايضاً لا نملك عنه المعاومات واضحة سوى ما زودنا بـه القدماء من اوصاف وكان اهم وصف لدينا عنه ما كتبه المقدسي في القرن الرابع وتمكن العالم الاثري كريزويل ان يرسم مخططاً كاملاً له اعتماداً على هذا الوصف . لكن عدم وضوح النص العربي أوقع العالم المذكور في بعض الاخطاء .

يقول المقدسي : وللمغطي ستة وعشرون بابا ، باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الاعظم ، مصفح بالصفر المذهب ، وعن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفح مذهب وعـلى اليسار مثلهن . « هـذا الوصف يعني حتما ان المسجد كان مؤلفا من خمس عشرة بلاطة (رواقا) عمودية على القبلة، الوسطى اعظمها في السعة والارتفاع

وكانت تنتهي عند المحراب بقبة ، وسقفها جملون مصفح بالرصاص ، استناداً لقوله : وعلى الوسط المغطى جمل عظيم خلفه قبه حسنة » .

اما عدد قناطر البلاطات اي الممتدة من الشمال الى الجنوب فقد اكده قوله : « ومن نحو الشرق احد عشر بابا سواذج » .

ويقصد بكلمة سواذج انها ساذجة وليست كالابواب الشمالية التي احسن صنعها وتصفيحها . وان سكوت المقدسي عن ذكر شيء من الابواب من الجهة الغربية يجعلنا نفهم اما ان المسجد كان يتصل بالسور الغربي ، او انه كان ينتهي بجدار اصم خال من اي باب على الصحن المجاور له من جهة الغرب ، والمعروف ان الاقصى منذ البدء كان لمخططه وضع غريب وفريد بين المساجد لانه لم يكن يمتد بين الجدارين الشرقي والغربي ، بل كان يحتل جزءا من المسافة بينهما ولذا كان ينفتح على الصحن ، اضافة الى الجهة الشمالية المألوفة في كل المساجد ، بأبواب اخرى من الجهة الشرقية وربما من الجهة الغربية ايضا . اشار القدماء الى هذه الظاهرة الغريبه وحاول المقدسي ان يجد لها تفسيرا فهو يقول : « والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقي ومن اجل هذا يقال لا يتم فيه صف ابدا ... » .

واشار ابن حوقل الى مثل ذلك لكنه قدر المغطى بالنصف فقال : « وله (اي للحرم) بناء في قبلته سقف ، في زاوية من غربي المسجد ، ويمتد هذا التسقيف على نصف عرض المسجد » . اذن نفهم من قول كل من ابن حوقل والمقدسي بان المسجد كان يحتل الجانب الغربي والقبلي من الحرم ويحيط الصحن به من الشرق والشمال فقط ، ولكن يعترض هذه النظرية قول المهلبي : « وليس الرواق في عرض الصحن ، والثلث الآخر المكشوف لا رواق عليه ، ويدور بالرواق من سائر جهاته ابواباً مطوية بين يديها اروقة على عمد من سائر جهات المسجد ». فعبارة من سائر جهاته ان كان قصد بها الدقة فانها تعني بان الصحن يحيط بالمسجد من الجهة الغربية ايضا ، وان للمسجد ابواباً من هذه الجهة كذلك ، خلافا لما قدمه المقدسي من وصف ، وان امام الابواب اروقة محمولة على العمد .

لكن المقدسي يؤكد لنا وجود رواق امام الابواب من الجهة الشمالية فقط ، يمتد من الشرق الى الغرب وذلك بقوله : « وعلى الخمسة عشر ، رواق على اعمدة ، احدثه عبد الله بن طاهر » .

واقد اغفل « كريزويل » هذا الرواق في مخططه المستمد من رواية المقدسي . والسبب في ذلك على الارجح انه لم يفهم عبارة المقدسي « وعلى الخمسة عشر رواق » . التي قصد بها القول : وعلى الخمسة عشر بابا رواق . فكلمة (بابا) مدغمة لذكرها في الجملة التي قبلها مما اوقع الالتباس في الفهم . وهكذا يستقيم المعنى ويتأكد بان المسجد الذي وصفه المقدسي اي المسجد العباسي ، كما اصطلح عليه علماء الاثار ، كان مزودا برواق في واجهته الشمالية يتقدم ابواب المسجد ، كالرواق الموجود حاليا ، وهذه الحقيقة هامة لم ينتبه اليها احمد من قبل . لكن الرواق الحالي بطراز عمارته وشكل عقوده ، والنصوص التاريخية التي تشير اليه هو من العهد الايوبي ، انشأه السلطان المعظم عيسى . لكنه بناء على النتيجة التي توصلنا اليها الآن كان موجودا من قبل وجرى تحديده فقط . كذلك نفهم من عبارة المقدسي « احدثه عبد الله بن طاهر » انه لم يكن موجودا في الاقصى الاموي . وعبد الله هذا هو قائد المأمون المشهور المتوفى سنة ٣٣٠ / ٨٤٤ . ولا شك ان المقدسي قرأ اسمه واسم المأمون في مكان ما فنسبه اليه . ويؤكد هذه الحقيقة ايضا ان ناصر خسرو قرأ اسم المأمون على الباب الاوسط الكبير الشمالي للبلاطة العظمى كما اخبرنا .

الأقصى الفاطمي :

ونسميه هكذا تجوزا لما حدث للاقصى في العهد الفاطمي من تغيير وتبديل وقيام الخلفاء الفاطميين بترميمه وتجديده . وتحول مخططه في هذا العهد من مسجد كبير مؤلف من خمس عشرة بلاطة الى أربع بلاطات فقط ، كما يرى علماء الآثار ومؤرخو العمارة المحدثون امثال كريزويل وهوغ ومن تابعهما في هذا الرأي .

واستنكر كريزويل في نظريته حدوث زلزال شديد في عام ١٠٣٣ م ، وقيام الخليفة الظاهر في عام ١٠٣٥ م باعادة بناء المسجد على الشكل الذي ذكرنا اي من سبع بلاطات عرضها يماثل عرض المسجد الحالي ، وفي كل منها احدى عشرة قنطرة كالمسجد السابق (العباسي) باستثناء قناطر البلاطة الوسطى لكونها تحمل القبة المجددة على قناطر واسعة تعدل ثلاث قناطر في الاروقة الجانبيه ، واضيف اليه ايضا صفان من القناطر تتعامد مع البلاطات السبع وتوازي جدار القبلة وذلك على امتداد القنطرتين الكبيرتين الحاملتين للقبة .

ولكن لاندري من اين استقى «كريزويل » هذه المعلومات فهو لا يذكر المصادر . ونعود الى المصادر العربية القديمة ، فلا نجد أياً منها يذكر حادثة انهدام المسجد الاقصى ولا قيام الظاهر باعمال التجديد والبناء ، سوى انها اشارت الى حدوث زلزال في فلسطين

عام ٤٢٤ ﻫ (١٠٣٣) تهدمت من جرائه مدينة الرملة وبعض القرى الاخرى . ولكن الهروي حين زار المسجد في عام ٥٦٩ ﻫ نقل النص التاريخي الذي ينسب بناء القبة الى الخليفة الظاهر وهو مؤرخ في عام ٤٢٦ اي بعد عامين من حدوث الزلزال والنص المذكور لا يشير الى تجديد الجامع وانما ينص على عمل القبة فقط واليكم النص كما نقله الهروي :

« بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا (الاية) : « نصر من الله لعبد الله ووليه ابي الحسن علي الامام الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الاكرمين ، امر بعمل هذه القبة واذهابها سيدنا الوزير الأجل صفي امير المؤمنين وخالصته ابو القاسم علي بن احمد ايده الله ونصره وكمل جميع ذلك في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين واربعمائة . صنعة عبد الله بن الحسن المصري المزوق» ويضيف الهروي قوله : (وجميع الكتابة والاوراق بالنص المذهب) . ولقد كشف عن جزء من هذه الكتابة وهي بالخط الكوفي من ترميمات جرت عام ١٩٢٧ كما يقول كريزويل.

ان اول من وصف لنا الاقصى بوضعه الجديد المؤلف من سبع بلاطات فقط هو مجير الدين الحنبلي في عام ٩٠٠ للهجرة . ولكن متى حدث هذا التحول الذي ينسبه كريزويل وغيره ، كما رأينا الى الظاهر الفاطمي دون سند او دليل مؤكد .

ونبحث عن مصدر يصف لنا المسجد في عهد الظاهر وبعده فنجد :

اولا : الرحالة ناصر خسرو الذي زار بيت المقدس في عام ٤٣٨ / ١٠٤٧ اي بعد سنوات قليلة من أعمال الخليفة الظاهر ، لكن ناصر خسرو لايعطينا وصفاً واضحاً لمخطط المسجد فهو مع ذلك يذكر خمسة عشر رواقاً عليها ابواب مزخرفة ، عشرة منها مفتوحة في الجدار الشمالي وخمسة في الجدار الشرقي . فهذا الوصف لايتفق مع مخطط الأقصى العباسي ولا مع الاقصى الفاطمي المفترضين من قبل العلماء كما رأينا . لكنه افادنا بعض الشيء بذكره عدد الاعمدة فهي « ٢٨٠ عمودا عليها طيقان من الحجارة وقبة محمولة على ستة عشر عمودا » .

نلاحظ بان هذا العدد من الاعمدة يتفق مع مخطط مؤلف من خمس عشرة بلاطة اكثر من انطباقه على مسجد صغير من سبع بلاطات فقط ، لا سيما وان هذا الاخير الذي كان قائما من ايام الحنبلي كان عدد عمده وسواريه ٨٥ فقط (٤٥ عمودا + ٤٠ سارية) .

وهكذا تبقى نظرية العلماء حول مخطط الاقصى الفاطمي مشكوك فيها ، يبقى التساؤل قائما حول الزمن الذي تحول فيه الاقصى من مسجد كبير من خمس عشرة بلاطة ، كما وصفه المقدسي في القرن الرابع ، الى سبع بلاطات، كما وصفه الحنبلي في عام ٩٠٠ للهجرة .

سنكتفي بهذا الحد من المناقشة ونتابع مسيرة الاقصى بعد تحريره من ايدي الافرنج وقيام الدولة الايوبية بأعمال التجديد والاصلاح . لا ندري ما الذي حدث خلال فترة الاحتلال التي دامت قريبا من قرن . هناك زلازل هامة حدثت في بلاد الشام عام ٥٥٢ هـ واصابت مدنا كثيرة تحدث عنها المؤرخون ، ولكن احدا لم يذكر الاقصى ، كذلك لم يلاحظ الهروي الذي زار بيت المقدس ايام الاحتلال عام ٥٦٩ هـ اي تهدم اصاب الاقصى او تحويله الى كنيسة . وقد رأينا كيف دخل المسجد ووصف قبته ونقل النص المنقوش عليها، وعلق على مشاهداته بقوله « وجميع ما على الابواب من آيات القرآن العزيز واسامي الخلفاء لم تغيره الفرنج » . لكن الذين حدثونا عن الاقصى عقب التحرير كالعماد الاصفهاني كاتب صلاح الدين اشاروا الى ما حدث من تغيير في معالم الاقصى وقبة الصخرة وقيام صلاح الدين بازالة آثار الفرنج واجراء الاصلاحات الضرورية يقول في ذلك ابو شامة شهاب الدين المقدسي نقلا عن العماد : « وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسيعة وكنيسة فأوعز صلاح الدين بهدم ذلك الحجاب وهدم ما قدامه من الابنية ونقض ما احدثوه بين السواري ... وامر صلاح الدين بتعمير المحراب وترخيمه ، واحتيج الى منبر فذكر السلطان المنبر الذي أنشأه الملك العادل نور الدين محمود لبيت المقدس قبل فتحه بنيف وعشرين سنة وامر ان يكتب الى حلب ويطلب فحمل .

وفعلا فان المحراب ما زال موجودا يحمل اصلاحات صلاح الدين والكتابة التي تؤرخ ترخيمه عام الفتح اي ٥٨٣ هـ .

اما المنبر فقد ظل يزين الاقصى كأحسن منابر الاسلام الى ان احرقه الصهاينه في حادث احراق الاقصى المشهور في ٢١ آب ــ اغسطس من عام ١٩٦٩ .

على كل ، لم يصف لنا الاصفهاني مع الاسف مخطط الاقصى ولم يذكر عدد أروقته وابوابه لنعلم ان كان الوضع الاخير المنسوب للظاهر الفاطمي ، كان حقا قائماً وقتئذ ام انه حدث فيما بعد .

وكذلك الحال من اتى بعد الاصفهاني ، الى ان جاء مجير الدين الحنبلي والف كتابه في عام ٩٠٠ هـ ووضع لنا وصفا دقيقا للاقصى وهو قريب مما هو عليه اليوم ، ودون ان يذكر شيئا عن تاريخ البناء ونسبته الى الظاهر الفاطمي .

ثم جرت اصلاحات في العصر الحديث ، لم تغير شيئا في المخطط والوضع العام ، وتناولت الاعمال التي اجريت بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٣ تقوية البنية العامة واصلاح السقف الاوسط وتذهيبه وتجديد الرواق الشرقي كلية .

ويبدو اليوم بوضوح على جداريه الشرقي والغربي انهما ليسا واجهتين حقيقيتين بل تظهر آثار القناطر المسدودة في عملية ترميم اضطرارية لا ندري على وجه الدقة متى حدثت.

٣ — مسجد الصخرة

لن تتطلب دراسة مسجد الصخرة كبير عنـــاء كالذي لقيناه في دراسة المسجد الأقصى ذلك أن تاريخها المعماري والفني واضح لا لبس فيه والملاحظ أن هذا البناء حافظ على وضعه الأصيل بشكل يندر مثاله بين العمائر التاريخية الأخرى في العالم .

لم يتغير مخططه ولم تتبدل بنيته الأصلية أو عناصره المعمارية . وكل ما طرأ عليه خلال تاريخه الطويل اصلاحات طفيفة تناولت الكسرة الخارجية والعناصر الزخرفية حرصا من حكام العرب والمسلمين في كل العهود على بقاء هذا البناء المكرم في أجمل حالة وأبهى منظر ، سأتحدث هنا عن مكانة البناء في تاريخ الفن والعمارة ثم أتناول تاريخه المعماري .

لا شك أن صخرة المعراج كانت هي المنطلق ، وكان الهدف من المشروع العناية بها وإحاطتها بالاطار المعماري اللائق ، فكانت القبة هي أنسب شيء وأجمله . ومن القبة التي تضم الصخرة وتظللها انتقلت الفكرة نحو التكامل .

وكان وراء ذلك عدة عوامل منها عامل الحاجة والعامل الفني . ومن ذلك كله ظهر الى حيز الوجود مسجد الصخرة بمخططه الفريد ومظهره البالغ غاية الجمال والتناسق الذي ترتاح النفس اليه أشد الارتياح .

لن استعرض الآن أحاسيس وانطباعات العشرات من العلماء والمؤرخين العرب والأجانب وما سجلوه في كتبهم ومذكراتهم بل سأكتفي بآراء بعض المتخصصين المحدثين

وسأضرب صفحا عن محاولتهم التحري عن النموذج الذي نقل عنه مخطط البناء، وأستطيع القول باختصار إن مخطط مسجد الصخرة الرائع هذا لا يماثل أي بناء آخر قبله ، وان كنا لا ننكر الاقتباس عن المباني المشيدة في العهد البيزنطي .

فظاهرة الاقتباس والافادة من الحضارات السابقة أمر مألوف في كل الفنون وهو تصرف ايجابي بنّاء في دور التأسيس تمارسه الامم الناهضة .

يقول بوركارت وهو العالم السويسري الضليع في دراسة الفن الاسلامي في كتابه الذي ظهر حديثا خلال مهرجان لندن العالمي يقول بمناسبة حديثة عن مسجد الصخرة .

« إن اشادة بناء بهذا المستوى من الكمال والاتقان الفني في دولة الاسلام التي لم يمض على ظهورها قرن يعتبر أمرا غير معروف في تاريخ الحضارات » .

ولاحظ العالم الفرنسي كولفان بأن المقاييس المعطاة لعناصر البناء قائمة عـلى تخطيط هندسي دقيق، وهي تعطي للبناء انسجاما في الخطوط نادر الوجود ، وتوازنا كاملا في الكتلة المعمارية .

ولقد أدهشت « فان بيرشيم » المستشرق الكبير والضليع بالدراسات العربية عظمة قبة الصخرة وجلالها ، فقال : ان ذلك راجع الى مخططها البسيط الواضح والى التناسق في خطوط عمارتها .

وأجرى كريزويل « استاذ العمارة الاسلامية » تحليلاً لهندستها فوجد تناسبا لامتناهيا وانسجاما فوق العادة في كل جوانب البناء ، فقال ان هذا أمر ملفت للنظر حقا .

وأظن بأننا أصبحنا بعد سماع هذه الآراء مشوقين لمعرفة تلك النسب والعناصر التي يمتلكها مسجد الصخرة . وسأبادر الى تقديم شيء منها .

— المقاييس :

كلنا يعلم بأن مسجد الصخرة يتألف من جدار خارجي شكاله مثمن منتظم ، طول ضلعه عشرون متراً (٢٠,٦٩) وسطيا ، وقطره خمسون (٥٠,١٤) . يليه مثمن أصغر طول ضلعه خمسة عشر مترا (١٥,٧٤) ، وقطره أربعون . ثم تأتي دائرة القبة وقطرها عشرون مترا (٢٠,٤٠) . ويحدث المثمنان حول القبة رواقين ، الداخلي عرضه عشرة أمتار (١٠,٢٢) والخارجي أربعة أمتار (٤,٦٣) .

اما من حيث الارتفاعات، فتتدرج من اثني عشر مترا في الجدار الخارجي وتنتهي بخمسة وثلاثين مترا عند رأس القبة، باستثناء الهلال الذي يرتفع أربعة أمتار أخرى .

ـ عناصر المخطط :

أقيمت القبة على الصخرة المكرمة التي ترتفع قرابة متر ونصف عما حولها، وتقدر أطوالها الأعظمية بثمانية عشر مترا طولا وثلاثة عشر عرضا .

وتتألف دائرة القبة من أربع دعائم حجرية مستطيلة يتوزع فيما بينها اثنا عشر عمودا من الرخام تعلوها قناطر بعددها أي ست عشرة قنطرة، نصف دائرية الشكل، فوقها رقبة القبة، أو كرسيها كما سماه القدماء، وهي اسطوانية الشكل تنفتح في أعلاها ست عشرة نافذة، وتغطي الرقبة طاسة القبة المصنوعة من طبقين من الخشب بينهما فراغ، وكانت مكسوة في ظاهرها بالرصاص وفوقه صفائح النحاس المذهب، ومن داخلها بالجص المزخرف بالأصبغة والألوان .

ويتكون المثمن الداخلي الذي يلي القبة من دعائم وعمد تحمل القناطر والسقف وهي ثماني دعائم في رؤوس المثمن يتوزع بينها ستة عشر عمودا، فوقها قناطر بعددها أي أربع وعشرون قنطرة يصل فيما بينهما سواكف أو جسور خشبية متينة فوق التيجان، تحكم ترابط البناء .

أما المثمن الخارجي الذي يؤلف واجهة البناء فمكون من جدران حجرية ارتفاعها تسعة أمتار ونصف تعلوها ستائر فوق سطح البناء ارتفاعها متران ونصف (٢,٦٠)، وفي كل تثمينة أو جدار سبعة محاريب أو تجويفات قليلة العمق، تنتهي في أعلاها بنوافذ، باستثناء التجويفتين الأخيرتين في كل تثمينة فانهما بدون نوافذ. وبذلك يصبح عدد النوافذ في المثمن الخارجي أربعين نافذة، تمد المسجد بالنور اضافة للنوافذ الست عشرة المفتوحة في رقبة القبة .

أما الستائر التي تعلو الجدران فكانت هي الأخرى مزودة بمحاريب أوكوى صغيرة في كل منها ثلاثة عشر . طمست معالمها حين وضعت الكسوة القاشانية في عهد السلطان سليمان العثماني في عام تسعمائة واثنين وخمسين (١٥٤٦ م) .

ويلاحظ وجود كورنيش بين جدران المثمن والستائر تخرج منه ميازيب المياه، وهي ستة في كل تثمينة .

أما أبواب المسجد الأربعة المفتوحة في وسط التثمينات الواقعة في الجهات الأصلية ، فهي مستطيلة تقدر فتحتها بـ (٤,٣٠ — ٢,٦٠ متراً) ، وتعلو سواكفها عقود نصف دائرية تكمل النوافذ التي أشرنا اليها .

ويتقدم الأبواب سقائف عرضها (٢,٥) متراً مؤلفة من قبرة نصف اسطوانية محمولة على أعمدة . ونجد أكبر هذه السقائف أمامالباب الجنوبي حيث يبلغ طولها خمسة عشر متراً (١٤,٦٥) م وهي محمولة على ثمانية عمد .

أما السقف فيمتد من أسفل رقبة القبة نحو التثمينة الخارجية وهو من طبقتين الخارجية مائلة وكانت مصفحة بالرصاص منذ القديم والسفلية مستوية تغطيها الزخارف والأصبغة .

هذا هو التصميم العـــام لمسجد الصخرة وعناصره المعمارية التي أحسن اختيارها وتنسيقها وتكوين تناسب دقيق في أطوالها ومقاييسها .

ـ العناصر الزخرفية :

لم تكن الهندسة والعناصر المعمارية وحدها مصدر الجمال الفني والاعجاب ، بل انضافت اليها كسوة زخرفية زادت البناء بهاء وجمالا . وكانت الزخرفة تتألف من عنصرين رئيسيين : الرخام والفسيفساء .

أما الرخام فنجده في الأعمدة التي تنوعت ألوانها وأصنافها ، وفي الواح الرخام الجدارية منالنوع المعرق الذي أطلق عليه القدماء اسم المجزع . وهو يكسو الأقسام السفلية للجدران والعضائد جميعا ، داخلا وخارجاً . ويحتل كذلك أماكن العقود في القناطر بألوانه المتناوبة . وهذه الكسوة الرخامية الداخلية ما تزال تحافظ على أصالتها منذ العهد الأموي ، الا في أجزاء صغيرة جددت في العهدين المملوكي والعثماني .

وأما الفسيفساء ، وهي من النوع المكوّن من فصوص الزجاج الملون ، المفضض بعضه والمذهب فانها تغطي الأقسام العليا للجدران جميعها في الداخـــل وفي الواجهات الخارجية وتزين القناطر ورقبة القبة . وتتألف من مواضيع هندسية ونباتية متنوعة .

وما تزال الفسيفساء موجودة بحالة جيدة في الداخل ومعظمها أصيل من العهد الأموي لكنها زالت من الواجهات الخارجية منذ القرن السادس عشر وكانت الفسيفساء قد تشعثت وتكسر الرخام بسبب العوامل الجوية والقدم فاستبدلت عندئذ بألواح الخزف القاشاني وقد وصف كثير من الرحالة العرب كالعمري في القرن الرابع عشر والاجانب كالسائح فياكس فابري في القرن الخامس عشر مشاهد الفسيفساء في الواجهات الخارجية وما فيها من أشجار النخيل والزيتون التي تحيط بالعمائر والقصور ، وهذا ما يذكرنا بالمشاهد التي ما تزال موجودة في الرواق الغربي من جامع دمشق . كذلك نجد الخط الكوفي الجميل الذي كتبت به الآيات القرآنية والنصوص التاريخية .

اضافة الى هذين العنصرين الرخام والفسيفساء اللذين زخرف بهما مسجد الصخرة فاننا نجد عناصر أخرى ، ومن بينها النحاس أو البرونز المذهب ، صفائح بسيطة أو مزخرفة ، تكسو وجوه الأبواب وسواكفها ، وتعطي الجسور الخشبية التي تربط بين القناطر وتيجان الأعمدة ، وأخيرا نجده في سطح القبة ، واستخدمت الأصبغة وماء الذهب في تزيين السقوف الخشبية كلها .

هذه العناصر الزخرفية لم تبق على حالها ، بل استبدلت مع الزمن بعناصر أخرى مماثلة فهي أكثر ما تغيّر وتبدّل في مبنى مسجد الصخرة كما قلنا . وسوف نتحدث عن هذه العناصر الجديدة في الفقرة التالية التي خصصناها لأعمال الترميم والتجديد التي أجريت .

ـ أعمال الترميم والتجديد :

أشرنا الى تجديد كسوة الجدران الخارجية واستبدال الفسيفساء بألواح القاشاني . حدث ذلك في أيام السلطان سليمان القانوني في عام ٩٥٢ / ١٥٤٦ م وجددت خلال هذه الأعمال أيضا شبابيك النوافذ الأربعين بالخزف وكانت الشبابيك الأموية على الغالب من الرخام على شاكلة ما نصب منها في جامع دمشق أو من الجبس المنقوش المزخرف كالذي نجده في القصور الأموية . وقبل العثمانيين كانت النوافذ مزودة بشبك الحديد من الخارج وبالزجاج من الداخل كما وصفها العمري في القرن الثامن الهجري .

أما الأبواب فأول تجديد جرى لها كان في العهد العباسي ، وكل ما نعرفه عن الأبواب الأموية انها كانت مصفحة بالفضة والذهب . أما الأبواب العباسية فقد وصفها لنا المقدسي وقال انها مصنوعة من خشب التنوب المتداخل وكانت جميعها مذهبة ، وانها صنعت بأمر من أم الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ / ٩٠٨ ـ ٩٣٢) .

وقرأ الهروي على عقد الباب الشرقي اسم الخليفة العباسي القائم بأمرالله (أي بين عامي ٤٢٢ و ٤٦٧ للهجرة) اشارة الى الأعمال التي تمت في أيامه .

ولا بد أن هذه الأبواب لم تدم وجرى تجديدها فقد كانت في عهد العمري مصفحة بالنحاس الأصفر المنقوش تشبه في ذلك أبواب مسجد دمشق الباقية من العهد المملوكي ، وهي مزينة بصفائح النحاس المضغوط المزين بالنقوش والكتابات والرنوك .

والعنصر الثاني الذي طرأ عليه التجديد والترميم طاسة القبة . فقد ذكرت المصادر خبر سقوطها في عام ٤٠٧ للهجرة فجددها الخليفة الظاهر الفاطمي . ذكر خبر سقوط القبة الذهبي المؤرخ لكنه لم يشر الى ترميمها من قبل الظاهر الا أن العالم كريزويل يذكر بأنه كانت توجد قبل سبعين عاما من عهده أربع لوحات مـــن الكتابة في طاسة القبة تشير الى ترميمها في أيام الظاهر عام ٤١٣ (١٠٢٢ م) ، ولقد وصف لنا القبة الأموية قبل انهدامها المؤرخون القدماء كالمهلبي وابن الفقيه وابن عبد ربه والمقدسي الذي يقول بأنها كانت على ثلاث سافات (أي طبقات) الأولى من ألواح مزوقة ، والثانية من أعمدة حديد قد شبكت لئلا تميلها الريح ، والثالثة مـــن خشب عليها صفائح ، وهي على عظمها ملبسة الصدف المذهب. ولا ندري متى زالت صفائح النحاس المذهب لأنها كانت قاصرة على صفائح الرصاص حين شاهدها ناصر خسرو ، أي بعد سنوات من الأعمال التي تمت في عهد الظاهر الفاطمي . وظل حالها كذلك في أيام العمري والحنبلي الى أن كسيت حديثاً بصفائح الألمنيوم المذهبة . وكان ذلك خلال أعمال الترميم التي أنجزتها الحكومة الاردنية في عام ١٩٦٤ بعد ضرب قبة الصخرة والحاق الضرر بها في حرب ١٩٤٨ .

وتحمل القبة من الداخل كتابات تاريخية تذكر أسماء السلاطين صلاح الدين الأيوبي (٥٨٦ هـ) ، والسلطان الناصر محمد المملوكي (١٣١٨ م) ، والسلطان عبد الحميد العثماني اشارة الى ما أداه هؤلاء من اعمال الاصلاح على أن رقبة القبة ما تزال أصيلة بفسيفسائها الأموية ولم تتبدل فيها سوى نوافذها التي جددت بالقاشاني والزجاج الملون في عهد السلطان سليمان الذي تمت في عهده كما ذكرنا الكسوة الخارجية القاشانية ونوافذ الواجهات كذلك. وما تزال هذه النوافذ العثمانية الى اليوم يطوقها شريط من الكتابة يؤرخ صنيعها سوى أن نافذة واحدة سقطت من رقبة القبة وأعطبت ثلاث عشرة أخرى من الواجهات في حوادث ١٩٤٨ كما يقول الاستاذ محمود العابدي في كتابه الموضوع حديثا .

وهناك في مسجد الصخرة عناصر ملحقة بالبناء تعتبر من الآثار المنقولة وغير المنقولة لا نجد مجالا للحديث عنها الآن، ولكن سأكتفي بالاشارة الى تاريخ قطعة فنية هامة تلفت أنظارنا حين نصل الى الصخرة المباركة ذلك هو سياج الصخرة أو الشبك الحديدي الذي يحيط بها ويسد المنافذ الكائنة بين العمد والعضائد الحاملة للقبة ، ويبدو أن عادة احاطة الصخرة بحاجز يحول دون الوصول اليها كانت موجودة منذ البناء ولعل الذي وصفه المهلبي كان يرجع الى العهد الأموي إذ يقول : « وعلى الصخرة حظار مبني ، ارتفاعه ثلاثة أذرع » ووصفه الاصطخري بأنه حائط ملوح . وكان الذي شاهده ناصر خسرو من الرخام أما الهروي فشاهد درابزين حديد علوه قامتان .

وبعد تحرير القدس أمر صلاح الدين بتنظيف ما وضعه الصليبيون على الصخرة من صور حسب ما يقول كاتبه العماد وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد .

وفي أيام ابن بطوطة كان على الصخرة شباكان اثنان يغلقان عليها احدهما وهو الذي يلي الصخرة ، من الحديد ، بديع الصنع ، والثاني من خشب .

ويقدم لنا العمري وصفا دقيقا لهذا السياج بقوله « وحجر الصخرة ملبس بالرخام الملون ، ارتفاع ذراعين ، ويحيط بحجرالصخرة من تتمة أقطاره درابزين من الخشب المنقوش ، وشباك حديد بين العمد والسواري ، ارتفاعه أربعة أذرع وثلثا ذراع ، تعلوه شرفة خشب مدهونة ، وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد . وهذا الوصف ينطبق تماما على ما هو موجود اليوم حول الصخرة.

ومن الطبيعي أن يكون سقف المسجد قد تجدد مع الزمن أوأصلحت أجزاء منه أكثر من مرة فهو كما رأينا مصنوع من الخشب ، طبقتان العليا مصفحة بالرصاص من الظاهر والسفلي بالمنجور الفني الجميل المدهون الملون والمذهب كما وصفه المؤرخون في كل العهود ، وكما هو عليه اليوم منذ آخر عملية ترميم جرت وكانت في عهد السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٤ م وقد حل السقف الأخير محل سقف كانت تزينه قطع الخزف الصيني من عهد السلطان عبد الحميد الأول في عام ١٧٨٠ م ، كما لاحظ (كولفان) .

وهكذا نلاحظ كيف اسهم زعماء العالم الاسلامي في كل العهود بخدمة هذه الآبدة العزيزة لتبقى على الزمان خالدة .

وأذكر يوم احتفل العالم الاسلامي في عام١٩٦٤ بانتهاء أعمال الترميم والاصلاح التي اعادت الكمال والجمال الى قبة الصخرة ولسائر عناصرها المعمارية والزخرفية . وليس هذا فحسب بل أهدى ملك المغرب محمد الخامس مجموعة من السجاد الفاخر لتزداد بها جمالا وتألقا .

— الخاتمة :

وأرجو باستعراضي السريع هذا لتاريخ الحرم القدسي وآثاره المعمارية والفنية أن أكون قد وفقت لاعطاء صورة واضحة عن أهمية هذه البقعة في تاريخ العرب والاسلام، ومكانتها من تراثهم الديني والحضاري. تلك البقعة المكرمة التي أعطاها العرب المسلمون شعوبا وحكاما ، في كل العصور حقها من التقدير والعناية، وبذلوا في سبيل حمايتها وتحريرها وصيانتها النفس والنفيس لتبقى الى الأبد جزءا لا يتجزأ من كيانهم وتراثهم الروحي والمادي .

ولا ندري ما الذي فعله الصهاينة بعد مؤامراتهم لاحراق الأقصى وحفائرهم الواسعة حوله ومن تحته . وأخشى ما نخشاه أن يمعنوا بتراثنا العظيم تخريبا وتشويها . فالقدس اليوم تحت رحمة اناس لا يقيمون وزناً للقيم والثقافات الانسانية، ويملأ نفوسهم الحقد على البشرية وكراهية كل ما ليس يهوديا . ولقد وقعت في بعض الكتب الحديثة على خرائط تغيرت بها معالم القدس وأزيل منها اسم الحرم الأقصى وحل محله « جبل المعبد » . وفي ذلك طمس لأربعة عشر قرنا مـــن التكريس التاريخي ، وانكار لحضارة العرب والاسلام ، وتجاهل لألوف الوثائق والنصوص والمؤلفات .

أهم المصادر العربية

١ – المقدسي (شمس الدين محمد البشارى) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم طبعة لندن ، ١٩٠٩ .

٢ – أحمد بن عبد ربه الاندلسي العقد الفريد ، القاهرة ١٣٤٦ ه .

٣ – ناصر خسرو سفرنامة: تحقيق الدكتور يحيي الخشاب، دار الكتاب بيروت ١٩٧٠ .

٤ – المهلبي المسالك و الممالك: مخطوط، نشر قطعة منه المنجد (صلاح الدين) في مجلة معهد المخطوطات لعام ١٩٦٨ .

٥ – الهروي (علي بن أبي بكر) الا شارات لمعرفة الأماكن والزيارات ، طبعة دمشق ١٩٥٣ .

٦ – شمس الدين الذهبي العبر ، طبعة الكويت ١٩٦١ م

٧ – أبو شامة (شهاب الدين المقدسي) كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ١٢٨٧ ه .

٨ – اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ١٣٧٥ .

٩ – أبو الفداء (اسماعيل) تقويم البلدان ، جزءان ، طبعة باريس ١٨٠٠ .

١٠ – ابن بطوطة الرحلة (تحفة النظار) مصر ١٩٣٨ .

١١ – ابن شداد الاعلاق الخطيرة، الجزء الثاني، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق ١٩٥٦ .

١٢ – العمري (ابن فضل الله) مسالك الأبصار ، الجزء الأول ، طبعة مصر ، ١٩٢٤ .

١٣ – الحنبلي (مجير الدين) الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهبية ١٣٨٣ ه

١٤ – الا صطخري المسالك و الممالك ، طبعة لندن ١٩٧٠ .

١٥ – الدباغ مصطفى بلادنا فلسطين ، ١٠ أجزاء، مطبوعات رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل .

١٦ – محمود العابدي قدسنا ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٢ .

أهـم المصـــادر الاجنبيــــة

— Saladin (H): Manuel d'art musulman, Paris 1907.

— Abel F. M. : Géographie de la Palestine, T. I. Paris, 1933.

— Creswell: Early Muslim Architecture (A short account of), Pelican Books 1958.

— Sauvaget: La Mosquée Omeyade de Medine, Vanoest, Paris 1947.

— Golvin (L.): Essai sur l'architecture religieuse Musulmane T.II, Paris, 1970-1, PenguinBooks, 1958.

— Encyclopedia of Islam, T. III, N.E., P. 173-75.

— Arculfus : The pilgrimage of Arculfus, 670 - 685 A.D., Pilgrims text Society.

— Hoag (J.D.): Islamic Architecture, New York, 1977.

— Burchhardt (T): Art of Islam, London 1975.

— Norwich (J. J.) : Great Architecture of the World ' London 1979 .

— Umberto Scerrato : Islam (Merveil du monde) , Paris 1977.

سعد زغلول الكواكبي

رئيس جمعية العاديات بحلب

منبـــر المسجـــد الأقصـــى

بني منبر المسجد الأقصى بأمر من الملك العادل نور الدين بن زنكي الشهير بالشهيد وتمت صناعته في عام (٥٦٤) أربعة وستين وخمسمائة الهجري الممتد من ٥ تشرين الأول من عام ١١٦٨ ثمانية وستين ومائة والف ميلادي ، السبت ، إلى غاية الأربعاء الرابع والعشرين من أيلول ١١٦٩ تسعة وستين ومائة والف . وتوفي الملك العادل في الحادي عشر من شوال عام تسعة وستين وخمسمائة الهجري ، وفتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس في ٢٧ من رجب (السابع والعشرين) عام ٥٨٣ ثلاثة وثمانين وخمسمائة بعد ثلاثة أشهر ونيف من موقعة حطين ، ونقل الى المسجد الأقصى منبر سيده الملك العادل نور الدين الشهيـــد .

وفي الحادي والعشرين من آب عام ١٩٦٩ تسعة وستين وتسعماية والف الميلادي وعام تسعة وثمانين وثلاثماية والف الهجري أحرق المنبر على يد مؤسسة صهيونية ، بمؤامرة مدروســة .

وفي آب من عام ١٩٧٤ أربعة وسبعين وتسعماية والف اطلقت ندائي في جمعية العاديات بحلب وفي احتفال افتتاح قاعة العرش بقلعة حلب بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الجمعية لإعادة بناء المنبر مرة ثالثة في حلب ، والانتظار به مرة ثانية في حلب ليوم الفتح المبين . ووجهت النداء الى رئيس جمهوريتنا حافظ الأسد ، واعلنت عن ذلك النداء في المؤتمر السابع للآثار عام ١٩٧٤ في مدينة « العين » . وشكلت لجنة خاصة من لجان جمعية « العاديات » لمتابعة الأمر . ولم تمض أيام الا ليبارك المؤتمر الاسلامي ولجنة ترميم

المسجد الاقصى المبارك بعمان عملنا هذا ، ثم ليعلن السيد رئيس الجمهورية العربية السورية عن تلبية النداء ، تماماً كما فعل الملك العادل نور الدين ، إذ أمر بالاتفاق على المشروع مهما بلغت تكاليفه ، وبالحاق عمل لجنة المنبر رسمياً برئاسة الجمهورية لتشرف على صنعه في حلب ، ولينقل الى المسجد الأقصى يوم الفتح العظيم على يده أو يد من يسخره الله لهذا الفتح عاجلاً أو آجلاً .

ومن هذه اللمحة التاريخية عن قصة المنبر انتقل الى دراسة مفصلة لعناصر البحث في المنبـــر .

ـ لمحة تاريخية عن صناعة المنبر :

تمتاز مدينة حلب أعظم حاضرة في بلاد الشام مجاورة لمنطقة الغابات ، بعد اندثار ايبلا (تل مرديخ) وأرباد (تل رفعت) وقنسرين(العيس). فغابات جبال اللكام وجبل الأكراد وجبل السماق تجاورها من الشمال والغرب ، وكانت بكراً متنوعة الأصناف . فمن الطبيعي ان تكون سوقها حلب ، ومن الطبيعي ان يعنى أهل منطقة جغرافية بالصناعات التي تستمد مواردها من طبيعة تلك المنطقة. فكما اتقن الحلبيون، منذ القديم، البناء الحجري والزخرفة الحجرية، اتقنوا كذلك الصناعات الخشبية وزخرفتها . وكان الأرز الحلبي (وهو ما سمي أيضاً بالسرو الروماني) يملأ بيوت حلب كما يملأ الجبال الى جانب سائر أصناف الصنوبريات العديا ة . الا ان كثرة الاحتطاب في الجبال وعلى الأخص أيام الحكم العثماني ، بدافع الحاجة الى الوقود ، وانتشار البناء وتوسيع الشوارع في المدينة بعد الحكم التركي ، دون الاهتمام بإعادة زرع بديل ما انقطع ، أدى فعلاً الى اندثار الغابات وانجراف تربة الجبال ، الأبد ، الى الوديان ، حيث شكلت هذه الأراضي المنبسطة الحمراء التي لم تعد تستنبت الا محصولات سنويـــة .

سقت هذه المقدمة لاثبت ان صناعة المنبر كانت مناسبة للوضع الاقتصادي والطبيعي التي كانت عليه مدينة حلب .

وحينما احتل الافرنج بيت المقدس احرقوا منبر المسجد الأقصى وتنادى المسلمون الى اعادة صنعه من المواد الخشبية نفسها المتوفرة في مدينة حلب مع توفر اليد العاملة والفنية فيها ، وكان ان لبى الملك العادل نور الدين النداء فأمر بصناعة المنبر من أخشاب غابات حلب التي اشتهر بينها الأرز الحلبي .

وكانت في حلب أسرة عرف ابناؤها بـ (أبناء معالي) ، تخصصت في صناعات الخشب ، ومعالي هذا رجل من اخترين وهي قرية على مسافة ثلاثين كيلومتراً شمالي حلب انتقل مع أسرته الى حلب بصورة دائمة أو مؤقتة . واسم معالي لم يكثر حاملوه في مدينة حلب بينما عرف في تلك الأيام وقبلها في بغداد [1] .

اشتهرت هذه الأسرة شهرة واسعة مما جعل أبناءها يضطلعون بصناعة منبر الأقصى ثم منبر المسجد الأموي بحلب ثم محراب ومكتبة مسجد ابراهيم بالقلعة الحلبية ، ثم تابوت مشهد الحسين وتابوت الإمام الشافعي بمصر ، فضلاً عن كثير من الأعمال الخشبية في بيت المقدس وفي جامع علاء الدين في قونية الذي صنع منبره عام ١١٥٥ م. فأما منبرا الأقصى والمسجد الأموي بحلب فلقد تحدث عنهما المؤرخون كثيراً وعن صانعهما (كتاب الروضتين الفتح القدسي — أعلام النبلاء) وأما مسجد ابراهيم بالقلعة الحلبية فقد صنع فيه معالي بن سلمان محرابـاً لا مثيل له قبله ونقش اسمه فيه عـلى حشوة نجمية الشكل شاهدها « ماكس فان برشم » وصورها مع المحراب واثبت الصورة في مؤلفه عن مدينة حلب الذي درسه بعده « هيرزفيلد » . ولكـن هيرزفيلد فوجىء — حـين زيارته للمحراب — بفقدان الحشوة الخشبية التي كانت تحمل اسم « معالي بن سلمان » فأعاد تصوير المحراب ليثبت مكـان الحشوة المسروقة ولم تمض سنوات حـتى سرق المستعمرون الفرنسيون المحراب بكامله ونقله السارق الى فرنسة حيث يقوم الآن — على أغلب ظني — في دار حاكم حلب الفرنسي سنة ١٩٢٦ م . وأما تابوت الشافعي فلقد نقش عليه اسم صانعه « ابن معالي » والذي عرف بمصر باسم « عبيد النجار » كفنان ايوبي مشهور . وابن معالي هو قطعا ابن الاختريني الحلبي وربما هو أخو سلمان ، وأما تابوت المشهد الحسيني فهو من من صنع عبيد أو من صنع أخيه ، في وقت واحد ، ويدل على ذلك التشابه والتطابق في الزخرفة والنقوش والخط النسخي (يلاحظ خطأ التاريخ في كتاب « القاهرة في الف عام ») .

إلا أن ابن جبير لم يكشف ذلك رغم وصفه لهذا التابوت مع زيارته لمقام الشافعي .

وكل هذه الأعمال كثيرة التشابه ولا يصعب على متفحصها ان يكتشف بسهولة ان صناعتها قد تمت على يد فنانين كانوا يشكلون أسرة واحدة تعلم فيها الابن من أبيه والأخ

---

(١) كما تشير إلى ذلك مخطوطة كتبها مؤدب اسمه « معالي » يصف فيها معركة هولاكو ببغداد على ظهر صفحة من كتاب « الورع » المخطوط من القرن الخامس الهجري ، وهو محفوظ لدي .

من أخيه . ولقد أخطأ أنور السادات حينما قال ان منبر المسجد الأقصى الذي أحرقه الصهاينة عام ١٩٦٩ هو صنع مصر . فهو – كما رأينا وكما أثبت المؤرخون – من صناعة أسرة معالي الحلبية ، وفي مدينة حلب .

ولئن كنا نقرأ على المنبر القدسي اسماء صناع آخرين ، فلا يدل ذلك الا على أنهم قد عملوا – في حلب – في مدرسة الاختريني . وكانت عادة معروفة وقتئذ ، أن ينقش كل صانع اسمه على القطعة التي قام بنقشها أو بزخرفتها . ولا يستبعد أن يكون هؤلاء ممن كانوا يعملون في ورشة الأختريني . وان توافق تاريخ صناعة منبر جامع علاء الدين بـ « قونية » التي هي شمالي حلب مع تاريخ الصنعة الحلبية يؤكد على ان **المدرسة الصانعة هي مدرسة الاختريني** التي عمل بعض أفرادها مزخرفين بالموصل شمالي العراق على أغلب الظن .

المنبر القدسي :

لم يكتف صناع المنبر الحلبيون بالمواد المتوفرة والمصنوعة محلياً وإنما احتاجوا الى مواد مستوردة أضافوها لإكساء المنبر حلة أجمل .

فأما الخشب المستعمل فهو الأرز الحلبي ، وكانت اشجاره تملأ روابي حلب وبساتينها وبيوتها . [وكل من هو في مثل سني شاهد – حتى نهاية الحرب الكونية الثانية – اشجار السرو الروماني في بيوت حلب وعلى روابيها ، تلك التي كانت آخرها بضع شجرات باسقة خيمت على مدفن الشيخ أبي بكر الوفائي فقطعتها مديرية أوقاف حلب احتياطاً في نهاية الخمسينات] .

وأما الدهان فكان على التحقيق مقتصراً على التاج والاقسام المذهبة ، وأما سائر الأقسام فلم تكن لتدهن قط لسببين : جمال لون الخشب الطبيعي ، وتوفر المادة الصمغية فيه التي تقيه من نخر الحشرات .

والدهان كان يصنع من الصباغات المحلية المعجونة بصمغ الفستق الحلبي وبماء الذهب الذي كانت صناعته معروفة في سائر المدن الاسلامية ، يخلط بالصمغ نفسه .

وفيما بين الزخارف الهندسية كانت الحشوات من خشب الابنوس المستورد . ولم اعثر على دليل يشير إلى مصادر ذلك الابنوس . وفوق هذه الحشوات كانت تنزل لوحات

عاجية بسماكة لا تزيد على ملمترين زخرفت زخرفة مفرغة . والعاج هذا مستورد من أفريقية أو بلاد الهند ، والزخرفة من صنع فنانين حلبيين لأن مدينة حلب اشتهرت بزخرفة المعادن الثمينة ، ولا يزال صناع الزخرفة فيها يبدعون في صناعتهم .

وتتميز صناعة هذا المنبر — كما هي الحال في المنبر الحلبي — بانعدام المسامير فيه ، اللهم إلا مسامير عاجية تزيينية فوق العقد الخشبية .

شكله الخارجي :

المنبر في الاسلام ليس جزءاً من المسجد الجامع . ولو كان كذلك لدخل في هيكل البناء . وإنما هو مضاف فيما بعد إلى المساجد ، تمثلاً بالاضافة التي أحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما استشار صحابته في طريقة يتمكن فيها من اسماع صوته المصلين الذين كثر عددهم في المسجد الأول بالمدينة المنورة ، فجعل فيه ثلاث درجات كان يصعدها وقت الخطبة ، بعد ان كان يعتمد على جذع الشجرة التي اقتلعها عمر بن الخطاب بعد وفاة الرسول .

وأقدم منبر في جامع اسلامي نعرفه هو منبر جامع القيروان الذي بني بين القرنين التاسع والعاشر . وأما ما لا نعرفه فهو منبر جامع عمرو بن العاص بالفسطاط الذي أعقبه الجامع نفسه منبر أموي مرتفع أضافه مسلمة بن مخلد والي معاوية .

وارتفع المنبر وعلا خلال معارضة مستمرة من الفقهاء الذين لا يرون وجوب ارتفاع مستوى الإمام عن مستوى المصلين الا بما يكفي المشاهدة واسماع الصوت .

وتطور الأمر بالمنبر من جذع شجرة إلى ما يشبه الغرفة المستقلة ذات الاطلال فأدخل عليه الفاطميون الباب لكي يحول دون صعود أي شخص اليه أثناء الخطبة أو خارج أوقات الصلاة سوى الإمام . كما عقدوا على الباب تاجاً من الزخرفة الهندسية ثم عقدوا قبة في أعلى الدرج احيطت كذلك بالزخارف ، بعد أن زاد عدد الدرجات على العشر ، وقد سميت هذه القبة بالجوسق .

ويمكننا القول ان المنبر القدسي وتوأمه المنبر الحلبي قد صنعا على الفن الاتابكي الوارث للفن الفاطمي ، حينما أمر نور الدين الشهيد بصناعتهما . وقد حذا الايوبيون حذو

أسلافهم في سلوك هذه الطريقة الهندسية في بناء المنابر والمشيات الدينية ، وكذلك المماليك من بعدهم ، كما يشاهد في منبر مسجد قايتباي الذي أخذه الانكليز ، وهو قائم الآن قرب مدخل متحف فيكتوريا والبرت بلندن .

وقد أصبح الباب والدرابزون من مستلزمات المنبر . إلا ان القسم الخلفي من المنبر أي ما تحت الجوسق، فلم يكن يشكل فراغاً « معبراً » في المنبر القدسي كما هو الحال في المنبر الذي ما لبث ان طور الى باب يغلق ويفتح (كما في منبر قايتباي) .

يرتفع تاج الباب عن الأرض ثلاثة أمتار . وترتفع أعلى درجة (٢٨٠) سنتمتراً ، ويرتفع تاج الجوسق (٤٩٠) سنتمتراً ، ويمتد المنبر عمودياً على جدار القبلة لمسافة (٤٩٠) سنتمتراً أيضاً .

— زخارفــــه :

المعروف هو ان التقاليد الاسلامية التي حاولت منذ عهد الرسالة ، جهدها ، في ابعاد كل شكل يذكر المسلمين بالأوثان أو بالصور والايقونات المسيحية التي كانت منتشرة لدى البيزنطيين ، كانت تحول — بصورة مستمرة — دون الإساءة الى فكرتها العميقة الاساسية . وهذا هو السبب الوحيد الذي جعل الفنانين المسلمين من مصورين أو مزخرفين يقتصرون في عملهم على تصوير النباتات أو تشكيل الأشكال الهندسية الجميلة فكان الرقش (الارابيسك) وكانت الأشكال الهندسية التي لا تحصى ، أساساً في كل عمل فني . وكما في الأندلس ، حيث شكلت ورقة الشجر الساقطة مع الهواء حركة تزيينية ، فقد شكل التوريق أساساً في زخرفة أجزاء المنبر المحيطة بالسطوح الكبيرة . وملئت هذه السطوح الكبيرة بالأشكال الهندسية التي تتكرر ضمن السطح الواحد المحدود بالزخرفة ، بصورة تتفق فيها نهايات خطوط هذه الأشكال المتكررة عند كل حد من حدود ذلك السطح . وطريقة ذلك الرسم صعبة لا يا ركها الا المتخصصون في هذا الرسم .

ويضاف الى الزخرفتين التوريقية والهندسية زخرفة أخرى أبدع فيها الفنان المسلم وهي الخط العربي .

ونشاهد على المنبر القدسي الزخرفة الخطية في نوعين من الخط : النسخي والكوفي . وكلاهما أتابكي . فأما الكوفي فهو ما كتب به لفظ الجلالة « الله » بشكلين مختلفين على

لوحتين ثبتت كل منهما تحت الجوسق على يمينه وعلى يساره . وأما الخط النسخي فهو ما كتب أعلى الدرابزون وحول لوحتي لفظ الجلالة .

فأما اللوحة اليمنى الشرقية فقد كتبت حولها الآية « بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

وأما اللوحة اليسرى الغربية فقد كتبت حولها الآية « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب »

« سورة النـــور »

وأما الدرابزون الشرقي فقد كتب عليه « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير الى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ركن الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر امير المؤمنين اعز الله انصاره وأدام اقتداره واعلا (١) مناره ونشر في الخافقين الويته واعلامه وأعز أولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقر بالنصر والزلفا (٢) عيناه (٣) برحمتك يارب العالمين وذلك في شهور سنة أربعة وستين وخمس مائة » واحاطت هذه الكتابة باللوحة العليا لهذا الدرابزون .

وأما حول الدرابزون الغربي فقد كتبت الآية :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » [الآية ٩٠ سورة النحل] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) هكذا وردت في الأصل .

وفي هذا الدرابزون كتب « صنعة فضايل وابي الحسن ولا ي يحيى الحابي رحمه الله ».

وفي الزاوية السفلية اليمنى لقسم الدرابزون الغربي كتبت عبارة :

« بيد سلمان بن معالي » بنقش بديع .

وعلى القوس المفتوحة على قمة الدرج كتب « بسم الله الرحمن الرحيم » . تمامه في أيام ولده الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود بن زنكي بن آق سنقر » .

وفي مربع داخل في هذا الدرابزون وفي الزوايا الأربع كتب « صنعه حمبا ي الحلبي رحمه الله » وفي أعلى (الدرفة) اليمنى من الباب كتب « صنعه حميدي الحلبي » . وفي أعلى (الدرفة) اليسرى « صنعه حميد بن ظافر » وفي الجانب الايمن فيه « صنعه سلمان بن معالي » وفي الجانب الغربي منه « صنعه ابو الحسن بن يحيى » .

– صناعتــــه :

يتضح من الخط المحفور على خشب المنبر أن الصناع خمسة :

سلمان بن معالي – حميدي الحلبي – حميد بن ظافر – فضايل بن يحيى الحابي – أبو الحسن بن يحيى الحلبي .

ولا نعلم مَنْ مِنْ هؤلاء الذي صنع الزخرفة المفرغة أو الذي حفر الكتابة ، ولا اسم الخطاط .

الفائدة الوظيفية :

لئن كان الهدف من المنبر الإسماع والمشاهدة فلقد توفر الأمران على نطاق بعيد ، في المنبر القدسي . فدرجته العليا ترتفع (١٫٨٠) متراً . الا ان الخطيب – عادة – يقف على الدرجة قبل الأخيرة ولا يدخل أبداً تحت الجوسق ليخطب المصلين وانما يظل رأسه خارج قبة الجوسق وهو واقف يعتمر سيفه . وهكذا فإن رأسه يكون على ارتفاع أربعة أمتار وربع المتر تقريباً عن مستوى أرض المسجد ، وهو ارتفاع كاف لانتشار الموجات الصوتية فوق رؤوس المصلين . ونكرر هنــا الرأي الذي اوافق عليــه وهو ان الرغبة لدى الفقهاء كانت في عـــدم رفع مستوى الإمام عـــن مستوى المصلين الا لحاجة السماع حتى اذا اتم الخطبة عاد الى مستوى المصلين . ولكي تدعو الحاجة الى الاسماع الى صعود

الإمام درجات اثناء الصلاة حينما يؤم المصلين ، فقد لجأ المسلمون الى الافادة من شكل المحراب ، ذلك الشكل القديم جداً ، الذي يعكس الصوت — بفضل تقعره — على المصلين اذ يقع محرّق قوسه خلف الامام وبين المصلين .

ولئن كان هذا شأن المنبر القدسي من حيث الاسماع والمشاهاة الا أنه أصطدم بعوائق من حيث المشاهدة ، الا وهي حواجز الأعمدة القائمة في أروقة المسجد .

فإذا رجعنا الى مخطط المنبر والمسجد الأقصى وتأملنا المسقط الأفقي لـه لوجدنا محور هذا المسقط مائلاً على مستقيم جدار القبلة الذي يستند اليه ظهر المنبر . وعند نهاية هذا المحور من الأمام نشاهد مسقط تاج الباب وقد التصق — من يساره — بمسقط تاج العمود المرمري الذي يقوم على يسار هذا الباب فندرك فوراً ان هذا الميل كان بهدف عدم سد باب المنبر بالعمود المرمري. وإذا تساءلنا عن سبب عدم تقويم هذا الميل بتحريك مؤخرة المنبر على جدار القبلة نحو الشرق لأجبنا بأن ذلك يمتنع علينا بسبب وجود المحراب مباشرة على يمين تلك المؤخرة . فلو حركناها قليلاً لأصبحت ضمن حيز ذلك المحراب الذي لا يمكن ازاحته عن محوره المنطبق على محور — الكعبة — قبة الصخرة » .

فهل كان ذلك خطأ في حسابات صناع المنبر ؟ .

كلا فالصورة التي سجلها غوستاف لوبون وأثبتها في كتابه « حضارة العرب » . وهي صورة فوتوغرافية ، توضح بشكل رائع ان ذلك العمود المرمري لم يكن موجوداً وان المنبر يوم تسجيل الصورة كان خالياً من الميل الأفقي . وإنما ذلك الميل طرأ بعد ذلك حينما أجريت اصلاحات في المسجد اقتضت إقامة ذلك العمود الذي تسبب في زحم مقدمة المنبر . ولا أعتقد ان بالإمكان — الآن — إزالة هذا العمود إلاّ بمشقة ، بسبب ما أوكل اليه من حمل قوس القبة .

إذاً فالعائق النظري المذكور لم يكن قائماً سابقاً وإنما أقيم بمناسبة الاصلاحات الهنا سية التي قام بها المستشرق « كريزويل » بعد عام ١٩٢٤ م إذ أضاف أعمدة في الأروقة إضافة جعلت المستشرق بابادوبولس يعتقد أنها عمل أصيل .

ومن المفيد ان نرجع الى الصور الشمسية التي سجلت للمنبر في تاريخ المنبر .

فأقدم صورة على ما رأيت هي التي نشرتها السيدتان مارغريت غوتييه فان برشيم

وسولانج أوري في كتابهما « القدس الاسلامية في مؤلف « ماكس فان برشم » وهي نفس «الكليشة» نفسها التي استعملها والدها ماكس فان برشيم في مولفه المذكور وقد أوردتها في الصفحة ٧٩ من كتابهما. ويتبين منها ، بوضوح جيد ، ان هناك مسافة واسعة فيما بين الزاوية الشمالية الغربية من باب المنبر وبين العمود الذي يجاورها ، وان هذا العمود هو غير العمود القائم الآن والذي ظهر في الصورة الثانية من الكتاب نفسه في الصفحة (٧٧) التي كررها هاملتون في مؤلفه عن المسجد الأقصى أيضاً سنة ١٩٤٩ م والتي كررها بعد ذلك سائر المصورين حتى الحريق اليهودي للمنبر .

ولا بد — في نظري — من دراسة جدية الآن ، نتوخى فيهـــا للمنبر القدسي العتيد أن يكون قائماً على منحى القبلة تماماً دون عوج ، ومظهراً — بقدر الامكان — لأكبر مسافة من الجدار خلفه بأن يجعل تحت مؤخرته معبر عال يعلو المحرابين التوءمين اللذين على جانبي المحراب الكبير ، كما يستغنى عن اللوحة الخلفية من الجوسق وعن القمة الهرمية التي كانت قائمة فوق الجوسق والتي نراها في أول صورة شمسية للمنبر اعتمادها فان برشيم .

كما اشرت . اعتقد ان هذه القمة إنما اضيفت الى المنبر في عهد متأخر عن تاريخ صنعه وتاريخ اقامته في المسجد الأقصى . ثم ازيلت (بعد أول صورة شمسية للمنبر) لسبب أو لآخر . واعتقادي هذا مرده الى عدم وجود مثيلة لها فوق جوسق المنبر الحلبي الذي صوره هيرزفيلد في زيارته للمدينة سنة (١٩٠٠م) ونشرها في مؤلفه سنة ١٩٥٤ وأسماه منبر « قره سنقر » مع انه رمم واصلح في عهد « قره سنقر » ترميماً فقط .

وعلى أية حال فإن الأعمدة الأخرى القديمة التي كانت منتشرة في المسجد لا بد من أنها كانت تشكل عائقاً نظرياً بين الخطيب وبعض المصلين ، ولكن عدد هؤلاء لا يمكن ان يزيد على عشر المصلين وهو أمر لا بدّ منه ، ولا يمكن تفاديه إلا إذا قام سقف المسجد دون أعمدة .

وهناك عائق نظري آخر لا يمكن اغفاله وهو الباب وتاج الباب ، إلا أنهما لا يحجبان في الواقع الرؤية الا عن بضع مصلين .

— طريقة الصناعة :

— القص . وهو نشر الأخشاب الخامية وتقطيعها وفاقاً للأبعاد المطلوبة ثم الشق : ونقصد به احداث النتوءات فيما بين بعض الأخشاب والحفر في البعض الآخر الذي يجب

أن يتصل به بصورة يدخل فيها ذلك النتوء بتلك الحفرة وهذا الفعل يسمى في صناعة النجارة « التعشيق » والتعشيق يغني عن استعمال المسامير أو المواد اللاصقة كالغراء . وهذا هو الفن المتميز لصناعة المدرسة الاخترينية (الاتابكية — الايوبية) والتي امتدت الى ايام المماليك فظهرت بأجلى وأجمل ما تكون عليه في صناعة محراب المدرسة الحلاوية بحلب .

وأما سبب تفضيل طريقة التعشيق عن طريقة التسمير والالصاق فهو ان هاتين الطريقتين قد تؤديان إلى تلف الأخشاب حين تقادم المسامير أو زوال مادة الغراء فضلاً عن عدم امكان فك القطعة بصورة جيدة حين اللزوم دون اصابتها بعيب ، في حين يسمح فيه التعشيق بالفك وإعادة التركيب دونما حاجة الى اتلاف القطعة المجاورة أو اعابتها . مع عدم انكار صعوبة التعشيق باضعاف مضاعفة .

— الحفر والتنزيل : ونقصد بالحفر نقر الخشب لإظهار التزيينات الورقية والكتابية . ولا تدخل ضمن هذه الطريقة التزيينات الهندسية التي تعتمد على الشق . وكذلك الحفر في القطع العاجية الذي يحدث فراغاً فيما بين الخط التزييني . أما التنزيل فهو حشر الزخارف العاجية في المنخفضات المحفورة في الحشوات الابنوسية . أو في تنزيل المسامير الزخرفية العاجية القصيرة جداً في العقد الخشبية المنقورة بالحفر .

— الخرط اليدوي :

استعملت طريقة الخرط اليدوي لصنع القطع الصغيرة المتشابكة ذات النتوءات والحفر والتي يتصل بعضها ببعض بطريقة التعشيق الشبكي ، كما تعشق بها الكتابة الكوفية للفظ الجلالة « الله » أسفل الجوسق .

— الأدوات المستعملة :

لم أجد مرجعاً يثبت أسماء الأدوات المستعملة في صناعة المنبر القدسي .الا انها جميعها يدوية كالمنشار وأداة التسوية (المسحاة) وازميل الحفر (بمختلف مقاييسه) أو آلية كالمثقب المتمحور مع قوس ذات وتر ، وكالمخرطة التي تشابه المثقب ذي القوس ، ولم تكن توجد أية آلة اتوماتيكية أو شبيهة بالاوتوماتيكية .

— طريقة التركيب :

اقتصر تركيب المنبر على ضم الأجزاء الكبيرة بطريقة التعشيق نفسها التي ركبت بها الأجزاء الصغيرة ضمن الكبيرة . وعلى حصر بعض القطع بالبعض الآخر .

ومن السهل بمكان وضع القطعة الى جانب مجاورتها بإحداث أية علامة رقمية أو خطية أو زخرفية على الأجزاء المتقابلة . وليست اسطورة منام ابن الاختريني ومشاهدته لوالده في المنام ليدله على طريقة التركيب الا خرافة متداولة على ما أعتقد لا أساس لها من الصحة نظراً لسهولة ضم القطع الكبيرة المجهزة سلفاً .

ـ الأماكن التي أقام بها المنبر ووصفها :

قبل ان يأمر الملك العادل نور الدين الشهيد بصناعة المنبر كان قد حول كنيسة القديسة هيلانة الى مدرسة ، مقابلةً لافعال الروم البيزنطيين ـ أصحاب هذه الكنيسة أصلاً والتي أقاموها على أنقاض معبد وثني ـ والذين نبشوا قبور المسلمين في حملة ملكهم نقفور على حلب وانتهاكهم لحرمة الأموات . وحينما أمر بصناعة المنبر لم ير مكاناً واسعاً ولائقاً للعمل أحسن من المدرسة الحلاوية ، حيث تمت صناعته فيها وأودع في ساحتها . حتى إذا حصل الحريق في الجامع الأموي الكبير المجاور لهذه المدرسة ، الحريق الذي أتى على منبره أمر السلطان بنقل المنبر الى هذا الجامع ليقوم بوظيفته بينما انهمك الاختريني في عمل منبر توءم خاص بالجامع . اتمه ثم أقامه في الطرف الثاني من محراب القبلة .

وحينما زار ابن جبير مدينة حلب ، شاهد المنبر القدسي ولم يدر انه مصنوع لينقل الى القدس يوم الفتح ولم يكن المنبر التوءم قد صنع .

وحينما أتم الله الفتح على يد صلاح الدين الايوبي ، نقل المنبر الى المسجد الأقصى حيث صلى صلاح الدين فيه الجمعة ، وخطب منه الناس . وبقي في هذا المسجد حتى ٢١ـ٨ـ١٩٦٩ م يوم أحرقته السلطات الاسرائيلية في خطة روائية مشهورة .

ـ دراسة عن منبر حلب التوءم :

تاريخ صنعه وأغراض ترميمه وتجديده .

بديء في صناعة هذا المنبر بعد حريق المنبر القديم الذي لم نستدل على صورته من أي مصدر تاريخي . إلا ان ذلك كان حتماً بعد الخلاص من صناعة المنبر القدسي ونقله من المدرسة الحلاوية مؤقتاً الى الجامع الأموي ، وكل ذلك أيام الملك العادل نور الدين .

أما صانعه فهو الاختريني وأولاده وأفراد مدرسته . وطريقة الصنع ورحاة الزخارف والأشكال الهندسية ، وتوافقها مع مثيلاتها في مسجد ابراهيم بالقاعة الحلبية

حيث نقش ابن الاختريني اسمه فيها ، لأكبر دليل على الصناع . ولئن كان خشب المنبر خالياً من أسماء أسرة الاختريني — كما نشاهد الآن — فإن ذلك مرجعه الى احتراق هذا المنبر مرتين بعد ذلك . أولهما أيام هولاكو اذ احرقه صاحب سيس حينما أحرق الجامع .

وأما الصناع الذين نجد اسماءهم الآن على بابه فهم ليسوا إلا المرممين الذين صنعوا بديلاً عن القطع المتالفة بالحريق ، وفي عهد المنصور .

وأما مواد صنعه فهي المواد نفسها التي استعملت في صناعة المنبر القدسي : الارز الحلبي ، الابنوس ، العاج ، الدهان المذهب . ولئن كنا نشاهد الآن دهاناً زيتياً على المنبر الحلبي ، فإن ذلك ليس إلا من الاساءات الطارئة التي تعاقبت عليه من أيام العثمانيين حتى هذا اليوم بإهمال من المسؤولين عنه .

— الشكل العام للمنبر الحلبي :

للمنبر الحلبي أشكال وأبعاد المنبر القدسي نفسها ما عدا جزءه الخلفي ففيه معبر يشاهد الآن ، ولعله لم يكن موجوداً حين اتمام صناعته وإنما أحدث بسبب فعل الحريق إذ اقتضى الترميم احداث هذا المعبر . كذلك لا نجد فيه القمة الهرمية التي كانت قائمة فوق جوسق المنبر القدسي قبل ازالتها .

— طريقة الصناعة : لم تختلف عن طريقة صناعة المنبر القدسي .

— الفائدة الوظيفية :

الأعمدة في أروقة المسجد لا تواجه المنبر وبذلك يتمكن الإمام من مشاهدة أبعد مصل في الرواق أمامه في الجدار المقابل ، وأما سائر الأعمدة فتشكل عائقاً نظرياً ضئيل الأهمية كما هي الحال في المنبر القدسي وأعمدة المسجد أمامه .

وأما الاسماع فمتوفر بسبب الارتفاع ، وهذا أمر نذكره من القديم قبل وجود مكبرات الصوت . الا أن الاسماع يقتصر مفعوله طبعاً على ما داخل القبلية ، وقليلاً ما يسمع صوت الخطيب الى مسافة بعيدة عن صحن الجامع والأبواب مفتوحة ، دون استعمال المكبـــــر .

– الشكل المقترح للمنبر العتيد :

– الهيكل والابعاد :

تنوعت الآراء واختلفت حول شكل الهيكل. فمِنَ المستشارين مَنْ أشار بوجوب الابقاء على الشكل السابق للمنبر القدسي بدقائقه: الباب وتاج الباب والدرابزون والجوسق والمقرنصات الخ . . . . دون القبة الهرمية التي رأينا أنها كانت محدثة وليست أصيلة .

ومنهم من يرى الاستغناء عن الباب وتاجه . وحجة هذا الفريق ان هذا الاستغناء يختصر من عوائق الرؤية ، فضلاً عن أن الباب محدث لغير ضرورة ملحة . فيرد أصحاب الرأي الأول بأن الباب يظل مفتوحاً طيلة الخطبة فيزول العائق ، والا فيغلق لمنع سوى الخطيب من صعوده .

وقد رأت لجنة منبر المسجد الأقصى بجانب الابقاء على الباب طالما انه يفتح اثناء الخطبة حفاظاً على الشكل التاريخي .

وأما المعبر فإن كان لا لزوم له ، وذلك واضح الآن في المنبر الحلبي اذ لا يعبر من تحته أحد ، الا انه مرغوب فيه لأنه يكشف عن الجدار الأثري خلف المنبر وزخارفه التي هي أقدم من المنبر .

وأما التاجان وزخارفهما فستكون بشكل المقرنصات الهندسية التي تحمل زخرفة أكبر كمية من الزخارف القديمة وبشكل أجمل يتغير فيه منظر التاج بما يناسب العصر الجديد .

ولم توضح – حتى الآن – صورة الابعاد النهائية للمنبر وبصورة خاصة بُعْدُ الباب عن جدار القبلة ذلك البعد الذي يقترح المهندس فؤاد ريشي تقصيره تفادياً من اعادة حشر الباب بملاصقة العمود المرمري المحدث مما يعيد الانحراف الى سابق عهده من الخطأ .

– الزخارف :

اعتمدت لجنة المنبر الزخارف الكتابية والهندسية والتوريقية اتباعاً للتراث المجدد . الا اني رأيت احداث بعض الاضافات كشعار « وأعدوا » وآية « نصر من الله وفتح قريب » واستعمال الخط الكوفي بشكل أجمل من سابقه . هذا في الخط ، وأما الأشكال الهندسية

فقد رأيت الابقاء على بعض سابقتها مع رسم أشكال جانبية بنفس الطراز والطريقة . وأما الزخارف التوريقية فلسوف تعتمد الزخارف السابقة بشأنها .

— الفائـــدة الوظيفية :

وقد روعي بشأنها شكل خاص للجوسق يشابه الصادقة . وهو شكل استعمل في كثير من المحاريب في الأندلس وبلاد المغرب ، يساعد على عكس صوت الخطيب وايصاله إلى أبعد مسافة فيما بين المسلمين .

أما بشأن الرؤية فلسوف تدرس اللاجنة ، مع لجنة تعمير المسجد الأقصى المبارك في عمان ، امكانية تفادي حشر مقدمة المنبر بين العمود المرمري ومحود المنبر القائم على خط القبلة ، أو تقصير هذا المحور . وستلغي التاج المتصل فوق (درفتي) الباب وتستعيض عنه بتاجين على عمودين رفيعين على جانبي الباب توفيراً لمزيد من الرؤية .

— المواد المقترحة لصناعة المنبر :

رأى النجار المكلف بالعمل ان انسب أنواع الخشب لأعمال الحفر والتعشيق هو خشب الصندل وخشب الارز الحلبي المتواجد الآن في الخارج والمسمى في عرف النجارين الآن « التنوب » كل ذلك تفادياً لعائق الالياف الخشبية والتعشيق . وقد فضل هذان النوعان على خشب « التيك » الذي صنع منه تابوت المشهد الحسيني وتابوت الشافعي بالقاهرة . كما لا بد من استيراد الابنوس لصناعة الحشوات التي سينزل فيها العاج المحفور . أما الدهان فلسوف يقتصر على نواح معينة في المنبر وستكون طريقته بلصق أوراق الذهب على الخشب .

— الصنـــاع :

بحثت لجنة المنبر كثيراً عن صناع للمنبر يتقنون طريقة التعشيق . وطال بحثها فيما بين المختصين بترميم الآثار الخشبية الا انها وجدتهم كلهم يستعملون طريقة لصق الحشوات بالغراء فرفضتهم على الرغم من جودة المواد اللاصقة الحديثة ، لما في ذلك من أخطار سبقت الاشارة اليها . حتى وجدت اللجنة نجاراً حلبياً هو السيد حبا الكريم جزماتي الذي نشاهد نماذج من عمله في الزخرفة الهندسية والتعشيق في دار آل السعداوي ودار آل زيا و بحلب فكلفته لعمل نماذج مماثلة لصناعتي الزخرفة الهندسية والتعشيق في المنبر القاسي فقام بالعمل ناجحاً .

وسيضطلع بأمر الخط الخطاط الفنان الاستاذ محمد كامل فارس مستشار وأمين سر جمعية العاديات كما يضطلع مع زميله الاستاذ فاخر صائم الدهر بأمور الزخرفة التوريقية وأما الحفر فإن اللجنة هي الآن في سبيل امتحان نماذج الحفارين بهذا الشأن . وأما التغليف بورق الذهب فسيضطلع به الاستاذ فاخر صائم الدهر أيضاً .

– طريقـــة الصناعـــة :

تعتمد الصناعة الطرق القايمة نفسها : الشق والحفر والخرط والتعشيق والضم . الا أن العمل الآلي سوف يغلب على سائر الاعمال الاخرى وعلى الأخص في أمور الخراطة .

– عرض نموذج عن الأعمال :

بمناسبة انعقادالندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية بحلب، تعرض لجنة المنبر في ردهات معهد التراث العامي العربي نموذج العمل الخشبي للمنبر العتيد . كما تعرض سائر اللوحات والمخططات والصور الشمسية للمنبر الشهيد بما يتوفر لديها أو يردها من لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك بعمان .

– مكان صناعة المنبر العتيد :

اتباعاً لخطى الملك العادل نور الدين فلسوف تقوم ورشة صناعة المنبر بصورة كاملة في المدرسة الحلاوية ، نفس المكان الذي صنع فيه المنبر القدسي اذ تخصصها مديرية أوقاف حلب لهذا الغرض وتقوم بترميمها لتكون صالحة للعمل لاستقبال ازرار .

– مكان اقامة المنبر العتيد :

إن من ينظر الى محراب المدرسة الحلاوية يتمنى لو كان بالامكان إقامة المنبر العتيد إلى جانبه ، ولكن ذلك مرفوض لسببين : ضيق القاعة التي لا تتسع لاكثر من عشرين مصلياً ووجود المسجد الأموي الكبير الى جوار المدرسة الحلاوية مما يجعل المصلين يفضلون الصلاة في هذا المسجد، وهذان السببان يجعلاني اعتقد ان محراب المدرسة الحلاوية انما صنع ليلحق بالمنبر القدسي الى المسجد الاقصى .

(وعلى أية حال فإن همتنا لن تقصر عن صناعة محراب مماثل يرافق المنبر العتيد يوم الفتح الى المسجد الأقصى) .

وعلى هذا فإن المنبر سينقل — بعد الصنع — الى المسجد الأموي ويقوم على جا ار القبلية في مكان يخصص في حينه ، ليستأنس به المنبر الحلبي الذي ثكل توءمه في المسجد الأقصى بعد أن كانت لهما أيام مجاورة وانتظار لذلك الفتح الصلاحي الكبير .

— المصنوعات المرافقة :

سيصنع عمال الصياغة في حلب قنديلين من الفضة والذهب ، لكل من المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، توءمين ، رمزاً للاخوة العربية بين الطائفتين الاسلامية والمسيحية تاكنما الطائفتان اللتان تتعاونان سوية على عمل المنبر القاسي العتيد .

مكان اقامة القنديلين بانتظار الفتح :

سيعلق الأول في الجامع الأموي الكبير فوق المنبر القاسي ، وإلى يمينه أمام الضريح ويعلق القنديل التوءم في كنيسة الروم الكاثوليك أكبر كنائس حلب في القبة الكبرى .

ختامـــاً :

اني — فضلاً عن دراستي هذه — اتمنى على جميع الزملاء أعضاء الندوة ، أو على من يقرؤون بحثي هذا ، أن لا يبخلوا عليّ بمعلوماتهم القيمة وبالصور والمخططات التي بإمكانهم إرسالها إليّ في لجنة منبر الأقصى لدى رئاسة الجمهورية بحلب وبكل ما يفيد عملنا الصالح الذي يشرف عليه الرئيس حافظ الأسد وينفق عليه ويرعاه ، وسيكون المنبر في حلب رمزاً لتصميم العرب على العودة بالفتح المبين ، وسيحمل توقيعاً من الآمر بصنعه وبخط يده قائلاً :

« نصـــر من الله وفتـــح قريـــب »

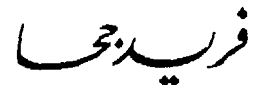
وما الانتظار — مهما طال الأجل — بأمد بعيد ، طالما ان شعارنا جميعاً :

« وأعـــــدوا »

المـــراجـــع

- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، لراغب الطباخ (ج ٢ ص ١٦٨) المطبعة العلمية بحلب ١٩٧٨ .
- نهر الذهب في تاريخ حلب ، لكامل الغزي (ج ٣ ص..١٠) المطبعة المارونية .
- رحلة ابن جبير (طبعة دار التراث ببيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٠٩) .
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، لشهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل .المقدسي (طبعة دار الجيل ببيروت، التصويرية ج ٢ ص ١١٢) .
- الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ، لأسعد طلس (مطبعة الترقي بدمشق ص ٤٧٠) .
- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، لمحب الدين محمد بن الشحنة (طبعة المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٠٩ ص ٦٨) .
- خطط الشام ، لمحمد كرد علي ج ٦ ص ٤٨ (طبعه مطبعة الترقي بدمشق ١٩٢٧) .
- زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ج ٢ ص ٦٩٤ ، تحقيق سامي الدهان ، مطبعة المعهد الفرنسي بدمشق .
- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ج ٩ ص ١٨٩ و ١٨٠ (طبعه مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .
- المنجد (صلاح الدين الأيوبي) .

- ERNEST HREZFELD, MATERIAUX pour un CORPUS INSCRIPTIONUM ARABICARUM, deuxieme partie: SYRIE DU NORD – INSCRIPTIONS ET MONUMENTS D'ALEP (Tome I – volume I, texte: 60 et), 1955 Tome 2 – planches: pl. XLVI, XLVII, XLVII) 1954
- HAMILTON R)W., THE STRUCTURAL HISTORY OF THE AQSA MOSQUE, OXFORD UNIVERSITY PRESS LONDON E. C. 4. 1949
- VAN BERCHEM MATERIAUX pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum Part II, Syrie du Sud, Vol. II Jerusalem (402–393 page)



الموجه الاختصاصي للغة العربية – مديرية التربية بحلب

الكتابات العربيــة المنقوشة على الابنية الاثرية بمدينة القدس

تمهيـــــد :

في إقامة هذه الندوة العالمية للآثار الفلسطينية بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجامعة حلب ، إشارات الى معان كثيرة :

أولها : اهتمام المنظمة بالاثار ، لما تحتله من تراث مادي حي يقف شاهدا على ما خلف أجدادنا على أرضنا وراءهم من فنون العمارة والزخرفة والرقش والكتابات وغيرها مما يتصل بها من فنون ..... اضافة الى ابراز اهتمام العرب (والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهي المؤسسة الثقافية التي تجمعهم) بقضية فلسطين التي يريدونها أن تظل حية في القلوب والعقول ، دافعة اياهم الى العمل من اجل حلها العادل الذي يعيد الحق الى نصابه ، والأهل الى ديارهم .

وثانيها : الاشارة الى أن القطر العربي السوري يضع الى جانب اهتمامه الكبير بالقضايا القومية ، اهتماما مماثلا بالثقافة والتراث ، ففي أقل مـــن عام عقدت في دمشق وحلب ندوات كثيرة ، اذكر منها على سبيل المثال : المهرجان العالمي بمرور ألف عام على ولادة ابن سينا ، ومؤتمر الحضارة العربية الاسلامية بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري كما عقد بمعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب المؤتمر الخامس لتاريخ العلوم عند العرب .

وها نحن أولاء نجتمع في رحاب جامعة حلب في الندوة الاولى للآثار الفلسطينية .

وفي إقامتها بمدينة حلب دليلان : أولهما ثقافي يمثل اهتمام القائمين على أمر الجامعة بكل ما يتصل بالثقافة والآثار من أهم جوانبها ، والآخر قومي هو امتداد لاهتمام هذه المدينة بكل ما يتصل بالعروبة منذ كانت تقف بصمود في عهد البطل العربي سيف الدولة ، دفاعا عن الوطن العربي كله ، واننا لنشعر– شخصيا – بالاعتزاز والسعادة لاسهامنا في هذه الندوة بهذا البحث الذي يرمز الى تعلقنا الكبير بآثار الوطن العربي عامة ، وبمدينة القدس العربية خاصة مثيرين الانتباه الى قضية الكتابات المنقوشة على الاثار بمدينة القدس أولا وعلى آثار بقية المدن العربية ثانيا ، انتباها يرعاها ويدرسها ، ويلم بها ، ويكتب تاريخها بأيد عربية ، بعد أن جمعتها ودرستها ، مشكورة الشكر كله ، أيد أجنبية منذ قرن من الزمان ، في كتب هامة ، أصبحت عزيزة ، لا تصل اليها الأيدي ومن واجبنا أن نضع مثلها بلغتنا القومية وفاء لتراثنا من جهة ، وأفادة منها لكتابة تاريخنا من جهة أخرى .

البحـــــث

(١)

لاحظ علماء الآثار أن الأبنية التي شادها العرب بعد الاسلام ، سواء أكانت دينية أم مدنية تحوي كتابات كثيرة قد نقشت عليها لغرض تدوين اسم الباني وسنة البناء . أو لغرض التجميل والزخرفة ، أو للغرضين جميعا . كما لاحظوا أنها كتبت بأنواع مختلفة من الخطوط (الكوفي البسيط ، الكوفي المزهر ، الكوفي المورق ، والنسخي السلجوقي – النسخي الأيوبي – النسخي المملوكي) وأن دراستها تعين على تاريخ الأبنية العربية ، وعلى دراسة تطور فن البناء العربي ، وفن الخط العربي منقوشا على الأبنية .

وكان لا بد لتيسير ذلك مـــن نشر هذه الكتابات ، وانما يكون ذلك بتصويرها فوتوغرافيا ، وبرسمها رسوما توضيحية ، وترجمتها الى احدى اللغات الاجنبية ، لتكون مواد تسهل عمل مؤرخي الفنون العربية من العلماء .

وهذا ما ندب نفسه له العالم (ماكس فان برشم) بدءا من عام ١٨٨٨م ، بعد أن قام برحلات في فلسطين وسوريا ، وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى ، مصورا للآثار ، وناسخاً الكتابات المسجلة عليهـــا ، تمهيداً لإعداد كتابه المنشود فضلا عن ان إقامته بمصر قد يسرت له اعداد ما يتعلق بكتابات هذا القطر العربي ، وعاصمته القاهرة .

ولقد شعر (فان برشم) بأنه غير قادر وحده على القيام بهذا العمل الضخم ، فعهد لزميليه في (المعهد الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة) وهما (سوبر نهايم وهرزفلد) بزيارة سوريا الشمالية واعداد القسم الخاص بها من كتابه فقاما بذلك خير قيام .

أعطى فان برشم كتابة عنوانا باللاتينية هو : Corpus Inscriptionum Arabicarum

وترجمته : (مدونة الكتابات العربية) ، ولقد عمل بنفسه الأقسام الخاصة بمصر والقاهرة ، وسوريا الجنوبية (وفيها القدس) التي جاء عمله عنها في ثلاثة مجلدات ضخمة تضم أكثر من مئتي لوحة ومخطط .

(٢)

للقدس ، المدينة ، موضوع بحثنا ، أسماء كثيرة : فلقد عرفت قبل الفتح العربي بأسماء يبوس ، وادر وسالم ، وادر تسليم ، ومدينة داوود هيروسلما — وهيرساليما ، وعن هذا الاسم اخذت الأمم الأوربية اسمها المعروف (Jerusalem) كما سماها الامبراطور الروماني أدريانوس في عام ١٣٩ م (ايليا كابيتولينا) ، وظلت تعرف باسم ايليا أو ايلياء ، حتى الفتح العربي الاسلامي ووردت كما هو معروف باسم (ايلياء) في العهدة العمرية (١) .

وأخذت تعرف بعد الفتح العربي الى جانب هذا الاسم بيت المقدس ، والبيت المقدس واختصاراً القدس ، وأسماها الأتراك القدس الشريف (٢) .

وللقدس مكانه عزيزة لدى أصحاب الديانات السماوية الثلاث اليهودية والنصرانية والاسلام ، وتاريخها طويل يمتد الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، حين بناها اليبوسيون ،

---

(١) تفصيل ذلك كله في كتاب عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١م — ، ص ٦٧ ؛ وياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٧٩ حيث يوردها في مادة اوريشم وص ٢٩٨ حيث ترد باسم ايلياء ، وذلك في طبعة صادر ببيروت .

(٢) عارف باشا العارف ، المصدر السابق ص ١٦٨م و ١٦٩ ؛ والقدس المسلمة في أعمال ماكس فان برشم بالفرنسية ، طبع لوزان بسويسرا ١٩٧٨م ص ٢٤ .

وهم من الاقوام الذين هاجروا من الجزيرة العربية (١) . وقد مرت بها عهود كثيرة ، وفتحهـا فاتحون كثيرون منهم الفراعنة في عام (١٤٧٩ ق.م) ، ثم جعلهـا اليهـود العبرانيون (عاصمة مملكتهم ثلاثة قرون بدءا من عام (١٠٤٩ ق.م) والآشوريون في عام (٧٣٠ ق.م (والبابليون في عام (٥٩٩ ق.م) والفرس في عام (٥٣٨ ق.م) واليونانيون في عام (٣٣٢ ق.م) والرومان (٦٣ ق.م) وغدت بيزنطية بعد عـام (٣٣٠ م) ، واحتلها الفرس الساسانيون لمدة قصيرة في عام (٦١٤) م ، ثم استعادها هرقل في سنة ٦٢٩ (١٥ هـ ـ ٦٣٦ م) (٢) .

وتعربت المدينة بسرعة ، وعاشت في ظل الدول العربية والإسلامية أربعة عشر قرنا لم يقطعها سوى المدة التي غدت فيها عاصمة المملكة اللاتينية بين سنتي ١٠٩٩ و ١١٨٧ م (ثم احتلها الجيش البريطاني في عام ١٩١٧، فأصبحت عاصمة لفلسطين التي وضعت تحت الانتداب، وغدت المدينة ميدانا لمعارك بين العرب واليهود الاسرائيليين الى أن حلت النكبة عام ١٩٤٨م حيث قسمت، في عام ١٩٦٧م حين احتلها الإسرائيليون ... وأننا لنأمل، عودتها الى حظيرة العروبة مرة أخرى. وقد عني الخلفاء الامويون والعباسيون والفاطميون ومختلف الأمراء والسلاطين ، وبخاصة في العهدين الايوبي والمملوكي، عنى هؤلاء جميعا بالقدس من ناحية اشادة الأبنية فيها . واصلاح ما تهدم منها . وتمتين أسوارها وقلعتها. ولذلك كثرت فيها الآثار الدينية والمدنية المسيحية والأسلامية منها خاصة وسنشير الى الأسلامية منها فقط ، نظرا لأنها تضم الكتابات موضوع حديثنا .

كانت القدس القديمة محاطة بسور جدد في مختلف العهود، وآثارها الدينية كلها داخل السور وأهمها كنيسة القيامة (أو كنيسة القبر المقدس) (٣) والحرم الشريف وفيه أبنية عديدة أهمها مسجد الصخرة والمسجد الاقصى (٤) .

---

(١) عارف باشا العارف ، المصدر السابق ص ١١ .

(٢) باختصار عن كتاب تاريخ القدس لعارف باشا العارف ، ص ١١ وما بعد ؛ وعن دائرة معارف الاسلام للطبعة الاولى باللغة الفرنسية المجلد الثاني مادة Jerusalem .

(٣) ينظر الحديث المفصل عنها في كتاب (المعالم الاثرية في البلاد العربية) ، الذي اصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجزء الثاني ص ٨٧ ، وهذا الجزء مطبوع بالقاهرة عام ٩٧٢ ونضم المعالم الاثرية في المملكة الاردنية الهاشمية وفلسطين ، ومن المملكة العربية السعودية وينظر كذلك تاريخ القدس لعارف باشا العارف ص ٩٦٥ وما بعد .

(٤) الحديث المفصل عنها في تاريخ القدس ص ٢٨٧ وما بعد ؛ والمعالم الاثرية في البلاد العربية ج٢ ص ٩١ وما بعد ؛ والقدس المسلمة في اعمال ماكس فان برشم ص ٣٣ و ٧٥ .

وللقدس عند العرب والمسلمين مكانة هامة ففيها ،ـ كما قدمنا ـ آثار دينية هامة ، واليها سرى الرسول ، ومنها عرج الى السماء واليها اتجه المسلمون بصلاتهم متخذينها قبلة حتى السنة الثانية من الهجرة عندما حولوا وجوههم الى المسجد الحرام في مكة ... والمسجد الأقصى أحد ثلاثة مساجد تُشدّ اليها الرحال لقول النبي (ص) : (انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ـ والمسجد الأقصى ـ ومسجدي هذا (١) .

لذلك عني الخلفاء والأمراء في مختلف العهــود بالقدس وبالحرم الشريف منهــا خاصة ، فبنى عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة بين سنتي (٦٦ و ٧٢ هـ / ٦٨٥ ـ ٦٩١ م) . وشرع ببناء المسجد الأقصى وأتمه ابنه الوليد (٧٤ ـ ٨٦ هـ / ٦٩٣ ـ ٧٠٥ م) . وقد جدد هذان المسجدان مرات كثيرة ، وأضيفت اليهما الزينة والزخارف في العهود العباسية والأيوبية والمملوكية والعثمانية ، وأضيفت أبنية مختلفة الى الحرم كجوامع (قبة موسى ، وباب حطة ، وكرسي سليمان والمغاربة والغوانمة ، ودار الامام) (٢) . وكما أقيمت أبنية كثيرة في العهود المتتالية ، وخاصة في العهدين الأيوبي والمملوكي أقيم في أولهما تسع أبنية بين مسجد ومدرسة وسبيل ماء ، وأقيم في الثاني حوالي خمسين أثرا بين مدرسة وخان وجامع وسبيل ماء ، ورباط للصوفية .

(٣)

تحوي هذه الآثار العربية الاسلامية التي تضمها مدينة القدس ، كثيرا من الكتابات العربية المنقوشة عليها هذه الكتابات التي أثارت ، مع الاثار المنقوشة عليها ، انتباه العالم الاثري ماكس فان برشم فانكب على قراءتها ، وعلى تصويرها ، وعلى نقلها ، في زياراته الخمس لمدينة القدس في سنوات ١٨٨٨ و ١٨٩٢ و ١٨٩٣ و ١٨٩٤ و ١٩١٤م . ثم انقطع لدراستها وترتيبها وترجمتها الى اللغة الفرنسية بين سنتي ٩١٤ و ١٩٢١م . وهي السنة التي مات فيها مخلفا لنا الجزء الخاص بمدينة القدس مــن مدونة الكتابات العربية الذي بدأ بطباعته في حياته عام ١٩٢٠ ، انتهي من طباعته في عام ١٩٢٥ . خص فان برشم مدينة القدس بالجزء الأول ، وسجل ما فيها من كتابات من العهود المختلفة ، وخص الجزء الثاني بالحرم

(١) ابن شداد الاعلاق الخطيرة ، تحقيق سامي الدهان الجزء الخاص بلبنان والاردن وفلسطين ص ١٨٨ ، وهناك روايات مختلفة لهذا الحديث لا يختلف مضمونه فيها .

(٢)

الشريف ، مسجلا الكتابات الموجودة على أبنية الحرم ، ثم الكتابات الموجودة على مسجد قبة الصخرة ، والكتابات الموجودة في المسجد الأقصى وكان يسير في تسجيل الكتابات ودراستها وترجمتها تاريخيا .

(٤)

عناية فان برشم بالكتابات العربية المنقوشة على الاثار ، ودعوته لتسجيلها ، وعدم تمكنه من جمعها كلها ، دفعت مجموعة من المستشرقين وعلماء الاثار الى تبني فكرته ، والعمل من اجل جمع كامل للكتابات هذه في مختلف أقطار الوطن العربي . وهكذا عمل حوالي خمسة عشر عالما .

(نذكر منهم : كومب وسوفاجيه وفييت واياسيف وكروزويل وبروفنسال وساري ومارسيه ولثيمان وزامباور) . عمل هؤلاء على جمع هذه الكتابات ودراستها وترجمتها الى اللغة الفرنسية في مؤلف ضخم سموه (المرجع التاريخي للكتابة العربية) .

وهناك حول الدكة وفي أرض الحرم زوايا وقباب عديدة من عهود مختلفة ، احصاها ووصفها العمري والحنبلي ، منها قبة سليمان الكائنة في الجانب الشمالي ، وقبة موسى ، بناها الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة ٦٤٣ ﻫ في الجهة الغربية قريبا من باب السلسلة والزاوية النحوية جنوبي الدكة بناها المعظم عيسى ، وقبة الطومار في الجانب الشرقي الجنوبي ومن الجهة الشرقية زاوية كانت تسمى الصمادية والى جانبها زاوية البسطامي . ومع هذه القباب والمنشآت يجب ان لا ننسى المنبر الرخامي الموضوع على الطرف الجنوبي للدكة (صحن مسجد الصخرة) وهو من العهد المملوكي ونسبه الحنبلي الى القاضي برهان الدين بن جماعة .

وهناك الآبار والصهاريج الموزعة في انحاء الحرم والتي عد منها الحنبلي إثنين وثلاثين بئرا ، وسمى الكثير من اسمائها: بئر الرمانه ، بئر الشوك وبئر الكأس ... الخ . وهناك السبلان العديدة التي احسن بناؤها وزخرفتهاوالتي انشيء اكثرها في العهدين المملوكي والعثماني وأهمها سبيل من عهد السلطان قاتباي (٨٧٠ﻫ/ ١٤٤٥م) وسبيل قاسم باشا عند باب السلسلة من عهد السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ ﻫ/ ١٥٣٦م) .

٥ – المسجد الأقصى

نعود بعد هذة الكلمة العامة للحديث عن المسجدين الهامين الاقصى وقبة الصخرة كأثرين بارزين من آثار الحضارة العربية الاسلامية . والبناءان تاريخهما واحد ، ومن غير المشكوك فيه انهما شيدا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . وهذا ما اجمعت عليه اكثر الروايات التاريخية ، والكتابه التاريخيه التي ما تزال في اعلى قناطر مسجد الصخرة مكتوبة بالفسيفساء بالخط الكوفي وتتضمن تاريخ الأنشاء من عام ٧٢ للهجرة ، واسم عبد الملك الذي دخله التحريف ليوضع مكانه اسم المأمون .

لكنا نجد من المؤرخين من ينسب اعمال البناء الى الوليد بن عبد الملك كالمهبلي وابو الفداء وابن كثير ، وكذلك ما أشار اليه العالمين سوفاجه وكريزويل من وجود نصوص مخطوطة على اوراق البردي عثر عليها في مصر تتضمن امر الوليد لعامله قرة بن شريك بارسال العمال الى بيت المقدس للإسهام في اعمال البناء في المسجد الأقصى وقصر الامارة . هذه الدلائل كلها نفسرها كالتالي :

جرى التخطيط للمسجدين والقيام بأعمال البناء في ايام عبد الملك ، واحتاج الامر لاستكمال بعض الزخارف من رخام وفسيفساء فأ كملها الوليد ، ومما يؤيد وجهة النظر هذه نجد فيما سجلت سنة ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م وهي ايست كل كتابات القدس لاننا نجد فيما سجل فان برشم كتابات تعود للعهد المملوكي المتأخر ، وللعهد العثماني ، وآخـر كتابات سجلت على أبنيتها كان ذلك في المسجد الاقصى في عهد السلطان العثماني محمود الثاني في سنتي ١٢٣٣ و ١٢٣٤ / ١٨١٧ و ١٨١٨ م [(١)] وتبلغ كتابات مدينة القدس حـوالي مائتي كتابة، أولاها سجلت في عام ٦٥ هـ/٦٨٤ م، والأخيرة في عام ١٢٣٤ هـ/١٨١٨ م.

(٦)

تعطينا هذه الكتابات المنقوشة على آثار مدينة القدس الملاحظات التالية :

١ – عددها ضخم رافق عهودها العربية الأسلامية مند العهد الأموي حتى العهد العثماني على مدى ثلاثة عشر قرنا .

---

(١) القدس المسلمة في آثار ماكس فان برشم ص ٢٩ .

٢ — تأتي مدينة القدس ثالثة من حيث الكتابات العربية والمنقوشة على آثارها بعد مدينتي القاهرة وحلب .

٣ — سجلت هذه الكتابات بالخطوط الكوفية البسيطة والكوفيـــة المركبة وبالخطوط النسخية المختلفة التي تطورت حسب العصور .

٤ — ترافق هذه الكتابات المدينة وتروى كثيراً من أخبارها وتعين على كتابة تاريخها وتذكر بالعصور التي مرت بها ، وبالخلفاء الذين اهتموا بها ، وبالامراء الذين ولوا أمورها .

٥ — هذه الكتابات مسجلة كلها باللغة العربية ، وفي ذلك الدليل على عروبة المدينة منذ القرن الهجري الأول حتى اليوم .

خاتمـــــــة :

وهكذا نصل الى خاتمة هـــذا البحث الذي اردناه تعريفا بقضية الكتابات العربية المنقوشة على آثار مدينة القدس : مصادرها وإحصائها ، ودلالاتها . واننا لنسجل آسفين أن هذه الكتابات على أهميتها ، لا يضمها باللغة العربية كتاب ، وأن مصادرها كلها باللغة الفرنسية . لذلك ندعو الى ايجاد مرجع لها باللغة العربية ، مرجع يجمعها ويعلق عليها ، ويفيد مما قدم في الكتابين السابقين اللذين ظفرنا بهما (وهما المدونة والمرجع) ، ثم يكمل نقصهما ، ويضعها بين أيدي الدراسين العرب الإفادة منها في دراسة الآثار من جهة ، وفي كتابة التاريخ العربي الأسلامي من جهة ثانية .

عفيف بهنسي

مدير عام الآثار والمتاحف – الجمهورية العربية السورية

المنشآت الأثرية في الحرم الشريف
تاريخ انشائها وتجديدها

يقع الحرم الشريف في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القدس القديمة ويأخذ الحرم شكل شبه المنحرف ، طول ضلعه ٢٨١ م من الجنوب و ٣١٠ م من الشمال و ٤٦٢ م من الشرق و ٤٩١ م من الغرب .

ويحاط الحرم بسور يشترك من جهة الشرق والجنوب مع سور المدينة القديمة .

ويعود بناء سور الحرم من جهة الشرق وهو سور المدينة أصلاً إلى العهد الأيوبي والمملوكي والعثماني ولقد نشر فان برشيم الكتابات التذكارية لانشاءات السور وترميماته .

يعتبر الحرم صحناً بمجمله لمسجد، أو مسجداً في الهواء الطلق يمارس فيه المسلمون صلواتهم باتجاه القبلة (مكة المكرمة) وهذا مايفسر انشاء العديد من المحاريب في صحن الحرم في العهود المتتابعة .

وينفتح في جسم سور الحرم خمسةعشر باباً هي :

من الشرق باب وحيد هو :

١ – الباب الذهبي هو باب سور المدينة أيضاً وهو مؤلف من بابين : باب التوبة وباب الرحمة وإلى شماليه يقع كرسي سليمان .

ومن الجنوب ثلاثة أبواب :

٢ – الباب البسيط

٣ ــ الباب المثلث .

٤ ــ الباب المضاعف .

ومن الغــرب :

٥ ــ باب المغاربة ويفتح على حي المغاربة وتنهض مئذنة السلسلة في جسم السور بين باب المغاربة وباب المطرة .

٦ ــ باب السلسلة وباب السلام وهما بابان صغيران . أنشأ باب السلسلة الأمير تنكز سنة ١٣٢٩ م .

٧ ــ باب المطرة أو الوضوء (المتوضأ) .

٨ ــ باب الحديد .

٩ ــ باب القطانين (١) وينفتح على سوق القطانين ــ تجاه قبة الصخرة غربي الحرم

١٠ ــ باب الحبس أو النذير .

١١ ــ باب السرايا .

١٢ ــ باب الغوانمة ويقع قرب منارة الغوانمة .

ومن الشمال :

١٣ ــ باب العتم أو باب الفيصل نسبة إلى الملك فيصل الأول الذي دخل إلى الحرم من هذا الباب عام ١٩٣٣ .

١٤ ــ باب حطّه .

١٥ ــ باب الاسباط ، بناه الملك الظاهر بيبرس كما هو واضح من شعاره ، الأسدين ، القائم على جانبي الباب .

---

(١) أنظر (فان: رشيم) ص ١٢٧ M. Van Berchem: Mémoires, Le Caire, 1927
على الباب الكتابة التاريخية التالية : « بسملة . . جدد هذا الباب المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون . .
بالمباشرة (   ) العالية السيفية تنكز الناصري أعز الله أنصاره في شهور سنة سبع وثلاثين وسبع مائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ولقد رمم أيام السلطان سليمان القانوني، وأطلق عليه الصليبيون اسم باب سانت ايتين.

وتقع مئذنة الاسباط في جسم السورين باب حطة وباب الاسباط.

صحن قبة الصخرة :

في وسط الحرم الشريف تقوم قبة الصخرة على ساحة ذات شكل شبه منحرف أيضاً وهي مرتفعة عن سطح الحرم المحيط بها ، ويصعد اليها بوساطة ثمانية مداخل تخضع في ترتيبها وعدد درجاتها إلى ارتفاعات الصحن عن باقي أجزاء الحرم .

وهذه المداخل الصاعدة مؤلفة من درج عريض ينتهي في الأعلى بقنطرة ذات فتحات تسمى الموازين ، وفي هذه المساحة تقوم أهم المنشآت الاسلامية في الحرم .

الموازين أو قناطر قبة الصخرة :

هذه القناطر تسمى الموازين مؤلفة من ثلاث أو أربع فتحات تعلوها أقواس منكسرة تقوم على أعمدة في الجانبين وتحدها عضادتان . وهذه القناطر أو الموازين موزعة على الشكل التالي :

١٦ — الميزان الشمالي الشرقي (٢) يقوم على عمودين قديمين ويمتاز بطنف جميل وافريز مسنن وعليه كتابة .

١٧ — الميزان الشمالي (٣) ويقوم على عمودين قديمين وعليه كتابتان .

١٨ — الميزان الغربي في أقصى الشمال(٤) ويعود إلى أصل اسلامي ولكنه رمم عام ١٣٧٦م ورمم ثانية في القرن السادس عشر الميلادي . ويقوم هذا الميزان على ثلاثة أعمدة .

---

(٢) انظر فان برشيم ص ١٢٠ .

« بسملة ... (الآخر) — أنشئت هذه القناطر المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون رحمه الله في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبع مائة ..

(٣) أنظر فان برشيم ص ٨٨ .

جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر ابن أيوب خلد الله ملكهما في سنة عشر وستمائة والحمد لله وحده . في ولاية الأمير الأجل عزالدين عمر ابن يغمور .

(٤) انظر فان برشيم ص ١٨٩ .

أمر بتجديد هذا الميزان المبارك سيدنا ومولانا السلطان الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم .

١٩ ـــ الميزان الغربي وعليه كتابة (٥) . ويقوم على ثلاثة أعمدة .

٢٠ ـــ الميزان الغربي في أقصى الجنوب (٦) ، أنشيء عام ١٤٧٢م ويقع شمالي المدرسة النحوية (١٢٠٧)م وقريباً من قبة موسى (١٢٥٠)م ويقوم على عمودين قديمين .

٢١ ـــ الميزان الجنوبي مؤلف من ثلاثة أعمدة ويتصل بمنبر برهان الدين ويقع على محور المسجد الأقصى ـــ قبة الصخرة . وعليه مزولة يستدل بها المؤذن على وقت الصلاة .

٢٢ ـــ الميزان الجنوبي الشرقي وعليه كتابة (٧) . ويقوم على عمودين .

٢٣ ـــ الميزان الشرقي وهو مؤلف من عمودين وعضادتين .

المنشآت في صحن قبة الصخرة :

٢٤ ـــ قبة الصخرة

هي مفخرة العمارة الاسلامية آية الجمال والرشاقة على بساطتها وهي فريدة في شكلها المثمن المستمد من أصول العمارة السورية القديمة .

أمر ببنائها الخليفة عبدالملك بن مروان عام ٦٩٠م ـــ ٧٢ هـ وهي محلاة من الأسفل

---

(٥) انظر فان برشيم ص ١١٦
بسملة ... أنشيء هذا الرواق المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون أعز الله أنصاره بنظر العبد الفقير إلى الله بلغاق بن جغان الخوارزمي تقبل الله منه وذلك في سنة سبع وسبعمائة .

(٦) بسملة .... (الآخر ——————— عمرت هذه الدرجة المباركة في أيام مولانا الملك الأشرف أبو النصر قاتيباي .
أيده الله بنصره وذلك بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ناظر الحرمين الشريفين غفر الله له بتاريخ شهر جمادى الأول سنة سبع وسبعين وثمان مائة وصلى الله على محمد . أنظر فان برشيم ص ١٥٧ .

(٧) بسملة .... جدد هذه القناطر في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب خلد الله ملكهما في سنة ثمان وستمائة والحمد لله . انظر فان برشيم ص ٧٣ .

بالرخام ثم القاشاني الأزرق الذي أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني كما هو موضح من الكتابة (٨) .

والقبة من الداخل صنعت من الخشب الملون وعليها آية الكرسي . وينفتح في عنقها سبع عشرة نافذة . كما تنفتح في جدرانها أربعون نافذة على داخل المسجد وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء السلاطين المرممين من أمثال صلاح الدين ١١٨٩ م ومن الداخل نرى فوق التشمينية كتابة كوفية يبدو واضحاً منها أن اسم المأمون حل محل اسم عبدالملك اذ أن التاريخ بقي كما هو ٧٢ هـ (٩) .

وللقبة أربعة أبواب : باب النبي داوود من الشرق والباب الغربي وباب القبلة وباب الجنة من الشمال .

٢٥ — قبة السلسلة

وتقوم مقابل الباب الشرقي لقبة الصخرة أنشئت في عهد الخليفة عبد الملك (١٠) ثم رممها السلطان سليمان . وهي نموذج مصغر لقبة الصخرة وهي تقوم على مخطط ثماني ولكنها تقوم على رقبة مغلقة سداسية تقوم على ستة أعمدة وهذه الأعمدة محاطة برواق

---

(٨) انظر فان برشيم ص ٣٣٥
قد جدد بحمده قبة الله من الصخرة ببيته المقدس الفائقة بناءها وبهاءها وشيد بما جرى من مناهلها الرائقة لهواة الأثر قصور رواتها وورائها وأجزل لها في خلال ظلال دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والبرهان أبي الفتوحات سليمان خان بن السلطان المعروف بالاحسان أبي النصر سليم خان بن المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر السلطان — بايزيد بن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان سحّت على ثراهم سحب الرضوان فأعاد اليها ذلك البهاء القديم مواقبة . . حذاق المهندسين تأريخاً فجعلوه في أحسن وقد وتصرف بكتابتها عبدالله التبريزي .

(٩) انظر فان برشيم ص ٢٣٠
بسملة .. لا اله الا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ) بنى هذه القبة عبدالله عبد ( ) الله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتان وسبعين نقبل الله منه ورضي عنه آمين رب العلمين ( ) والحمد لله ( ) .

(١٠) انظر فان برشيم ص ١٨١
بسملة .. (سبيل الله ....) — صدق الله العظيم الكريم أمر بتجديد هذا الكاشاني المقام الشريف السلطاني مولانا السلطان سليمان بن سليم بايزيد خان خلد الله ملكه وأيد دولته إلى يوم العباد في سنة تسع وستين وتسع مائة .

مضلع مؤلف من أحد عشر ضلعاً تقوم على أحد عشر عموداً وفي هذه القبة محراب من جهة الجنوب .

ووظيفة هذه القبة الأساسية ، هي حفظ أموال المسلمين فيها ، في صحن المسجد ، كما هو الأمر في قبة المال في الجامع الأموي الكبير في دمشق. وعلى هذه القبة كتابتان(١١) .

٢٦ – قبة المعراج :

وتقع في الجهة الشمالية الغربية من قبة الصخرة وهي مؤلفة من قبة خشبية مغطاة بالرصاص تعتمد على مجموعة من الأقواس المغلقة بشكل مثمن . ويعود بناء هذه القبة إلى عام ١٢٠٠ م كما هو واضح عليها . ولعل هذا تاريخ اصلاحها وإعادة بنائها (١٢) .

٢٧ – قبة النبي :

وتقع بين قبة المعراج وقبة الصخرة ، وهي قبة صغيرة مغطاة بألواح الرصاص وتقوم على أعمدة بمخطط متعدد الوجوه أنشئت عام ١٥٣٨م في عهد محمد باك حاكم القدس . وقد رممت عام ١٨٤٥م . ويطلق عليها أيضاً قبة جبرائيل. وهي قريبة من قبة الخليل التي أنشئت في القرن التاسع عشر لتكريم الشيخ الخايلي .

---

(١١) انظر فان برشيم ص ٢٦٤ و ٢٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم (– أمر بعمارة هذه القبة الامام أبو الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين وجزى ذلك على يد عبده الأمير ثقة الأئمة سديد الدولة علي بن أحمد ثابه الله وذلك في سنة ثلثة عشرة وأربع مائة الحمد لله .
بسملة ... أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل صلاح الدين العامل يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك في شهور سنة ستة وثمانين وخمسمائة أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاوون تغمده الله برحمته وذلك في سنة ثمان عشر وسبع مائة .

(١٢) أنظر فان برشيم ص ٣٧ و ٥٤

بسملة .... وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره هذه قبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي ذكرها أهل التأريخ في كتبهم تولى اظهارها بعد هدمها وعمارتها بعد دثارها بنفسه وماله الفقير إلى رحمة ربه الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير الأوحد الأعز الأخص الآمن المجاهد الغازي المرابط عز الدين جمال الاسلام سعيد السعداء سيف أمير المؤمنين أبي عمرو عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي متولي القدس الشريف وذلك في شهور سنة سبع وتسعين وخمسمائة . بسملة ... التعبير من محمد حقي كتبه سيد

٢٨ — قبة الأرواح :

وهي قبة صغيرة تقع قرب الحد الشمالي للحرم مشابهة لقبة النبي .

٢٩ — منبر برهان الدين :

ويقع في جنوب صحن قبة الصخرة على مدخل الصحن من جهة الجنوب . وهو بناء حجري جميل مزين بالرخام الملون أنشيء في القرن الثامن لصلاة العيدين ولصلاة الغيث في أيام الجفاف ، وأنشيء أصلاً بمناسبة استرجاع الحرم من الفرنج .

رمم المنبر عام ١٣٨٨م ، من قبل قاضي القدس برهان الدين وهكذا حمل المنبر اسم القاضي . وكان يحمل اسم منبر عمر أو منبر السيف . ورمم عام ١٨٤٣ م من قبل الأمير محمد راشد .

٣٠ — قبة يوسف :

وتقع في أقصى الجنوب الغربي من الحرم الشريف وخارج حدود حرم قبة الصخرة

أنشئت القبة عام ١١٩١م بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي ورممت عام ١٦٨١م . وتقوم هذه القبة الصغيرة على أربعة أعمدة تشكل ثلاثة أقواس منكسرة أما الجهة الجنوبية فهي جدار يحوي محراباً صغيراً. (١٣) وسميت قبة يوسف على اسم السلطان صلاح الدين يوسف .

٣١ — قبة النحوي :

أنشئت عام ١٢٠٧م في عهد الأمير حسام الدين وهي مدرسة ومكتبة (١٤) .

---

(١٣) بسملة ... وصلواته على محمد النبي وآله أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الأمير الاسفسهلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله في سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية وبنظر الأمير ناصر الدين الطنبغا وفقه الله . انظر فان برشيم ص ٢٤ .

(١٤) بسملة .... أمر بانشاء هذه القبة المباركة وما يليها من العمارة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو المنصور عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو بكر بن أيوب أعز الله أنصارهما وجرى ذلك على يد عبده الراجي عفو ربه الأمير حسام الدين أبي سعد قيماز بن عبد الله المعضمي الوالي لبيت المقدس الشريف وذلك في شهور سنة أربع وستمائة . انظر فان برشيم ص (٦١)

٣٢ – محراب قديم في قبة الصخرة :

في قعر قبة الصخرة وبعد أن ننزل بضعة درجات نشاهد محراباً صغيراً ١,٣٧ م × ٠,٧٦ م مؤلفاً من عمودين صغيرين بقنوات حلزونية يحملان مقعراً مكسوراً مزخرفاً على عتبة عليه كتابة « لااله الا الله » . ويعتقد كريزول أن هذا المحراب يعود إلى عهد الوليد أو إلى عهد أبيه عبد الملك ، وهو بذلك أقدم محراب في الاسلام (١٥) .

المنشآت في الحرم الشريف :

٣٣ – عرش سليمان أو كرسي سليمان ويقع بمحاذاة الجدار الشرقي للحرم شمالي الباب الذهبي .

٣٤ – مهد المسيح ويقع في الزاوية الجنوبية الشرقية .

٣٥ – المسجد الأقصى :

ويقع على محور قبة الصخرة باتجاه الجنوب وبمحاذاة السور الجنوبي للحرم أنشأه الوليد بن عبدالملك ولكن الأبنية الحالية هي من أعمال الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أخي صلاح الدين لعام ١٢٣٦ م وكان صلاح الدين قد أمر بتجديده وزخرفته بالفسيفساء بعد تحرير القدس ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ) (١٦).

---

(١٥) K.A.C. Creswell: Early Muslem Architecture, Vol. 1,2ème édition, p. 100.

(١٦) انظر فان برشيم ص ٤٠٣ و ٤٢٦ و ٤٣٤ .

بسملة .. أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو علي التقوى مؤسس عبدالله ووليه يوسف ابن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا عندما فتحه الله على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة .

بسملة . جدد هذا الجامع المبارك المستجا والأبواب المستجدة في أيام مولانا السلطان العالم العامل الملك الكامل سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين (شعبان) بن مولانا السطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي تغمده الله تعالى بالرحمة بنظر العبد الفقير الى الله تعالى ايبك امصري ناظر الحرمين الشريفين بتاريخ رجب الفرد سنة ست وأربعين وسبعمائة .

بسملة . . (الآخر) جددت عمارة المسجد الأقصى الشريف من اصلاح الرصاص بظاهرة وقبة الصخرة الشريفة واصلاح الفصوص وبياض الجدر ودهان الأبواب والرميم وغير ذلك في أيام مولانا السلطان المالك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري عز نصره بنظر المقر الأشرف السيفي بكباي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف وأحد الأمراء الأربعينات بالديار المصرية أدام الله أيامه في سنة خمس عشرة وتسعمائة .

كما جدده الملك الناصر محمد بن قلاوون ١٣٤٤ م (٧٤٦ هـ) ثم الملك الأشرف قانصوه الغوري ١٥١٢ م (٩١٥ هـ) .

٣٦ ــ منبر نور الدين :

عندما حرر صلاح الدين القدس رمم المسجد الأقصى وأمر بصنع المنبر له ، ولكنه علم بمنبر فخم كان نور الدين بن زنكي قد أمر بصنعه (١٧) ، وكان الفنانون المهرة من أبناء حلب قد أنجزوه على أروع مثال فأمر باحضاره وإقامته في المسجد . ويبدو على جانبه عبارات تتعلق بمنشئه والصانعين (١٨) .

وعلى يمين الخطيب من جهة المحراب آية كريمة وعلى يساره آية أخرى وحول المحراب آية الاسراء ولقد حرقه الاسرائيليون في ٢١ آب ١٩٦٩م .

٣٧ ــ جامع النساء ويقع غربي المسجد الأقصى ملاصقاً له .

٣٨ ــ المتحف الاسلامي في المسجد ويقع بين جامع المغاربة والمسجد الأقصى(١٩) .

٣٩ ــ الكأس . هي بركة للوضوء تستمد ماءها من الخليل على بعد عشرين ميلاً ثم من بئر الورقة .

---

(١٧) بسملة ... أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل نور الدين ركن الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه وأعز أولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقر بالنصر والزلفا عيناه برحمتك يارب العالمين وذلك في شهور سنة أربعة و ستين وخمس مائة . انظر فان برشيم ص ٣٩٤ .

(١٨) انظر فان برشيم ص ٣٩٠...
صنعه سلمان بن معالي رحمه الله ــ عمل حميد بن ظافر رحمه الله
عمل أبي الحسن بن يحيي رحمه الله ــ صنعة حميد بن ظافر الله رحمه
صنعه حميد بن ظافر الحلبي رحمه الله .

(١٩) انظر فان برشيم ص ٤٤١ .
بسملة .. جدد تعمير وترميم هذا المسجد الأقصى الشريف والمعبد الأسني المنيف حضرة سيدنا ومولا سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أول القبلتين الغازي المجاهد السلطان محمود خان ابن السلطان عبدالحميد خان خلد الله ملكه على مدى الزمان وأيده بنصرة المؤزر في كل مكان ونشر على الخافقين ألويته بالعدل والاحسان وذلك على يد الوزير الشهير صاحب الخيرات والتدبير سعادة الحاج سليمان باشا بلغه الله ماشاء والي اياله صيدا وطرابلس شأم حالا أدام الله تعالى دولته واجلاله وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف من هجرة من لذي العز والشرف صلى الله عليه وسلم بقلم الضعيف مصطفى علي أفندي المأمور من جانب الدستور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٠ ــ قبة يوسف آغا .

٤١ ــ مئذنة الفخرية أنشأها شرف الدين عبدالرحمن عام ١٢٧٨م ورممت عام ١٩٢٢م .

٤٢ ــ قبة موسى أعيد انشاؤها عام ١٢٥١ م .

٤٣ ــ سبيل قايتباي أنشىء اصلاً في عهد الساطان ينال ثم اعيد انشاؤها في عهد السلطان قايتباي عام ١٤٨٢م ورممت عام ١٨٤٢م في عهد السلطان عبد الحميد (٢٠) .

٤٤ ــ مئذنة الغوانمة أنشأها السلطان منصور حسام الدين لاشين عام ١٢٨٧م وتقوم على أنقاض برج انطونيا المربع ، وفوقها قسم مسدس الجوانب ثم قسم دائري ورممت في عهد سيف الدين قلاوون عام ١٣٢٩م .

٤٥ ــ قبة سليمان أو قناطر الساطان محمود الثاني (٢١) .

٤٦ ــ قبة عشاق النبي .

٤٧ ــ سبيل السلطان سليمان .

٤٨ ــ مئذنة الأسباط أنشئت عام١٣٦٧م (٧٦٩ هـ) في عهد الملك الأشرف شعبان . ورممت عام ١٩٣٧م (٢٢) .

---

(٢٠) انظر فان برشيم ص ١٦٠

بسملة ... أنشأ هذا

السبيل المبارك مولانا الملك الأشرف اينال ثم جدده سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين ناشر العدل في العالمين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز الله أنصاره في شهر شوال المبارك سنة سبع وثمانين وثمانمائة ثم جدده الخليفة الأعظم والسلطان المفخم السلطان الغازي عبدالحميد خان ابن السلطان الغازي عبدالمجيد خان من آل عثمان أعز الله ملكه في شهر رجب الفرد سنة ثلثمائة وألف .

انظر فان برشيم ص ٢٠٤

(٢١) بسملة ... انشأ هذا الايوان اللطيف في هذا المكان الشريف الملك المعظم والخاقان المفخم الغازي المجاهد السلطان محمود خان عبدالله خلد الله ملكه على مدى الزمان وذلك على يد الوزير الشهير صاحب الخيرات والتدبير الدستور الوقور الحاج سليمان باشا بلغه الله ماشاء والي صيدا وطرابلس حالا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ٢٣٣ بمباشرة راقمه العبد الضعيف مصطفى علي أفندي المأمور من جانب الدستور .

(٢٢) انظر فان برشيم ص ١٣٤

أنشأ هذه المنارة (المأذنة) المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه .. الأمير سيف الدين (المقر الأشرف السيفي) قطلبغا ناظر الحرمين الشريفين .. أعز الله نصره في تاريخ سنة تسع وستين وسبعمائة .

٤٩ ـ جامع المغاربة ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية ورمم في عهد السلطان عبدالعزيز(٢٣).

٥٠ ـ سبيل علاء الدين البشيري (٢٤) .

المنشآت المحيطة بالحرم :

أقام الحكام والأمراء كثيراً من المنشآت حول الحرم لكي تكون مقراً لمدارس تعلم القرآن والسنة أو تستقبل الحجاج في أقرب مكان من بيت المقدس .

وهناك منشآت أثرية مازالت قائمة نستطيع أن نذكر منها :

٥١ ـ جامع عمـــر :

ولقد أنشىء في واجهة حدود الحرم الشريف من الجنوب بموازاة المسجد الأقصى وفي المكان الذي كان عمر بن الخطاب قد صلى فيه . (ويطلق الغربيون خطأ اسم جامع عمر على قبة الصخرة) . أنشأه أولاً الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي .

ولقد أعيد بناء هذا الجامع وبخاصة مئذنته على أساس قديم عام ١٤٦٣ م .

٥٢ ـ القصور الأمويـــة :

بعد حرب ١٩٦٧ استأنف الأثري الاسرائيلي مازار مع زمرة من طلابه والمتطوعين (٢٠ ـ ٢٥) وعلى أرض وقفية اسلامية حفرياته التي ابتدأت في عام ١٩٦٨ ، وكان هدفه من هذه الحفريات :

---

(٢٣) انظر فان برشيم ص ٢١٧ .
قد أمر بتعمير هذا المسجد المالكي الشريف والمكان المبارك المنيف سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين وحامي أول القبلتين ذو الشوكة والشأن مولانا السلطان عبدالعزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان من آل عثمان أدام الله تعالى ملكه وجعل الدنيا بأسرها ملكه شعبان سنة ١٣٨٨ .

(٢٤) انظر فان برشيم ص ١٣٩
بسملة .. جدد هذا البئر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي وذلك بنظر المقر الحسامي حسن قجا نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين أعز الله أنصاره .
وسعى في عمارته العبد الفقير إلى الله تعالى الحاج ابراهيم الرومي غفر الله له ولجميع المسلمين وأشرط أن لايسقى منه سقاء الا الفقراء والمساكين ولا يباح لأحد بملأ بقربة بتاريخ جمادي الآخر سنة تسع وثلاثين وثمان مائة .

١ ــ السعي إلى توسيع حدود حائط المبكى الممتد ٦٠ متراً ، لكي يصبح ٤٨٥ متراً .
٢ ــ الكشف عن السوية العبرية وابراز معالم الهيكل .

فلقد قامت البعثة بعمليات الحفر وأعلن مازار في تقريره (٢٥) أن الجدار الجنوبي للأقصى الذي يقوم فوق الصخر الطبيعي شرقاً وغرباً ، هو بناء اسلامي .

وفي عام ١٩٧٠م كان الأثري بن دوف مساعد مازار قد اكتشف في السوية الاسلامية ثلاثة قصور أموية قام بدراستها .

وتقع هذه القصور الثلاثة تحت مدينة ابنات التي هدمت في حي المغاربة ويؤكد بن دوف على سوية هذه القصور الأثرية لتشابهها القوي مع باقي القصور الأموية في بلاد الشام، سواء بمخططها أو بزخارفها . ويقول بن دوف في تقريره (٢٦) (إن هذه القصور طبق الأصل لما وجد في قصور الأردن وفلسطين مما وصفه كزيرول) .

٥٣ ــ جدار البراق :

وهو جدار البراق . وكان قد أنشأه الامبراطور هدريان كمعبد للشمس على أنقاض معبد هيرودوس كما أنشأ المدينة الجديدة (ايليا كابتولينا) على أنقاض أررساليم التي هدمها ولم يبق من هذه المدينة الا قنطرة ويلسون وقنطرة روبنسون (وهذان أسما المكتشفين) .

وفي ظل الانتداب الانكليزي ابتدأ اليهود ينتحبون أمام الجدار فسمي جدار المبكى رقامت لجنة البراق الدولية ١٩٣٠ فأكدت ملكية الجدار الاسلامية . وأعطت اليهود حق البكاء والتضرع .

ولقد تم توسيع جدار البراق ــ المبكى فأصبح طوله ٣٦٠ م بعد أن كان قبل عام ١٩٧٦م ــ ٦٠ متراً فقط. وأزيل حي المغاربة وأنشيء مكانه حي ديني لتسهيل مهمة الحج قام على تصميم المعمار الصهيوني سافديه أولاً ثم استبدل بمشروع المعمار الإيطالي اليهودي دافيد فيشر .

---

(٢٥) نشرته الجمعية الأثرية الاسرائيليةعام ١٩٧١ .

(٢٦) Meir Ben Dove: The Omeyyad Structures Near the Temple Mount 1969-1970.
وانظر مقال الاستاذ محمود العابدي : الحفريات حول الحرم ، حولية الآثار الاردنية ١٧/١٥ .

٥٤ ـ المدرسة التنكزية :

وتقع قرب باب السلسلة ليس بعيداً عن الحرم، أنشئت عام ١٣٢٩م من قبل الأمير سيف الدين تنكز حاكم مقاطعة دمشق ثم أصبح نائب السلطنة في بلاد الشام كلها أيام المماليك ولقد أصبحت المدرسة مقراً للقضاء في القرن الخامس عشر . وتعرف هذه المدرسة باسم المحكمة الشرعية .

٥٥ ـ مدفن الأميرة توركان :

التي تعود إلى أسرة مغولية أنشيء هذا المدفن في عام ١٣٥٢م ويقع قريباً من باب السلسلة ويحتوي على واجهة ضيقة تنفتح على درب يؤدي إلى هذا الباب ويغطي المدفن قبة صغيرة تقوم على عنق ثماني .

٥٦ ـ مدفن الأمير طاش تمور :

وعلى الدرب نفسه يقوم أيضاً مدفن الامير طاش تمور من كبار موظفي المماليك شغل مناصب هامة في بلاد الشام . أنشيء المدفن عام ١٣٩٢م ويمتاز بمدخله المرتفع الذي ينتهي في الأعلى بحية مزخرفة بالمقرنصات الجميلة جداً .

٥٧ ـ قصر الأمير محمد بن زمان :

ويقع في شمالي الحرم والأمير هو قائد عند السلطان قايتباي وأنشيء هذا القصر عام ١٤٧٦ م واستخدم لاستقبال الحجاج .

٥٨ ـ المدرسة الأشرفية :

ونقع في الجهة الغربية خارج الحرم أنشئت عام ١٤٨٢م بأمر قايتباي .

٥٩ ـ المدرسة العثمانية :

وتقع قريبة من المدرسة الأشرفية تجاه مدفن قايتباي أنشئت عام ١٤٣٧م .

٦٠ ـ منارة السلسلة :

ولقد أنشئت عام ١٣٢٩م بأمر الأمير سيف الدين تنكز الناصري حاكم القدس ،

وهي مشابهة لمنارة الغوانمة وتقع قريباً من باب القطانين في الجهة الشمالية الغربية من خارج الحرم .

٦١ — مقبرة الملك بركة خان :

أنشئت عام ٦٦٤ هـ لله ١٢٦١ م وهي ذات واجهة جميلة عليها رنك مملوكي . وصارت هذه المقبرة مقراً للمكتبة الخالدية [27] .

٦٢ — المدرسة الجاولية :

التي أنشئت عام ١٣١٥ — ١٣٢٠ م وكانت تشغلها السرايا [27] .

٦٣ — المدرسة الصادرية :

أنشئت عام ١٣٦٨ — ١٣٦٩ م وتقع شمالي الحرم [27] .

٦٤ — المدرسة الملكية :

أنشئت عام ١٣٤٠م وتقع شمالي الحرم أيضاً .

٦٥ — قبر الحسين بن علي ١٩٣١ :

شريف مكة وملك الحجاز ويقع في الجهة الغربية من الحرم [27] ضمن مدرسة من العصر المملوكي تعود إلى عام ١٣٦٧ م .

٦٦ — قبر محمد علي :

من الهند ١٩٣٠م ، وضمن بناء مملوكي يعود إلى عام ١٣٥٣م [27] .

---

(18) A. Duncan The Noble Sanctuty - Longman.

(27) M.G. Van Berchem et S. Ory La Jerusalem Musulmane ed de trois cntinents-Lansanne.

يوسف درويش غوانمة

جامعة اليرموك – الأردن

نيابة بيت المقدس

تأسيس النيابة :

تمكنت دولة المماليك الناشئة في مصر من بسط نفوذها على بلاد الشام ، بعد انهيار المقاومة الايوبية ، وتصديهم للتتار وتدمير قواتهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م . فورث المماليك والحالة هذه أملاك أسيادهم الايوبيين ، وتشكلت في بلاد الشام ست نيابات ، قامت على أنقاض الممالك الايوبية التي كانت قائمة فيها . لم تتكون هذه النيابات دفعة واحدة بل جاءت على فترات تبعا للظروف التي كانت توجب اقامتها ، وهذه النيابات هي : نيابة دمشق ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماه ، ونيابة الكرك ، ونيابة صفد(١) .

ولكن الناصر محمد بن قلاوون أقام نيابتين جديدتين الاولى في غزه (٢) ، والثانية في بيت المقدس . وولى في نيابة بيت المقدس الاميرعلم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي (ت ٧٤٥ هـ) ، وأضاف اليه وظيفة (ناظر الحرمين الشريفين) (٣) . وكانت نيابة بيت

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا مصورة عن الطبعة الاميرية ، القاهرة ، ج٤ ص ٩١ ، ١٨٠ . الخالدي : كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الا نشا ، مخطوط ، مكتبة جامعة القاهرة ، لوحة ٧ .

Cohen & Lewis,
Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton, 1978, P.9.

(٢) فأبو المحاسن يقول : (حتى أن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه الهيئة وكانت قبل كآحاد قرى البلا د الشامية ، وجعل لها نائبا وسمي بملك الامراء ، ولم تكن قبل ذلك الا ضيعة من ضياع الرملة). (النجوم الزاهرة ، ج ٩ ص.١٩٨ ، ويذكر أبو المحاسن أن نائبها سنة ٦٩٩ هـ كان الاميرر كن الدين الجمالي (النجوم الزاهرة ، ج.٨ ص ١٩٠) .–

(٣) مجير الدين الحنبلي : الا نس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ط مكتبة المحتسب ، عمان ، ١٩٧٣ ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

المقدس تابعة لنيابة دمشق ، والتولية في معظم وظائفها من نائب دمشق [1] ، وبقيت على هذه الحال حتى أصبحت نيابة مستقلة كغيرها من نيابات بلاد الشام . وقد تضاربت الآراء حول تحديد التاريخ الذي أصبحت فيه نيابة مستقلة ، ثم ما هي الاسباب التي دعت السلاطين المماليك الى جعلها كذلك ؟ .

فالنصوص التي لدينا متضاربة ، فمجير الدين الحنبلي ذكر في كتابه الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل أن الناصر محمد بن قلاوون ولى الامير علم الدين سنجر الجاولي (نظر الحرمين الشريفين والنيابة بالقدس الشريف وبلد الخليل عليه السلام) [2] بحدود سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) [3] . وذكر أيضا أن الأمير تمراز المؤيدي كان يتولى هذا المنصب في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٥٧ م) [4] . وفي سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠) تولاه الامير بدر الدين حسن بن عماد الدين العسكري ، أما الامير ناصر الدين محمد بن بهادر فكان متوليا لنيابة بيت المقدس في سنة ٧٨٩ هـ (١٣٨٧ م) . وذكر أيضاً أن الامير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن تولى النيابة في سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) ثم شغل هذا المنصب في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) الامير بلوي الظاهري ، وفي السنة التالية ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) تولاه الامير جانتمر الركني الظاهري ، وفي رجب من نفس السنة تولى النيابة بأمر من السلطان برقوق الامير شهاب الدين أحمد اليغموري [5].

أما الخالدي فذكر في كتابه المقصد الرفيع المنشأ أن نيابة دمشق فيها ست نيابات هي : نيابة القدس ، ونيابة صرخد ، ونيابة بعلبك ، ونيابة حمص ، ونيابة عجلون ، ونيابة مصياف . ولكن نيابة القدس أصبحت طبلخاناه في سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) ، وفيما بعد صار متوليها من الابواب الشريفة في القاهرة ، ويضاف اليه الرملة ونابلس [6].

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٢ .

(٣) ابن حبيب ، درة الاسلاك في دولة الاتراك ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ١ لوحة ٩٨.

(٤) مجير الدين الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٢ . وانظر : أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٣٨٨ .

(٥) مجير الدين الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٦) الخالدي ، المقصد الرفيع المنشأ ، لوحة ١٤٧ (مخطوط).

ويذكر القلقشندي في صبح الاعشى أن النيابة في بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ونيابتها أمرة طبلخاناه، وجرت العادة أن يضاف اليها نظر القدس والخليل(١) .

ولكن المقريزي يذكر في أحداث سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م)، ان السلطان برقوق أنعم على (قردم الحسيني بنيابة القدس) (٢) بينما كان في غزة في طريقه لمحاربة التتار بقيادة تيمورلنك الذي اخذ يضغط على الحدود الشرقية للدولة المملوكية (٣) .

ومن المعروف أن المماليك ورثوا عن أسيادهم الايوبيين مهمة الجهاد ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام ، وخاض سلاطينهم معارك طاحنة ضدهم تمكن السلطان الاشرف خليل من فتح عكا آخر المعاقل الصليبية في فلسطين(٤) وبذلك تم تطهير بلاد الشام من الفرنج نهائيا سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) . ولكن الصليبيين لم ييأسوا، بل اخذوا يقومون بأعمال عدوانية ضد المماليك منطلقين من قبرص حينا، ومن الدويلات الاوربية احياناً أخرى، ثم زادت اتصالاتهم بالتتار،وصاروا يعملون على اقامة حلف معهم كي تبقى حدود دولة المماليك الشرقية في خطر مستمر(٥)، ولتمكين الصليبيين من استعادة الاراضي التي في بلاد الشام وعلى رأسها بيت المقدس،وفعلا أقيم تحالف بين التتار والغرب الاوربي ومملكة أرمينية الصغرى والقوى الصليبية في بلاد الشام لهذه الغاية .(٦)

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .
أمير طبلخاناه : هو الأمير الذي يكون بخدمته أربعون مملوكا ، وتدق بابه بعد صلاة المغرب كل يوم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وتوقد المشاعل، والطبلخاناه تعني الفرقة الموسيقية السلطانية وهي مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في الدولة المملوكية . ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١٣٣).

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .

(٣) المقريزي : نفس المصدر ، ص ٨١٣ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٧٦٤ وما بعدها .
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن في عصر دولة المماليك الاولى ، القسم السياسي ، ص ١٣٤ .
Atiya, The Crusades in the Later Middle ages, New York, 1970, P. 30.

(٥) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، سلسلة أعلام العرب ص ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٥ .

(٦) سعيد عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٩٦ .

اذن فكرة السيطرة على بيت المقدس ظل أملا يراود الفرنج طيلة العصر المملوكي فبعد سقوط عكا قاموا بحصار اقتصادي ضد المماليك ، كما شنوا الغارات المتكررة على سواحل مصر والشام لتحقيق هذه الغاية . (١) وأعنف هذه الغزوات تلك التي شنها بطرس لوزجنان سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م) على مدينة الاسكندرية ، فاجتاحت قواته المدينة ثلاثة أيام ، وقتلت ودمرت وأسرت الكثير من أهالي المدينة ، وبعد أن تم لهم ما أرادوا غادروا الاسكندرية الى بلادهم (٢) وفي سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) قام الفرنج بحملة ضد طرابلس الشام ، فدخلوا المدينة ونهبوا بعض الاسواق وحملوا معهم بعض الاسرى وقتلوا آخرين من سكان المدينة (٣) . وهكذا دخلت الدولة المملوكية حربا بحرية مع الفرنج ناهيك عن الحصار الاقتصادي الذي أيده البابا وباركه .

ونتيجة لغزوة بطرس لوزجنان على الاسكندرية ، استلزم الامر أن يتولى الاسكندرية أمير كبير ، كي يتمكن من الوقوف في وجه الاخطار الصليبية فولى السلطان الاشرف شعبان الامير بكتمر الشريفي نيابة الاسكندرية (وهو أول نائب ولي نيابة الاسكندرية من النواب) (٤) .

لقد أظهر المماليك تفهما كبيرا للخطرين الصليبي والتتاري ، واستعدوا لذلك فالظاهر بيبرس أقام خطا دفاعيا قويا على الحدود الشرقية لدولته وشحنه بالرجال والعتاد ، وأحكمه

---

(١) سعيد عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٩٦ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ٢ ص ٨١٣ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٥٢ .

Atiya, op. cit. pp. 36 - 38.

(٣) النويري الاسكندراني : كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، الهند ، ١٩٧٠ م ج ٢ ص ١١٣ .
المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٠٩ .

Atiya, op. cit. pp.. 354 - 366.

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ق ١ ص ١٤٩ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٥٢ .

(٥) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢٠ . ويقول المقريزي (وهو أول من باشر ها نيابة سلطنة) . (السلوك ج ٣ ق ١ ص ص ١١٥) . وانظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط دار الشعب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

بشبكة اتصال قوية تربطه بالقاهرة ، كما أقام خطا دفاعيا آخر يمتد من الشوبك ، والكرك جنوبا الى أعالي العاصي شمالا ، كي يقف في وجه الخطرين التتاري والصليبي معا .[1] فالصليبيون هددوا السواحل المصرية والشامية ، واجتاحوا مدنه وعطلوا حركة التجارة والاتصالات البحرية المملوكية . أما التتار فكانوا يعبرون الفرات في طريقهم الى بلاد الشام والديار المصرية ، ولكن سرعان ما تتصدى لهم القوات المملوكية فيعودون القهقرى الى بلادهم ، وان كانوا قد وصلوا الى غزة واجتاحوا دمشق بقيادة محمود غازان سنة ٦٩٩ ﻫ (١٢٩٩ م)[2] ثم اجتاحوها مرة اخرى سنة ٨٠٣ ﻫ (١٤٠٠ م) بقيادة تيمورلنك وسفكوا دماء الكثير من سكانها وسكان المدن الفلسطينية الاخرى ولكنهم لم يدخلوا بيت المقدس فسلم من عبثهم وتدميرهم .

ان الهدف الحقيقي من وراء الهجمات الصليبية وتحالفهم وتعاونهم مع التتار اعادة سيطرتهم على فلسطين وبيت المقدس بالذات ، فغزوة القبارصة على الاسكندرية سنة ٧٦٧ ﻫ (١٣٦٥ م) كان غرضها الوصول الى بيت المقدس عن طريق القاهرة[3] . وبعد فشلهم حوّل الفرنج نشاطهم نحو بلاد الشام ، فهاجموا طرابلس ونهبوها ، ثم هددوا بيت المقدس نفسه ، حيث اجتاحت قواتهم يافا فرضة القدس على البحر المتوسط في سنة ٨١٣ ﻫ (١٤١٠ م)[4] ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تسللت قوات فرنجية الى القدس نفسه عن طريق الحج[5] ، ولكنهم لم يستطيعوا تحقيق حلمهم القديم .

---

(١) سعيد عاشور : الظاهر بيبرس ، ص ٩٤ ، احمد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك في مصر والشام ، ص ٢٠٨ ؛ يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الأردن (القسم السياسي) ، ص ٥٧ .

(٢) يقول المقريزي (امتدت التتر الى القدس والكرك تنهب وتأسر) ، السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٠ ويقول أيضا : (نهبت التتار الاغوار حتى بلغوا الى القدس وعبروا غزة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا الى دمشق وقد أسروا خلقا كثيرا) ؛ السلوك ، ج ١ ق ٣ ص ٨٩٦ وانظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٨ ص ١٢٢ .

Atiya, op, Cit. P. 357.

(٣) ويذكر النويري الاسكندراني أن الذين اشتركوا مع القبارصة في غزوة الاسكندرية : البنادقة ١٤ غرابا ، الجنوية ٢ غرابين ، الروادسة ١٠ غربان ، الفرنسيسيين ٥ غربان .
(الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ٢٣٠) .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

(٥) مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣١٧ .

ولما أدرك السلطان الاشرف شعبان عظم الخطر الذي يهدد بيت المقدس من الصليبيين ، عمد الى رفع مرتبة نائبها فجعله برتبة طبلخاناه(1) ، ولكن النيابة بقيت مرتبطة بنائب دمشق . وقد زود السلطان نائب بيت المقدس بالقوات والعتاد كي يتمكن من صد الاخطار التي تهدد البلد المقدس . الا أن المقريزي ذكر في سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣) م أن السلطان الظاهر برقوق أنعم على الامير قردم الحسيني بنيابة القدس ، وذلك في غزة أثناء توجهه لمحاربة التتار بزعامة تيمورلنك .

وهذا النص الذي أورده المقريزي ، هو أول اشارة صريحة عن تولية نائب لنيابة بيت المقدس من قبل السلطان في القاهرة ، وسببه الخطر التتاري الذي أخذ يهدد دولة المماليك وبلاد الشام ويضغط عليها بشدة . ان خوف الظاهر برقوق على المدينة المقدسة ، دفعه الى استحداث نيابة مستقلة فيها ، كي تستطيع الوقوف في وجه الاخطار الداهمة تماما كما فعل السلطان الاشرف شعبان بعد غزوة بطرس لوزجنان للاسكندرية فاستحدث نيابة الاسكندرية وجعل فيها أميرا كبيرا وزوده بالرجال والعتاد ، للوقوف في وجه الخطر الفرنجي الذي ما فتىء يهدد السواحل الشامية والمصرية معا .

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ، أن مجير الدين الحنبلي ذكر أن تولية النيابة والنظر في بيت المقدس كان يتم من قبل نواب الشام ، ولم يزل الامر كذلك الى نحو ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) فأصبح تولية النائب من قبل السلطان في القاهرة(2) . والملاحظ هنا أن التاريخين لدى المقريزي أو الحنبلي متقاربان ، مما يدعم وجهة النظر التي ذهبنا اليها . أضف الى ذلك أن المقريزي وأبا المحاسن يشيران بعد هذا التاريخ الى تولية نواب في نيابة بيت المقدس كغيرها

---

(1) وقد أيد ذلك المؤرخان الخالدي والقلقشندي معا ، أما التاريخ الذي ذكره القلقشندي من أن نيابة بيت المقدس استحدثت في سنة ٧٧٧ هـ (١٣٧٥ م) ، فاننا لا نميل الى الاخذ به ، فمن دراستنا للاحوال السياسية والعسكرية في هذه السنة ، لم نجد فيها من الامور الهامة التي دفعت السلطان لاستحداث نيابة في بيت المقدس ، فلا يوجد ما يبرر هذا العمل .

القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .

الخالدي : المقصد الرفيع ، لوحة ١٤٧ (مخطوط) .

(2) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨١ .

من نيابات بلاد الشام(١) . ففي سنة ٨٤٤ ﻫ (١٤٤٠ م) ذكر المقريزي النيابات في بلاد الشام على النحو التالي : نيابة الشام ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حماه ، ونيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس ، ونيابة الكرك(٢) . أما أبو المحاسن فزاد عليها نيابة ملطية (٣) . ومن هنا نجد أنه اصبح في فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة بيت المقدس ، ونيابة غزة ، وهذا يناقض ما ذهب اليه لويس وغيره من الباحثين ، من أن فلسطين في العصر المملوكي كانت تشتمل على نيابتين فقط ، هما نيابة غزة ونيابة صفد (٤) .

وهكذا فالسلاطين المماليك ، أولوا المدينة المقدسة أهمية خاصة فجعلوها نيابة مستقلة في سنة ٧٩٦ ﻫ (١٣٩٣ م) على رأسها أمير كبير ، كي يقف بقوة وحزم أمام الاخطار والاطماع الصليبية والتتارية معا .

الوظائف في نيابة بيت المقدس

نائب السلطنة :

أصبح بيت المقدس نيابة مستقلة سنة ٧٩٦ ﻫ (١٣٩٣ م) ، على رأسها امير كبير ولايته بمرسوم شريف من القاهرة . وكان نائب السلطنة يقيم في (دار النيابة)(٥) ، الواقعة

(١) وعلى سبيل المثال انظر : المقريزي : في السلوك ، ج ٣ ق ٣ ص ١٠٣٨ ، ج ٤ ق ١ ص : ٨١ ، ٨٨ ، ١٠٩ ، ١٣٨ ، ١٨٨ ، ٢٦٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥١ ، ٤٨٣ . ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥ ، ج ٤ ق ٣ ص ١١٦١ . وانظر أيضا : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ص ٢٣١ ج ١٣ ص٧٥ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ج ١٤ ص ١٠ ، ٢٦٢ ، ج ١٥ ص ٧٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٩٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٤٨ ، ٥٣٢ ، ج ١٦ ص ١٢٧ ، ١٣٠ .
وانظر كذلك : ابن الصيرفي : نزهة النفوس والابدان ، ج ٢ ص ٢٨٧ ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٣٤٨ .

(٢) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١٢٠٠ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ص ٢٢٦ .
ملطية أو ملاطية : بلدة كبيرة حصينة ، تقع على سفوح جبال اللكام ، وهي احدى الحصون المنيعة منذ العصر العباسي ، تكثر حولها التلال المكسوة بالاشجار والسهول الخصبة .
(لي سترانج : فلسطين في العهد الاسلامي ، ص ٤٨٠).

(٤) Cohen & Lewis, Population and Revenue in the towns of Palestine, P.9.

(٥) مجير الدين الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

بجانب الرواق العلوي من المسجد الاقصى بجوار منارة الغوانمة [1] . وكان النائب يجلس في صدر الايوان الخاص المسمى (ايوان الحكم) ، ليحكم بين الناس وللنظر في شؤون النيابة ولكن نائب بيت المقدس خضر بك بنى مقعدا ملاصقا لايوان الحكم من جهة الشمال وصار يجلس فيه على عادة (مجالس الحكم) في الديار المصرية[2] . ودار النيابة هذه اقيمت مكان المدرسة الجاولية التي بناها الامير علم الدين سنجر الجاولي سنة ٧١٥ هـ ، خصصها للمذهب الشافعي ، وتحولت الى دار للنيابة في سنة ٨٠٠ هـ (١٤٠٠ م)[3].

وكان لنائب بيت المقدس اقطاع خاص ، يشتمل على عدة قرى ، وذكرت المصادر أن من بين هذا الاقطاع مدينة أريحا في غور الاردن[4] . وفي أحيان كان يجمع اليه نظر الحرمين الشريفين القدس والخليل فيطلقون عليه (ناظر الحرمين ونائب السلطنة بالقدس الشريف وبلد سيدنا الخليل) وهذا امتياز لم يحظ به أي نائب من نواب بلاد الشام، وبهذا نال النائب قوة وتشريفا . وفي احيان كان النائب يجمع بين : كاشف الرملة، وكاشف نابلس واستادار الاغوار ، ومتولي السلط وعجلون ، كما حدث سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) في دولة الاشرف برسباي ، الذي جمع للامير طوغان العثماني بين هذه الوظائف ، [5] وهو أقصى اتساع بلغته نيابة بيت المقدس .

---

(١) المنهاجي السيوطي : أتحاف الا خصا بفضائل المسجد الاقصى ، مخطوط جامعة برنستون ، لوحة ٧٤٥ .
مجير الدين الحنبلي ، المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٠٨ .
(٢) مجير الدين الحنبلي ، نفس المصدر ، ص ٣٣٧ .
(٣) مجير الدين الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
عارف العارف : تاريخ القدس ، ص ٩٠ .
(٤) مجير الدين الحنبلي ، المصدر نفسه ، ص ٧٥ ، ٣٢٣ .
أريحا : عاصمة الغور ويعتبرها اليعقوبي من البلقاء ، وتبعد مسافة يوم عن القدس (لي سترانج : ص ٣١٥) .
(٥) ابن الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، القاهرة ، ١٩٧٠ – ١٩٧٤ ، ج ٣ ص ٣٨٣.
مجير الدين الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٧٥ .
الكاشف : من وظائف أرباب السيوف ، ويحكم على جميع البلاد التي يتولى كشفها فيجتمع الى الامراء ويمد السماط ويحضره القضاة وتقرأ القصص بين يدية .
(القلقشندي : صبح الا عشى ، ج ٤ ص ٢٥) .
الا ستادار : من وظائف أرباب السيوف ، وتعني الا مير الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ، وكان يتولى أمر البيوت السلطانية كلها ، وصاحبها أمير كبير .
(القلقشندي : صبح الا عشى ، ج ٥ ص ٤٥٧) .

أما تولية النائب فكانت تتم بمرسوم سلطاني، وعندما يتولى هذا المنصب أو تجدد نيابته مرة أخرى، يدخل المدينة مرتديا خلعة النيابة، يحف به القضاة والمماليك وأعيان المدينة فتتزين الاسواق وتدق البشائر، ثم يدخل المسجد الاقصى حيث يقرأ المرسوم السلطاني على المجتمعين[1]. وكانت الطبلخاناة تدق على باب بيته كل ليلة[2]، تماما كما يحدث للامراء الكبار في الديار المصرية.

ولنيابة السلطنة في بيت المقدس ثلاث ولايات:

١ — ولاية الخليل.
٢ — ولاية نابلس.
٣ — ولاية الرملة[3]، وفي أحيان كان المرسوم السلطاني ينص على توليته (نيابة القدس ونظر الخليل وكشف الرملة ونابلس)[4].

وفي أواخر القرن التاسع الهجري، تولى نيابة بيت المقدس نواب اشتهروا بالظلم والقسوة، فأساؤوا الى النيابة وسكانها، ومنهم من تولاها بمال بذله الى السلطان في القاهرة. ففي سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) تولى النيابة ونظر الحرمين بالقدس الامير دقماق (ببذل عشرة آلاف دينار للخزائن الشريفة، غير ما تكلفه لاركان الدولة)[5].

ومن الوظائف الاخرى الموجودة في النيابة نذكر: نائب القلعة، ووالي المدينة والحاجب، والدوادار، أما الوظائف الدينية فمنها: ناظر الحرمين الشريفين، ومشيخة الصلاحية، والقضاة والمحتسب وناظر البيمارستان. أما الوظائف الديوانية فنذكر منها:

---

(١) مجير الدين الحنبلي، المصدر نفسه، ج ٢ ص ٣٣٧.
(٢) مجير الدين الحنبلي، المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
(٣) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٤٧ (مخطوط).
مجير الدين الحنبلي، المصدر نفسه، ج ٢ ص: ٢٧٥، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٤.
(٤) المقريزي: السلوك، ج ٤ ق ٢ ص ٩٧٥. وانظر:
ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ٣ ص ٣٤٨.
(٥) مجير الدين الحنبلي: الانس الجليل، ج ٢ ص ٣٤٢.

ناظر الجيش :

وموضوعها التحدث في الاقطاعات الخاصة بنيابة بيت المقدس، والكتابة بالكشف عنها ، وأخذ خط النائب عليها بعد أخذ رأيه، وضبط الاقطاعات المقطعة للامراء والاجناد في النيابة ، ثم الكتابة الى السلطان عن الاقطاعات المتوفرة عن أصحابها بالموت ونحوها، حيث تحمل الى ديوان الجيش بالديار المصرية وبمقتضى ذلك يخرج المنشور السلطاني بشأن هذه الاقطاعات(١) . ولهذه الوظيفة ديوان خاص يثبت فيه المناشير الخاصة بالاقطاعات المقطعة في النيابة ، والصادرة من السلطان في القاهرة . ويساعد الناظر في مهمته كتاب وشهود(٢) .

جيش نيابة بيت المقــدس

تردد في المصادر عن وجود قوات في نيابة بيت المقدس ، مما يؤكد أن جيشا خاصا وجد بها، مثلها في ذلك مثل بقية نيابات بلاد الشام . ولدينا احصائية بعدد جيوش نيابات بلاد الشام أوردها ابن شاهين الظاهري ، ولكنه لم يورد شيئا عن عدد جيش بيت المقدس (٣) . وبذا لا نستطيع اعطاء رقم صحيح لعدد هذا الجيش، وان كنا نرى بالمقارنة بجيوش نيابات كل من حماه وصفد والكرك (٤)، أن جيش نيابة بيت المقدس كان بحدود الالف فارس ما عدا الرجالة ورجال القبائل العربية في جبل القدس والخليل وجبل نابلس.

وقد اشتركت قوات بيت المقدس في قمع الفتن في النيابة نفسها وفي خارجها وفي التجاريد والحروب التي خاضها المماليك ضد العثمانيين . ففي سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) ثارت عربان بني عقبة في شرقي الاردن على نائب الكرك، فطلب السلطان الى نائب القدس ونائب غزة نجدة نائب الكرك(٥) الا أنه في الوقت نفسه أسر لنائب غزة القاء القبض على

---

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٠ .
(٢) القلقشندي، المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣١ .
(٣) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٩ م ص ١٠٤ ، ١٠٠ .
(٤) ابن شاهين الظاهري ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ . وللباحث : تاريخ شرقي الاردن (القسم الحضاري) ص ٢١ .
(٥) المقريزي : السلوك، ج ٤ ق ١ ص ٤٤٦ .

نائب الكرك ، فألقى النائبان القبض عليه حسب رغبة السلطان،وأرسل مع نائب القدس الى دمشق حيث سجن بقلعتها . (1) وفي سنة ٨٢٧ ﻫ (١٤٢٤ م) اشتركت قوات القدس بقيادة نائبها الامير شاهين الذباح في قتال نائب دمشق تنبك البجاسي الثائر في دمشق، بالاشتراك مع قوات مصر وصفد ، وتمكنوا من القاء القبض عليه، واعتقاله في قلعة دمشق(2). ثم اشتركت قوات بيت المقدس مع قوات مصر وصفد في سنة ٨٤٢ ﻫ (١٤٣٨ م) لمحاربة الامير اينال الحكمي نائب دمشق الخارج عن الطاعة ، فحاربوه وهزموه وألقوا القبض عليه(3) .

وفي أواخر دولة المماليك الثانية قام المماليك بارسال التجاريد لمحاربة شاه سوار وأعوانه الذين صاروا يضغطون بشدة على حدود دولتهم الشرقية والشمالية . وقد اشتركت القوات من بلاد الشام في هذه التجاريد،وخصوصا الرجال المجندون من جبل القدس والخليل وجبل نابلس (4) . ففي سنة ٨٧٥ ﻫ (١٤٧٠ م) اشتركت قوات بيت المقدس بقيادة نائبها الامير يوسف الجمالي في قتال شاه سوار بصحبة القائد الامير يشبك الدوادار . فهزما شاه سوار والقيا القبض عليه،واستولت القوات المملوكية على البلاد التي كان قد استولى عليها ، وكانت قوات بيت المقدس قد عادت من هذه التجريدة في ٢٣ شعبان ٨٧٦ ﻫ (5) .

وفي سنة ٨٨٩ ﻫ (١٤٨٤ م) بدأت الخلافات بين السلطان الاشرف قايتباي والسلطان

---

(1) المقريزي : المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ٤٥١ .

(2) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٢٦٥ ، ابن الصيرفي : نزهة النفوس ص ٣٩ ، ٤٤ . وانظر : الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

(3) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٣ ص ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ .

(4) وقد قتل شاه سوار الكثير من الجيش المملوكي ، فابن اياس يذكر القتلى في احدى هذه التجاريد «وأما من قتل من الجند والمماليك السلطانية ومشايخ عربان جبل نابلس والعشير والتركات والغلمان فاما أمكن حصره ».
(ابن اياس ، بدائع الزهور ، ط الشعب ص ٤١٣).

(5) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٩١ . وانظر : ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ويصف ابن اياس نهاية شاه سوار ويذكر أنه اقتيد الى القاهرة حيث اعدم على باب زويلة سنة ٨٧٧ ﻫ .
(بدائع الزهور ، ٤٣٩) .

بايزيد بن عثمان ملك الروم (١)، فجهز الاشرف قايتباي القوات لقتال ابن عثمان وحليفه علي دولات أخي سوار، وأرسل يطلب القوات من بلاد الشام . فقام الامير جانم نائب القدس باعداد القوات من القبائل العربية وأهالي جبل نابلس والقدس، وسار بهم الى الرملة حيث التقى مع الجيش المملوكي القادم من مصر بقيادة الامير تمراز التمشي (٢) .

واستمرت الحروب بين الطرفين، فأرسل السلطان في السنة التالية تجريدة لقتال ابن عثمان ، وصفها ابن اياس بأنها (من أعظم التجاريد) (٣) ، ولكن السلطان اضطر الى جمع الاموال والرجال من انحاء الدولة (وحصل للناس من المماليك مالا خير فيه، من أخذ البغال والخيول وغير ذلك، مما حصل به الضرر الشامل وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة) (٤) . حتى إن العلماء والفقهاء لم يسلموا من ذلك، ففي سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) ، قدم الامير مماي الخاصكي الى بيت المقدس ورسم على أكابر الناس وأخذ منهم مالا، فأخذ من ناظر الحرمين الامير ناصر الدين بن النشاشيبي أربعة بغال وحصانا، ومن النائب جانم ٢٠٠ دينار ، ومن شيخ الصلاحيه ٣٠ ديناراً ومن القاضي فخر الدين بن نسيبه ٤٠٠ دينار ومن القاضي شهاب الدين الجوهري ٣٠٠ دينار ، وحصل للناس في بيت المقدس منه شدة (٥) . ثم قدم بعده الامير آقبردي الدوادار لتجهيز الرجال من جبل نابلس والقدس لقتال بايزيد بن عثمان ملك الروم ، وصار يتنقل من مكان الى آخر لجمع الرجال ودفع النفقات لهم . فتارة ينزل بأرض قاقون وتارة بأرض اللجون (٦) وتارة بالرملة ، وأثناء

---

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥١٨ .

(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٢ . ويقول ابن اياس ان هذه الحادثة أول الفتن مع ابن عثمان بسبب تعصب الاخير لعلي دولات ، واستمرت الحروب بين العثمانين والمماليك حتى انتهت بسقوط الدولة المملوكية .
(بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٢).

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٢٨ .

(٤) ابن اياس : المصدر نفسه ، ص ٥٢٩ .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٦) قاقون : حصن يقع في فلسطين بجوار طولكرم، وكان يتبع لاقليم قيسارية الواقعة على الشاطىء ، وورد ذكره في المصادر الصليبية كاكو ، وشاكو .
(لي سترانج ، ص ٤٣٨) .
اللجون : بلدة تقع في حد فلسطين مع الاردن على بعد ٢٠ ميلا عن طبريا و ٤٠ ميلا عن الرملة . وهناك اللجون الواقعة في البلقاء بشرقي الاردن على طريق الحج .
(لي سترانج ، ص ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

اقامته في جبل نابلس أبقى الشيخ خليل بن اسماعيل في مشيخة جبل نابلس على عادته(١) .

ولكن الصراع مع ابن عثمان والمماليك أخذ يزداد ويستشرى ، ففي سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨ م) أمر السلطان بإعداد القوات لمحاربة ابن عثمان . فارسل الأمير آقبردي الدوادار والقاضي زين الدين بن مزهر كاتب السرالي جبل نابلس والقدس لتجهيز القوات للاشتراك في التجريدة (٢) وحضر أعيان بيت المقدس للقائهما في الرملة ، فسلم الأمير آقبردي لنائب القدس وقاضيها مبلغ خمسة آلاف دينار ليصرفها الى الرجال المعينين من جبل القدس والخليل (٣) . وعند تمام استعدادهم غادرت القوات بيت المقدس ، في مستهل رجب ، وانضمت الى قوات جبل نابلس ، ومنها سارت العساكر المقدسية والنابلسية لمحاربة ابن عثمان وحصلت (الشدة بسبب التجاريد وذهاب الناس الى بلاد الروم) (٤).

وقد عاد بعض رجال هذه التجريدة الى بلاد هم دون اذن من قادتهم ، فعمد السلطان الى ارسال الامير آقبردي الدوادار الى جبل نابلس والقدس وطلب من نائب القدس دقماق استرجاع مال التجريدة ممن دفع اليه من الرجال . فاسترجع دقماق الاموال بالضرب والحبس والتعذيب (وفعل بهم فعلا لم يسمع بمثله في الجاهلية، حتى إنّ بعض الناس باع ابنته كما يباع الرقيق ، وتفاحش الامر وبقي الناس في شدة شديدة ومحنة لم تعهد بالارض المقدسة من قبل) (٥) . ومع ذلك فان تجهيز المحاربين من القدس ونابلس بقي قائما ، ففي سنة ٨٩٥ هـ (١٤٩٠ م) أرسل السلطان الامير أزبك لجمع الرجال من جبل القدس وجبل الخليل ونابلس وغيرها من المناطق الفاسطينية للاشتراك في حرب بايزيد بن عثمان ، وحصل للناس شدة بسبب ذلك (٦) . ثم انضمت هذه القوات الى قوات الجيش المملوكي القادم من

---

(١) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٣٥ . ويذكر ابن اياس أن آقردي حضر لاخماد الفتن التي حدثت بين عربان جبل نابلس والتي قتل فيها العديد من الامراء وتذكر منهم الامير آقردي بن بخشايش الا ينالي استادار الاغوار . (بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٣١) .

(٢) ابن اياس. : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٧ .

(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٤) الحنبلي. : المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٤٨ .

القاهرة ، وقد وصف ابن اياس هـذه التجريدة بأنها من نوادر التجاريد لكثرة من اشترك فيها من الامراء والاجناد (١) . وتؤكد المصادر أن الطاعون الذي اجتاح البلاد سبع مرات أفنى عددا كبيرا من الجيش المملوكي ، (٢) لذا عمد المماليك الى تجنيد الرجال من نيابة بيت المقدس بسبب كثافتها السكانية ولما عرف عن رجالها من البأس والقوة .

وكان جيش نيابة بيت المقدس كغيره من جيوش النيابات الاخرى في بلاد الشام يشتمل على امراء واجناد ومماليك ، وهو جيش اقطاعي ، لذا وزعت على الأمراء والاجناد الاقطاعات في انحاء النيابة . وكان هذا الجيش يصغر ويكبر حسب الظروف ، فهو في تقديرنا الف فارس نظامي ما عدا الرجاله (المشاة) ومماليك الامراء ، ويبلغ أحيانا الالوف ويضم عندئذ رجال القبائل والعشائر في جبل القدس والخليل وجبل نابلس ، الذين كان السلطان يصرف لهم النفقات والجوامك كما رأينا .

التجارة الداخلية والخارجية في النيابة :

اشتهر بيت المقدس بأسواقه الكثيرة وابنيته العاليه ، وصناعاته العديدة (٣) . وكانت اسواقه زاخرة بصنوف السلع المختلفة ، منها ثلاث قصبات (قيل إنه لم يكن بغالب البلاد نظيرها) (٤) . ومن المعروف أن أسواق المدن الاسلامية في العصور الوسطى ، كانت متخصصة فكل سوق اختص بسلعة معينة ، فوجد في بيت المقدس سوق الزيت ، وسوق القطانين ، وسوق الطباخين (٥) ، وسوق القماش ، وسوق الخضر ، وسوق العطارين ، وسوق الحريرية ، وسوق الفخر (نسبة لفخر الدين صاحب المدرسة الفخرية) وبه المصابن التي يعمل بها الصابون (٦) . وكذا وجدت الاسواق المتخصصة في كل من الخليل والرملة ونابلس (٧) .

---

(١) ابن اياس ، المصدر السابق ، ص٥٥٩.

(٢) Kedar B., Merchants in Crisis, Yale, U.S.A. 1976, P. 14.

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٥٦ ؛ ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ ؛ لي سترانج ، فلسطين في العهد الاسلامي ، ص ٩٧ .

(٤) ابن شاهين : المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٥) الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٦) الحنبلي : المصدر نفسه ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(١) رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

ويحيط بمدينة بيت المقدس منطقة خصبة واسعة ، تقوم بتزويد المدينة المقدسة بكل حاجاتها من الفواكه والحبوب والزيوت ، مثلها في ذلك مثل دمشق التي كانت تعتمد على معظم منتجات الاراضي الشامية كالزيت من نابلس ، والصابون من نابلس والقدس وسرمين (١) ، والتين من حلب والارز من بانياس ، والحليب من بعلبك ، والسكر من الاغوار ، والفحم من عجلون ، والرمان من الساحل ، وبذلك كانت هناك حركة تجارية داخلية بين هذه المدن والمناطق المحيطة بها (٢) .

وكانت الاسواق الاسبوعية التي تقام في المدينة فرصة للقرويين ورجال القبائل للحصول على ما يحتاجون له من سلع ، قابل مقايضتهم لمنتوجاتهم من الحبوب والفواكه والاجبان والبسط والسجاد والزيت والتين المجفف واللوز والجوز وغيره من السلع المختلفة(٣) .

وفي العادة تنشط التجارة الداخلية في بيت المقدس في المواسم ، ففي موسم الحج من كل عام ، يحتشد في بيت المقدس اعداد كبيرة من مسلمي بلاد الشام وغيرها للاحتفال بالحج وزيارة المسجد الاقصى والصلاة . وقد كانوا من الكثرة حيث يبلغ عددهم في بعض السنين عشرين ألفا (٤) . فتنشط الحركة التجارية في اسواق المدينة المقدسة ، ويعم الخير ليس على القدس وحده بل على المنطقه المجاورة ، حيث يهرع سكانها للاتجار مع وفود الزائرين . ولم يقتصر الامر على هذا الموسم (أو السياحة الداخلية) ، بل يجتمع في البيت المقدس اعداد اخرى كبيرة من النصارى واليهود لزيارة أماكنهم المقدسة ، وللاحتفال

---

(١) سرمين : بلدة مشهورة تقع في منطقة حلب وتشتهر باشجار الزيتون وصناعة الصابون المسمى بالاجرى الذي يصدر الى دمشق والقاهرة ، ويصنع فيها نوع من الصابون المعطر ذو ألوان متعددة يستعمل لغسل الوجوه والايدي .

(رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٣ ؛ لي سترانج ص ٣٩٩) .

(٢) Lapidus, Muslim Cities in the Late Middle Ages, U.S.A. 1967. P. 17.

يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٥٥ .

(٣) ناصر خسرو ص ٩٩ ؛ ابن بطوطة ، ص ٩٧ ؛ لي سترانج ، ص ٩٨ ، ٤٨٦ .

(٤) ناصر خسرو ، ص ٥٥ .

بمواسمهم الدينية (١) . لذا تقام في هذه المناسبات الاسواق الخاصة التي تعود بالنفع على تجار القدس والمتسببين من أهالي المناطق المحيطة ، الذين يقصدون البيت المقدس في تلك المواسم . وهؤلاء النصارى يأتون من أنحاء مختلفة من العالم بقصد الحج الى كنيسة القيامة فمنهم الشاميون والاوربيون والمصريون والاحباش ، حتى إن الاحباش بلغوا في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ثلاثة آلاف زائر (٢) ، وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) بلغوا ثمانمائة زائر (٣).

وكانت المعاملات التجارية تتم عن طريق المقايضة أو بوساطة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية المسكوكة في انحاء مختلفة من دولة اماليك . ومع أن المصادر القديمة أشارت الى وجود دار السكة في بيت المقدس ، الا أننا لم نعثر علـى ما يشير الى استمرارها في اداء دورها في العصر المملوكي . فالنيابات في بلاد الشام كانت تتعامل كما اسلفنا بالدنانير والدراهم المملوكية المضروبة في دمشق أو القاهرة (٤) . وتشير المصادر الى وجود الدنانير المصورة في بيت المقدس (٥) . ولا شك أن تجار هذه المدينة كانوا يحصلون عليها عن طريق الحجاج الاوروبيين الذين كانوا يزورون بيت المقدس ، أو عن طريق المبادلات التجارية التي كانت تتم بين بيت المقدس واوروبا عن طريق ميناء يافا على ساحل البحر المتوسط (٦)

لقد كانت العلاقات التجارية بين الدولة المملوكية والدويلات التجارية الايطالية والاوربية في أوج ازدهارها ، وقد كان للتجار الاجانب في الموانىء الشامية والمصرية وكالات وقناصل لرعاية شؤونهم التجارية (٧) . ولم يقتصر الامر على الساحل بل بلغ

---

(١) ناصر خسرو ص ٥٥ ، المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٧ ، ٩٢٨ .
ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٢٣ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج ١ ص ٣٩ .

(٣) ابن طولون : المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ .
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٧٨ .

(٥) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٥ .

(٦) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ١٤٣ .

(٧) النويري الاسكندراني : الالمام بالاعلام ، ج ٢ ص ١٣٧ ، ١٦٥ ، ويذكر أنه وجد في الاسكندرية فندق الكيتلانيين ، وفندق الجنويين ، وفندق الموزة ، وفندق المرسيليين ، ج ٢ ص ١٧١ .

نشاط التجار الاوربيين الى الداخل الى دمشق وعجلون وبيت المقدس (١) . فوجد في بيت المقدس وكالة خصصت للتجار والاجانب (٢) ، بالاضافة الى الخانات والقياسر التي كانت تؤجر للتجار ويباع فيها أصناف البضائع المختلفة(٣) . وذكرت المصادر عن وجود فروع لبعض الشركات التجارية الايطالية فالشركة الفلورنسية Bardi كان لهـا فروع عديدة في ايطاليا نفسها وفي الخارج ، ففي الخارج وجدت فروعها في : برشاونة ، وقبرص وأرغون ، والقسطنطينية ، والقدس ، ولندن ومرسيليا ، ونيس ، وباريس ، وتونس(٤) . ثم إن الوجود الاوروبي في بيت المقدس كان يتمثل في اعداد كبيرة من القسوس والرهبان في كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس (٥) ، وهذا يؤكد وجهة نظرنا القائلة بان العلاقات الاقتصادية والتجارية والدينية بين بيت المقدس واوربا كانت مستمرة .

وقد كانت سلع بيت المقدس ومنتوجاته تصدر الى الاسواق الخارجية فبعض هذه السلع كان يصل لاسواق اوروبا كالبلسم من اريحا والحمّر من البحر الميت ، والزيت والصابون من نابلس والقدس ، والنبيذ من القدس والخليل ، والنيلة من وادي الاردن ، والسكر من الاغوار الذي كان يصدر للاسواق الخارجية الاوربية على شكل عسل أو بلورات أو مسحوق (٦) . كذلك صدر بيت المقدس بعض منتوجاته وسلعه الى الاسواق الشامية والمصرية (٧) ، مثلها في ذلك مثل بقية المنتوجات الشامية التي كانت تجد طريقها الى مصر ، فمن بيت المقدس المصنوعات اليدوية من فضية وخشبية ، والزيت والصابون والفواكه ، ومن دمشق السيراميك والزجاج والمنسوجات الجيدة ، ومن الكرك البسط

---

(١) النويري : نهاية الارب ، ج ٣١ لوحة ٩١ (مخطوط) .
والباحث : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٦٧ .
(٢) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .
(٣) الحنبلي : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ .
(٤) Sapori, Amando, The Italian Merchant in the Middle Ages, New York, 1970, p. 51.
(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، ط الشعب ، ص ٥٤٣ . –
(٦) Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1972, PP. 394-395.
(٧) ابن شاهين ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

والاجبان والفواكه واللوز والجوز (١) . كل هذه السلع كانت تصدر الى مصر أما بحرا عن طريق الموانيء الشامية كصيدا وصور وبيروت وعكا ويافا ، أو عن طريق بري عبر قطيا على الحدود المصرية الشامية ، حيث كان متحصل المكوس فيها ألف دينار يوميا (٢) . وفي القاهرة اقيمت للتجار الشاميين القياسر الخاصة والوكالات ، كما اقيمت الخانات على الدروب لخدمة القوافل التجارية القادمة من الشام الى مصر وبالعكس(٣) .

أما المكاييل التي كانت مستخدمة في بيت المقدس ، فهي الغرارة ، والغرارة تساوي ١٢ كيلا ، والكيل يساوي ٦ أمداد (٤) . وذكرت المصادر أن بيت المقدس وعمان انفردتا (بالمد) ، وكان مد بيت المقدس يساوي ٣/٢ القفيز ، والقفيز يساوي ٤ ويبات أو ٣٦ صاعا (٥) . واستعملت مدينة الرملة أيضا القفيز والويبـــة والمكوك والكيلجة ، فالويبة تساوي مكوكين ، أما المكوك فيساوي ٣ كيلجات ، والكيلجة تساوي صاعا ونصف(٦) .

واستخدم المقدسيون الرطل في أوزانهم ، أما عن مساواة هذا الرطل بالدراهم فلا نعلم ذلك (٧) ، فاختلف الرطل من مدينة الى اخرى فرطل دمشق يساوي ٦٠٠ درهم أما رطل غزة فهو ٧٢٠ درهم ، وفي الكرك يساوي ٩٠٠ درهم ، أما في عجلون فهو ١٢٠ درهم(٨) . أما المقاييس فاستخدم في نيابة بيت المقدس ذراع القماش ، وكان ذراع

---

(١) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ص ٥٣٠ . وللباحث : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٨٨ .
(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٥ .
(٣) ابن شاهين : المصدر السابق ، ص ٢٣ .
(٤) ابن الاخوة : معالم القربة في احكام الحسبة ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٥١ ، ٨٢ Lapidus, op. cit. Pl. 17-18.
القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ .
والغرارة مد ونصف تساوي ثلاثة أرداب مصرية . (صبح الاعشى : ج ٤ ص ١٨١) .
(٥) لي سترانج ، ص ٦٥ .
(٦) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٨١ . وللباحث : عمان حضارتها او تاريخها ، عمان ١٩٧٩ ص ١٦٩ .
ولمزيد من التفاصيل من الاوزان انظر : ابن سلام ، كتاب الاموال ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨٨- ٦٩٩ .
(٧) فقد جاء ذلك في صبح الاعشى بياضا ، ج ٤ ص ١٩٩ .
(٨) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٣٩ .
صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٨١ ، ١٩٨ .

القماش الشامي يزيد عن ذراع القماش المصري بمقدار سدس ذراع [1] ، أما دورها فكانت تقاس بذراع العمل وطوله ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل[2] .

النشاط السكاني في النيابة :

تدل الدراسات الديموغرافية أن سكان بيت المقدس بلغ في القرن الخامس للهجرى (الحادي عشر الميلادي) ٢٠,٠٠٠ نسمة[3] ، ثم ارتفع هذا العدد في القرن السادس الهجري (الثاني والثالث عشر الميلادي) ، فبلغ ٣٠,٠٠٠ نسمة[4] . وبلغت مساحة المدينة المقدسة ٧٢٠ دونما ، فكثافتها السكانية اذن ٤٢ شخصا للدونم الواحد[5] . ومن الملاحظ ان الكثافة السكانية في بيت المقدس كانت في المرتبة الثانية بين المدن الفلسطينية بعد عكا ، التي بلغت كثافتها السكانية ٥٠ شخصا للدونم الواحد[6] .

وبلغ عدد السكان في المدينة المقدسة أوجه في القرن السابع والثامن الهجري (الثالث والرابع عشر الميلادي) ، فبلغ سكان المدينة المقدسة آنذاك ٤٠,٠٠٠ نسمة ، فكثافتها السكانية كانت ٥٦ شخصا للدونم الواحد ، وهي أعلى كثافة سكانية وصلتها المدينة المقاسة في العصور الوسطى .

ثم أخذت الكثافة السكانية في التدني ، فبلغ سكانها في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي نحو ١٦,٠٠٠ نسمة ، ثم تدنى الى النصف ، فبلغ في منتصف القرن التاسع الهجري (١٥) م ٨,٠٠٠ نسمة ، ثم أصبح في اوائل القرن العاشر الهجري (١٦ م) ٣,٠٠٠ نسمة . ثم أخذ في الصعود ، ففي منتصف القرن ١٦ م بلغ ٨,٠٠٠ نسمة ، ثم أخذ في الهبوط

---

(١) القلقشندي : المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٤٤٣ .
(٣) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٥٦ .
لي سترانج ، ص ٩٩ .
(٤) Benvenisti, The Crusader in the Holy Land p. 26.
(٥) Ibid, p. 26
(٦) Ibid, p. 27

مرة أخرى ، ولكن سرعان ما عاد للارتفاع ثانية في العصر العثماني[1] .

وقد حدث تخلخل في الكثافة السكانية في فلسطين اثناء الغزوة الصليبية على بلاد الشام ، فهجر السكان المدن الساحلية ، أما المدن الداخلية فهجرها بعض سكانها ومع ذلك فبقيت مأهولة بالعرب الوطنيين . وهذا التخلخل حدث في الرملة وبيسان والخليل ، أما بيت المقدس ففقد الكثير من سكانه نتيجة للغزوة الصليبية . فالمصادر اللاتينية تذكران الفرنجة قتلوا في المدينة المقدسة عشرين ألفا ، بينما قدرت المصادر الاسلامية العدد بسبعين الفا[2] .

وازداد سكان بيت المقدس في العصر الايوبي ، ولكن الزيادة بلغت أقصاها في العصر المملوكي ، فقد استقبلت المدينة المقدسة اعدادا من المهاجرين ، من العراق والبلاد الشرقية الذين تركوا بلادهم أمام الضغط التتاري ، فلاذوا بمدن الشام : حلب وحماه ودمشق والقدس الذي استأثر العديد من هؤلاء المهاجرين[3] . كما أن الاستقرار والهدوء الذي نعمت به المدينة المقدسة ، كغيرها من مدن بلاد الشام حيث نعمت بدرجة من الثروة

---

(١) في نهاية القرن العاشر الهجري (١٧ م) لم تكن كثافة السكانية في المدن الفلسطينية عالية فديموغرافيتها كانت على الشكل التالي . :

صفد أكبر المدن الفلسطينية	١٢,٠٠٠ نسمة
القدس	٨٠٠٠ نسمة
غزة	٦٠٠٠ نسمة
نابلس	٤٣٠٠ نسمة
الخليـــــل	٣٥٠٠ نسمة
كفر كنا	٢٨٠٠ نسمة
مجدل	٢٨٠٠ نسمة
لــــــــــد	٢٥٠٠ نسمة

انظر . :

Hutteroth: & Abdulfattah, Historical Geography of palestine, 1977, P. 45, 52

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨. ص ١٨٩.

Fulcher of Chartres. A History of the expedition of Jerusalem. New York, 1973, p. 121.
Benvenis cit, op. it. p 146.

(٣) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦١١ ، ١٠٢٩ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج ٣ ص ٦١ .

والازدهار والامن (١) . وللاهمية الخاصة التي أولاها اياها السلاطين المماليك ، كل ذلك زاد في نمو المدينة وزاد في عمرانها ، فانعكس ذلك على كثافتها السكانية فبلغ تعدادها ٤٠,٠٠٠ نسمة ، وهو أعلى رقم وصلته في تاريخها الوسيط .

ولكن الكثافة السكانية اخذت في الهبوط منذ منتصف القرن الثامن الهجري (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي) ، فقد أصاب بلاد الشام بل العالم كله ماعرف في المصادر القديمة بالفناء العظيم (الطاعون)(٢) ، وافنى هذا الطاعون اعدادا كبيرة من بلاد الشام ، وبادت مدن بأكملها مثل اللد والرملة وجنين (٣) . فالنمو السكاني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر اقترب من التوقف ، ليس في بلاد الشام ومصر فحسب ، بل في العالم كله(٤) . وقد شاهد ابوبطوطة ما فعله الوباء في مدن بلاد الشام ، كدمشق التي كانت تفقد يوميا الفي شخص (٥) ، اما غزة ففقدت معظم سكانها . وتسبب الوباء في موت اعداد كبيرة من سكان بيت المقدس ، ومنذ ذلك الحين أخذت الكثافة السكانية في بيت المقدس في التدني ، حتى بلغت أدناها في أوائل القرن العاشر الهجري (اوائل السادس عشر الميلادي) .

ومما ساعد على تخلخل الكثافة السكانية في فلسطين خاصة وبلاد الشام عامة الحروب والقحط والجفاف التي ضربت المنطقة في أوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . فالمقريزي يذكر أن تيمورلنك خرب بلاد الشام ومدنها وقتل من أهلها ما لا يحصى عدده بحيث أقامت القدس مدة اذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الاقصى لا يصلي

---

(١) Lapidus, op. Cit. p. 16.

(٢) وبسبب هذا الطاعون فقدت فرنسا ٣/٤ سكانها ، وايطاليا نصف سكانها ، والمانيا فقدت مليون وربع شخص والطاعون الذي اجتاح اوروبا في القرن الرابع عشر كل عشر سنوات من النمو السكاني .
Nohl, The black death, London. 1924, P. 40.

(٣) المقريزي : السلوك ، ج ٢ ص ٧٧٤ .
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم السياسي ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٤)
Lopez, R, The Commercial revolution in the middle ages U.S.A. 1976, p. 29.
Kedar, Merchants in Crisis, yale, U.S.A. 1976, p. i, 5.

(٥) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٩٦ .

خلف الامام سوى رجلين[1] . ويذكر المقريزي أيضا في سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢١ م) ، أن القحط والجدب اصاب حوران والكرك والقدس والرملة وغزة لعدم نزول المطر ، ونتج عن ذلك نزوح كثير من سكان هذه البلاد عن أوطانهم[2] .

ومنذ عام ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) عاد الطاعون مرة أخرى للمنطقة ، فأصاب غزة والقدس والرملة وصفد ودمشق ، وحمص وحماه وحلب ، وهلك فيه خلائق لا يحصى عددها[3] . ويقول المقريزي في حوادث هذه السنة ، ان الوباء والنزلات فتكت بالناس اذ كانت (تنحدر من الدماغ الى الصدر فيموت الانسان في أقل من ساعة بغير تقدم مرض وكان أكثر هذا في الاطفال والشباب)[4] ولعل هذا الوباء الذي وصفه المقريزي هو نوع من أنواع الحميات القوية التي كانت تفتك بالناس بهذا الشكل الخطير[5] . ثم عاد الوباء مرة اخرى فضرب المنطقة في سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧م) فمات من جرائه خلق كثير ، في دمشق وغزة والرملة والاغوار[6] .

وهكذا نرى أن بيت المقدس نتيجة للطاعون الذي اصاب المنطقة والعالم كله في منتصف القرن الثامن الهجري (منتصف الرابع عشر الميلادي) ، فقد نصف سكانه ، أي ما يقارب ٢٠,٠٠٠ نسمة ، ثم أخذت الديموغرافية تتدنى في بيت المقدس وفلسطين نتيجة للغزوة التتارية المدمرة بقيادة تيمورلنك سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م)[7] وزاد في تدنيها القحط والجفاف الذي أصاب المدينة المقدسة والمناطق المجاورة سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢١ م) بحيث هجرها كثير من سكانها[8] . أضف الى ذلك الطاعون والوباء (الحمى) التي دهمت القدس

---

(١) السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٢٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ق ١ ص ٦٠٩ ، ويقول LOPEZ : ان من العوامل الهامة في عدم تزايد السكان العوامل الطبيعية كالطقس وكثرة الامراض وانتشارها .

Lopez, op. Cit. p. 29.

(٣) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٣٦ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ .

(٤) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٤ .

(٥) وربما كان هذا الوباء هو ما نسميه اليوم بالحمى الشوكية .

(٦) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ١٠٢٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٤ .

(٧) السلوك ، ج ٤ ق ١ ص ٢٢٥ .

(٨) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٦٠٩ .

والعديد من المدن الشامية سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) ، و ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) أدى الى هلاك خلائق لا يحصى عددها[١] ، ونتيجة لذلك فقد القدس نصف سكانه ، فأصبح عدد السكان في منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي (٨٠٠٠ نسمة . وفي أواخر القرن التاسع الهجري أصاب الطاعون بيت المقدس في السنوات ٨٧٣ هـ (١٤٦٨م) ، و ٨٨١ هـ (١٤٧٦ م) و ٨٩٧ هـ (١٤٩١ م) وافنى ثلثي سكانه أي حوالي ٥٠٠٠ نسمة[٢] ففي أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، لم يبق في القدس سوى ٣٠٠٠ نسمة[٣] . ثم بدأت الديموغرافية في الصعود ، حيث بلغت في منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ٨٠٠٠ نسمة[٤] .

وكان سكان بيت المقدس أخلاطا من مسلمين ونصارى ويهود ، أما النصارى فكانوا يشكلون نسبة كبيرة في زمن المقدسي ، وأضاف أنهم كانو أصحاب السلطة في البيت المقدس[٥] وذكر ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) عن وجود النصارى واليهود في بيت المقدس ، وان اعداد اكبيرة منهم تأتي من ديار الروم لزيارة الكنيسة والكنيس[٦] . وقد ازداد عدد السكان النصارى بعد الغزوة الصليبية لبلاد الشام واحتلال المدينة المقدسة ، فقد قتل الصليبيون الآلاف من سكان القدس المسلمين ، كما هجره أعداد من سكانه . وشجع الصليبيون أيضا هجرة النصارى الوطنيين الى القدس ، فتذكر المصادر أن قسما من نصارى البلقاء وعمان نزحوا الى القدس ، وخصص لهم هناك

---

(١) السلوك ، ج ٤ ق ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٢٤ ، ...٨٨ ، ١٢٠٩ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٤ .
النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ .

(٢) وقد استنتجت ذلك من خلال دراسة قمت بها لعدد الوفيات في بيت المقدس في هذه السنوات .
انظر : الانس الجليل ، ج ٢ ص ٢٨٦ ، ٣١٨ ، ٣٦١ .

(٣) Hutteroth, op. Cit. P. 45, 52.

(٤) Ibid, p. 52.

(٤) لي سترانج ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ٥٥ .

(٦) القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص ٢٤٨ .
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ٢٢٥ ، عمان حضارتها وتاريخها ، ص ١٨٤ .
وانظر الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٤ .

حي عرف (بمحلة المشارقة) ، لأنهم قدموا من منطقة البلقاء الواقعة شرقي القدس . وبعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) عاد السكان المسلمون للقدس فزادت نسبتهم في العصر الايوبي ومن ثم في العصر المملوكي ، أصبحوا يشكلون نسبة ٧٠ — ٨٠ ٪ من السكان[١] .

ونصارى بيت المقدس كانوا في معظمهم من أصل عربي ، بجانب عدد من نصارى الفرنج من دول أوروبا المختلفة والاحباش [٢] ، وسكن هؤلاء الاديرة والكنائس العديدة في المدينة المقدسة وبيت لحم والتي بلغت عشرون كنيسة ، أكبرها كنيسة القيامة كانت تتسع لثمانية آلاف شخص[٣] . ووجد في بيت المقدس حارة سميت بحارة النصارى بجانب باب الخليل[٤] .

أما اليهود فكانوا قلة في العصر الاسلامي ، ففي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وجد ببيت المقدس عدد من اليهود ، كما وجد بها كنيس (كنيش) ، وكان اليهود يأتون لزيارة بيت المقدس من أنحاء متفرقة من العالم[٥] ، وسكنوا في حارة أطلق عليها حارة اليهود [٦] . وفي فترة الاحتلال الصليبي لبيت المقدس تعرض اليهود لتعسف الفرنج فهجروا المدينة المقدسة ، ومعظم أنحاء فلسطين [٧] ، وامتد تعسف الفرنج لمقابر اليهود ، فدمروا مقابرهم الثلاث ؛ واستخدموا حجارتها في بيوتهم[٨]. وفي منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، قدم الرحالة بنيامين اليهودي الاندلسي الى فلسطين ، وزار معظم مدنها وقدم لنا احصائية ديموغرافية لليهود . فوجد في بيت جبريل ثلاثة يهودي و ١٢ يهوديا في بيت لحم ، وفي الرملة ثلاثة يهودي ، وفي يافا يهودي

---

(١) Benvenisti, op. Cit. P. 215.

(٢) ناصر خسرو ، ص ٧٠ .
ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ص ٣٩ ، ج ٢ ص ٥ .

(٣) ناصر خسرو ص ٧٥ .

(٤) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٥) ناصر خسرو ، ص ٥٥ .

(٦) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٦ .

(٧) Martin, E. The Crusades, p. 127.

(٨) BenJamin, Early trafels in 'alestine, p. 84.

واحد ، وعسقلان ٢٠٠ يهودي ، وفي طبرية ٥٠ يهوديا . أما بيت المقدس فلم يجد فيه يهوديا واحدا ، وكانت دمشق تمثل أكبر تجمع يهودي في بلاد الشام ، حيث كان بها ٣٠٠٠ يهودي(١) . ثم بدأ اليهود يتسللون الى المدينة المقدسة بعد تحريرها من الفرنج ، وزاد عددهم في العصر المملوكي ، وامتهنوا التجارة والصياغة والدباغة كعادتهم(٢) ، ولم يكن عددهم كبيرا ولكن تمتعوا بنفوذ قوي بسبب ما لديهم من ثروات طائلة ، ففي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) حدث نزاع بين اليهود والمسلمين حول كنيس اليهود الموجود في حارتهم ، فقد ثبت لدى القضاة ان الكنيس يحدث في دار السلام ، فاغلقوه ومنعوا اليهود من التعبد فيه(٣) . ولكن اليهود في بيت المقدس بزعامة كبيرهم يعقوب ، رفعوا أمرهم لسلطان في القاهرة ، فامر السلطان بعض العلماء في القاهرة للنظر في هذا الامر ، وحدث خلاف في الرأي بينهم وبين قاضي الشافعية في بيت المقدس الذي منع اليهود من كنيسهم الا أن السلطان أرسل مرسوما في سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) الى ناظر الحرمين ناصر الدين بن النشاشيبي بتمكين اليهود من كنيسهم ، وعدم معارضتهم ، فمكنوا منه(٤) . وقد اشيع في بيت المقدس أن اليهود بذلوا مبلغا كبيراً من الدنانير المصورة الى الخزائن الشريفة حتى مكنهم من كنيسهم(٥) . ولما ورد ذلك لمسامع السلطان ، أمر باعادة النظر في الامر والتحقق من أمر الكنيس ، فعقد القضاة مجلسا آخر في المدرسة التنكزية ، وكان رأى شيخ الاسلام كمال الدين بن أبي شريف أن لا وجه لمنع اليهود من كنيسهم بغير مسوغ شرعي ، وان من شهد بحدوث الكنيس في دار الاسلام عليه أن يثبت ذلك بمستند شرعي(٦) الا أن القاضي الشافعي تمكن من اثبات وجهة نظره بالشهود ، واصدر أمره بمنع اليهود من كنيسهم مرة أخرى . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل توجه بعض العلماء الى الكنيس وأمروا بهدمه ، فهدموا غالبه ، فتوجه اليهود للسلطان في القاهرة للشكوى(٧) . فأرسل السلطان الاشرف قايتباي مرسوما بالقاء القبض على القاضي الشافعي وبعض العلماء

---

(١) Ibid, p. 91.

Benjamin, op. cit. pp. 85-87

(٢) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٣) الأنس الجليل ج ٧ ص ٣٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

ممن ناصروه في رأيه ، ووضعوا في الحديد وارسلوا الى القاهرة[1] . فأهانهم السلطان وضربهم . ثم دعا الامير يشبك بن مهدي الدوادار الكبير لعقد مجلس حضر القضاة الاربعة في الديار المصرية وبعض العلماء ، ودار البحث في أمر الكنيس ، ووصف ذلك اليوم بأنه (كان يوما مهولا بنصرة اليهود على المسلمين)[2] . وقد استعمل الدوادار يشبك سلطاته واستخدم القوة لارهاب الحضور ، فعندما تكلم رجلان من طلبة العلم بما فيه نصرة المسلمين ، القي القبض عليهما واشهرهما ووضعهما في الزنجير[3] . ثم أخذ الامير يشبك يهدد ويتوعد ، عندئذ أصدر قاضي القضاة الشافعي في الديار المصرية ولي الدين الأسيوطي امرا بعدم جواز المنع الصادر من القدس لفساده ، ثم أفتى بعض العلماء في الديار المصرية بجواز اعادة الكنيس أما قضاة بيت المقدس فأمر السلطان بعزلهم ومنعهم من سكنى القدس[4]

ونتيجة لهذه الفتاوى التي حصل عليها اليهود ، تقدموا يطلبون من السلطان بتمكينهم من اعادة كنيسهم ، وكان أكبر المساعدين لهم الامير يشبك الدوادار الكبير بسبب ما بذلوه له من أموال طائلة [5]. وأخيرا تمكن الامير يشبك من اقناع السلطان باعادة كنيسهم ، فأصدر مرسوما بذلك ، فشرعوا باعادة بنائه في ١١ ربيع الاخر سنة ٨٨٠ هـ . ان اعادة بناء الكنيس اليهودي يدل على النفوذ الكبير الذي تمتع به اليهود في بيت المقدس ، ولدى السلطنة المملوكية بسبب امتلاكهم الاموال الطائلة وبذلهم الاموال للامراء ورجال الدولة ، وقد سموا اليوم الذي أعادوا فيه كنيسهم (عيد النصر)[6] . ومن هنا نرى أن اليهود في بيت المقدس رغم عددهم القليل الأنهم كانوا في العصر المملوكي يتمتعون بنفوذ قوى لدى الحكام ، ونفوذ مادي بسبب اشتغالهم بالتجارة والصناعة .

مما تقدم نستطيع القول بأن أهل الذمة من اليهود والنصارى تمتعوا في العصر المملوكي بتسامح ديني ، ومارسوا حقوقهم كاملة دون تعصب ، وزاولوا مهنهم بحرية تامة ، وعاشوا مع المسلمين في المدن والقرى . وان كنا نجد بعض النصارى يعيشون ويشكلون

---

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٣٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ٣١٠ .
(٥) المصدر نفسه ص ٣١٢ .
(٦) المصدر نفسه ص ٣١٣ .

نسبة كبيرة في بعض المدن والمناطق ، مثل نصارى وادي موسى والكرك في شرقي الاردن ، والقدس والناصرة وبيت لحم وبيت جالا في فلسطين (١).

ولم يكن النصارى بمنأى عن الاحداث السياسية في المنطقة ، فنجد أن نصاري الكرك والشوبك وقفوا الى جانب السلاطين المماليك ، فأيدوا الناصر محمد بن قلاوون في ثورته بالكرك ، وقدم أحد التجار النصارى الشوابكة الى الظاهر برقوق مائة ألف دينار لينفقها في اعداد القوات والعساكر . لذا منحهم السلاطين امتيازات خاصة . فنجد أن محمد بن قلاوون أصدر مرسوما في سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) حدد بموجبه زي النصارى واليهود ، فألزم النصارى بلبس العمائم الزرق ، واليهود الصفر ، والسامرة العمـــائم الحمر ، ولكنه استثنى من ذلك نصارى الكرك والشوبك لما لهم من مكانه خاصة في نفسه . فبقوا يلبسون العمائم البيض اسوة بالمسلمين (٢) . وفي عهد برقوق نال نصارى الكرك والشوبك حظـــوة لديه ، فاعفاهم من الضرائب والمصادرات اكراما لموقفهم ، ومساعدتهم اياه(٣) .

وكان للنصارى في بلاد الشام بطرك اليه مرجعهم في التحليل والتحريم والحكم بينهم ، واليه أمر الكنائس والديارات والرهبان ومركزه دمشق(٤) اما اليهود فكان لهم رئيس يتكفل بشؤونهم واقامة حدود التوراة بينهم مركزه دمشق أيضا ، أما السامرة فرئيسهم في نابلس(٥) .

ويجدر بنا أن نشير مع نهاية هذه الدراسة ان الازدهار الاقتصادي الذي حظيت به المدينة المقدسة في العصر المملوكي ، واكبه نهضة علمية رائدة ؛ تمثلت في العديد من المدارس والزاويا والاربطة والخانقاوات ، فبلغت مدارس القدس الى تسع وأربعين مدرسة . فقد أصبح بيت المقدس منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) قبلة العلماء ، فبعد سقوط

---

(١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٤٧ . Hutteroth, op. Cit. p. 54.

(٢) المقريزي : السلوك ج ١ ص ٩١٢ . ماير : الملابس المملوكية ، ص ١٢١ .
يوسف غوانمة : تاريخ شرقي الاردن ، القسم الحضاري ، ص ١١٦ .

(٣) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ص ٢٦٠ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ص ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣ ١٩٩ ، ج ١٢ ص ٤٢٨ .

بغداد وخروج العرب من الاندلس ، هاجر العديد من العلماء والفقهاء الى البيت المقدس واستقروا فيه ، فابن الصيرفي يقول : (لان بيت المقدس محط رحالهم وغاية مقصودهم وآمالهم)[1] . وقد ترتب على ذلك أن صار القدس محط انظار طلاب العلم من جميع أنحاء العالم العربي والاسلامي ، ونبغ العديد من علمائه في شتى صنوف العلم والمعرفة .

خاتمـــــة :

كان الاهتمام بالمدينة المقدسة قائماً طيلة العصور الاسلامية وزاد هذا الاهتمام في العصر المملوكي بسبب الاخطار الخارجية التي كانت تهدد بيت المقدس ، الصليبية والتتارية . فجعلوها نيابة تابعة لدمشق ، وبعد غزوة بطرس لوزجنان على الاسكندرية رفع الاشرف شعبان رتبة نائبها الى طبلخاناه ، كي يتمكن من صد الاخطار التي تهددها . ولكن الظاهر برقوق استحدث في بيت المقدس نيابة مستقلة سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) ، وجعل فيها أميرا كبيراً وزوده بالرجال والعتاد ، كي يقف في وجه التتار والفرنج معا . تماما كما فعل الاشرف شعبان الذي استحدث نيابة الاسكندرية سنة ٧٦٧ هـ (١٢٦٥ م) ورصد فيها القوات للوقوف في وجه الاطماع الفرنجية التي ما فتئت تهدد السواحل المصرية والشامية معا ، مستهدفة اعادة سيطرتها على ما فقدته في بلاد الشام وفي مقدمته بيت المقدس .

ووجدت في نيابة بيت المقدس معظم الوظائف التي كانت في النيابات الاخرى فوظائف أرباب السيوف كان على رأسهم النائب ثم نائب القلعة والوالي . وكان يضاف الى نائب القدس نظر الحرمين الشريفين في القدس والخليل ، وهذا تشريف وامتياز اختص به نائب القدس دون نواب بلاد الشام . ثم هناك الوظائف الدينية والديوانية في قمتها شيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية.

وتمثلت قوة نيابة بيت المقدس بجيشها وقواتها الخاصة ، وجاء هذا الجيش ، لحماية المدينة المقدسة ، والمحافظة على الامن والاستقرار في النيابة وخارجها . فاشترك جيش القدس في القضاء على العديد من الثائرين والمبتزين في بلاد الشام ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل وجهه المماليك للقضاء على اعدائهم خارج الحدود ، فاشترك في حرب شاه سوار

(١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والابدان ، ج ٣ ص ٦١ .

وفي حرب العثمانيين . وكان جيش القدس يكبر ويصغر حسب الظروف ، بل انه بلغ في مرات عديدة الالآف واشترك في معظم التجاريد المتوجهة لحرب ابن عثمان .

وتمتعت نيابة بيت المقدس بازدهار اقتصادي ، فكانت أسواق القدس زاخرة بصنوف السلع المختلفة ، وصدرت سلعها او سلع المناطق المجاورة الى الاسواق الشامية والمصرية والاوربية برا وبحرا . كما حظيت المدينة المقدسة بدخل هام من وفود الزائرين والحجاج (السياحة الداخلية) في المواسم ، حتى انهم بلغوا في بعض السنوات عشرين ألف زائـــر . وكان للقدس علاقاته الاقتصادية الخارجية فوجد فيه وكالة للتجار الاجانب كما وجد فيه فرع لاحدى الشركات الايطالية التجارية الكبيرة .

وكان سكان بيت المقدس اخلاطاً مـــن مسلمين ونصارى ويهود ، وكان النصارى في بعض الاحيان يشكلون نسبة أكبر في المدينة ، الا أن المسلمين في العصر المملوكي أصبحوا يمثلون نسبة ٧٠ — ٨٠ ٪ من السكان . وازداد سكان القدس في العصر المملوكي فبلغ مجموع سكانه ٤٠,٠٠٠ نسمة ، وهذا أعلى رقم بلغه في العصر الاسلامي . ولكن التخلخل السكاني حدث في القدس بعد منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) بسبب الطواعين والاوبئة التي فتكت بسكانه .

أما اليهود فكانوا قلة في العصر الاسلامي ، وانعدموا في فترة الاحتلال الصليبي ، ولكنهم تسللوا للقدس بعد أن حرره صلاح الدين ، وقد لاحظنا أن عددهم لم يكن كبيراً في العصر المملوكي ، الا أنهم تمتعوا بتأثير اقتصادي ونفوذ سياسي بسبب ما امتلكوه من ثروات طائلة ، وما بذلوه لاصحاب الدولة . حتى انهم تمكنوا بسبب ما بذلوه من أموال من اعادة بناء كنيسهم في القدس ، وسموا اليوم الذي اعادوا فيه بناء الكنيس (يوم النصر) .

ان المدينة المقدسة ، بقيت طيلة العصر الاسلامي مثار اهتمـــام الخلفاء والسلاطين والملوك ، وبلغ هذا الاهتمام اوجه في العصر المملوكي ، فجعلوا فيها نيابة مستقلة كغيرها من المدن الهامة في بلاد الشام . وبذا أصبح في فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة القدس ، ونيابة غزة ، وفي هذا برهان ندحض به آراء بعض المستشرقين والباحثين الغربيين الذين يدعون ان القدس لم يلق الاهتمام والعناية في العصر الاسلامي ، وانه كان كأحد مدن بلاد الشام العادية .



كامل العسلي

الجامعة الاردنية – عمان

معلومات جديدة عن مدارس القدس الاسلامية مستخلصة من سجلات المحكمة الشرعية في القدس

إن المصادر الأساسية القديمة التي كانت تعتمد حتى الآن في التأريخ لمعاهد العلم والمدارس في القدس من العصر الأيوبي وعصر المماليك والعصر العثماني ، معروفة ومحدودة نسبياً . وأهمهـا « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلي ، (الجزء الثاني) ثم « مسالك الأبصار » للعمري (الجزء الأول) و« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » لابن واصل و « الفتح القسي في الفتح القدسي » للعماد الاصفهاني و « الخطط » «والسلوك» للمقريزي ثم بعض كتب التراجم وأهمها كتب ابن حجر والسخاوي والسيوطي والمحبي والمرادي والبوريني ، وكذلك كتاب حسن بن عبداللطيف الحسيني غير المعروف جيداً والذي مايزال مخطوطا وهو « تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر » .

أما المصادر العربية الحديثة فأهمها « خطط الشام » لمحمد كردعلي و « المفصل في تاريخ القدس » لعارف المعارف .

وأما المصادر الأجنبية فإن أبرزها بلا شك هو كتاب العالم السويسري فان برشم المسمى **Materieux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum** وهـو كتاب موسوعي في النقوش العربية. ونشير هنا بالذات إلى ذلك القسم منه الخاص بمدينة القدس .

وهذه المصادر تعطينا بلا ريب معلومات هامة وجيدة عن مدارس القدس وعلمائها من القرن الخامس حتى القرن الثالث عشر وخاصة كتاب مجير الدين الذي أرخ للقدس حتى أواخر عهد المماليك وامتاز تاريخه بالدقة على وجه العموم ، وكتاب فان برشم الذي كتب عن المدارس وغيرها من وجهة نظر العالم الأثري فأضاف معلومات قيمة عن المباني وطرزها المعمارية ونقوشها ووضع مخططات لبعضها .

غير أن هذه المصادر لم تعد كافية للبحوث الحديثة ولا بد لاستكمال ماورد فيها من معلومات من العمل في اتجاهات جديدة : منها التنقيب والعمل الأثري الميداني في دراسة آثار القدس الاسلامية وقد شرعت في شيء منه المدرسة البريطانية للآثار في القدس ، وقسم الآثار التابع لدائرة الأوقاف في القدس ، ونرجو أن يتسع نطاق هذا العمل ويستكمل ونشترك فيه مؤسسات علمية أخرى أيضاً ، ومنها البحث عن مصادر أدبية جديدة تضفي على دراسة آثار القدس ومدارسها وتراثها الثقافي حياة جديدة . ومن هذه المصادر على سبيل المثال لا الحصر ، الوثائق العثمانية ، وخاصة دفاتر الأراضي المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول ، وغيرها من المصادر العثمانية ، ومنها الوثائق التي ماتزال موجودة في المتحف الاسلامي بالقدس وعددها حوالي ٩٠٠ وثيقة ، ومنها سجلات محكمة القدس الشرعية التي هي موضوع بحثنا هذا .

إن دراسة سجلات المحاكم الشرعية في بلاد الشام وفي البلدان العربية عموماً ، بغية الاستفادة من المعلومات الغزيرة المتوافرة فيها ، ما زالت دراسة ناشئة في البلاد العربية وقد سبقنا إلى الاستفادة من هذا المصدر علماء الأتراك وكذلك علماء بلاد البلقان بالنسبة لتاريخ بلادهم . ومع أن الأستاذ الدكتور أسد رستم قد استفاد من هذا المصدر في كتابه « الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي » ولفت النظر إلى أهميته منذ سنة ١٩٣٠ إلا أن أحداً لم يحذ حذوه فيما نعلم الا في غضون عشر أو عشرين السنة الأخيرة . وما زالت دراسة السجلات في مستهل عهدها (١) .



هناك من الدلائل مايؤكد أن الشهادات والوثائق المكتوبة كانت تستخدم عند القضاة المسلمين منذ القرن الثاني للهجرة (٢) . ففي كتاب « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية » لابي بكر عبدالله المالكي أن يزيد بن طفيل قاضي القيروان عزل من منصبه في القرن الثاني للهجرة لأنه كان إذا انصرف من مجلس قضائه يستودع ديوانه (أي سجله وأوراقه) رجلا صباغا مقابل المسجد الجامع(٣) .

(١) من بين الذين عنوا بسجلات المحاكم الشرعية من مؤرخي بلاد الشام المرحوم عارف العارف في القدس ، والدكتور عدنان البخيت في الجامعة الاردنية ، و الدكتور عبدالكريم رافق بجامعة دمشق .

(٢) **Manna Adel: "The Sijill as Source for the Study of Palestine during the Ottoman Period" a research paper, Haifa Dec, 1979.**

(٣) رياض النفوس لأبي عبدالله المالكي ، القاهرة سنة ١٩٠١ ص ١١١ .

ويذهب بعض الباحثين (١) إلى أن السجل كمؤسسة قائمة بذاتها هو من مستحدثات العثمانيين . وربما كان هذا الشكل الرسمي المعروف للسجلات العثمانية غير مسبوق إليه من قبل بيد أن هذا لا يعني أنه لم تكن هنالك أشكال أخرى - رسمية أيضاً - للسجلات بعصر المماليك أو قبله ويمكن اثبات ذلك من الوثائق التي اكتشفت في المتحف الاسلامي بالقدس ، قبل سنوات قلائل ، ومنها وثائق قضائية . فمن بين هذه الوثائق سجلات رسمية لقضايا عرضت أمام الحاكم في عصر المماليك .

« وهذه السجلات يمكن معرفتها فوراً ، في الغالب ، لأن لها شكلاً موحداً فمعظمها مكتوب على ورق ذي قياس واحد مساحة ٢٨ / ٣٨ سم ، وعلى زاويتها اليسرى فوق النص علامة القاضي أو إشارة أخرى بخط يده ، ويتألف النص عادة من عشرة أسطر إلى خمسة عشر سطراً . ويبدأ بتاريخ الجلسة ثم يتضمن أسماء المدعين الذين ظهروا أمام القاضي ، ووصف تفاصيل القضية ثم البينات التي قامت ، أما بشكل شهود أو وثائق قانونية ، وأخيراً قرار القاضي إذا وجد ، وفي نهاية ورقة السجل تواقيع الشهود (٢) إن هذه الأوراق الموحدة الشكل والقياس هي بلا شك سجلات محاكم رسمية أيضاً ، وسابقة للعصر العثماني .

إن أقدم السجلات التي وصلت إلينا من المحاكم العثمانية هي سجلات محكمة بورصة في القرن التاسع الهجري ، وبعدها سجلات مدينة قيصرى التي يبدأ السجل الأول منها سنة ٨٩٥ هـ (٣) .

أما سجلات محكمة القدس فيبدأ السجل الأول منها في سنة ٩٣٦ هـ . وهي من أقدم السجلات في البلدان التي كانت تابعة للدولة العثمانية ، وأقدمها في بلاد الشام لأن أقدم السجلات في مدن بلاد الشام الأخرى هي سجلات حلب ويبدأ الأول منها سنة ٩٦٢ هـ وسجلات دمشق التي تبدأ في سنة ٩٩١ هـ .

---

(١) Adel Manna, op. cit.

(٢) Denald Little, The Judicial Documents of al-Haram ash Sharif / Paper to the 3rd Bilad Ash Sham Conference / Amman 1980.

(٢) Stanford J. Shaw: 3,,Journal Sources

وكذلك

for Ottoman History, Journal of The American Oriental Society vol. 80, 1960, p. 7.

وهناك سجلات لمدن شامية أخرى ضاعت أو تلفت ، منها سجلات عكا التي ذكر أنها أرسلت في أثناء الحرب العالمية الأولى إلى دمشق ولم يعرف مصيرها بعدئذ ، ومنها كذلك سجلات محكمة بيروت قبل سنة ١٢٧٠ هـ (١) . أما المحاكم المحلية الصغيرة فيظهر أن أرباب السلطة في القضاء لم يجعلوا التسجيل اجبارياً فيها حتى سنة ١٢٧٠ (٢) .

تتضمن سجلات المحاكم الشرعية معلومات كثيرة متنوعة في غاية الأهمية ففيها معلومات عن الادارة والحكم ، ونصوص وفرمانات وأوامر سلطانية ذات علاقة بقضايا عامة مختلفة ، وبتعيينات الحكام وكبار الموظفين ، بما في ذلك توضيح اختصاصاتهم وتحديد مهامهم ، وكذلك تعيينات القناصل واعتمادهم .. الخ .

وفيها معلومات اقتصادية واجتماعية عن أحوال التجارة بصورة عامة والأسعار والأجور والضرائب والعملة .. الخ .

وفيها بالطبع معلومات غزيرة عن الأوقاف وأوضاع العقارات الوقفية وتأجيرها وتحكيرها وتعميرها وتعيين المتولين عليها ، بما في ذلك المتولين على أوقاف المدارس ونظارها ومدرسيها .

كما كانت المحاكم الشرعية تعمل عمل دوائر تسجيل الأراضي قبل احداث هذه الدائرة ولذلك فان سجلات هذه المحاكم لاغنى عنها للتثبت مـــن ملكية العقارات القديمـــة .

وكانت المحكمة الشرعية هي الجهة التي تحقق صحة الحجج والبراءات والوقفيات والوثائق المختلفة وتأمر بعد التأكد من صحتها ، باعتمادها وبتسجيلها في سجلات المحكمـــة .

وهذا إلى جانب ماكانت المحكمة تنظر فيه من قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والارث والوصايا وتوثيق عقود البيع والشراء وجميع المعاملات المدنية الأخرى .

---

(١) الدكتور أسد رستم
« الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي ، المجلد الأول ص ١٧ .
(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٦ .

**Adel Manna : op cit.

وبالاضافة إلى ماذكر من أن سجلات المحكمة الشرعية في القدس هي من أقدم سجلات المحاكم في الدولة العثمانية ، فانها من أغناها أيضاً من حيث المعلومات ومن أفضلها .

تبدأ السجلات بالسجل رقم (١) الذي يبدأ ، كما قلنا في ١٤ شوال سنة ٩٣٦ هـ . وقد استمر التسجيل في السجلات منذ تلك السنة وحتى يومنا هذا . وكان رقم السجل في جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ، هو ٦٠٥ .

كانت سجلات المحكمة الشرعية في القدس محفوظة حتى سنة ١٩٤١ في عمارة المحكمة الشرعية القديمة ، التي تعرف باسم المدرسة التنكزية ، الكائنة عند باب السلسلة من أبواب المسجد الأقصى . وفي ذلك العام تم نقلها إلى عمارة الزاوية البخارية حيث كان مقر المحكمة الشرعية . وتم ترتيب السجلات وتجليدها ووضعها في خزائن حديثة في مبنى المحكمة . ثم نقلت المحكمة والسجلات فيمـــا بعد مرة أخرى إلى مبنى جديد بعمارة الأوقاف بباب الساهرة خارج سور البلدة القديمة ، حيث ماتزال موجودة حتى اليوم (١).

ويغطي الفترة العثمانية من تاريخ القدس ٤١٦ سجلاً تنتهي في سنة ١٣٣٥ / ١٣٣٦هـ وهي موزعة على أربعة قرون على الوجه التالي :

القرن	السجلات
القرن العاشر ٩٣٦ – ١٠٠٠هـ	السجل ١ – ٧٥
القرن الحادي عشر ١٠٠١ – ١١٠٠هـ	السجل ٧ – ١٩٠
القرن الثاني عشر ١١٠١ – ١٢٠٠هـ	السجل ١٩١ – ٢٦٧
القرن الثالث عشر ١٢٠١ – ١٣٠٠هـ	السجل ٢٦٨ – ٣٧٠
القرن الرابع عشر ١٣٠١ – ١٣٣٥هـ	السجل ٣٧١ – ٤١٦

---

(١) الشيخ عبدالحميد السائح
« القدس تاريخاً وحضارة ومستقبلا » بحث للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام – عمان ١٩٨٠

ويظهر مـــن ذلك أنه كان لكل سنة ـ في المعدل ـ سجل واحد تقريباً ومن هذه السجلات حوالي ٢٥ سجلاً كانت مخصصة للفرمانات والأوامر ، بما فيها تلك الخاصة بتعيين القناصل واعتمادهم وأول هذه السجلات الخاصة بالفرمانات هو السجل رقم ٩ الذي يبدأ في ٤ صفر سنة ٩٤٥ ﻫ وينتهي في ٥ جمادي الأولى سنة ٩٤٥ﻫ، وهو باللغة التركية ، ومنها السجل رقم ١١ الذي يبدأ في ٧ رجب سنة ٩٤٦ ﻫ . وفيه وقفيات مسجلة بالأذن الشرعي .

تبدأ الصفحة الأولى من كل سجل برقمه وتاريخه ، وفي الصفحة التالية مقدمة موجزة تتضمن اسم القاضي وتاريخ جلوسه للحكم ، وسجلات القرن العاشر هي أكثرها صعوبة في القراءة وغرابة في الخط . وتتضمن السجلات عموماً خطوطاً مختلفة منها ماهو جيد ومنها ما هو رديء وهناك أوراق لايستطيع المرء قراءتها إلا بصعوبة بالغة، خاصة من سجلات القرن العاشر لكن الأكثرية العظمى من الأوراق مقروءة بوضوح ، ويتحسن الخط في القرن الثالث عشر بصورة جلية ، كما يلاحظ أن الفرمانات والأوامر التي أصبحت مع الوقت تضمن السجل العادي ، دون أن يخصص لها سجل خاص ، كانت تكتب بخط جميل باللغة التركية .

وقد قامت دائرة الأوقاف في القدس مؤخراً بتصوير سجلات المحكمة الشرعية بالقدس جميعها على ميكروفيلم ، حفظاً لمادتها من عوادي الزمن . وتوجد نسخة من الصورالميكروفيلمية الآن (من سنة ٩٣٦ﻫ حتىسنة ١٣٤٦ﻫ (١٩٢٧) ـ أي من سجل ١١ حتى ٤٣٩ في مكتب قاضي القضاة بعمان ، ونسخة في مكتبة الجامعة الأردنية .

إن هذا البحث هو ثمرة قراءة مكثفة في هذه السجلات كان هدفها استخلاص معلومات جديدة عن معاهد العلم في بيت المقدس ، مما لم يرد في الكتب المعروفة التي سبقت الاشارة إليها في بداية البحث .

وقد اتضح للباحث أن في السجلات ثروة غير متوقعة من المعلومات عن مدارس القدس وزواياها وخوانقها وربطها كما أن فيها ثروة للباحثين في مختلف نواحي تاريخ القدس وغيرها من المدن الفلسطينية في العصر العثماني وما قبله .

أما المعلومات التي أمكن الحصول عليها فيمكن ادراجها تحت الأبواب التالية :

١ ـ وصف لبعض مباني المدارس والخوانق والزوايا ، وتاريخ تعمير وترميم عدد كبير من هذه المباني على مدى القرون .

٢ ـ العقارات التي كانت موقوفة على المدارس وأنواعها وصفاتها .

٣ ـ أسماء عدد كبير من المدرسين الذين تولوا التدريس في المدارس ممن لم يرد لهم ذكر في المصادر الأخرى ، ثم معلومات مختلفة عن المدرسين والطلبة والموظفين العاملين في المدارس ، ومعلومات أخرى متنوعة .

٤ ـ أسماء مدارس وربط وزوايا لم تكن معروفة من قبل، وأسماء مدارس كانت معروفة لنا بغير أسمائها الصحيحة .

وفيما يلي تفصيل لهذا الاجمال :

آ ـ نماذج تتعلق بالمباني :

١ ـ **المدرسة التنكزية :** لم يصل الينا من المصادر الأدبية الا وصف مقتضب لمبنى المدرسة التنكرية الرائع ، وهي المدرسة التي أنشأها سيف الدين تنكز نائب الشام بباب السلسلة سنة ٧٣٠هـ، وقال عنها مجير الدين الحنبلي « انهـا مدرسة عظيمة ليس في المدارس اتقن من بنائها (١). هذه التحفة المعمارية التي ماتزال قائمة حتى اليوم ـ وتحتلها الآن قوات جيش الاحتلال الاسرائيلي ـ عثرنا على وصف مفصل دقيق لها في السجل ٩٢ لسنة ١٠٢٠هـ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس ص ٤٢٦ وما بعدها ، وهو يحتوي على النص الكامل لوقفية الأمير تنكز على مدرسته . وفي الوقفية معلومات كثيرة هامة عن كل النواحي المتصلة بالمدرسة . ويتضح من الوقفية أن الصرح الذي شيده سيف الدين تنكز كان مجمعاً مؤلفاً من عدة أجنحة ويشتمل على مدرسة ودار حديث وخانقاة للصوفية ورباطاً للعجائز من النساء وكانت المدرسة تشغل الطابق الأرضي من المبنى وكانت الخانقاة فوق رواق الحرم . وكان في علو المدرسة أحد عشر بيتاً للصوفية ، كما كان فوق سطح المدرسة بيت كبير طوله ٤٥ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعاً مخصصاً لرباط النساء . تقول الوقفية في وصف المبنى :

---

(١) الانس الجليل ج ٢ ص ٣٥ .

(................. ويغلق على هذه المدرسة .... باب خاص مكبر بمصراعين من خشب الجوز بصفائح نحاس أصفر ببوابة معقودة بالحجر النحيت الأبيض والأسود والأصفر ، وبها طرز مذهب مكتوب فيه اسم الواقف ..... وتشتمل هذه المدرسة المذكورة على أربعة اواوين معقودة بالكلس والحجر في واحد منها شباك حديد مطل على حارة المغاربة ولكل واحد من الشبابيك المذكورة والمجلسين المشار اليهما باب بمصراعين منجور مطعم بالعاج والأبنوس . وهذا الايوان القبلي وقفة الواقف المسمى تقبل الله تعالى منه مسجدا لله تعالى له حرمة المساجد وكرامتها وسبله . وفي الايوان الشرقي من هذه المدرسة المذكورة شباكان من الحديد مطلان على الحرم الشريف لكل واحد منهما باب بمصراعين مطعم بالعاج والأبنوس وجميع هذه المدرسة المذكورة مؤزر بالرخام الملون وأرضها مفروشة بالرخام الملون أيضاً ولها عراقية .. ورفرف مدهون وفي وسط هذه المدرسة المذكورة بركة مثمنة يجري بها الماء من قناة العروب بحق واجب معلوم من مقسم مشترك ينقسم ماؤه بين جهات الحرم الشريف وبين هذه المدرسة المذكورة من الفرع السابق من قناة العروب بحق واجب معلوم . وبهذه المدرسة مطبخ برسم المرتبين بهذه المدرسة ... ولهذه المدرسة طهارة تشتمل على خمسة بيوت مبنية بالحجارة النحيت والكلس وأحدها مستحم . وفي كل بيت منها جرن حجر يجري اليه الماء من قناة العروب المذكورة بمقسم خاص بها بحق واجب معلوم . وجميع أواوين هذه المدرسة المذكورة مباطة بالبلاط الأبيض وحائط هذه المدرسة القبلي مبني على اقباء رومية تعرف قديماً باسطبلات الداوية وهي من حقوق هذه المدرسة المذكورة . ويتطرق إلى هذه الاقباء من حارة المغاربة بباب خاص وتحت الجانب الشرقي من هذه المدرسة المذكورة قبو سليماني قديم جدده الواقف) ...

٢ — **المدرسة التربة الأوحدية :** قليلة جداً المعلومات التي وصلت الينا عن هذه التربة المدرسة التي وقفها الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داوود بن الملك المعظم عيسى بن العادل أخي صلاح الدين الأيوبي في سنة ٦٩٧هـ ماتزال المدرسة التربة قائمة كدار سكن بباب حطة شمالي ساحة المسجد الأقصى وفيها ضريح الملك الأوحد .

يصف السجل ٢٠٧ ص ٢٧٣ لسنة ١١٢٤هـ مبنى الأوحدية فيقول « انها مشتملة على علوي وسفلي ، فالعلوي يشتمل على طبقتين والسفلي يشتمل على بيت غربي يقود بابه مشرقاً ، وبيت كبير بداخله صهريج معد لجمع ماء الأسطحة وعلى بيت كبير به

محراب ، وفيه مدفن الملك الأوحد ، وعلى ساحات سماوية ومنافع ومرافق وحقوق شرعية .. أما المدفن فكانت جوانبه الأربعة من الداخل مغطاة بالرخام » .

٣ — **المدرسة الميمونية** : هذه مدرسة ايوبية وقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون القصري خازندار صلاح الدين سنة ٥٩٣ هـ . المدرسة لاتزال مدرسة ثانوية حتى اليوم ، لكن مبناها الأصلي / قرب باب الساهرة من داخل السور اندثر منذ زمن . ولم يكن لدينا معلومات عنه . ولكن السجل ١٧١ ص ٣٣٠ لسنة ١٠٨٠هـ يفيدنا أنه كان في مبنى المدرسة عدة أواوين . ويظهر من السجل أن المدرسة كانت ذات أربعة أواوين اثنان منها شرقي المبنى ، كما كان فيها ايوان قبلي فيه كالعادة ، محراب وايوان شمالي ويظهر أن قلة الوقف كانت في تلك السنة ١٠٨٠هـ ضعيفة ، فكان المبنى في حالة سيئة .... وفي حاجة ماسة إلى التعمير والترميم ، فسطحها كان نابتاً عليه الحشيش وبعض الأواوين كانت مهدمة وكثير من الأبواب كان مكسوراً ....

٤ — أما دار **القرآن السلامية** التي وقفها سراج الدين عمر السلامي سنة ٧٦١هـ في الجانب الجنوبي من طريق باب السلسلة فنعرف من السجل ٢٧٠ ص ٨١ أنها كانت تشتمل في سنة ١٢٠٣هـ على ثلاثة بيوت ومطبخ ومرافق واسطبل سفل الدار ، واقع بابه من محلة المغاربة وساحة سماوية وصهريج ... ودار القران شأنها شأن التنكزية تحتلها القوات الاسرائيلية في الوقت الحاضر .

ولما كان متولوا الأوقاف في حاجة إلى استئذان الحاكم الشرعي قبل تعمير عقارات الوقف فإننا نجد في السجلات نماذج كثيرة من أخبار التعميرات والترميمات التي جرت على المدارس في عهود مختلفة .... وكثير منها يبين أجزاء المباني التي كانت في حاجة إلى الترميم او التعمير ، وجرى تعميرها أو ترميمها . ويبين الجدول الملحق بهذا البحث — جدول رقم ١ — بعض التغيرات التي أجريت في أبنية المدارس كما وردت في سجلات مختلفة . ولولا هذه التعميرات الكثيرة لما ظلت أكثر المباني قائمة بعد أن مضى عليها وقت طويل . وبالطبع فان هنا حالات كثيرة لم تلق فيها مباني المدارس العناية الواجبة فتلاشت أحوالها واختفت من الوجود أو أقيمت في أمكنتها مبان جديدة . والنماذج الواردة في الجدول — ١ — ماعدا واحداً منها وهو المدرسة الغادرية كلها تمثل مدارس مازالت

مبانيها قائمة حتى الآن . أما الغادرية فهي اليوم شبه أنقاض ... وفيه بقية من غرفة كانت تحفظ فيها في السنوات الماضية نعوش الأموات . ولعل وصف هذه المباني وجدول التعميرات يتضمن بعض المعلومات المفيدة لعلماء الآثار والمهندسين الذين من المأمول أن يعملوا في ترميم أبنية المدارس في بيت المقدس في وقت قريب .

ب — أوقاف المدارس :

كانت أوقاف مدارس القدس منتشرة لافي فلسطين وحدها بل في أنحاء أخرى من بلاد الشام ، وخاصة في سوريا وكان بعض هذه الأوقاف في مصر أيضاً وكذلك في بلاد الروم أي تركيا التي نعرف أنه كانت فيها قرى موقوفة على المدرستين الطياونية والعثمانية .... وكانت الأوقاف متنوعة وتشمل الدور والخانات والطواحين والمصابن والأفران والحمامات والدكاكين والقرى والمزارع والبساتين . ونسبة عالية من الأوقاف كانت مزارع وقرى . ومعظم القرى الموقوفة على مدارس القدس كانت في منطقة القدس وما حولها ... بيد أن منها ماكان في منطقة غزة ونابلس والرملة وغيرها من مدن فلسطين . أو في أقطار أخرى .

ويتضمن الجدول المرفق — جدول رقم ٢ — قائمة بما استخلصناه من أوقاف مدارس القدس من السجلات .

ج — المدرسون والموظفون :

بلغ عدد المدرسين الذين أحصيناهم ممن استخلصنا أسماءهم من السجلات زهاء مائتي مدرس . وأكثريتهم الساحقة من القرن العاشر والحادي عسر والثاني عشر . ومنهم خمسة من مدرسي المدرسة الصلاحية ، كبرى مدارس القدس الاسلامية . وكثير من هؤلاء المدرسين كانوا يحتلون مناصب رفيعة ، فضلاً عن التدريس ، كمناصب افتاء الحنفية وافتاء الشافعية ، وخطابة المسجد الأقصى وامامته .

وفي العهد العثماني كان حاكم القدس الشرعي هو الذي يقرر المدرسين من حاملي البراءات السلطانية في مناصب التدريس . وكانت مناصب التدريس وغيرها فيكثير من الأحيان وراثية .

وهناك عائلات معينة تولت التدريس ونظارة الوقف في مدارس معينة أو عدة

مدارس كعائلة جار الله (أبي اللطف) في الصلاحية والكاملية والعثمانية والمنجكية والملكية وعائلة الديرى (الخالدي اليوم) في الفارسية والمعظمية (الحنفية (وعائلة الامام (ابن قاضي الصلت) في الامينية ، وعائلة أبي السعود في الفخرية . وهكذا وتذكر السجلات مرتبات هؤلاء المدرسين . كما تعطينا معلومات عن الموظفين العاملين في بعض المدارس . وعن عدد الطلبة (الفقهاء) وكلهم كانوا يتقاضون معاليم من أوقاف المدرسة :

ففي سنة ٩٨٤ ه كان في المدرسة الطازية مثلاً عشرة موظفين هم شيخ المدرسة، المدرس الناظر والمتولي ، معيد ، امام ، شاهد وفقية ، كاتب ، بواب وفراش ، جابي ، قيم وكان بها قراء الأجزاء خمسة وعشرون قارئاً . أما عدد الطلبة في ذلك العام فكان ١٧ طالباً .

وكانت الطازية تضم كذلك مكتب أيتام يديره فقيه أيتام وفيه عشرة تلاميذ (السجل ٥٧ ص ٦٢ لسنة ٩٨٤ه) .

وفي سنة ٩٨١ه كان في المدرسة الجوهرية الوظائف التالية :

النظارة المشيخة مشخية التلقين

الشهادة مؤدب الأطفال الكتابة الشادية

الفراشة السقاية الشعالة وتفرقة الاجزاء (أمانة المكتبة) .

تفرقة الخبـــــــــز

ومجموعها احدى عشرة وظيفة وكان يشغل كلاً من وظيفتي الشهادة والشعالة شخصان أي أنه كان بها ثلاثة عشر موظفاً ، عدا قراء الأجزاء الذين كان يبلغ عددهم أربعة وعشرين قارئاً (السجل ٥٦ ص ٦٠٤ لسنة ٩٨١ه) .

أما المدرسة الغادرية فكان العاملون بها سنة ٩٨٢/٩٨١ه هم الشيخ والمدرس والامام والبواب والجابي ، بالإضافة إلى ستة عشر قارئاً من قراء الأجزاء الشريفة (السجل ٥٦ ص ٦٠٢) .

ويفيدنا السجل ١٨٤ ص ٢٢٦ لسنة ١٠٩٢ه أن المدرسة الغادرية هذه (التي عمرتها زوجة الأمير ناصرالدين محمد بن دي الغادر شمالي ساحة الحرم سنة ٨٣٦ ه)

كانت مشروطة للترك الافاقية من الاروام وغيرهم من الترك القاطنين في القدس ، وكان سكنها مشروطاً لمن كان ناظرها أو شيخاً بها .

وأما المدرسة الصلاحية فقد كان لشيخها ، بموجب كتاب الوقف والأوامر السلطانية المستندة إليه ، ان يعزل المعيدين بالمدرسة وكذلك الطلبة إذا أساؤوا التصرف (السجل ١٨٤ ص ٤٢٠ لسنة ١٩٠٢) . كما يفيدنا السجل ١٤٢ ص ٦٨ لسنة ١٠٥٩ أن شيخ الصلاحية منح الحق بكتاب الوقف في أن يوصي بمشيخة المدرسة لشخص يعينه ، ممن يصلح لذلك وينتقل هذا الحق بالتوصية للخلف من شيخ إلى آخر . .

وفي التنكزية كان هناك عدد كبير من المدرسين والمحدثين والصوفيين ، بوصفها مدرسة ودار حديث وخانقاه وقد حددت وقفيتها مهام العاملين فيها ، كما حددت شروط المدرس وشيخ الحديث وشيخ الصوفية وكذلك شروط الطلبة :

كان من شروط المدرس أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى ، عالماً بمذهب الامام أبي حنيفة ، وأن يكون إماماً في الصلوات الخمس ، ومن شروط شيخ الحديث أن يكون عالي الرواية مقصوداً بالسماع عليه حسن الضبط ... أما الطالب (الفقيه) فكان من شروطه أن يكون جيد الضبط حسن القراءة ، وأن يقرأ بالميعاد في هذه المدرسة من صحيح البخاري ثم من صحيح مسلم ، وأن يحفظ في كل يوم حديثاً واحداً من الأحاديث الثابتة ثم يعرضه على الشيخ أما الصوفية فكان من شروطهم أن يقرؤوا من رسالة الامام القشيرى ...

وحددت الوقفية عدد الطلبة بالمدرسة بخمسة عشر طالباً مرتبين في ثلاث طبقات ، مبتدئين ومتوسطين ومنتهين ، وعدد الطلبة بدار الحديث بعشرين طالباً ، وعدد الصوفية بخمسة عشر صوفياً .

أما مدة الدراسة في التنكزية فكانت أربع سنوات . وكان من بين موظفي المدرسة معمار أي مهندس خاص بها .

وفيما يلي جدول برواتب العاملين في التنكزية ، حسب وقفيتها :

المدرس : ٦٠ درهماً فضياً شهرياً و ٣/٢ رطل خبز يومياً .

المعيد : ٣٠ درهماً فضياً شهرياً و ٣/٢ رطل خبز يومياً .

الفقهاء وهم ثلاث طبقات يتقاضون بالترتيب ٢٠ درهماً و ١٥ درهماً و ١٠ دراهم شهرياً مع ٣/١ رطل خبز يومياً .

شيخ المحدثين : ٤٠ درهماً فضياً شهرياً ورطل خبز يومياً .

طلبة الحديث : ٢/١ ٧ درهماً شهرياً و ٣/١ رطل خبز يومياً .

شيخ الصوفية : ٦٠ درهماً شهرياً و ٣/١ رطل زيت زيتون و ٣/١ رطل صابون ورطل خبز يومياً .

الصوفي : ١٠ دراهم شهرياً و ٦/١ رطل زيتون و ٦/١ رطل صابون ونصف رطل خبز يومياً .

أما بالنسبة للخانقاة الصلاحية فتحدد وقفيتها شروط المستفيدين من وقفها بأنهم « السادة المشايخ الصوفية ، الشيوخ والكهول والشباب البالغين المتأهلين والمجردين من العرب والعجم » وكان السكن فيها للمتجردين دون المزوجين ، وكذلك للواردين من الصوفية من الخارج . (السجل ٩٥ ص ٤٢٤ لسنة ١٠٢٢هـ) .

ومما هو جدير بالإشارة إليه أن وقفية صلاح الدين على الخانقاة الصلاحية وردت بنصها الكامل في السجل ٩٥ ص ٤٢٤ لسنة ١٠٢٢ هـ. كما وردت وقفية الأمير تنكز على مدرسته في السجل ٩٢ ص ٤٢٦ وما بعدها (السنة ١٠٢٠هـ) ولا بد من قراءة هاتين الوقفيتين بامعان لمن يريد أن يعرف معلومات أوفى عن هاتين المدرستين وشرائط التدريس وطرقه وبعض كتبه في كل منها ، وكذلك عن العقارات التي وقفت عليها وبرنامج العمل اليومي والأسبوعي للمقيمين بهما .

وأخيراً فإن سجلات المحكمة الشرعية بالقدس تضمنت أسماء مدارس وربط وزوايا لم تكن تعرفها من قبل ولم تذكرها الكتب التي بين أيدينا .

وفيما يلي أسماء هذه المدارس والزوايا والربط :

* المدرسة الماوردية كانت بخط وادي الطواحين قرب المدرسة الرصاصية (السجل ١٤٤ ص ٢١٩ لسنة ١٠٦٠ هـ) .
واعتقد أنها منسوبة لشيخها المسمى بالماوردي .

* المدرسة الحجرجية	كانت بعقبة الست بالقدس (السجل ١٤٤ ص ٢٩٦ لسنة ١٠٦٠ هـ) .
* دار حديث	كانت في وادي الطواحين بالقدس (لم نتحقق من رقم السجل) .
* مدرسة مراد باشا	مؤسسها مراد باشا الذي كان دفتّر دار خزينة دمشق في اواسط القرن الحادي عشر . وهي من منشآت العصر العثماني . (السجل ١٣٦ لسنة ١٠٥٥ / ١٠٥٦ هـ) .
* المدرسة (الزاوية) الخانقاة الأسعدية	في جبل الطور . كانت من مراكز الصوفية بناها شيخ شيخ الاسلام أسعد أفندي . وهي من منشآت العصر العثماني . (السجل ١٩٩ ص ٧٢ لسنة ١١١٠ والسجل ١٤٥ ص ٤٦ لسنة ١٠٦٠هـ والسجل ٢٠٩ ص٢٠٩ ص ٢٢٦ لسنة ١١٢٥ / ١١٢٦ هـ) .
* المدرسة/الزاوية الجركسية	كانت بخط وادي الطواحين (السجل ١٤٥ ص ٤٣ وص ٥٧١ لسنة ١٠٦٠ / ١٠٦١هـ ، والسجل ١٨٤ ص ٢٣٧ لسنة ١٠٩٢ هـ) .

ومن الزوايـــــا :

الزاوية اليعقوبيـــة	كانت تقع تجاه قاعة القدس (السجل ٢١١ ص ٢٥٣ ، والسجل ٨٥ ص ٣٨٤ سنة ١٠١٢هـ) .
الزاوية القادرية	أنشأها محمد باشا محافظ القدس قبل سنة ١١١٥ هـ (وهي غير الزاوية القادرية المعروفة بزاوية الأفغان) . (السجل ٢٠١ ص ٢٥١ لسنة ١١١٥هـ) .
زاوية أبي قصبة	كانت تقع في محلة الشرف بالقدس (السجل ١٣٥ ص ٩٦٨ لسنة ١٠٥٤ / ١٠٥٥ هـ) .

زاوية الشيخ حيدر كانت موجودة في القدس سنة ١٢٠٥هـ (السجل ٢٧٢ ص ١٤٨).

ومن الأربطـــــة :

الرباط الحموي وهو رباط جديد يضاف إلى ربط القدس السنة المعروفة كان كان بخط باب القطانين/وكان قسمين أحدهما للرجال والآخر للنســـــــاء .

(السجل ٩٢ لسنة ١٠٢١هـ والسجل ١٣٥ لسنة ١٠٥٤هـ) .

وبالاستناد إلى السجلات أمكننا معرفة الاسم الصحيح لمدرستين :

الأولى المعروفة بالمدرسة الطولونية ، وهذا هو الاسم الشائع المتعارف عليه لهذه المدرسة الواقعة شمالي الحرم ، وقد ورد اسمها في السجلات الطيلونية » أحياناً(١) . وأحياناً الطولونية . ولدى الاطلاع على وقفية المدرسة المحفوظة في السجل رقم ٦٠٢ من سجلات الأراضي برئاسة الوزراء استانبول . تأكدنا أن الاسم الصحيح الأصلي للمدرسة هو الطيلونية . وربما شاع اسم الطولونية فيما بعد .

والمدرسة الثانية هي المدرسة الختنية وهذا الاسم الصحيح للمدرسة كما جاء في السجل ٢٠٧ ص ٤٢٧ والسجل ٦٢ ص ٩٢ ، لا الخنثية كما جاء في مجير الدين وغيره ممن أخذ عنه . ونعتقد أن الخنثية من مجير الدين كانت خطأ في النسخ لم ينتبه له الكثيرون .

كما أرشدتنا السجلات إلى مواقع بعض الزوايا فعرفنا منها مثلاً أن زاوية الأزرق كانت تقع في محلة الشرف بالقدس .

(السجل ١٤٥ ص ٢٩٢ وص ٥٨٥ لسنة ١٠٦١هـ) .

وبعد فهذه نماذج محدودة مما تمدنا به سجلات المحكمة الشرعية في القدس من معلومات عن معاهد العلم الاسلامية في بيت المقدس . ونأمل أن نكون قد أعطينا على كل حال فكرة عن الفائدة التي يمكن أن يجنيها الباحثون في تاريخ القدس وفلسطين وآثارها من دراسة السجلات ، وفي جميع المجالات التي يتناولها علماء التاريخ والآثار .

---

(١) السجل ١٨٦ ص ٢٩٩ والسجل ٢٧٧ لسنة ١٢٠٩ /١٢١٠ .

جدول ملحق رقم ١

(وهو يتضمن نماذج من تعميرات مباني المــدارس)

المدرسة	تاريخ التعمير أو الترميم	السجــل
١ ــ المدرسة الصلاحية	سنة ١١٤١هـ أجريت تعميرات على أسطحة المدرسة وعقودها وبركتها وحمامها .	السجل ٢٢٣ ص ٢٦٠
	وجرت تعميرات أخرى سنة١١٧٠	السجل ٢٤١ ص ١٥
٢ ــ المدرسة التنكزية	أجريت فيها تعميرات في سنة١٠١٤ حينما أعطي الانفاق على التعميرات الأولوية على كل نفقات المدرسة الأخرى .	سجل ٨٥ ص١٤١
	وجرى تعمير وترميم وتركيب أبواب خشبية جديدة لدار المدرسة سنة ٩٨١ .	السجل ٥٦ ص ٥٨٩
٣ ــ المدرسة الطشتمرية (باب السلسلة)	في سنة ١٠٩٣ جرت تعميرات بسبب تضعضع المبنى لتقادم العهد وكثرة الثلوج والأمطار . شملت حائط المدرسة الشرقي المطل عــلى الطريق العام المؤدي إلى حارة المغاربة ، كما تم ترميم مطبخ المدرسة والبيت وكذلك ايوان المدرسة الكبير وكثير من أجزائها والبيت الملحق بها .	السجل ١٨٥ ص ٢٦٨
ــ المدرسة/التربة	في سنة ٩٩١ جرت تعميرات في مبنى المدرسة .	السجل ٦٣ ص ١٩٠

المدرسة	تاريخ التعمير أو الترميم	السجل
٥ ــ المدرسة البلدية	في سنة ١١١٠ أجرى الشيخ محمد الخليلي تعميرات شاملة في مبنى المدرسة فعمل لها أبواباً خشبية وعمر الجدران المتهدمة وعقد البيت المتهدم وعمر المجمع وفتح فيه طاقات لأجل الفضاء وعمر أغلب بيوت المدرسة وبلغ مجموع ماأنفقه على تعميرها ٣٠٦ غروش واثنين وعشرين قطعة مصرية .	السجل ١٩٩ ص ٤٨
٦ ــ المدرسة الخاتونية	جرت تصليحات في مبنى المدرسة سنة ١٠٩٢ .	السجل ١٨٥ ص ٣١٢
٧ ــ المدرسة (التربة) الأوحدية	جرت تصليحات في مبنى الأوحدية في سنة ١١٢٤	السجل ٢٠٧ ص ٢٧٣
٨ ــ المدرسة الغادرية	جرى ترميم المبنى خشية انهدامه سنة ١١٢٦	السجل ٢٠٩ ص ٤٥
٩ ــ الخانقاة الصلاحية	في سنة ١٠٨٠ جرت تعميرات وترميمات في مبنى الخانقاة بناء على طلب المتولين .	السجل ١٧١ ص ٢٥٥
١٠ ــ رباط بايرام	في أواسط القرن الحادي عشر تشعث بناء قبة المكتب الكائن في الرباط وتخلخنت أركانها بحيث أصبح يخشى سقوطها على الأطفال المشتغلين بالقراءة ، فأصدر القاضي اذناً بتعميرها.	السجل ١٣٥ ص ٥٩٧ (١٠٥٤ ــ ١٠٥٥)

جدول رقم ٢

الأوقاف على المدارس

الرقم	المدرسة	العقارات الموقوفة عليها	رقم السجل
١	ـ المدرسة التنكزية	ضيعة عين قنية غربي رام‌الله ونصف الحمام المعروف بحمام العين .	السجل ٩٢ لسنة ١٠٢٠
٢	ـ المدرسة الطازية	جامع الجوكندار وقرية المنية التابعة لمدينة صفد .	السجل ٥٧ ص ٩٢ لسنة ٩٨٤
٣	ـ المدرسة البلدية	كان جاريا في وقفها أراضي بقرية كوم التجار (؟) وقرية حرستا بمصر .	السجل ١٣٥ ص ١١١ لسنة ١٠٤٥
٤	ـ المدرسة الأشرفية	أراضي قريتي السافرية وبيت دجن	السجل ٢٦٦ ص ١٢٢ لسنة ١٢٠٠/١١٩٩
٥	ـ المدرسة الخاتونية	قرية دير جرير بظاهر القدس	السجل ١٨٤ ص ٣١٢ سنة ١٠٩٢
٦	ـ المدرسة الأرغونية	نصف قرية اعناز وجميع الطاحون المعروف بطاحون اعناز وثلاثة اخماس مزرعة الجندلية ، وكلها كائنة بحصن الأكراد في سوريا .	السجل ٨٥ ص ٢٦٤ لسنة ١٠١٢ / ١٠١٣
٧	ـ المدرسة المزهرية	نصف قرية بيت ساحور من أعمال القدس	السجل ٢٠٧ ص ١٢٥ لسنة ١١٢٤/١١٢٣
٨	ـ المدرسة الجوهرية	قرية زيتون ظاهر مدينة غزة وكذلك قرية كوفيا (؟) من عمل مدينة غـزة	السجل ٥٨ ص ١١٢١ سنة ٩٨٥ السجل ٥٦ ص ٤٠٦ سنة ٩٧٩
٩	ـ المدرسة اللؤلؤية	قرية بيت مساوير ؟	السجل ٥٧ ص ٤٦٤ لسنة ٩٨٥

الرقم	المدرسة	العقارات الموقوفة عليها	رقم السجل
١٠ —	المدرسة المنجكية	اربعة أخماس الحمام الكائن في مدينة صفد قرب قلعتها	السجل ٥٧ ص ٢٨ لسنة لسنة ٩٨٤/٩٨٥
١١ —	المدرسة الحسنية	قرية العنب (هي قرية ابوغوش بين القدس والرملة) .	السجل ٦٣ ص ١٩٠ لسنة ٩٩١/٩٩٣
١٢ —	المدرسة الفارسية	قرية الشويكة قضاء نابلس	السجل ١٨٦ ص ٢٤٧ لسنة ١٠٩٠٥
١٣ —	المدرسة الموصلية	مزرعة.. وربع قرية نعلين وربع قرية البيرة وثلاثة قراريط من قرية جبــع .	السجل ٢٠١ ص ٢٨٤ السجل ٢٠١ ص ٢٨٤ سنة ١١١٥
١٤ —	المدرسة الباسطية	قرية صور باهــر	السجل ١٨٤ ص ٢٨ لسنة ١٩٠٢ / ١٠٩٣
١٥ —	المدرسة الغادرية	خان بسوق القطانين بالقدس يعرف بخان الغادرية يشتمل على علوي وسفلي ومخازن ودكاكين علوية وسفلية عددها ستة .	السجل ٩٢ سنة ١٠٢٠
١٦ —	المدرسة المغطمية	قرية بتير من أعمال القدس	السجل ٨٥ ص ٤٣٠ السجل ١٨٤ ص ٢٨٧
١٧ —	الزاوية الأدهمية	خمس الحمام الكائن في صفد قرب قلعتها .	السجل ٥٧ ص ٢٨ لسنة ٩٨٤
١٨ —	المدرسة الختنية	في القرن العاشر كان موقوفاً عليها دار بخط باب القطانين .	السجل ٦٣ ص ٦٢ لسنة لسنة ٩٩١

الرقم	المدرسة	العقارات الموقوفة عليها	رقم السجل
١٩	ــ المدرسة العثمانية	قرية كفر قرع	السجل ١٩٩ ص ١٣٦ لسنة ١١١٠/١١١١ والسجل والسجل ٢٠٩ ص ٣٧١ لسنة ١١٢٥/١١٢٦
٢٠	ــ الخانقاة الصلاحية	أراضي البقعة بظاهر القدس بركة مامــلا بظاهر القدس الحمام المعروف بالبطرك بالقدس والقبو والحوانيت المجاورة لــه البركة المعروفة بالبطرك والربع الملاصق لها ... الخ ...	سجل ٩٥ ص ٤٢٤ لسنة ١٠٢٢ وفيه وقفية صلاح الدين الأيوبي للخانقــاة الصلاحية)

أهــم مصادر البحــث

المصدر الأساسي

* **سجلات المحكمة الشرعية بالقدس من سنة ٩٣٦ حتى سنة ١٣٣٥ ﻫ**

ثم المصادر التالية :

* **أبو بكر عبدالله المالكــي**

* « رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية »

القاهرة سنة ١٩٥١

* **أســد رستم :**

« الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي »

المجلد الأول .

* **عبدالحميد السائــح :**

« القدس تاريخاً وحضارة ومستقبلا »

* **كامل العسلي :**

« معاهد العلم في بيت المقدس » (بحث المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام – عمان ١٩٨٠) .

* **مجير الدين الحنبلي :**

« الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ج ٢

النجف الأشرف ، ١٩٦٨ .

(1) **Little, Donald P.**

The Judicial Documents From al-Haram ash-Sharif as Sources for the History of Palestine (The 3rd Bilad ash-Sham Conference, Amman, 1980).

(2) **Manna, Adel**

"The Sijill as a Source for the Study of Palestine during the Ottoman Period". Haifa; Dec.1979.

(3) **Shaw. Stanford**

"Archival Sources for ottoman History, Journal of the American Oriental Society, Vol. 80, 1960".



عبدالهادي التازي

الرباط – المركز الجامعي للبحث العلمي

أوقاف المغاربة في القدس

«بدأت حرب القرم (Kirim) بين العثمانيين وروسيا عام ١٨٥٦ م في الواقع من القدس من كنيسة القيامة بالذات ، فلقد استمرّ التنافس بين الدول ذات الامتياز على القدس بعد انهيار الوجود المصري ، وادعت روسيا حماية طائفة الروم الأرثوذكس ، وادعت فرنسا حماية طائفة الكاثوليك واهتمت بريطانيا بالدفاع عن الذين اعتنقوا المذهب البروتيستانتي وعن اليهود كذلك ...

ومن هنا تأسست القنصليات ، وتأرجحت الحكومة العثمانية في ميلها لهذا الفريق أو ذاك .

وفي سنة ١٨٠٨ م دمّرت النار معظم كنيسة القيامة وسمح السلطان للأرثوذكس بتعميرها فأهملوا بعض المعالم التي تركها الصليبيون في البناء ، فأغضب ذلك روسيا التي حاولت بالتهديد الحصول على حق حماية الأرثوذكس ومصالحهم في القدس وسائر أنحاء السلطنة العثمانية .

فلما رفضت تركيا ذلك بدأت روسيا الحرب التي تسمى في التاريخ «حرب القرم»

وعلى قياس هذا نقول ان الحروب المتوالية بين العرب واسرائيل بدأت في الواقع في القدس من منطقة أوقاف المغاربة وبالذات من حائط البراق الذي يتصل بمنازل المغاربة ..

فماذا عن هذه الأوقاف ؟ ذلك مانحاول تقديمه في هذه الصفحات التي نقتبسها من كتابنا « تاريخ المغرب الدبلوماسي » .

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ اللحظات الأولى التي اعتنقوا فيها الاسلام كمذهب ولهذا فقد شدتهم إليه نفس الوشائج التي شدتهم إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فكان جلهم يمر بالشام عند مقفاه من الحج حتى يتعم برؤية مسرى النبي العربي ليحقق الأجر في الرحلة إلى المساجد الثلاثة ...

عرج عليه عشرات الاعلام الأفاضل ممن كانوا نبراسا يهتدى بهم في الديار المغربية فكانوا يعطرون بذكره المجالس وكانوا يروون عن الأئمة الذين صادفوهم هناك من أمثال أبي بكر الطرطوشي وابن الكازروني اللذين اجتمع بهما فخر المغرب القاضي أبو بكر بن العربي الذي رافق والده الامام عبدالله في سفارته سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م) إلى المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشفين [1] ، ومن أمثال القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد ابن جماعة الذي حضر مجلسه الرحالة المغربي النقاد العبدري ٦٨٦هـ (١٢٩٠-١٢٩١ م) [2] ، وأمثال محمد بن سالم الغزي وعماد الدين النابلسي وشهاب الدين الطبري ومحمد بن مثبت الغرناطي ممن كانوا على صلة بالرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة ، ومن أمثال أبي الحسن الواسطي وأبي عبدالله محمد بن سالم الكناني وأبي البركات زين الدين وعلي بن أيوب المقدسي وشمس الدين الخولاني ومحمد ابن نباته الذين اتصلوا بالكاتب المغربي خالد البلوي [3] ، وأمثال الشيخ المقري التلمساني صاحب النفح الذي ترك هنا عدداً من التلامذة [4] .

لقد كانت الرحلة في سبيل العلم مما يفتخر به وكان من العبارات التقديرية التي تقال عن العلماء : « لقد سافر كثيراً وأخذ عن عدد من الشيوخ في البلاد النائية ... » .

ولم يكن هذا فقط هو الباعث للوجود المغربي في بيت المقدس ، ولكن هناك سبباً آخر يتجلى في رغبة المغاربة الملحة للمشاركة في الجهاد دفاعاً عن هذه البقعة الطاهرة .

(١) ابن خلدون / المقدمة ص ٢٢٩ العبر ص ٥ ، ٢٤٦ الدكتور أحمد مختار العبادي دراسات من تاريخ المغرب والأندلس طبع اسكندرية ١٩٦ ص ١٠١ - ٤٧١ ، الدكتور عبدالهادي التازي - تاريخ المغرب الدبلوماسي .

(٢) نشر الرحلة الأستاذ محمد الفاسي أخيراً ضمن سلسلة الرحلات التي ينشرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالمغرب الأقصى .

(٣) توجد نسخة مطبوعة بالمكتبة العامة رقم ١٢٨٨ / د ورقم ٥٨٠٣ بالمكتبة الملكية بالرباط .

(٤) المقري / نفح الطيب ، نشر الدكتور احسان عباس ص ١ ، ٥٧ .

ولما كانت سمعة الأساطيل التي كان المغرب يتوفر عليها قد وصلت إلى الديار المشرقية وبخاصة أيام دولة الموحدين الذين أنشأوا لهم « دار الصنعة » المختصة بانشاء الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية[1] ، وبما أن الفرنج ملكوا سواحل الشام وملكوا معها بيت المقدس ، فقد صارعهم صلاح الدين الأيوبي وافتتح البيت حوالي سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ – ١١٨٨ م) . وعندئذ انقضت أمم النصرانية من كل جهة على سواحل الشام شأنها في المغرب عندما تحالفت على الاجهاز على الوجود الاسلامي بالأندلس .

لقد اعترضوا اسطول صلاح الدين في البحر ولم تتمكن أساطيل الاسكندرية آنذاك من صد الغزو الصليبي نظراً لضعفها وقلة عددها .

ومن هنا وردت فكرة الاستغاثة بأسطول المغرب الذي كان يهيمن على مسالك البحر المتوسط والذي كان يخطط لفتح القسطنطينية العظمى قبل العثمانيين بقرنين وربع القرن على ماترويه المصادر التركية[2] .

وكان أن بعث القائد صلاح الدين إلى السلطان يعقوب المنصور سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ – ١١٩١ م) يطلب اعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس والشام بعد كسرة حطين وفتح بيت المقدس .

وقد أوفد على رأس هذه البعثة الهامة[3] قائد الجيش الأمير أبا الحرث عبدالرحمن ابن منقذ الشيزري[4] طالباً أن تحول القوات المغربية في البحر بين أساطيل الفرنج وبين امداد النصرانية بالشام من الجهات الأخرى .

وقد بعث صلاح الدين بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ووزن مائة

(١) ابن صاحب الصلاة – تاريخ المن بالأمانة ، نشر التازي ص ٢١٤ ، ابن أبي زرع – روس القرطاس ، طبعة حجرية ص ١٦٤ ، المقدسي / ص ٢ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، المقري / نفح الطيب ص ١ ، ٤٤٤ تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

(٢) بيري رايس : كتاب بحرية .

(٣) الروضتين ٢ و ١٧٠ – ١٧٢ ، النفح ١ و ٤١٩ – الاستقصاء ٢ و ١٦٣ ، الشبيبي / أدب المغاربة والاندلس ص ٣٦ – ٣٧ ، جمال الدين الألوسي / أسامة بن منقذ ص ١٦٣ – ٣٤١ .

(٤) صبح الأعشى ج ٦ ص ٧ – ٨ .

درهم من عطر البلسان ، وعشرين رطلاً من العود القماري وستمائة مثقال من المسك والعنبر ، وخمسين قوساً عربية بأوتارها وعشرين من النصول الهندية مع عدة من السروج المثقلة ..

وقد وصلت السفارة فعلاً إلى الديار المغربية فصادفت المنصور بالأندلس في عملية عسكرية لقمع (ابن الريق) وصد الاعتداءات التي أخذت تتوالى على المدن الأندلسية وجعل حد للزحف الصليبي الذي أخذ يستفحل بعد انكسار وبلدة عام ٥٦٧ هـ[1] .

وانتظر السفير ابن منقذ بمدينة فاس عودة السلطان المنصور الذي طيّر اليه الخبر عن طريق الرقّاصة المغاربة[2] .

وقد كان يوم استقبال الوفد يوماً مشهوداً بفاس العاصمة الاسلامية الأولى للدولة المغربية .

هناك تسلّم العاهل المغربي الرسالة الأيوبية التي كانت من انشاء الأديب عبدالرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل[3] .

وقد تضمنت رسالة الاعتماد التي رفعها الأمير ابن منقذ إلى الخليفة المنصور — بعد التحية الفخمة — تهنئة المنصور الموحدي بفتح بيت المقدس وتبشيره بما ناله من أدعية المسلمين في تلك المشاهد ، ويعتذر عن التأخير في المكاتبة بما انشغل به من مقارعة المهاجمين متخلصاً من هذا لما أقدم عليه ملوك الصليبيين وخاصة ملك الألمان من جمع العدة والعدد للتمكن من بلاد الاسلام ...

وهنا يتوجّه للعاهل المغربي الذي ينعته « بسلطان الاسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام » راجياً أن يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواري كالأعلام ....

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن ، نشر عبدالهادي التازي ص ٥٠١ سنة ١٩٦٤ بيروت .

(٢) الرقاصة ج رقاص وهو يعني في الاصطلاح المغربي ساعي البريد ، وكان المغرب يتوفر منذ ذلك التاريخ على أنواع من البريد فيها العادي وفيها السريع الذي كان مضرب المثل في ايصال الأخبار من أقصر طريق .

(٣) كان صلاح الدين يقول « لاتظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم القاضي الفاضل» وقد توفي القاضي بالقاهرة عام (٥٩٦ هـ) ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٤ .

وتختم الرسالة بتقديم سفير الملوك والسلاطين أبي الحزم عبدالرحمن ابن منقذ ... واحياء للتاريخ نورد النص الكامل فيما يلي :

عنوان الرسالة : (بلاغ إلى محل التقوى الطاهر ومستقر حزب الله الظاهر من المغرب أعلى الله به كلمة الايمان ورفع به منار البر والاحسان) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الفقير إلى رحمة ربه يوسف بن أيوب أما بعد فالحمد لله الماضي المشية ، المضي القضية ، البر بالبرية ، الحفي بالحنفية ، الذي استعمل عليها من استعمر به الأرض ، وأغنى من أهلها من سأله القرض ، وأجزل أجر من أجرى على يده النافلة والفرض وزان سماء الملة بدر ار ي الذراري التي بعضها من بعض ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتاباً فيه الشفاء والتبيان ، وبنى الاسلام بأمته التي شبهها صاحبها بالبنيان ، وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم فظاهروه وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم ويسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم ، وأن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا للايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا أنك رؤوف رحيم .

وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبية الواجبة الرد ، الموجبة للقصد ، العذبة الورد ، المتنفسة عن العنبر والورد ، وقادة على دار الملك ، ومدار النسك ، وجل الجلالة ، وأصل الأصالة ، ورأس الرياسة ، ونفس النفاسة ، وحكم الحكم وعلم العلم ، وقائد الدين وقيّمه ومقدم الاسلام ومقدمه ، ومقتضي دين الدين ، ومتبت المتقين على اليقين ، ومعلي الموحدين على الملحدين ، وأدام الله له النصرة ، وجهز به تيسير العسرة ، ورد له الكرة وبسط له باع القدرة ، وأوثق به حبل الالفة ، ومهد له درجات الغرفة ، وعرفه في كل مايعتزمه صنعاً جزيلا جميلاً ، ولطفاً جميلاً جليلاً ، ويسر عليه في سبيله كل ماهو أشد وطأ وأقوم قيلا . تحية أستنير منها الكتاب ، واستنيب عنها الجواب ، وقد حفز لها حافزان : أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكناً إلى أن تتيسر الأسباب ، والآخر مرام عظيم ماأكره إذا استفتحت به الأبواب ، وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءة بفتح البيت المقدس وسكون الاسلام منه إلى المقيل والمعرس وما فتح الله للاسلام من الثغور ، وما شرح لأهله من الصدور ، وما أنزله عليهم من النور ، ولم

يخل المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر ، وملاحظات أنوار ذلك البدر ، ومطالعات تلك الجهة التي هي وان كانت غربية فان الغرب مستودع الأسرار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار ، ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروح الأسرار ، ومنه يقلب الله الليل والنهار ، ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، ولم تتأخر المكاتبة الا ليتم الله مابدأ من فضله ، وليفتح بقية ماينقطع بتقطع يد الشرك من حبله ، والمفتتح بيد الله من الشام مدن وأمصار ، وبلاد كبار وصغار ، وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل ، وللاسلام معاقر ، ولبني الكفر مصانع ، ولبني الاسلام مصارع ، والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور ، ومدينة انطاكية يسر الله أمرها ، وفك من يد الكفر أسرها ، وإذا أمّن المؤمن على هذه الدعوة رجي ايجابها ، وما يتأخر من الله سبحانه جوابها ، فالدعاء أحد السلاحين ، ومع النيّة يطير إلى وكره من السماء بجناحين ، بعد أن كسر العدو الكسرة التي لم يجبر بعدها ، وألجيء إلى حصونه التي للحصر أعدّها ، وكان يومها كريماً ، ولطف الله فيها عظيماً ، قضت كل حاجة في النفس ، وأغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكأن لم يغن بالأمس ، وكانت على أثر غزوات قبلها فما الظن بالمجهزة بعد النكس ، ولم يؤخر فتح البلاد إلاّ أن فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب ، فأجابوهم رجالاً وفرساناً ، وشيباً وشباباً ، وزرافات ووحدانا ، وبراً وبحراً ، ومركباً وظهراً ، وركبوا اليهم سهلاً ووعراً ، وبذلوا عوناً وذخراً ، وما احتاجوا ملوكاً ترتادهم ، ولا أرسانا تقتادهم ، بل خرج كل يلبي دعوة بطرقه ، ولا يحتاج إلى عزمة ملكه ، وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمائها ، وأتت العزيمة بحمد الله على أشخاصها عند لقائها ومنهم ملك الألمان خرج في جموع برية ، من الله تعالى برية ، ملأت الفجاج ، لينصر ديناً مشبه الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر ، وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلا ساحل سلامه ، وإلى قاع كفر ، وجلب الكفار إلى المحصورين بالشام كل مجلوب ، وملأوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ، مابين أقوات وأطعمة وآلات وأسلحة وشلة وجنة وحديد مضروب وزبرة ، ونقدي ذهب وفضة ، إلى أن شحنوا بلادهم رجالاً مقاتلة وذخائر للعاجلة ، من حربهم الآجلة ، لاتشرق رشاقة إلاّ طلعت على العدو من البحر طالعة ، تعوض من الرجال من قتل ، وتخلف من الزاد ماأكل ، فهم كل يوم في حصول زيادة ، ووفور مادّة ، وقد هان عليهم موقع الحصر ، وأعلاهم البحر مامعهم البر ، وبطروا لما كثروا ونظروا ، فانهم لايستطيعون أن يلقوا ويناحروا ويستطيعون أن يصبروا على أن لاينحصروا ،

ونزلوا على عكا بحيث يمدهم البحر بامداده ، ويصل إلى المقاتل مايحتاجه من أسلحة وأزواده ، ويمن يكثر به من مقاتاته وأجناده ، فانقطعت مادة عكا من البحر ، وحصرنا منازلهم من العدو من جانب البر ، فحدقوا على أنفسهم، وحثوا التراب على رؤوسهم ، وعقدت عدتهم مائة ألف أو يزيدون كلما أفناهم القتل أحيتهم النجدة ، فكأنهم قبل الممات يعودون ، فأتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها ، فنفذت عمارتنا إلى الثغر وأوصلت اليه الأقوات التي حمل منها البحر مالا يحمله الظهر ، والأسلحة التي أمضاها الله عز وجل بيد الاسلام في صدور الكفر ، وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة ، فعدد مراكبهم كبير ، ولكن لقيناهم بأصدق منها عزمة ، والقليل مع العزم الصادق كثير ، واستمر مقام العدو محاصراً للثغر ، محصوراً منا أشد الحصر ، لايستطيع قتال الثغر لأنا من خلفه ، ولا يستطيع الخروج الينا خوفاً من حتفه ، ولا نستطيع نحن الدخول اليه لأنه قد سور وخندق ، وعجز من وراء الحجرات وأغلق ، ولما خرج ملك الألمان بحشده وسمعته التي هي منه أحشد ، وعاد جيشه الملعون على رسم قديم إلى الشام ، فكان العود لأمة أحمد صلى الله عليه وسلم أحمد ، قويت به نفوسهم ، وجمحت به رؤوسهم ، وظنوا أنه يزعجنا من مخيمنا ، ويخرجنا من خيمنا ، فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية فسلك ذات الشمال متوعراً فيها متجزاً عن لقائها ، مظهراً أنه صريع داء وما به دائها ، وكان أبوه الطاغية ملك الألمان شبيه اللعن اللاعين قائد جيشة إلى سجن سجين ، قد هلك في طريقه غرقاً ، وخاض الماء فخاضه الماء شرقاً ، وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤخر ، وقائد الجمع المنكسر ، وربما وصل بهم إلى عكا في البحر تهيباً أن يسلك البر ، ولو سبق أصحابنا إلى عساكر الألمان قبل دخولها إلى انطاكية لأخذوه أخذاً سريعاً ، وسبق بحر سيوفهم إلى أن يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعاً ، ولكن لله المشيئة في البرية ، والطاغية إنما يمشي إلى البلية ، فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق ، واجتياز طريقهم واصلاهم بالمضايق ، لكان لنا ولهم شأن ، وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان لايثنيه من العدو ثان .

ولما كانت حضرة سلطان الاسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام ، أولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه ، واستعان به على حماية نسله وحرثه ، وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغر المحجلة ، المؤمرة الكاشفة لكل معضلة ، الكاسفة لكل مشكلة ، والأخبار بذلك سائرة ، والآثار ظاهرة ، والصحف عنه باسمة ، والسير به

معلمة وعالمة ، وكل بجهاده قد سكن الا السيوف في أغمادها ، وقد أمن إلا كلمة الكفر في بلادها ، لايزال في سبيل الله غادياً ورائحاً ، ومواجهاً ومكافحاً ، ومماسياً ومصابحاً يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكاً على الأسرة ، وغزاة تصافح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الاسرة ، يذود الفرق الكافرة ، ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد ، وكلما أوقدوا نار للحرب أطفأها الله ، ولولاه لأخمد شراره كل زناد ، كان المتوقع من تلك الدولة العالية ، والعزمة الغادية مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية والهادية ، أن يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين ، فيملأها عليهم جواري كالأعلام ، ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالأيام ، تطلع علينا معشر الاسلام آمالاً ، وتطلع على الكفار آجالا ، وتردنا اما جملة واما ارسالا ، مسوقة تمدها ملائكة مسومة ومعلمة ، تقدم حيازيمها أقدام حيزوم تحت أصحابه وإنما هي منه عزمة ، كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المشأمة ، وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة ، ولما استبطأت ظن أنها توقفت على الاستدعاء فصرحنا به في هذه التحية ، فقد تحفل السحاب ولا تمطر ، إلى أن تحركها أيدي الرياح ، وقد تترك النصرة فلا تظهر إلى أن تضرع اليها ألسنة الصفاح ، وسيرحصن مجالسه الأطهر ومحله الأنور ، الأمير الأجل المجاهد الأمين الأصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين أبو الحزم عبدالرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته ، وما أختير للوفادة الا من هو أهلها ، ولا حمل الوديعة الا من هو محلها ولا بعث لنهج الصلة الا من هو مفتاحها ولأداء الأمانة الا من هو قفلها ، ومهما استوضح منه وسئل عنه فانه على نفسه بصيرة ، ومن البيان ذو ذخيرة ، وفي العربية ذو بيت وعشيرة ، والمشاهدة له أوصف ، على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فأخلف ، وما أجدره بأن يصادف بسطه على بساطه ، ونظراً يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وافراطه ، فكل هو به واف ، وكل هو للفهم الكريم كاف ، والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغاً يسر أهل دينه ، ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا إلهاً من دونه ، والسلام الصادر عن القلب السليم والود العظيم والعهد الكريم ، على حضرة الكرم العلية ، وسدة السيادة الجلية ، سلام مودة ماوفد الغرب قبلها مثلها ، ورسالة ماخطرت إلى أن انفذت وراءها المحبة رسلها ، وليصل السلام ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ان شاء الله تعالى ، وكتب في شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة ، والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه .

وكان السفير ابن منقذ مدح السلطان بقصيدة طويلة كذلك من أربعين بيتاً كان من جملة أبياتها :

سأشكر بحراً ذا عباب قطعته ... إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الدنى ... إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين لم تزل ... إلى بابك المأمول تزجى الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا ... بأن نادك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلا فبلغتها ... وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا ... تبلغك الآمال ما أنت آمل

وقد ابتهج السلطان المنصور بسفير صلاح الدين وحمله على « مباهج البر والكرامة » كما تقول المصادر المغربية ، وأعجب بشخصية الأمير ابن منقذ وأكرمه بأربعين ألف دينار .

وبالرغم من بعض المؤاخذات التي كانت للخليفة المنصور على السلطان صلاح الدين بسبب تسريح هذا الأخير مولاه قراقوش وأباه زيان لبلاد المغرب سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ – ١١٧٣م) لمحالفة خصوم الموحدين والتشغيب عليهم[1] ، بالرغم من ذلك جهز له بعد ذلك بمائة وثمانين أسطولاً كان لها أثر قوي على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول

(١) ليس صحيحاً أن سبب المواخذة هو تجافي صلاح الدين عن خطاب المنصور بأمير المؤمنين واكتفائه بنعته بأمير المسلمين فان مثل هذه الألقاب ما لم يحفل به القادة المغاربة سيما في ظروف الشدة التي كانت تستدعي وحدة الكلمة ، وبدلنا على ذلك أنهم أي المغربيين كانوا لايجدون غضاضة في أن يرددوا أسماء خلفاء بغداد على منابر مساجدهم ، كما أنهم كانوا ينقشون أسماءهم على السكة إلى جانب أسمائهم ... الأمر الذي يؤكد أن بواعث المؤاخذة كانت أعمق من هذا وأبعد ... والحقيقة أن تسريح « أبو زيان » وقراقوش للديار المغربية والايعاز لهما بمحالفة ابن غانية وعرب أفريقية كان ما سبب للموحدين متاعب جمة لولاها لكان للموحدين في بلاد الأندلس فتوحات عظيمة لاتقدر ، وقد كشفت « التوجيهات » التي وردت في رسالة تكليف صلاح الدين لابن منقذ عن هذا السر في العبارات التالية : « وان سأل عن المملوكين أبو زيان وقراقوش ، وذكر مافعلا في أطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين تفتهم مقامات القتال فيعلمه أن المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين من الطواشية والأولياء ...
الاستقصاء ٢ ص ١٦٤ – الشبيبي أدب الأندلسيين والمغاربة ص ٣٦ – ٣٧ ، المقلسي الروضتين ١٧ ، بروفنسال : رسائل موحدية سنة ١٩٩١ (رسالة بتاريخ ٢ رمضان ٥٨٨) .

ابن خلدون[1] .

ولعل أحسن تعبير أدته الشام اعترافاً بجميل العاهل المغربي هو ذلك المشهد الذي أقامته للمنصور على مقربة من دمشق على ماعند ابن خلكان وابن بطوطة .

ومعلوم أن ذلك العدد من المراكب لم يأخذ طريقه دون عسكر مدرب ودون متطوعين ومرشدين ومجاهدين ، وبهذا نفسر التحاق عدد من المغاربة بالشام كان فيهم الصناع والعمال والفهقاء من أمثال أبي الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ الذي غزا بالمغرب مع الموحدين وبالشام مع صلاح الدين[2] .

وعندما حقق صلاح الدين آماله في ابعاد الخطر عن بيت المقدس أذن لمن يريد من المغاربة بالعودة إلى ديارهم ، لكنه كان بحاجة إلى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعداداً للطوارىء .

ويتساءل بعض الناس عن تاريخ انشاء حي المغاربة بالقدس ...

وللجواب عن هذا السؤال لابد أن نرجع لافادة شاهد عيان هو الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد المشرق ثلاث مرات كانت أولاها بين عامي ٥٧٨ — ٥٨١ هـ وهي التي ألف فيها رحلته ، فقد ذكر أن المغاربة من أهل الأندلس وشمال أفريقيا تطوعوا في جيش نور الدين الشهيد وأبلوا في القتال بلاء حسناً واستدلوا على حصون كثيرة وقلاع مديدة حتى أزعجوا الصليبيين وعندما كان الصلح يقع في فترات بين المسلمين والصليبيين ، كان هؤلاء يصرون على أن يدفع كل مغربي يمر بالأرض المحتلة ضرائب باهظة ويعفون عن غير هؤلاء المغاربة من الضرائب ، وكان المغاربة يدفعون هذه الضرائب

---

(١) من غريب مايروى ، ما يدخل في نشاط متصات الرقابة ، أن بعض نسخ بن خلدون المغربية المخطوطة تحتفظ بهذا النص في الوقت الذي نجد فيه النسخ المطبوعة بالمشرق تخلو من الاشارة لنجدة صلاح الدين ، وعلى النسخة المغربية اعتمد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء ولا بد أن أؤكد هنا في الهامش أيضاً أن المنصور الموحدي خطط لفتح القسطنطينية ووصل إلى جزر اليونان قبل العثمانيين بقرنين وربع القرن كما سبق أن قلنا ....
الاستقصاء ٢ ص ١٢٣ — ١٦٤ ، د . التازي : بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية . المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ١٩٧٤ . ص ٤٣١ .

(٢) صلة الصلة رقم ٢١٨ .

وهم لايبالون بها لأن لها — كما يقول ابن جبير — سبباً من الذكر الجميل في نكايتهم بالعدو .

وقد مرض نور الدين الشهيد مرضاً خطيراً ونذر اذا ابل (شفى) من مرضه فداء عدد من الأسرى المغاربة ، فلما شفي من مرضه وفى بنذره فجاءه مع المغاربة الذين افتداهم عدد من أهالي حماة كانوا هم أيضاً أسرى فرد نور الدين الحمويين إلى الأسر ، واستبدل بهم عدداً مساوياً لهم من أهل المغرب وقال : هؤلاء يفكهم أهلوهم وجيرانهم أما المغاربة فهم غرباء لاأهل لهم .

فإذا ماأضفنا إلى هذه الافادات ماورد في المصادر التاريخية الأخرى من أنه بعد خمس سنوات من الفتح الصلاحي خلف الملك الأفضل والده صلاح على ملك دمشق والقدس ،وهنا وقف الملك الأفضل وبالذات سنة ٥٨٩ هـ البقعة التي اعتاد المغاربة أن يجاوروا عندها في بيت المقدس بقرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم وفي أقرب مكان للمسجد الأقصى ، وقفها عليهم ذكوراً واناثاً ليسكنوا في مساكنها وينتفعوا بمنافعها وأنشأ لهم في الحارة نفسها مدرسة عرفت بالأفضلية ... وحدود الحارة هذه كما وردت في حجة الوقف ، هي من الجنوب سور المدينة ومن الشرق حائط الحرم الشريف ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدي إلى الحرم الشريف ومن الغرب حارة الشرف حيث سكن الحكام والقضاة والوجهاء . ويظهر من نص الوقفية أن صحيفتها الأصلية قد ضاعت ، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضي الشرعي « بكتاب متصل الثبوت بحكم الشريعة» وقد تم ذلك مرتين الأولى في سنة ٦٦٦ هـ — ١٢٦٨ م ،بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل والثانية في سنة ١٠٠٤ هـ — ١٥٩٦ م بعد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني ، ويوجد نص الوثيقة في السجل رقم ٧٧ ص ٥٨٨ في المحكمة الشرعية وهي تختلف عما أورده مجير الدين قاضي القدس في القرن الثامن بالرغم من أسلوبها .

لكن كل هذا لم يك كافياً لتمركز المغاربة بالقدس ، فقد كانوا يشعرون سواء على المستوى الشعبي أو المستوى الرسمي بضرورة القيام بأول محاولة من نوعها في سبيل تملك العقار بتلك الديار ، وكأنهم تنبهوا لما يهدد بيت المقدس من غزو آخر يكون على

شكل اقتناء أراضي من أصحابها ، وبهذا نفسر وجود عدد كبير من العقارات في مدينة القدس وخارجها أصبحت منذ العصور الأولى تابعة للمملكة المغربية .

ولعل من المفيد أن نسجل هنا « للتاريخ » مضمون وثيقة للعالم العارف أبي مدين شعيب ابن المجاهد أبي عبدالله محمد بن الشيخ الامام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني الملكي (دفين تلمسان ٥٩٤ هـ) فقد حررت في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة(٢ نوفمبر ١٣٢٠ م) في حياة العالم العارف أبي مدين (الحفيد) حجة وقف تثبت أنه حبس مكانين اثنين كانا تحت ملكه وتصرفه وكان يتولى هو نفسه الاشراف عليهما أولهما قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف ، وتشتمل على أراضي فيها المعتمل والمعطل وفيها العامر والداثر ، والأوعار والسهول والصخور .... كما تشمل على آثار دور برسم سكنى فلاحيها ، وآثار بنيان بأراضيها وبساتين ذات أشجار رمان وغير ذلك مما يستقى من عين مائها ، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط .... بجميع حقوقها ومرافقها ومزروعها ومفلحها وأندرها ودمنها والآبار ودوالي العنب العتيقة الرومية وجميع ماينسب للقرية المذكورة داخلها وخارجها ماعدا مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرتهم .

وقد حددت الوثيقة قرية عين كارم من الجهات الأربع ، فالناحية القبلية منها تنتهي إلى المالحة الكبرى ، والناحية الشمالية تنتهي إلى بعض أراضي عين كاروت وقالونية وحاراش وصاطاف وزاوية البختياري . والناحية الغربية تنتهي إلى عين الشقاق ... والناحية الشرقية تنتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت مرميل .

أما ثاني المكانين فانه يقع بمدينة القدس نفسها بالخط الذي يعرف بقنطرة (أي ساباط) أم البنات بباب السلسلة وهو يشتمل على ايوان وبيتين وساحة ومرتفع خاص ومخزن وقبو يقعان سفلي ذلك .

وإذا كانت الوثيقة قد حددت جهات المكان الأول فانها لم تهتم بذكر مايجاور المكان الثاني من بقاع مكتفية بأن الجهات الأربع التي تحيط بالايوان معلومة لدى الخاص والعام .

ومن المهم أن نعرف أن الحد الشرقي لوقف أبي مدين يعرف بحائط البراق : لأن البراق الذي حمل رسول الله (ص) من مكة إلى بيت المقدس ليلة الاسراء ربطه جبريل هناك ، وجزء من هذا الحائط له مكانة دينية عند اليهود الذين يعتقدون أن المداميك الستة السفلى منه هي بقية سور الهيكل الذي دمّره الرومان سنة ٧٠ للميلاد .

وتمضي الوثيقة مؤكدة أن هذا الوقف « لايبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر ، كلما مر عليه زمان أكده ، وكلما أتى عليه أوان بيّنه وسدده » .

وبعد هذا تنص على أن كلاً من قرية عين كارم والايوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف أو القادمين اليه ، على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم . ذكورهم واناثهم كبيرهم وصغيرهم ، فاضلهم ومفضولهم ، لاينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ، ينتفعون في ذلك بالسكن والايجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة .... ويقدم في ذلك الواردون على المقيمين . والأحوج والأدين فالأدين ...

وتهتم الوثيقة بعوائد الوقف في حالة ماإذا انقرض المغاربة من القدس . فتنص على أنها تعود إلى المغاربة المقيمين بمكة المكرمة والمدينة المنورة فإذا لم يبق أحد من المغاربة هناك فان الفوائد ترجع إلى الحرمين الشريفين .

كما تهتم الوثيقة بناظر تلك الأوقاف وأنه في حالة وفاة العالم العارف أبي مدين يختار (الناظر) من المغاربة المقيمين بالقدس ممن يشهد له بالرشد والتقوى ممن يتعهد الوقف بعمارته واصلاحه وصيانته مما يحفظ بقاء عينه ويزيد في ريعه .

وتوضح حجة وقف أبي مدين (الحفيد) وجه النفع من (الايوان) المحبس في مدينة القدس ، فتذكر أنه أي الايوان أعد ليكون (زاوية)[1] يسكن فيها من توفرت فيه الصفتان : أن يكون ذكراً وأن يكون مجرد عابر .

---

(١) بالنظر لكون المؤسس لهذه الزاوية هو العالم العارف أبو مدين بن محمد بن أبي مدين شعيب بن الحسن المعروف (بالغوث) ، فقد التبس على بعض الناس أمر هذه الزاوية ، فأعتقد قوم أنها من أوقاف أبي مدين ، الجد ، مع أنها ـ كما نرى من الوثيقة ـ انما ترجع لحفيده ومعلوم أن (الغوث) أخذ العلم عن رجالات مدينة فاس من أمثال الشيوخ أبي يعزى وابن حرزهم وابن غالب ، كما أخذ بالمشرق عن جماعة منهم الشيخ عبدالقادر ←

وهكذا فليس من حق اناتهم السكن به ، كما ليس ذلك من حق المقيمين بالقدس الشريف . وتوضح الوثيقة شروط الانتفاع من قرية عين كارم ، وأنه لاينبغي أن تؤجر لأكثر من سنتين وأن لايستأنف عقد الا عندما ينتهي العقد الأول ، وذلك حتى لايتها دها سطو أو ادعاء ...

وقد اهتم الواقف رحمه الله بما يفضل من الاحباس من الفائض فخصصه للترفيه على المحتاجين من المغاربة سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون به وذلك طيلة الأشهر الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان بعد صلاة العصر ... كما خصص جانباً منه لتقديم الطعام بمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد الشريف .

وقد خصص الواقف بعضاً من الفائض أيضاً لكسوة القادمين من المغرب ممن يشعرون بحاجتهم لما يقيهم من قسوة الطقس .

وأخيراً فإن الوقف يضمن للذين أدركهم أجلهم في هذه الديار من المغاربة المحتاجين أن يجهزوا إلى مثواهم الأخير .

الكيلاني الذي لقيه بالحرم الشريف وجبل عرفة وأخذ عنه ، وقد تخرج على أبي مدين الغوث نحو من ألف طالب كان منهم الشيخ مولانا عبدالسلام بن مشيش (ت ٦٢٦) ويوجد جامع بمدينة فاس بحومة الرميلة يحمل اسم أبي مدين الى الآن ، كان متعبده ومدرسته كذلك . . . وقد كان أبو مدين ملاذاً لرجال الفتوى على مذهب الامام مالك الى جانب أنه كان معدوداً من الشعراء ، وقد تعرض للأسر من قبل الروم أثناء جهاده مع جماعة من المسلمين ، توفي سنة ٥٩٤ هـ على مقربة من تلمسان حيث يوجد له مشهد مقصود . . .

هذا وقد كان لأبي مدين الغوث ولد جارية حبشية سماه محمداً رباه تلميذه الإمام عبدالقادر الجزولي دفين الاسكندرية وكان محمد هذا قوي الشكيمة نعتقد أنه هو الذي تنعته وثيقة الوقف المشار اليها بالمجاهد ، ونفترض أنه توفي حوالي سنة ٦٤٣ هـ مخلفاً ولده أبا مدين الذي سماه على والده، وهذا هو صاحب الزاوية في القدس وقد توفي بالقدس نفسه بعيد تاريخ الوقف سنة ٧٢٠ وهكذا كان اتحاد الاسم بين الجد والحفيد سبباً في نسبة ما للصغير الى الكبير ، وليس ببعيد أن يكون الجد نزل بذلك الأيوان عند زيارته لبيت المقدس في طريق عودته من حجته وأن الحفيد بروراً منه بذكر سلفه اشترى الأيوان وجعله زاوية . . .

التادلي : التشوف الى رجال التصوف ، نشر وتصحيح أدولف رفور ، ٥٩ رباط ١٩٥٨، ص ٣١٦،
ابن أبي زرع : روض القرطاس ، طبعة فاس الحجرية ص (١٩٣)

ابن منقذ : أنس الفقير وعز الحقير - نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور ، الرباط ١٩٦٥ ص ١١ ، المقري نفح الطبيب ، تحقيق الدكتور احسان عباس ص ١٣٦،٧ .

وقبل أن تأتي الوثيقة[1] على النهاية تنذر المعتدين على هذا الوقف بمسؤوليتهم بهذه العبارات : « ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه العظيم صائر ، من أمير أو مأمور وذي سلطان جائر ، أن يبطل هذا الوقف ... ومن فعل ذلك وأعان عليه فالله تعالى طليبه وحسيبه ومواخذه ومجازيه ، ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستحق لعنته . وختم الرسالة بسرد التاريخ هكذا : « ذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة . (الملحق رقم ٢) .

ولم تكن أوقاف الشيخ أبي مدين أول لائحة ولا آخرها ، فان عدد الأوقاف المغربية المتكاثر على هذه الديار فرض من جهة وجود حارة بكاملها تعرف بحارة المغاربة ، كما أنه من جهة أخرى كان يحرك باستمرار أريحية القادمين من المغاربة على تنمية هذه الأوقاف واغنائها ، وهكذا نجد وثيقة وقف أخرى للشيخ العابد المجاهد عمر المجرد بن شيخ الشيوخ القدوة عبدالله بن عبدالنبي المصمودي المغربي المالكي ... ويتعلق الأمر بثلاث دور تقع بحارة المغاربة مع جميع ماتعرف به وينسب اليها خارجا أو داخلاً فيها[2] .

وإلى جانب الدور الثلاث حبس المجاهد السيد عمر المصمودي جميع الزاوية الأخرى التي أنشأها هو بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب والتي كانت تشتمل على عشر حجرات بجميع مرافقها داخلاً فيها وخارجاً عنها .

وكما كان من الامام أبي مدين ، فقد كانت أوقاف المجاهد المصمودي على المغاربة المحتاجين سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون .

---

(١) أصل الوثيقة محفوظ في سجل أوقاف المغاربة الموجود بقلم المحكمة الشرعية تحت ص ١ - ٢ وقد زودنا بصورة طبق الأصل زميلنا سعادة السيد كمال المحمود سفير المملكة الأردنية الهاشمية ببغداد سابقاً بمساعدة رئيس بلدية القدس السيد روحي الخطيب ، وقد كان أول من تحدث عن هذه الوثيقة عام ١٩٨١ (جريدة الكلية ببيروت ، عدد ٣ و ٤) الأستاذ عبدالله مخلص أمين المجلس الاسلامي الأعلى ، وعضو المجمع العلمي بدمشق آنذاك ... وقد كان ممن اهتم بهذه الوثيقة زميلنا الأستاذ عبداللطيف الطيباوي في كتابه بالانجليزية عن المؤسسات الاسلامية الخيرية في القدس، لندن ١٩٧٨ ، وفي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق اكتوبر ١٩٧٩

(٢) يظهر أن الدور الثلاث كانت من الشهرة بحيث جعلت كاتب الوثيقة يقول : ان شهرتها كافية عن ذكر حدودها الأربعة .

وقد جعل الانفاق على الزاوية من مداخيل الدور الثلاث وجعل الفائض مصروفاً على الضعاف طيلة الشهور الثلاثة ، رجب وشعبان ورمضان .

وقد كان المجاهد المصمودي يشرف بنفسه على الأوقاف شأنه في ذلك شأن العالم العارف أبي مدين ... وقد اشترط لمتولي أوقافه في حالة وفاته — أن يكون من جنس المغاربة المختارين من ذوي التقى والصلاح .

وقد نددت الوثيقة كسابقتها بكل من يحاول إبطال الوقف أو تقويضه وختمت هكذا في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاثين وسبعمائة[1] (الملحق رقم ٣) .

ونحن على مثل اليقين من أن هناك عشرات بل مئات الحجج الوقفية التي لاتقل أهمية عن الحجتين السابقتين مما حررها المحسنون المغاربة واختفت مع مرور الأيام وتوالي الأحقاب .

وعلى ضوء هذا ندرك جيداً معنى وجود مدرسة للمالكية ومساجد تنسب للمغاربة مما تحدث عنه الرحالة خالد البلوي الأندلسي وابن بطوطة الطنجي في النصف الأول من القرن الثامن[2] والعلامة المقرى في أوائل القرن الحادي عشر[3] والوزير أبو القاسم الزياني في مطلع القرن الثالث عشر[4] .

لكن كل هذا لم يكن كافياً لتمركز المغاربة بالقدس ، فقد كان على دولة بني مرين التي ورثت دولة الموحدين أن تقوم بعمل أوسع وأكبر في سبيل تملك العقار حماية

---

(١) أخرجت الوثيقة من سجل أوقاف المغاربة المحفوظ في قلم المحكمة الشرعية بالقدس كوثيقة وقف أبي مدين ولعل من أمانة البحث العلمي أن نؤكد هنا على أن وقف المصمودي يرجع إلى تاريخ ثلاثين وسبعمائة وليس إلى تاريخ ثلاثة وسبعمائة كما يذكره الزميل الاستاذ عبداللطيف الطيباوي في كتابه (بالانجليزية) عن المؤسسات الاسلامية الخيرية في القدس (لندن.١٩٧٨) ص ١٠ وكذلك في بحثه القيم عن القدس الشريف في تاريخ العرب والاسلام المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٥٤ ، ج ٤ تاريخ ذي القعدة ١٣٩٩ — اكتوبر ١٩٧٩ .... وقد حصل التساهل نفسه في البحث الجليل الذي قدمه الزميل الدكتور عبدالعزيز الخياط إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الاردنية في ابريل ١٩٨٠ ص.٢٨ وبهذا تكون وثيقة أبي مدين تسبق وثيقة المصمودي .

(٢) ابن بطوطة ج ١ ص ١٢٥ طبعة باريس ١٩٦٨ — محمود العابدي : بيت المقدس ٩...١٩ ص ٢٩ — د. عبدالعزيز الخياط ، أوقاف القدس . ابريل ١٩٨٠ .

(٣) نفح الطيب ، ص ١ و ١٧ طبعة بيروت .

(٤) الترجمانة الكبرى للزياني ، نشر وزارة الأنباء المغربية ، تحقيق عبدالكريم الفيلالي ص.٢٦٨ .

لتلك الديار من دنس المتسللين والانتهازيين ، وهكذا نجد السلطان أبا الحسن عليا بن عثمان يخصص عام ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ — ١٣٣٨ م) ستة عشر ألفا وخمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع في القدس والحرمين الشريفين .

وحتى يعرب الملوك المغاربة عن تعلقهم بتلك الرحاب قاموا أنفسهم بنسخ ثلاثة مصاحف كبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيراً بأهمية التربة وتعبيرا .

وكما كان الشأن في مصحف مكة عام ٧٣٨ هـ — ١٣٣٨ م ، ومصحف المدينة عام ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ — ١٣٤٠ م) ، فقد قام السلطان أبو الحسن عام ٧٤٥ هـ (١٣٤٥ — ١٣٤٥ م)[1] باستنساخ المصحف بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه ، كما أحضر القراء لضبطه وتهذيبه ، ووضع له ظرفاً مصنوعاً من الأبنوس والعاج والصندل مغشى بصفائح الذهب ومغلّفاً من فوق برقاع من الحرير والديباج . وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر أن أبا الحسن أدركته وفاته قبل الفراغ من نسخه هذا المصحف فان النسخة التي توفرت ولم يكملها هي النسخة الرابعة وكانت برسم مسجد الخليل وقد أكملها بعد أبوفارس وهي التي كان يأمل الخطيب ابن مرزوق مصاحبتها [2] فقد بعث بهذا المصحف الجميل إلى أبي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، بوساطة بعض سفرائه اللامعين من أمثال: أبو الفضل بن أبي عبدالله بن أبي مدين[3] ، وعثمان ابن يحيى بن جرار حيث اصحبها العامل بهدايا كبيرة وصلات للمجاورين بالمسجد الاقصى وحبس بهذه المناسبة عدداً من القفار .

وقد ذكر المقرى صاحب (نفح الطيب) ، أنه رأى المصحف الذي ببيت المقدس ورأى ربعته (يعني ظرفة) وهي في غاية الصنعة[4] .

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس إلى السنوات الأخيرة حيث وقعت عليه بالمتحف الاسلامي يوم الأربعاء ٢٨ صفر الخير ١٣٧١ الموافق لـ ٢ سبتمبر عام ١٨٥٩ .

---

(١) يذكر الأستاذ الطبياوي تاريخ ٧٥٣ وهو محتاج إلى تصحيح .

(٢) ابن مرزوق : المسند الصيح الحسن ، تحقيق د. مارياجينوس بيغيرا تقديم محمود ابو عباد ، الجزائر .

(٣) لايظهر أن هناك صلة بين أبي الفضل بن محمد بن أبي مدين هذا وبين صاحب الوقف عام ٧٢٠ العالم العارف أبي مدين شعيب بن المجاهد أبي عبدالله بن بركة المسلمين أبي مدين

(٤) المقري : نفح الطيب . نشر ، د . احسان عباس ، مجلد ٤ ص ٤٠٣ .

ان المصحف المريني يتكون من ثلاثين جزءاً ويدعى بالربعة المغربية وهو على مايؤكد الاستاذ السيد مروان أبو خلف[1] من أروع المصاحف التي يحتضنها المسجد الأقصى ، حيث أن جميع أجزائه مكتوبة على رق الغزال وكل منها مجلد بجلد سميك أيضاً من رق الغزال وعلى كلا الوجهين هناك زخارف هندسية وكتابية ، وكل وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية ، أما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز ، وأن كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخارف كتابية ، وقد كان مما كتب في الشريط الزخرفي مايلي : كتب هذه الربعة المباركة بخطه ووقفها على التلاوة فيها ببيت المقدس شرفه الله ، عبدالله علي أمير المسلمين بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبدالحق ، وأكملت في أواخر ذي الحجة خمسة وأربعين وسبعمائة ... وقد نصت الكتابة التي على الصفحتين الأخيرتين على مايلي : « كمل الجزء الأول ، الثاني ، الثالث ، الخ ... من المصحف الكريم المجزأ ثلاثين جزءاً وكتب جميعها بخط عبدالله علي أمير المسلمين ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق ملك المغرب نفعه الله ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله ... وذلك في أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بحاضرته فاس حرسها الله .

واستمرت صلة الدولة المغربية بتلك البقاع ليس فقط لما تتمتع به من قداسة ، ولكن لأن عدداً مهماً من المواطنين المغاربة ارتبط بهذا البيت الشريف ، فكان جسراً شريفاً يربط بين مغرب الاسلام ومشرقه ، ولهذا فلا عجب أن نجد السلطان أبا العباس أحمد المنصور السعدي يستقبل في قصره بالمغرب عدداً من علماء مكة والمدينة وبيت المقدس .

وهكذا نجد الفقيه أمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي الأشعري يتعلق ببيت المقدس لدرجة تجعله — بالرغم مما لقيه في بلاط أبي العباس من كرم الضيافة ولطف المعشر — يعبر عن شوقه إلى تلك الرحاب :

---

(٢) قدم أبو خلف بحثاً مهماً بعنوان : (المتحف الاسلامي بالحرم الشريف ، تاريخه ومحتوياته) إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الاردنية — جمادي الثانية ١٤٠٠هـ — ابريل ١٩٨٠ .

أهلي بأرض القـــدس ينتظرونني ... قد مسّهم ألم النوى ببعـادي
لي طفلـة كلـف الفؤاد بحبهـا ... وتشتت لفراقها أكبـادي
جست الأراضي واختبرت ملوكهـا ... ولقيت من فيها مـن الأمجـاد
ماشاهـدت عيناي مثلك في الـورى ... تتبين الأشياء بالاضـداد
بل جودكم عـم الأنام وقدركـم ... أربى على المأمـون في بغـداد[1]

وكما كان الشأن في العهود السابقة فاننا نجد الأمر كذلك بالنسبة للعصور اللاحقة حيث ظلت القدس مزار المغاربة يقصدونها جيئة وذهابا (يقدسون ويجلون) سواء أكان اتجاههم نحو الحجاز مع ركب الحج أو نحو اسطنبول في مهمات سياسية ، كما ظلت فكرة تملك العقار بتلك البقاع في صدر اهتمام المغاربة كيفما كانت درجتهم .

وقد استمر اهتمام الملوك العلويين بأمر القدس الشريف فوجه السلطان المولى عبدالله بضعة وعشرين مصحفاً بخطوط جميلة كان منها مانال ثالث الحرمين[2] .

وهكذا كان المسجد الأقصى بمثابة مزارة من صميم المغرب لاتختلف عن مشهد المولى ادريس الأكبر بمدينة زرهون أو ادريس الأزهر بمدينة فاس الأمر الذي يفسره الاهتمام بنشر قرارات الدولة على جدران تلك المراكز على نحو نشرها بالديار المغربية لأن الجاليات المغربية تتواجد بكثرة في تلك البقاع ...

ومن هنا كثر المغاربة وأخذوا يجدون لهم فروعاً في شتى جهات فلسطين ، ومع أنهم امتزجوا بباقي الأسر هناك فانهم ظلوا ماتفين بعضهم بعضاً محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم في المطعم والملبس والمذهب كذلك .

وبهذا نفسر اتساع (حي المغاربة) واكتظاظ جوانبه ، حيث أوشك أن يكون القلب النابض للقدس الشريف .

ومع توالي الزمن توجهت الأنظار بصفة خاصة إلى هذا الحي الذي يحده شرقاً كما

---

(١) المقري : روضة الآس العاطرة الأنفاس (مطبوعات القصر الملكي ١٩٦٤ ص ١ و ١٥) .
(٢) الزياني – الروضة (مخطوط) ص ٩١ (ب) .

سبق أن قلنا (حائط البراق) وقد أمسى هذا الحائط معروفاً عند اليهود بحائط المبكى ، حيث انطلقت المشاكل ونصبت الحبائل ...

لقد احتل محمد علي باشا والي مصر فلسطين سنة ١٨٣١ م عند ثورته على السلطان محمود وكان من أهم نتائج ذلك في القدس تأسيس (مجلس شورى) دخله ممثلون عن النصارى واليهود لأول مرة ، وأسست في القدس أول قنصلية بريطانية . كان مما اهتمت به منح حمايتها لعدد من اليهود ، حيث وجدنا أحدهم يقدم طلباً بواسطة القنصلية ليسمح له بتبليط (مبكى اليهود) على نفقته ، وكان هذا المبكى زقاقاً غير نافذ أمام حائط البراق الذي يحد الأوقاف المغربية ....

ونظر (مجلس الشورى) في الطلب وأوصى برفضه فأصدر محمد علي أمراً بالسماح لليهود بزيارة المكان « على الوجه القديم » لكن منعهم من تبليطه (لأنه وجد أنه غير جائز شرعاً . فهو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف ومحل ربط البراق وداخل في وقفية أبي مدين وما سبق لليهود تعميره ....) .

لقد صدر الأمر فعلاً من حاكم الشام محمد شريف باشا إلى السيد أحمد آغا الدزدار متسلم القدس وتاريخه ٢٤ ربيع الأول ١٢٥٦ — ٢٨ مايو ١٨٤٠ (الملحق رقم ٤) .

ولما كثر اليهود بالقدس بعد عام ١٨٨٢ م وكثر بينهم الصهاينة والمحميون كذلك والذين تقنعوا بالدين للوصول إلى أهداف سياسية أخذ بعضهم في التطاول على الحالة الراهنة فكانوا يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها وستاراً يضعونه بين الرجال والنساء فتسد بذلك طريق سكان البيوت المجاورة على أرض الوقف ، وهذا كان خلافاً للعرف القديم ودون اذن متولي الوقف ، فكتب هذا شكوى إلى مفتي القدس والمحكمة الشرعية فكان الرأي أن ماحاوله اليهود بدعة قد يتخذونه سبباً لادعاء شيء من الملكية في الرصيف أو الحائط ، ورفعت الأوراق إلى المتصرف فدارسها المجلس العمومي في ١٢ نوفمبر من السنة المالية ١٣٢٨ هـ — ١٩١١ م فامر بابقاء القديم على قدمه ومنع اليهود من تغييره ويوجد النص الكامل لقرار متولي أوقاف المغاربة الذي كان يدرك أبعاد المؤامرة في السجل الشرعي بالقدس (الملحق رقم ٥) .

وقد ظلت جميع تلك الأوقاف معروفة بأعيانها محفوظة مصونة عبر الدهور والسنين وظلت الدول المتعاقبة على الحكم وفية لتلك الأوقاف وخاصة أيام الفتح العثماني عام ۱۹۲۲ (١٥١٦ م) وحتى بعد الاحتلال البريطاني سنة ١٣٣٥ ه (١٩١٧ م) .

ولم يجرؤ أحد ممن تقدم – كما أسلفنا – على انتهاك حرمة تلك البقاع التي تملكها الأقدمون بوجه صحيح ، وصرفوها في وجه صحيح .... الا عندما كان العدوان الصهيوني الصارخ على فلسطين عام ١٣٦٧ ه (١٩٤٨ م) هناك فقط سطت عصابات العدوان على جانب منهم من أوقاف العارف أبي مدين ، وهو الجانب الذي يقع خارج القدس الشريف بقرية عين كارم ، حيث الأراضي الخصبة والأشجار الثابتة والثمار اليانعة والعيون والآبار ، مما يرجع عهده – على ماأسلفنا – لأوائل القرن الثامن الهجري (أوائل القرن الرابع عشر الميلادي) .

ونظراً لظروف المغرب السياسية آنذاك (١٩٤٨ م) فانه لم يكن ليملك غير تسجيل موقفه الذي تجلى في مظاهر الاحتجاج التي شملت بلاد المغرب بمدنه وقراه ، سهولة وجباله .... عندما التجأ الوطنيون إلى بيوت الله ... لقد كان المغاربة يشعرون بأنهم مشدودون إلى تلك الأراضي بالرغم من بعدها مسافة عنهم ، وهكذا فانهم ماانفكوا يذكرون أوقاف عين كارم كما يذكرون عكا ونابلس والرملة ...

ولما كان عدد أفراد الجالية المغربية في تزايد مستمر ، ولما كانت مصالحهم وأعمالهم كثيرة فكّر رجال الجالية في فصل الأوقاف المغربية عن شؤون الأوقاف الاسلامية ، ونجحوا في ذلك مطلع عام ١٩٥٤ ، وهكذا أصبحت الأوقاف مستقلة مالياً وادارياً ، وقد عيّنت الأوقاف بالاتفاق مع لجنة مغربية الشيخ الحاج محمد المهدي متولياً للوقف يحمل اختاماً خاصة ويشرف على تصريف شؤون أوقاف المغاربة داخل القدس وخارجه ، وكانت الجالية المغربية تعتبره بمثابة (المختار) (أي النقيب) ، ولما كان الشيخ المهدي قد طعن في السن كثيراً اجتمع رجال الجالية وانتخبوا الحاج علي النقيب ليخلف الشيخ المهدي ، وبعدها قررت الجالية انتخاب السيد محمد ابراهيم عبدالحق الفكيكي وعيسى هاشم السويسي .

وبعد أن تسلم الوقف كل من المتوليين محمد عبدالحق وعيسى هاشم قاما باتصالات

مع المملكة المغربية نفسها ، بعد نيل المغرب لاستقلاله ، وشرحا الوضع الذي توجد عليه الأوقاف .

ولم تلبث الحكومة المغربية أن توصلت بتصاميم دقيقة لكل المباني التابعة لأوقاف المغاربة بالقدس فاستجابت حكومة صاحب الجلالة لحاجات أولئك المواطنين وأخذت تبذل عطاءات سخية ومنتظمة لحماية تلك الأوقاف التي يرجع تاريخها إلى عهود سابقة على ماعرفنا .

ومن جهة أخرى فقد رفض المغرب رفضاً باتاً أن يتعامل مع الصهاينة حول الدعوى التي كانت وزارة الخارجية الفرنسية أقامتها على اسرائيل عام ١٩٥٣ م ابان الحملة الفرنسية وقد كان منطلق المغرب من شجبه للعدوان الصهيوني على الأرض العربية وعدم اعترافه بالكيان الصهيوني .

ولعل من الطريف أن نستمع إلى دعوى يقيمها المتوليان المذكوران على مديرية الأوقاف العامة الفلسطينية التي كانت سجلت خطأً بعض العقارات المغربية منذ عام ١٩٣٨ ضمن عقاراتها مع أنها أي تلك العقارات معدودة من الأوقاف المغربية الخاصة .

ومن الأظرف كذلك أن نجد المحكمة الشرعية في القدس تصدر حكماً تنصف فيه المتوليين للأوقاف المغربية معتمدة في ذلك الحكم على كتاب سماحة قاضي القضاة الموجه إلى مدير الأراضي والمساحة بتاريخ ١٩٦٠/٨/١م والمتضمن طلب تسجيل تلك العقارات لفائدة المغاربة أصحابها الأصليين .

ويتعلق الأمر بما ينيف على أربعين عقاراً فيه الديار والمخازن والمتاجر والأراضي سواء منها مايوجد في محلة المغاربة أو في محلة باب حطه أو محلة الواد أو محلة الشرف[1] .

(الملحق رقم ٦) .

---

(١) الاشارة إلى القضية رقم ٥٦ ، ٦١ رقم الأعلام ١٢١ عن المحكمة الشرعية في القدس جلد ٥٥ ص ٥٦ عدد ١٢١ .

واذ عرفنا دفاع المغاربة عن أوقافهم بالقدس أمام المحكمة الشرعية ، وعرفنا مع ذلك أنصاف العدالة لهم فيما يتوفرون عليه من تراث ، تصورنا اذن فداحة الشعور بالأسى والمرارة وهم أي المغاربة يرون أن القدس برمته بما فيه محلتهم التي عاش فيها أسلافهم وجدودهم وآباؤهم ونشأوا هم فيها على مقربة من المسجد الأقصى تقع جميعها بحكم سلاح الغدر تحت هيمنة الصهيونية على نحو ماتم منا نحو من عشرين سنة بعين كارم وما قبل وما بعد عين كارم .

لقد صادرت الصهيونية الغاشمة في يونيه ١٩٦٧ م تلك البقية الباقيةمن الأوقاف وضمتها إلى أملاكها وأخلتها من سكانها مستعملة لتحقيق ذلك ، وسائل الضغط الاقتصادي وقطع شبكات المياه وأخيراً استعمال القوة والعنف حيث قامت بنسف الحي المغربي وتسويته بالأرض مستعيضة عنه بساحة عامة قريباً من حائط المبكى .

لقد تمت عملية اجلاء سكان الحي المغربي مساء يوم ١٩٦٧/٦/١٠ وصباح يوم ١١ شرع في هدمها مباشرة في نفس اليوم والأيام التالية(٢) .

وقد قامت الهيئة الاسلامية في القدس بواجبها احتجاجاً واستنكاراً لنسف حي المغاربة سيما وأنه سيتبعه هدم باقي الأبنية العربية القائمة بين باب المغاربة والزاوية الجنوبية الغربية للحرم والملاصقة للمسجد الأقصى من جهة الجنوب ، وكذلك هدم عمارة المحكمة الشرعية القديمة وباب السلسلة من جهة الشمال ، وهكذا سارعت الهيئة المذكورة إلىتقديم مذكرة احتجاج إلى السلطاتالمحتلة بتاريخ ١٩٦٧/٨/٩ تطالب فيها بايقاف أي اجراء تعسفي جديد(٢) .

وأتت معاول البغي والعدوان في ظرف بضعة أيام على مائة وثمانية وثلاثين بناية فيها جامع البراق الشريف وزاويته (وجامع الأفضلية) وزاويته ومقام الشيخ حسن ومقام الشيخ عبيد ومكتب ادارة الأوقاف ومخازنها ، وكان فيها مسكن الزواوي والجربي

---

(١) روحي الخطيب : العدوان الاسرائيلي على المقدسات الاسلامية في القدس ص ٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٨ .

والدكالي والمراكشي والشاوي والفيلالي والسباعي والطيب ، والفاسي ، والدراوي ، والتواني والجريدي والسرغيني وعبدالحق ، والسويسي والتازي والتيجاني والمديوني والحلفاوي والشنقيطي والفكيكي وغير هؤلاء من العوائل المعروفة(١) (الملحق رقم ٧) .

ولم تمض سنة على هذه الكارثة المهولة حتى عمدت اسرائيل إلى اصدار قرار جائر آخر يهدف إلى استملاك عدد من الأراضي والعقارات كان فيها ماتعود ملكيته لوقف الشيخ مدين واوقاف المحسنين المغاربة بالقدس .

وبمجرد ماظهر ذلك في الجريدة الرسمية الصهيونية بتاريخ ١٩٦٨/٤/١٨م اعترض متوليا الوقف الشرعيان السيدان عيسى هاشم السويسي ومحمد ابراهيم عبدالحق الفكيكي على القرار **الاسرائيلي** محتجين في عريضتهم بتاريخ ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٨م بأن القوانين والشرائع الدولية لاتجيز للدولة المحتلة أن تستملك أي قطعة أرض من الأراضي المحتلة .

وان هذه العقارات هي أوقاف خيرية اسلامية ولها قيمتها التاريخية ومكانتها المقدسة وحرمتها الشرعية والقانونية ، وشروط الواقفين واحكام الشريعة الإسلامية الغراء تنص صراحة على الحفاظ على أعيانها ومواقعها والانشاءات العامة عليها وعدم التفريط فيها لأي سبب ..

ومحتجين بأن بيع العقارات الوقفية غير جائز في الشريعة الاسلامية وأحكامها ، وكذلك لايجوز الاقدام على أي عمل يتفرع على البيع أو التنازل او قبول وضع اليد أو الهبة أو الهدم وما إلى ذلك ، وحيث ان الوقفية على قبول وضع اليد أو السكوت عليها هي من قبيل البيع ومشتقاته وحيث أننا — تقول عريضة الاحتجاج — ممنوعان شرعا من ذلك فاننا نعترض على وضع اليد عليها .

وتمضي العريضة مذكرة بما سيتعرض له الكثيرون من فقدان مساكنهم وأملاكهم وحقوقهم التي هدف اليها الواقف أو الواقفون من هذه المؤسسات الخيرية من الانتفاع

---

(١) نحيل على لائحة وقف المغاربة بالقدس وخاصة جرد العقارات التي هدمت بحي المغاربة الذي يتضمن أسماء ساكني العقار وأوصافه وعدد غرفه وقيمته بالدنانير الأردنية .

والاستفادة بالوقف وعينه وغلته التي تصرف على الفقراء والأرامل والأيتام والعجزة من المغاربة بصورة دائمة وعلى مر العصور والأيام منذ سبعمائة وعشرين هجرية (٧٢٠).

وتضيف وثيقة الاحتجاج إلى هذا ان معظم عقارات وممتلكات الوقف موضوع الاعتراض هذا والواقعة في حي المغاربة بالقدس بالبلدة القديمة داخل السور ، قد جرى هدمها وازالتها يوم ١٩٦٧/٦/١١ م واليوم الذي يليه بحيث بلغ عدد العقارات التي هدمت ١٣٨ داراً ومخزنا بما في ذلك جامع البراق وزاويته الخ .... وان هناك ستة عشر عقاراً من أملاك الوقف معرضة للزوال ووضع اليد عليها ، وهذه العقارات معدة للاستغلال لجهة الخير والشر ، وان زاوية المغاربة (الملجأ الخيري) التي تقع في أعلى تارة المغاربة من جهة الغرب والتي وقفت منذ سبعمائة وثلاثين هجرية (٧٣٠) والتي تشتمل على جامع للصلاة وضريح لواقفها الشيخ المجاهد عمر المجرد المصمودي المالكي ، هي مشمولة أيضاً بوضع اليد عليها وغير مستثناة من ذلك الأمر المخالف للقانون والأصول ..

وتطالب الوثيقة باعادة النظر في قرار وضع اليد عليها الأوقاف المغربية على الأقل اسوة بممتلكات وأراضي ومقدسات الجاليات اليهودية في بلاد المغرب ....

وتختم وثيقة الاحتجاج باعلان احتفاظ المغاربة بحقهم في اتخاذ أية اجراءات قانونية لدى المحاكم والجهات المختصة لابطال قرار الاستملاك والغائه من غير تساهل مع أي كان في السطو عليها . (الملحق رقم ٨) .

وقد كانت (ادارة وقف أبي مدين واوقاف المحسنين المغاربة في القدس وخارجه) اعدت بتاريخ ١٩٦٨/٥/٥ م جردا مدققاً للعقارات الواقعة ضمن منطقة الاستملاك الجائر ، وكانت تبلغ زهاء الستين عقاراً يوجد ضمنها عدد « من البيوت يسكنها مغاربة أو يؤجرها منهم عدد من المسلمين والمسيحيين ... وهي تقع في حي المغاربة بالذات أو حوش الغزلان أو حارة السريان أو سوق الحصر .... فيهم أسرة المصلوحي والجبلي ... وان من أبرز هذه العقارات أرض مدرسة المسجد الأقصى وهي من المدارس التي اسدت للنشيء المقدسي هناك جلى الخدمات في تربيته وتعليمه .

كما ان من أقدم هذه العقارات واهمها (زاوية) ابي مدين نفسها والشيخ عمر

المجرد على ماسلف القول ، وتحتوي على خمس وعشرين غرفة ، وتضم مثل هذا العدد من الفقراء المغاربة والعجزة وبها مقام الشيخ عمر المجرد ومسجد للصلاة.... (الملحق رقم ٩) .

وعبثا كانت الصيحات المدوية ، فان العصابات الصهيونية دأبت على التمادي في استفزازاتها لكل الأوضاع والقوانين والقيم ، متناسية كل مظاهر التسامح والتكريم التي لقيها اليهود في شتى جهات البلاد العربية والاسلامية ، ومنها بلاد المغرب التي تفرض احترام المؤسسات والمواقع الأثرية والمراكز الثقافية التي ترجع للطائفة الموسوية ...

ولم يابث العالم الاسلامي ان صدم بالحادث المؤلم الذي وقع يوم ٢١ اغسطس ١٩٦٩ م والذي سبب الحريق فيه أضراراً فادحة للمسجد الأقصى الشريف،الأمر الذي أثار أعمق القلق في قلوب أكثر من ثمانمائة مليون من المسلمين في سائر أنحاء العالم .

وهكذا رأينا الملك الحسن الثاني يدعو لأول مرة مؤتمر قمة اسلامي احتضنته مدينة الرباط العاصمةفي رجب ١٣٨٩ هـ سبتمبر ١٩٦٩ م ،تحت رئاسة جلالته،كانتالمناسبة الأولى التي اجتمع فيها المسلمون على طاولة واحدة وأصدروا توصيات في منتهى الأهمية .

ليس هذا فحسب ، ولكن المؤتمر عرف حياة دائمة ، وأصبح هيأة متصلة الجوانب محكمة الحلقات ، تجتمع في كل فصل وتنتقل عبر القارات لاسنقطاب كلمة المسلمين فانطلق المؤتمر ، ممثلاً بوزراء الخارجية يجتمع في جدة شهر آذار (مارس) ١٩٧٠ وفي كراتشي من نفس السنة .

في أثناء هذا تضايقت اسرائيل من صنيع أصحاب الحي المغربي ، هكذا وفي هذه المرة كان النسف والهدم تحت ستار الحفريات واستكشاف الآثار بين أوقاف المغاربة حسبما أعلنته الصحف الصهيونية « دافار » بتاريخ ١٩٧١/٧/١٤ و ١٩٧١/٨/٢ و « هارتز » بتاريخ ١٩٧١/٧/١٩ م و ١٩٧١/٣/٥ م (الملحق رقم ١٠) .

ولكل فعل رد فعل ، فقد اجتمع وزراء الخارجية مرة ثالثة بجدة محرم ١٣٩٢ هـ مارس ١٩٧٢ م ليضعوا (ميثاقالمؤتمر الاسلامي) ثم اجتمعوا فيبنغازيعام ١٩٧٣ م .

ولا بد أن أعرب عن ابتهاجي – كمؤرخ يجد المتعة في ربط حلقات التاريخ بانتفاضة المغرب قمة وقاعدة للوقوف إلى جانب اخوته في المشرق (١٩٧٣ م)على نحو مافعله يوم تعرض الشام للغزو الصليبي والتتري ثم النابليوني ... لقد انفقت الملايين في ظرف أسبوع ، وتهافت المغاربة قمة وقاعدة للتبرع بدمائهم ...

وبالرغم من الفوارق والعوائق ، رأينا وحدات القوات المسلحة الملكية تلتحق باللاذقية أو الاسكندرية ، وهي كاملة التجهيز والعدة مؤلفة من كتائب دبابات وأفواج للمشاة إضافة إلى المواد المقدمة على شكل هدايا » .

وقدشهدت لاهور انعقاد مؤتمر القمة الثاني عام ١٣٩٤ هـ فبراير ١٩٧٤ م،وتبع هذا انشاء النظام الأساسي لصندوق التضامن الاسلامي الذي أقره مؤتمر وزراء الخارجية (الخامس) في كوالا لامبور .

وقد أخذ المسلمون طريقهم فعقدوا المؤتمر السادس لوزراء الخارجية في جدة عام ١٩٧٥ م والسابع في اسطامبول ١٩٧٦ م ثم الثامن في طرابلس عام ١٩٧٧ م ثم التاسع في داكار ١٩٧٨ م رشاهدنا المؤتمر العاشر ينعقد بتاريخ ١٩٧٩ م .

وان من أروع المصادفات التاريخية الطريفة أن يشهد المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية انشاء لجنة القدس كما يشهد قراراً بمناشدة جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية بقبول رئاستها من أجل تنفيذ برنامج سياسي واعلامي في العالم غير الأسلامي لدعم قرارات المؤتمر الاسلامي على أعلى مستوى محافظة على اسلام وعروبة القدس الشريف .

وقد أصبحت الآن (لجنة القدس) حقيقة ماثلة تتحدث عنها أجهزة الاعلام في القارات الخمس وهي تتألف علاوة على المغرب ، السعودية ، بنغلادش ، وغينيا ، واندونيسيا ، وايران ، وليبيا ، والاردن ، ولبنان ، وباكستان ، ومنظمة التحرير الفلسطينية والسينغال ، والسودان ، وسوريا .

لقد أخذت لجنة القدس طريقها وهي اليوم تخطط وباتقان استراتيجية محكمة متقنة تتناول مختلف جوانب الاستعداد انطلقت كما رأينا من فاس واجتمعت بمراكش

ثم باسلام آباد وعندما جرؤت اسرائيل على اعتبار القدس عاصمة أبدية اجتمعت لجنة القدس في اجتماع طارىء بالدار البيضاء تحت رئاسة جلالة الملك الحسن الثاني حيث اتخذت قرارات هامة ودعت لمؤتمر استثنائي لوزراء الخارجية انعقد بمدينة فاس أول سبتمبر ١٩٨٠ م وصدرت عنه مقررات سوف تعرض على (لجنة القدس) قبل أن تقدم إلى القمة الاسلامي الثالث الذي من المقرر أن ينعقد بالمملكة العربية السعودية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ...

وهكذا تجد اسرائيل نفسها أمام اولئك الذين دافعوا بالأمس عن ديارهم وأوقافهم بالقدس دفاع الأبطال ... وان من حسن الطالع حقاً أن تأخذ هذه المسيرة طريقها لتحقيق العدل ضد الطغيان والسلام ضد العدوان .

الملحـــق الأول

وقفية حي المغاربة بالقدس

من طرف الملك الأفضل سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٧ م

شرط واقف محلة المغاربة قيد باذن مولانا .... شجاع الدين افندى قاضي القاس الشريف ... وهذا الكتاب متصل الثبوت والتنفيذ بحكم الشريعة إلى يومنا هذا ، وقيد في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وأربع .

بسم الله الرحمن الرحيم . يشهد من اثبت اسمه وشهادته آخر هذا المحضر ، وهم يومئذ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم وخبرة بما يشهدون به شهادة عرفوا صحتها وتحققوا معرفتها .... لايشكون فيها ولا يرتابون ... ويلقون الله أداءها انهم يعرفون جميع الحارة المعروفة باسم حارة المغاربة الكائنة بمدينة القدس الشريف .... الحد الأول وهو القبلي ينتهي إلى سور مدينة القدس الشريف وإلى الطريق المسلوكة إلى عين سلوان . والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي إلى حائط الحرم الشريف والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات . والحد الرابع وهو المغربي ينتهي إلى دار الامام .. شمس الدين قاضي القدس الشريف ، ثم إلى دار الأمير عماد الدين بن موسكي ، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز .

ويشهد شهوده أن هذه الحارة المعينة أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي ، رحمهما الله تعالى ، على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم واناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم ، ليسكنوا فيها في مساكنها وينتفعوا بمرافقها ، على قدر طبقاتهم وما يراه الناظر عليهم وعلى وقفهم من ترتيب ذلك وتفضيل من يفضله وتقديم من يقدمه ، بحيث لايتخذ شيء من المساكن ملكاً ولا احتجازاً ولا بيعاً ، وقفاً مؤبداً شرعياً ، ماضياً جارياً على هذه الطائفة المغاربة ....

ويشهد شهوده ان النظر في ذلك ، وفي كل جزء منه ، وفي ترتيب أحواله ووظائفه وأموره راجع إلى من يكون شيخاً قدوة من المغاربة المقيمين في كل عصر وأوان بالقدس الشريف ، يتولى ذلك بنفسه وله ان يولي من اختار وآثر ، ويستنيب عنه من يقوم مقامه ، وله عزله اذا أراد ....

ويشهدون به وبذلك كتبوا شهاداتهم في اليوم الرابع والعشرين من شهر الله رجب الفرد سنة ست وستين وستمائة .

الملحــق الثاني

نص وثيقة وقف أبي مدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفي وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فهذا كتاب وقف صحيح شرعي ، وحبس صريح مرعي ، اكتتبه الفقير إلى الله سبحانه الراجي عفوه وغفرانه ، الشيخ الامام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدوة ابو مدين شعيب بن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد أبي عبدالله محمد ابن الشيخ الامام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي نفع الله ببركته وفسح بمدته وأشهد على نفسه الزكية وهو في صحته أنه وقف وحبس وسبل وابد وتصدق وحرم وحرر واكد جميع المكانين الآتي ذكرهما ووصفهما وتحديدهما فيه الجاريين في يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته إلى حين هذا الوقف ، يشهد بذلك من يعينه في رسم شهادته بآخر هذا الكتاب المبارك ، وأحد المكانين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف وتشتمل على أراضي معتمل ومعطل وعامر ودائر وأوعار وسهل وصخور ساد الأتراب عليهما ولا ينتفع عليها بزرع تشتمل على آثار دور برسم سكنى فلاحيهم وبنيان بأراضيها وبستان صغير وأشجار رمان وغير ذلك يستقى من عين مائها وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط وقيقب ولها حدود اربعة تجمعها وتحصرها وتحيط بها الحد القبلي منها ينتهي إلى المالحة الكبرى والحد الشمالي ينتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحاراش وصاطاف وزاوية البختياري والحد الغربي ينتهي إلى عين الشقاق والحد الشرقي ينتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت موميل بجميع حقوقها ومرافقها ومزرعها ومفاحها واندرها ودمنها والعين الموجودة بها والنزازات والأشجار الثابتة بها والآبار الخربة وقرامي العصب العتيقة الرومية وما ينسب للقرية المذكورة وبكل حق هو من حقوقها داخلة فيها وخارجاً عنها منسوب اليها خلا مافي ذلك من مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة لهم فان ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه ، وأما المكان الثاني الموقوف فيه فانه بالقدس الشريف بخط يعرف بقنطرة ام البنات باب السلسلة المشتمل على ايوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص وسفلى ذلك مخزن وقبو ولذلك

حدود اربعة معلومةموقفاً صحيحاً شرعياً قاطعاً ماضياً صريحاً مرعيا دائماً سرمدا وصدقة ومعروفا ، وكذا وسبيلا خالصاً لأهله مؤيداً والمستحقين على الدوام وقفاً عليهم ولهم مرصدا محرمـــا بحرمات الله العظـــيم ابتغاء لوجهه الكريم وطلباً لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين لايباع ذلك ولا شيء منه ولا من حقوقه ولا من حدوده ولا يملك ولا يناقد ولا يحل عقد من عقوده ولا يرجع هذا الوقف لغير أهله ولا يعوض على غيرهم ولا يتبدل محفوظاً على شروطه البينة لايبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر كلما مر عليه زمان أكده وكلما أتى عليه اوان بينه وسدده ابد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين انشاء الواقف المذكور أعظم الله له الأجور وقفه هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين اليها من السادات المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم واناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم لاينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ينتفعون بذلك السكن والايجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة على الضيع المذكورة ويقدم في ذلك الواردين على المقيمين والأحوج فالأحوج والأدين فالأدين فاذا انقرضت المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيماً بالقدس الشريف سواء كان ذكرا أو انثى فيرجع وقفاً على من يوجد من المغاربة في مكة المشرفة زادها الله شرفاً وعلى من يوجد منهم المدينة المنورة ، فإذا لم يوجد أحد بالحرمين الشريفين فيرجع وقفاً على الحرمين الشريفين وشرط الواقف النظر والتولية على هذا الوقف لنفسه مدة حياته ثم من بعده لمن يوجد رشيدا من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف ويشهد له بالرشد والتقوى وقد أعد المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاوية سكناً للواردين الذكور من المغاربة وليس لاناث المغاربة الواردات ولا لذكور المغاربة المقيمين ولا لآبائهم السكن في المكان المذكور وعلى كل من يتولى هذا الوقف أن يبدأ بعمارته واصلاحه وترميمه وما فيه بقاء عينه ومزيد فعله وريعه على ألا تواجر القرية مع أماكن استغلالها والمقاسمة عليها أكثر من سنتين ولا يستأنف عقد حتى ينقضي العقد الأول وقد شرط الواقف أن يعد الفايض من التعميرات أن يعمل المتولي في الثلاثة أشهر وهم رجب وشعبان ورمضان خبزا ويفرقه في الزاوية على المغاربة لكل قادم من المغرب ومقيم من المغاربة بالقدس الشريف جوزاي رغيفان ذكورا واناثا عند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح الاخلاص والمعوذتين ثلاثاً ويهدي ثواب في هذا الوقف وشرط الواقف اطعامية في يد الفطر وفي عيد الأضحية وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة وشرط الواقف أن

يدفع المتولي لكل قادم من المغرب محتاجاً ومقيماً بالزاوية ثمن الكسوة تقيه البرد واذا مات مغربي ولم يكن عنده شيء فيصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف فقد تم هذا الوقف المبارك بتمام شروطه وأركانه وفق قواعده وصحة بنيانه ونفذ حكمه وانبرام لوقوعه من أهله في محله على الوجه المرضي لجوازه وحله والخلوه عما يؤدي إلى نقضه وحده الكونه صار وقفا مؤكدا وحبسا دائماً محررا مسددا لايملك ولا يتصدق به ولا يوهب ولا يرهن ولا يناقد به ولا يتعوض عنه ويسلب ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه العظيم صاير من أمير أو مأمور أو ذي سلطان جابر ، أن يبطل هذا الوقف لاشيء منه ولا بغيره ، ولا ينسى منه ولا يقدح فيه ولا في شيء منه ولا يسعى في ابطاله ولا في ابطال شيء منه جاهر لا بأيمان ولابفتوى، ولا بمشورة ولا بتدقيق حيلة يعلمه بها الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فمن فعل ذلك وأعان عليه فالله تعالى طليبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازيه بفعله ويلقى الله وهو غضبان عليه غير راض عنه يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ومن خالف ذلك ثم عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستبان وعيده واستحق لعنته ولعنه الله لعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه لقوله تعالى (فمن بدله بعد ماسمعه فانما اثمة على الذين يبدلونه (ان الله سميع عليم) وقد وقع أجر هذا الوقف على الله رب العالمين الذي لايضيع أجر المحسنين وأشهد عليه أحسن الله اليه وأجرى الخيرات على يده بجميع مانسب اليه في هذا الكتاب بعد أن قرىء عليه من أوله آلى إخره وتلفظ بوقف ما عين وقفه فيه على الحكم المشروح فيه في الحال والحال ولشرط الشروط والنظر كما عاينه وبين باعاليه وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعماية أحسن الله تنظيمها في خير وعافية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين .

قاضي القدس الشرعي

صورة طبق الأصل أخرجت من سجل أوقاف المغاربة
المحفظوظة في قلم المحكمة الشرعية تحت صفحة (١ — ٢)
وان هذه الصورة معفاة من الرسوم والطوابع لأنها وقف خيري اسلامي

الملحق الثالث

نص وثيقة المصمودي بتاريخ ٧٣٠ هـ - ١٣٣٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً وبعد ، فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبدالله المغربي ابن الرجل الصالح عبدالنبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة الدور الموجودين«كذا» بحارة المغاربة مع جميع مايعرف بهم ونسب اليهم خارجاً عنهم او داخلاً فيهم وشهرتهم كافية عن ذكر اربع حدودهم وجميع الزاوية التي انشأها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب وقدر عدة الحجرات التي بداخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها داخلاً فيها وخارجاً عنها وقفاً صحيحاً من جنس المغاربة وعلى الواردين من المغاربة لبيت القدس الشريف فمن ذلك أعد الزاوية التي هي بأعلى الحارة للواردين من المغاربة وسكنا اليهم واعد الثلاثة دور المذكورين على مصالح الزاوية المذكورة وعلى اطعامية العيدين والمولد الشريف ، وان فاض شيء يشترى به خبز ويفرق في الثلاثة اشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين بالقدس وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الاتقي من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف وانه يتقيد المتولي والناظر على الوقف لخدمة الزاوية ولاصلاحها على حسب ماهو مشروط وان هذا الوقف لايرهن ولا يوهب،ولايسلب ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم ، في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاثين وسبعماية والحمد لله رب العالمين .

قاضي القدس الشرعي

صورة طبق الأصل اخرجت من سجل اوقاف المغاربة المحفوظ
، قلم المحكمة الشرعية بالقدس .
ي معفاة من الرسوم والطوابع

الملحق الرابع

أمر حاكم الشام بعدم تغيير وقفية أبي مدين

عام ١٢٥٦ هـ — ١٨٤٠ م

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام أخينا السيد أحمد آغا دزدار متسلم القدس الشريف حالا .

انه ورد لنا أمر سامي سر عسكري مضمنة صورة ارادة شريفة خديوية صادرة لدولته يعرب مضمونها العالي انه قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعيين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حايط الحرم الشريف وإلى محل ربط البراق ، وهو كاين داخل وقفية حضرة ابو مدين (قدس سره) . وما سبق لليهود تعمير هكذا أشيا بالمحل المرقوم وجد أنه غير جايز شرعياً فمن ثم لاتحصل المساعدة لليهود بتبليطه وان يتحرزوا اليهود من رفع الأصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها يعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم وصادر لنا الأمر السامي السر عسكري باجراء العمل بمقتضى الارادة المشار اليها فبحسب ذلك اقتضى افادتكم بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا لاجراء العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم .

في ٢٤/١ سنة ١٢٥٦ = ٢٨ مايه ١٨٤٠
جرنال ٣٦٧ نمرة ٣٩

الختم
محمد شريف باشا

الملحق الخامس

قرار متولي اوقاف المغاربة عام ١٣٢٧ هـ = ١٩١٠ م
بعدم الخضوع لتغيير المعهود ١٣٢٨ هـ = ١٩١١ م

ان متولي اوقاف أبي مدين الغوث شعيب قدس الله سره قد رفع استدعاء يبين فيه أن أفراد الطائفة اليهودية الذين جرت عادتهم بالذهاب إلى الحائط المعروف بالبراق الكائن خارج الحرم الشريف في القدس الشريف لجهته على أن يبقوا في أثناء زيارتهم واقفين على أقدامهم أخذوا أخيراً خلافاً للعادة يجلبون كراسي للجلوس عليها أثناء زيارتهم وبما ان البراق من أملاك الوقف المذكور أعلاه ويؤدي إلى زقاق غير نافذ فقد طلب المتولي المشار اليه توقيف هذه الحالة حالا تجنباً لادعاء اليهود في المستقبل بملكية المكان .

وعند تقديم الاستدعاء السابق الذكر بين فضيلة المفتي ودائرة الأوقاف والمحكمة الشرعية في مطالعتهم على الاستدعاء المشار اليه بأن الوقف المذكور كائن داخل المسقفات المجاورة لحائط المسجد الأقصى الشريف من جهته الغربية وهو عبارة عن زقاق غير نافذ عائد للوقف المذكور وانه محظور بموجب الشرع من جميع الوجوه وضع كراسي أو ستار أو أشياء أخرى من هذا القبيل او احداث أي بدعة مما يدل على الملكية ، وانه ليس لأحد الحق في وضع أشياء كهذه أو احداث أية بدعة مما يؤول إلى احتلال موقع حائط المسجد الأقصى الشريف وانه يجب اتخاذ التدابير لمنعهم .

وبعد المذاكرة في الأمر قرر المجلس في عدم السماح بوضع أشياء تعتبر بأنها من دلائل الملكية سواء في الوقف المذكور أو عند الحائط الحرم الشريف وانه يجب أن لاتعطى فرصة لأحد بوضع أشياء كهذه ومن الضروري المحافظة على العادة القديمة .

وعليه نرفع هذا الاستدعاء المذكور مع ملحقاته إلى سعادة المتصرف لاجراء الايجاب .

الختم
مديرية أوقاف القدس
الامضاء
عارف حكمت

الملحق السادس

اعلام حكم الصادر بتصحيح قيد عقارات تابعة لأوقاف المغاربة عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

القاضي : وصفي اللبدي

المدعي : محمد بن ابراهيم عبدالحق وعيسى بن هاشم المختار متوليا وقف أبي مدين (الغوث) والمحسنين المغاربة وكيلهما المحامي السيد ابراهيم الكيلاني .

المدعي عليه : مدير الأوقاف العام بالإضافة لوظيفته ، وكيله السيد حسن طهبوب مأمور أوقاف القدس .

الأسباب الثبوتية : حجة التولية المؤرخة في ١٩٥٨/٧/٥ جلد ٥٤٥ صفحة ١٢ عدد ٥١ وسندات التسجيل المبرزة والبينة الشخصية .

في الدعوى المكونة بين المتداعيين المذكورين صدر القرار التالي :

باسم حضرة صاحب الجلالة

حيث ادعى وكيل المدعيين ، انهما عينا متوليين على اوقاف أبي مدين الغوث والمحسنين المغاربة بموجب حجة التولية المبرزة وان من جملة عقارات الأوقاف المذكورة الكائنة في مدينة القدس والمسجلة لدى دائرة التسجيل ، دارا في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالا وغرباً وقف المغاربة وجنوباً وشرقاً طريق مؤدية إلى البراق الشريف بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٣٨/٣/٢٢ جلد ٥٢ صفحة ١٤٥ وداراً في محلة النصارى يحدها شمالاً فيليب بدور وجنوباً طريق غير نافذ وشرقاً وقف دير الروم ووقف بوجه وغرباً هيلانة ميخائيل وشركاها بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٢ جلد ٥٢ صفحة ١٤٥ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً ساحة البراق وطريق الحرم الشريف وشرقاً سور الحرم الشريف وغرباً وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٢ جلد ٥٢ صفحة ١٣٧ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وشرقاً وقف المغاربة وجنوباً طريق مؤدية إلى البراق الشريف

وغرباً طريق نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣٢/٢ جلد ٥٢ صفحة ١٤٨ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالا وشرقاً طريق غير نافذ وجنوباً وقف قميع والحاكورة المشتركة بين وقف المغاربة والانصاري وغرباً الزاوية الأفضلية خاصة الأوقاف الاسلامية بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٢/١٧ جلد ٥٢ صفحة ١٤٩ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق مؤدية للبراق الشريف وجنوباً طريق غير نافذ وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٢ جلد ٥٢ صفحة ١٥١ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالا وجنوباً وقف المغاربـــة وشرقاً طريق غير نافـــذ وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٥٨ ودارا في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق مؤدية إلى البراق الشريف وجنوباً وقف المغاربة شرقاً وطريق غير نافذ وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٥٩ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق غير نافذ وجنوباً وغرباً وقف المغاربة وشرقاً طريق وطريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ٣/٢٦ ١٩٣٨ جلد ٥٢ صفحة ١٦٠ وداراً في محلة المغاربة باب السلساة يحدها شمالا طريق غير نافذ وجنوباً وشرقاً وغرباً وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ٩٣٨٣/٢/٦ جلد ٥٢ صفحة ١٦١ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وشرقاً وقف المغاربة وجنوباً طريق مؤدية إلى البراق الشريف وغرباً طريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٦٢ وداراً في محلة المغاربة يحدها شمالاً طريق غير نافذ ووقف المغاربة وجنوباً وشرقاً وغرباً وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢١ جلد ٥٢ صفحة ١٦٨ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق مؤدية إلى البراق الشريف وجنوباً وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٣٩ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً الدار المشتركة بين الحرمين والصخرة ووقف المغاربة وجنوباً وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٩ صفحة ١٧٠ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق مؤدية إلى البراق الشريف وجنوباً وقف المغاربة وشرقاً ساحة البراق الشريف وغرباً الدار المشتركة بين وقف والمغاربة والحرمين بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧١ وداراً في محلة المغاربة باب

السلسلة يحدها شمالاً المدرسة التنكيزية التابعة للأوقاف الاسلامية وجنوباً طريق وساحة البراق الشريف وشرقاً سور الحرم الشريف وغرباً مدرسة خاصة وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨!٣!٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧٢ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وجنوباً وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧٣ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق وجنوباً وقف المغاربة وشرقاً ورثة الحاج محمد المغربي الحلاق وغرباً طريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧٥ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وقف الخالدي وجنوباً وشرقاً وغرباً وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧٧ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة وحدها شمالاً وقف المغاربة وجنوباً طريق مؤدية إلى البراق الشريف وشرقاً طريق غير نافذ وغرباً طريق بوجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧٨ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وشرقاً وقف المغاربة وجنوباً طريق مؤدية إلى الحي الشريف وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٧ وفرنا ومخزناً في محلة المغاربة باب الساسلة يحدها شمالاً وجنوباً حاكورة تابعة لوقف المغاربة وشرقاً طريق وغربا ورثة داود الطاهر الداودي ووقف الجاعوني بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٨٧ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق وجنوباً وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٨٨ وداراً في محلة المغاربة باب الساسلة يحدها شمالاً وشرقاً وقف المغاربة وجنوباً حاكورة الصبر خاصة وقف المغاربة وغرباً طريق نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/١٧ جلد ٥٢ صفحة ١٧٩ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً طريق وجنوباً حاكورة خاصة وقف المغاربة وشرقاً طريق مؤدية إلى قرية سلوان وغرباً وقف المغاربة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٩٠ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً ورثة الحاج محمود المغربي الحلاق وشركاءه وجنوباً حاكورة وقف المغاربة وشرقاً طريق وغربا طريق غير نافذ بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٩١ وداراً في محلة باب حطة داخل السور يحدها شمالاً يونس حب رمان وشركاه وورثة رأفت بك عقل وجنوباً ورثة حافظ غوشه وشرقاً طريق غير

نافذ وغرباً ورثة رأفت بك عقل بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/٢٦ جلد ٥٢ صفحة ١٩٢ ودارا في محلة باب حطه داخل السور يحدها شمالاً عثمان بكر الحلاق وجنوباً طريق وشرقاً ملك اليهود وغرباً طريق وبها الباب بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٢/١٧ جلد ٥٢ صفحة ١٩٤ ودكاناً في محلة الواد داخل السور يحدها شمالاً وقف المغاربة وجنوباً سوق باب السلسلة وشرقاً وقف الانصار وغرباً وقف كمال ابو شريف الذري بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨!٤!٨ جلد ٥٢ صفحة ١٩٧ ودارا في محلة الواد داخل السور يحدها شمالاً طريق عقبة السرايا القديمة وجنوباً وقف الكرمي وشرقاً منظومة حدوته وشركاها وغرباً العازار يونيد برت وشركاه بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٨ ودكاناً في محلة الواد داخل السور يحدها شمالاً الشيخ عمر فيض الله العلمي وشركاه وجنوباً سوق باب السلسلة وشرقاً وقف النشاشيبي وغرباً يوسف المغربي بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٨ جلد ٥٢ صفحة ١٩٩ ودارا في محلة الواد داخل السور يحدها شمالاً الشيخ عمر فيض الله العلمي وشركاه وجنوباً راغب مسودة الخليلي وشرقاً وقف كمال ابو شريف الذري وسوق باب السلسلة وغرباً وقف النشاشيبي ووقف قطينة وسوق باب السلسلة بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٨ جلد ٥٢ صفحة ٢٠٠ ودارا في محلة الشرف داخل السور يحدها شمالاً وقف لاشكناز وجنوباً طريق غير نافذ وشرقاً دير الروم ووقف (دير مارجريس) وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٩ جلد ٥٣ صفحة ٦٠ ودارا في محلة الشرف داخل السور يحدها شمالاً أديب خميس التوتنجي وجنوباً زقاق وشرقاً طريق غير نافذ وغرباً الحاج عثمان وشركاه ومقبرة الشيخ حيدر بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٩ جلد ٥٣ صفحة ٦١ ودارا في محلة الشرف داخل السور يحدها شمالاً وقف الشيخ عبدالرزاق العلمي وجنوباً وقف العسلي وشرقاً وقف دير الأرمن وغرباً وقف الجاعوني بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٩ جلد ٥٣ صفحة ٦٢ ودارا في محلة الشرف داخل السور يحدها شمالاً أحمد الجاعوني وجنوباً وقف النمري وشرقاً عائلة النشاشيبي وعائلة الانصاري ونجور وشركاه وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٩ ودارا في محلة الشرف داخل السور يحدها شمالاً طريق وجنوباً حسن اغنيم وشركاه وشرقاً حسن اغنيم وشركاه وعبدالقباني وشركاه وغرباً طريق بموحب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٤/٩ جلد ٥٣ صفحة ٦٤ وأرضاً في محلة المغاربة باب السلسلة داخل السور

يحدها شمالاً وقف أبو السعود وقف الشهابي وشرقاً وقف الصلاحي ووقف أبو السعود وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/١٦ جلد ٥٣ صفحة ٧٣ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وقف قميع وجنوباً وشرقاً وقف المغاربة وغرباً طريق بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/١٦ جلد ٥٣ صفحة ٧٤ وداراً في محلة المغاربة باب السلسلة يحدها شمالاً وقف الامام الحسيني وجنوباً ورثة محمد أبو عبدالدلال وشرقاً طريق وغرباً ورثة علي القطب وشركاهم ووقف الامام الحسيني بموجب شهادة التسجيل المؤرخة في ١٩٣٨/٣/١٦ جلد ٥٣ ! صفحة ٧٥ وان وقفية هذه العقارات مشهورة شهرة شائعة لدى الخاص والعام من أهالي مدينة القدس ويتصرف بها المتوليان المذكوران بمقتضى توليتهما على اوقاف ابي مدين الغوث والمحسنين المغاربة ، وقد سجلت هذه العقارات باسم مأمور الأوقاف سنة ١٩٣٨ عندما كان يقوم بادارة الأوقاف المذكورة بصفته قائمقام متول عليها خطأ ولم تبين صفته عند التسجيل بأنه قائمقام متول على الأوقاف المذكورة وان مدير الأوقاف العام المدعى عليه يعارض في تصحيح هذا الخطأ في قيود دائرة التسجيل بشطب اسم مأمور الأوقاف وتسجيلها باسم متوليّي وقف المغاربة وطلب الحكم بملكيتها وقف أبي مدين الغوث والمحسنين المغاربة والأمر بتصحيح قيدها لدى دائرة التسجيل وانكر وكيل المدعي عليه دعوى المدعين ، فأبرز وكيل المدعيين كتاباً من سماحة قاضي القضاة موجهاً إلى مدير الأراضي والمساحة مؤرخة في ١٩٦٠/٨/١ رقم مم ع / ٧٤٢ / ٥٦ – ٣١٩٦ يتضمن طلب تسجيل العقارات المذكورة باسم المتوليين المدعيين وأبرز شهادات التسجيل المذكورة فوجدت مؤيدة لدعواهما تسجيل العقارات المدعى بها باسم مأمور أوقاف القدس وانكر المدعى عليه دعوى المدعيين واثبت المدعيان دعواهما بالبينة الشخصية المقنعة واستناداً إلى المادتين الخامسة والعاشرة من المجلة والمواد ٥٦٦ و ٦٢٩ من قانون العدل والانصاف والفقرة الثانية من المادة الثانية من قانون اصول المحاكمات الشرعيةحكمت بأن العقارات المدعى بها المذكورة من اوقاف أبي مدين الغوث والمحسنين المغاربة وأمرت بتصحيح قيدها لدى دائرة التسجيل على هذا الوجه ومنعت المدعى عليه من معارضة المدعيين في ذلك حكماً وجاهياً تابعاً للاستئناف فهمته للطرفين علنا تحريرا في اليومالرابع عشر من شهر محرم لسنة احدى وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية الموافق ١٩٦١/٦/٢٧ ميلادية .

قاضي القدس الشرعي

الملحق السابع

العقارات التي هدمت بحي المغاربة في صيف ١٩٦٧ م
أيام ١١ – ٦ – ٦٧ و ١٢ – ٦ – ١٩٦٧ م والأيام التي بعدها

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	أوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الاردني	ملاحظات
١	محي الدين الشامي	دار ومنافع وسور	٣	١٥٠٠	
٢	مخزن لتعميرات الوقف	غرفتين وسور وبئر ماء	٢	١٥٠٠	
٣	الحاج قاسم الدراجي	دار منافع وسور	٢	١٢٠٠	وسكن عبدالسميع مدر
٤	الحاج قاسم الدراجي	دار منافع وسور	٤	١٢٠٠	وسكن عبدالرحمن محكن عمار
٥	عبدالله قاسم الدارجي	دار ومنافع وسورو وبئر ماء	٤	٢٤٠٠	
٦	حسن الجندوبي	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	
٧	زكريا الزواوي	دار ومنافع وسور وبئر ماء	٣	١٨٠٠	
٨	محمود الجربي	دار ومنافع وبئر وماء وسور بلاط مجدد	٣	٢٠٠٠	
٩	أحمد حميدة	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	
١٠	فؤاد حميدة	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	
١١	يحيى الزواوي	دار ومنافع وسور وبئر وماء بلاط مجدد	٢	١٥٠٠	
١٢	داوود الزواوي	دار ومنافع وسور وبئر وماء بلاط مجدد	١	٧٥٠	
١٣	علي محمد الزواوي	دار ومنافع وسور	١	٥٠٠	
١٤	عمر الجربي	دار ومنافع وسور	١	٦٠٠	
١٥	محمد عبدالجليل المغربي	دار ومنافع وسور وبئر وماء	٢	١٢٠٠	سكن طالب الجنري
١٦	عبدالجليل عابد المغربي	دار ومنافع وسور وبئر وماء	٢	١٢٠٠	
١٧	عبدالمنعم موسى قاسم ووالدته	دار ومنافع وسور وبئر وماء	٢	١٥٠٠	
١٨	رمضان موسى قاسم	غرفة كبيرة ومنافع ومراح وسور	١	٧٥٠	
١٩	عبدالرحمن موسى قاسم	غرفة كبيرة ومنافع ومراح وسور	١	٧٥٠	
٢٠	أرملة عبدالقادر عيسى	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	وخلق عبدالله
٢١	أحمد عطا الله	دار ومنافع وسور	„	١٢٠٠	
٢٢	نعمة صالح وابن أحمد	دار ومنافع وسور	٣	١٥٠٠	
٢٣	ام حنا شباب	دار ومنافع وسور	١	٥٠٠	
٢٤	أسعد الأطرش	غرفة ومنافع وسور	١	٥٠٠	
٢٥	أسعد الأطرش	دكان	١	٧٠٠	

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	اوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الأردني	ملاحظات
٢٦	عدنان اقنيبي وحمادةابو عصب	دار ومنافع وسور	٢	١٥٠٠	واش آله آل ابو السعود
٢٧	عدنان اقنيبي وكمال التراعيني وآخرين	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	
٢٨	محمود عرب	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	وسكن عبد حسين أبو صالح
٢٩	عبد سليم حسنين	دار ومنافع وسور	٢	١٢٠٠	
٣٠	صالحة محمد شرراة	دار ومنافع وسور	١	٦٠٠	وابراهيم حمد مريطة
٣١	حربي الطيب	دار ومنافع وسور ومراح وبئر ماء	٤	٣٠٠٠	
٣٢	عيسى الطيب	دار ومنافع وسور	—	١٢٠٠	
٣٣	خليل الطيب	دار سور ومنافع ومراح	١	٨٠٠	
٣٤	زينب أرملة الدكالي	دار سور ومنافع ومراح	٢	١٢٠٠	
٣٥	الحاج خليل اللبان	ار ومنافع وسور بلاط مجدد	—	١٢٠٠	
٣٦	اسحق خليل اللبان	دار ومنافع وسور وبئر ماء ومراح	٢	١٥٠٠	
٣٧	ابراهيم بن صالح العاشوري	دار ومنافع وسور وبئر ماء (بلاط مجدد)	٢	١٥٠٠	
٣٨	يسرى المراكشي وابراهيم الحصري	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
٣٤	زينب أرملة الدكالي	دار سور ومنافع ومراح	٢	١٢٠٠	
٣٥	الحاج خليل اللبان	دارومنافعوسور—(بلاط مجدد)	—	١٢٠٠	
٣٩	يسرى المراكشي — محمد البيبي	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
٤٠	يسرى المراكشي — الشيخ ابراهيم كحوش	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
٤١	علي الزواوي سعيد	دار منافع وسور وبئر ماء	٤	٢٥٠٠	
٤٢	الحاج علي الشاوي	دار ومنافع وسور وبئر ماء ومراح	٢	١٥٠٠	
٤٣	محمد الجودة — وموسى غوش	دار ومنافع وبئر وماء وسور ومراح	٢	١٥٠٠	
٤٤	صافية علي رشيد	غرفة ومنافع وسور	١	٥٠٠	
٤٥	وقف المغاربة —مخزن	غرفة وسور	١	٤٠٠	
٤٦	محمود عبدالوهاب	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	اوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الاردني	ملاحظات
٤٧	والدة محمد عبدالوهاب	دار ومنافع وسور ومراح (بلاط مجدد)	٢	١٥٠٠	
٤٨	سعيد الغيلاني	دار ومنافع ومراح وبئر ومراح	٦	٤٥٠٠	
٤٩	صالح ذيب اللبان	دار ومنافع وسور وبئر ومراح	٣	٢٢٥٠	
٥٠	محمد الزواوي واحمد سلمان ابو غـوش	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	ومحمد الغيلاني سعيد الغيلاني
٥١	محمد الزواوي وعلي عطا النتشـه	دار ومنافع وسور ومراح	١	٧٥٠	
٥٢	جمعة الأحول	دار ومنافع وسور ومراح	—	١٢٠٠	
٥٣	ابراهيم الأحول	دار ومنافع وسور وبئر	١	٧٥٠	
٥٤	رشيدة المامون	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٥٥	علي اللبـان	دار ومنافع وسور وبئر بلاط مجـدد	٢	١٥٠٠	
٥٦	اسماعيل اللبـان	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٥٧	عبدالخالص وأولاده	دارومنافعوسوروبئرومخـزن	٤	٢٤٠٠	وسكن علي كروية
٥٨	فرج الخالـص	دار ومنافع وسور ومراح (بلاط مجدد)	٨	٢٠٠٠	وكال الخالص
٥٩	عمر الحاج عربي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	٢٢٥٠	
٦٠	محمود الشاوي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٦١	فتحي الحاج عرب	دار ومنافع وسور وبئر	—	١٥٠٠	
٦٢	ارملة الحاج عرب	دار ومنافع وسور ومراح (بلاط مجـدد)	٢	١٥٠٠	
٦٣	كاظم صالح التونسي	دار ومنافع وسور وبئر	٤	٢٤٠٠	
٦٤	محمدسعيدالزاوي واخواته	دار ومنافع وسور وبئر	—	١٥٠٠	
٦٥	والدة محمد سعيدالزواوي	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
٦٦	الحاج صالح الطيب عبدالعزيز شحادة	دار ومنافع ومراح وبئر (مسقوف بالاسمنت)	٢	٢٠٠٠	
٦٧	الحاج صالح الطيب فخري شحادة	غرفة ومراح ومنافع (مسقوف باسمنت) وسـور	١	٧٥٠	
٦٨	عبدالقادر حبيبواخواته	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٦٩	فاطمة حبيب السباعي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	ومحمود الصفدي
٧٠	عبدالمجيد عويضـة	دكان ومخزن	٢	٦٠٠	

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	اوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الاردني	ملاحظات
٧١	محمود الدرالي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	وجبري كروية
٧٢	زهرة الربيع	دار ومنافع وسور وبئر	٣	١٨٠٠	وجبر بسيسو
٧٣	الحاج ابراهيم الداراي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	١٨٠٠	أرملة عبدالدايم السلا
٧٥	محمد حمد عبدالسلام القاسي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٧٦	الحاج عبدالسلام القاسي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	٢٢٥٠	
٧٧	حسن التواتي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	١٣٠٠	درويش المدبولي وحسن المدبولي
٧٨	أحمد عبدالله الجريدي	دار ومنافع وسور ومراح	٣	٧٥٠	
٧٩	ارملة عبدالله الجريسدي	دار ومنافع وسور ومراح	١	٧٥٠	
٨٠	تيسير عبدالله الجريدي	دار ومنافع وسور ومراح	١	٦٠٠	
٨١	أحمد العداوي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	
٨٢	عبدالرحمن السرغيني	دار ومنافع وسور	٣	١٥٠٠	
٨٨	السفير المغربي — الحاج الفاطمي	دار ومنافع غربية وسور ومراح وبئر	٢	٢٠٠٠	
٨٤	محمد عبدالحق	دار ومنافع وسور وبئر ومراح	٤	٢٥٠٠	
٨٥	أرملة الحاج ابراهيم عبدالحق	دار ومنافع وسور وبئر ومراح	٣	٢٠٠٠	
٨...	وقف المغاربة والمكتب	غرفة ومراح وسور	١	٧٥٠	
٨٧	وقف المغاربة (المخزن)	مع سور وحانوت	١	٥٠٠	
٨٨	حسن علي المغربي ووالدته	دار ومنافع وسور وبئر	٤	٢٥٠٠	
٨٩	محمد محمد المهدي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
٩٠	الشيخ محمد المهدي	دار ومنافع وسور وبئر	٤	٣٠٠٠	
٩١	عبدالرحيم احيان	مخزن	١	٥٠٠	
٩٢	عيسى هاشم المغربي	دكان	١	٧٠٠	
٩٣	الحاج يوسف علي	دار ومنافع وبئر وسور كبير	٣	٢٢٥٠	
٩٤	وقف المغاربة	مخزن للوقف وسور وحانوت	١	٥٠٠	
٩٥	الشيخ عبدالغني الأطرش	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	وولده خضر الأطرش
٩٦	فاطمة السباعي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	وحامد الأجرب
٩٧	فاطمة السباعي	دار ومنافع وسور وبئر	١	٦٠٠	وارملة ابو عقيل
٩٨	أحمد التيجاني	دار و منافع وسور ومراح وبئر	٣	٢٢٥٠	
٩٩	صالح الدراجي	دار ومنافع وسور ومراح وبئر (سقف مجدد)	٢	١٢٠٠	
١٠٠	محمد بشير قاسم	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	وحفصي بو الحاج
١٠١	موسى الدراجي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	اوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الاردني	ملاحظات
١٠٢	جامع البراق	مسجد ومنافع وسور وبئر ومكان للرشد	١	٥٠٠٠	
١٠٣	حسن الزهاني	غرفة ومنافع وسور	١	٥٠٠	
١٠٤	زينب العربي	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
١٠٥	علي الشاوي	دار ومنافع وسور وبئر	١	٧٠٠	عبد علي ابو الندى
١٠٦	حمزة الشاوي واخواته	غرفة ومنافع وسور وبئر	١	٧٥٠	
١٠٧	الشيخ حسن الحلفاوي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	علي ابو الندى
١٠٨	محمود الزواوي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	محمد علي أبو الندى
١٠٩	محمود الزواوي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	
١١٠	يحيى محمد الشيخ	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	محمد عبدالمجيد حسن
١١١	محمد المختار الشنقيطي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
١١٢	موسى طه ومحمد طه	دار ومنافع وسور وبئر الدار	٦	٥٠٠٠	يملك وقف المغاربة
١١٣	ارملة عبدالدايم	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	
١١٤	محمد عبدالغني الأطرش	دار ومنافع وسور وبئر	٢	٧٥٠	
١١٥	اسماعيل المحيري	دار ومنافع وسور وبئر	١	٧٥٠	
١١٦	الحاجةنزهةارملةالسرغيني	غرفة حديثة ومنافع ومراح	١	٨٠٠	
١١٧	عبدالقادر السرغيني	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	
١١٨	عيسى هاشم المغربي	دار ومنافع وسور وبئرومراح	٣	٢٠٠٠	
١١٩	والدة عيسى هاشم المغربي	دار ومنافعومراح (سقف مجدد)	١	٨٠٠	
١٢٠	محمد علي التواتي	دار ومنافع وسور ومراح (بلاط مجدد)	٣	١٨٠٠	محمد عارف بدر
١٢١	محمود علي التواتي	دار ومنافع وسور ومراحوبئر	٣	١٨٠٠	سعيد البيبي
١٢٢	علي وحسين المديه	دار ومنافع وسور وبئر	٥	٣٠٠٠	صالح عباس
١٢٣	لطفية أنـور	غرفة ومنافع وسور	١	٦٠٠	
١٢٤	محمود حسن المغربي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	وطوطح
١٢٥	حسن محمود المغربي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	٢٠٠٠	موسى النتشه وطرس
١٢٦	مصباح ابو مهدي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	٢٠٠٠	وارملة أبو مهدي
١٢٧	خديجة النابلي	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٢٠٠	
١٢٨	سعيد الفرخ	دار ومنافع وسور وبئر	٣	١٨٠٠	
١٢٩	محمد احمد سرحان	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
١٣٠	احمد سرحان	دار ومنافع وسور وبئر	٢	١٥٠٠	
١٣١	جميل الصالحي	دار ومنافع وسور ومراح	٢	١٢٠٠	

الرقم الترتيبي	اسم ساكن العقار	اوصاف العقار	عدد الغرف	القيمة بالدينار الاردني	ملاحظات
١٣٢	يوسف الصالحي	دار ومنافع وسور ومراح	٢	١٢٠٠	
١٣٣	عيشة العداوي	دار ومنافع وسور ومراح	١	٠٦٩٩	
١٣٤	محمد المدبولي	دار ومنافع وسور وبئر	٣	٢٢٥٠	ملك الأوقاف الاسلامية
١٣٥	جامع الشيخ عبدالمقام	ومسجدمنافعومكانللوضوءوسور	٤	٤٠٠٠	ملك الأوقاف الاسلامية
١٣٦	شحادة التوتنجي	دار ومنافع وسور وبئر	٤	٢٥٠٠	وقف
١٣٧	عيسى ابو طكر	دار ومنافع وسور وبئر ومراح	٣	٢٤٠٠	وقف
١٣٨	محمد روبين سالم	فرن كبير ومخزن ٨ × ١٥	٢	١٠٠٠٠	جرى هدمه في الثلث الأخير من ديسمبر ١٩٦٧

المجموع ٢٠٧١٠٠ المجموع بالدينار الاردني

ملاحظات : المقصود بالمنافع = المرحاض – الدوش – المطبخ – أي حاجات الدار الضرورية

الملحق الثامن

لائحة العقارات الواقعة ضمن منطقة الاستملاك

الجديد ١٩٨١ م

الرقم	اسم ساكن العقار	عدد الغرف	موقع العقار	عدد أفراد العائلة	عدد البيوت	اوصاف العقار
١	محمد المصلوحي	١	حي المغاربة	٨	١	غرفة ومنافع
٢	ابراهيم المصلوحي	١	= =	٢	٢	= =
٣	محمود =	١	= =	٢	١	= =
٤	ارملة احمد =	١	= =	٣	١	= =
٥	عبدالسلام الجبلي	٣	= =	١٠	٢	دار ومنافع
٦	ارملة احمد الجبلي	١	= =	١	١	غرفة ومنافع
٧	وقف المغاربة	١	= =			دكان مغلقة
٨	أرملة أحمد الناتلي	٢	= =	١	٣	دار ومنافع
٩	ارملة علي صالح المغربي	٣	= =	٦	٤	= =
١٠	بلدية القدس	٣	باب المغاربة	–	٥	مركز بوليس باب المغاربة
١١	عبد الفتاح زيدان	١	= =	١٢		دكان
١٢	= = = =	٢	= =		٦	مخازن عدد (٢)
١٣	شركة كهرباء القدس الاردنية	١	= =	=	٧	محطة تقوية
١٤	الأرض المحيطة بمركز باب المغاربة		= =			ارض بناء
١٥	ارض مدرسة الاقصى		= =			ارض بناء
١٦	عمر الحاج عرب	١	حوش الغزلان	٨	٨	غرفة ومنافع
١٧	محمود أبو رميله	١	= =	٨		غرفة ومنافع
١٨	سعيد دحبور	٢	= =	٢		دار ومنافع
١٩	سليم اسحق اقنبي	١	= =	٧		غرفه ومنافع
٢٠	اسماعيل المحبري	١	حوش الغزلان	١		غرفة ومنافع
٢١	نمر مفلح أيوب	٢	= =	١١		غرفتين ومنافع
٢٢	كامل دياب	٢	= =	٨		= =
٢٣	أحمد عابدين	١	باب السلسلة	١٢	٩	دكان
٢٤	محمدونجاتي ابورجب ووالدتهم	٢	حوش الغزلان	٣	١٠	غرفتين ومنافع

الرقم	اسم ساكن العقار	عدد الغرف	موقع العقار	عدد أفراد	عدد البيوت	اوصاف العقار
٢٥	عبدالرحمن عبدالفتاح	٢	= =	٨		= =
٢٦	ذيب حيدر	٢	= =	٧		= =
٢٧	عبدالغني الكرد	٣	= =	٩		دار ومنافع
٢٨	الحاجة زهية نوفل	١	= =	١	١١	غرفة ومنافع
٢٩	حسن طاهر زلوم	١	باب السلسلة	٦	١١	دكان
٣٠	سعد الدين البسيمي	١	درج الطابونة	٨	١٢	غرفة ومنافع
٣١	حربي محمد سنقوط	٢	درج الطابونة	١٨	١٢	غرفتين ومنافع
٣٢	عمران = =	٢	= =	٨		غرفتين ومنافع
٣٣	الحاجة هندية ابو سريه	١	= =	١		غرفة ومطبخ
٣٤	محمد سرحان السلايمة	١٣	درج الطافونة	٢		غرفة ومطبخ
٣٥	حربي الزعتر واخوانه	٣	= =	١٢	٣	غرف ومنافع
٣٦	حنا هندو	٢	حارة السريان	٧	١٣	دار ومنافع
٣٧	ام جورج قطو	٢	= =	١		دار ومنافع
٣٨	جورج تازي	١	= =	٢		غرفة ومنافع
٣٩	ارملة ابراهيم عقله	١	= =	١	١٤	= =
٤٠	عيسى نصار أبو ليل	١	= =	٩		= =
٤١	اسحق باسيل	٢	= =	٦		غرفتين ومنافع
٤٢	شويثان هلينيان وآخرين	٢	= =	٥		= =
٤٣	جميل كفريتان	١	سوق الحصر	٦	١٥	دكان
٤٤	كريكور بدعوصيان	١	= =	٣		دكان
٤٤	كريكور بدعو صيان	١	= =	٣		دكان
٤٥	مجدي وسعد الديناسطنبولي	١	= =	١		دكان
٤٦	اسحق القباني	١	= =	٧		دكان
٤٧	ابراهيم الخطيب	١	= =	٥		دكان
٤٨	محمود سبارخ	١	= =			دكان
٤٩	سعاد جابر	٢	= =	٤		غرفتين ومنافع
٥٠	رزق الله نقولا حنا	١	= =	٤		غرفة ومنافع
٥١	محمد عبدالحق	٣	= =	٧		غرف ومنافع
٥٢	محمد الأطرش	١	= =	٩		غرفة ومنافع
٥٣	محمد محمد الشيخ	٢	= -	١٠		غرفتين ومنافع
٥٤	الشيخ محمود الشويكي	٢	= =	٩		= =

رقم	اسم ساكن العقار	عدد الغرف	موقع العقار	عدد افراد العائلة	عدد البيوت	اوصاف العقار
٥٥	يعقوب الشويكي	٤	سوق الحصر الشرف			دار ومنافع
٥٦	عيسى الدويك	١	سوق الحصر الشرف	٨		دكان
	المجموع	٨٦		٣٠٠		
٥٧	زاوية أبي مدين	٢٥	حي المغاربة	٢٥	١٦	زاوية لفقراء المغاربة والعجزة وبها مقام الشيخ عمر المجرد ومسجد للصلاة

الملحق العاشر

خطاب أمين القدس السيد روحي الخطيب حول الحفريات الاسرائيلية ١٩٧١ م

معالي وزير الثقافة والاعلام والسياحة والآثار المحترم

عمـــــان

تحية وبعد ،

تطالعنا صحف العدو ، الحين بعد الآخر بأخبار استكشافات أثرية في أماكن الحفريات التي تجريها في القدس وغيرها من الأماكن المحتلة وغالباً ماتربطها بالتاريخ اليهودي في فلسطين وتحاول في أعقاب ذلك إيجاد المبررات لاستكمال اعتداءاتها العدوانية في تقويض وتصديع ممتلكاتنا الحضارية وهدمها الواحدة بعد الآخرى كما حصل في حارة المغاربة بالقدس وحول الحرم الابراهيمي في الخليل . وآخر ماوصلنا من أخبار حول هذه الأمور الهامة مايلي :

١ — التصدع والهدم من جراء الحفريات

آخر ماوصل من أخبار الهدم والتصدع الناتج عن أعمال الحفريات القائمة في منطقة حائط البراق الشريف (حائط المبكى كما يسمونه) ، هو مانشرته جريدة هارتز بتاريخ ١٩٧١/٧/١٩ وقد جاء فيه مايلي :

بدأت العمارات المؤلفة من طابقين والواقعة في الطريق المؤدية إلى حائط المبكى في الحي المغربي داخل القدس القديمة (والصحيح الحي المغربي) بالانهيار وأخذت الحجارة من جدرانها بالتساقط ، ولوحظ شقوق وصدوع فيها كما غار قسم من الزقاق المؤدي إلى المبكى عدة سنتمترات في الأرض وحظر على السابلة المرور فيه تمهيداً لهدم العمارة « انتهى الخبر » .

٢ ـ ادعاء باكتشافات جديدة في الحفريات حول الحرم القدسي

وفي الوقت الذي نسمع فيه عن هذه النتائج المؤسفة بتداعي وإزالة قسم من حضارتنا العربية والاسلامية في داخل السور بالقدس ، الواحد تاو الآخر ، نقرأ في صحف أخرى للعدو الأخبار باستمرار أعمال الحفريات وآخر ماوصلنا بخصوصها مانشرته جريدة داڤار اليومية والتي تصدر في فلسطين المحتلة ، فقد نشرت في عددها الصادر بتاريخ ١٤!٧!١٩٧١ نبذة عن الحفريات الجارية خارج باب المغاربة الملاصق للحرم الشريف اورد ترجمتها كما يلي :

عثرت بعثة الحفريات الأثرية برئاسة البروفسور بنيامين ميزار التي تقوم بأعمال الحفر بالقرب من اسوار الحرم القدسي ، عثرت على قطاع من مدخل الدرجات التي كانت تؤدي في مرتفع «العوفل» إلى الأرض الواقعة خارج باب المغاربة الحالي إلى بوابات « خولده » . واكتشفت هذه الدرجات التي لم تكن معروفة حتى الآن أمام البوابة المزدوجة في منطقة الحفريات الجديدة للبعثة المذكورة . ولم يتضح بعد مدى عرض هذه الدرجات واتساعها ، وعلى كل حال فان الاكتشافات يشكل اتجاهاً في الوصف المعروف حتى الآن في موضع الظهرة «العوفل » في العهد « الروماني » . وتجدر الاشارة ان المدخل إلى البيت المقدس كان في الأصل من الجانب الجنوبي ، أي من جهة مدينة داوود والعوفل . ولم تكن معروفة هذه المكتشفات التي عثر عليها حتى الآن وخصوصاً استناداً لمكتشفات المستر وورن في نهاية القرن الماضي مثل هذه الدرجات وستعزز عمليات البعثة في الفصل المقبل في محاولة للوقوف على مدى محيط الدرجات الممتدة كما يبدو فوق أرض كبيرة مقابلة لبوابات « خولدة » ويوجد من تحت مدخل الدرجات نفق يحتمل أن يكون الممر المعروف « مسيبة » الذين كانوا « الكوهانيم » يمرون عبره إلى جبل البيت « الحرم » ويذكر ان مدخل « الكوهانيم » مفصول عن مدخل جماهير الشعب ولم تدرس بعد هذه التخمينات من قبل أعضاء البعثة الأثرية . وهناك اكتشافات آخر شرحه أعضاء البعثة الأثرية يتعلق بمدخل آخر للبيت المقدس بواسطة شبكة درجات تمر من قوس روبنسون . واتضح من أعمال البعثة بأن قوس روبنسون استخدم كدعامة وقاعدة لتلك الدرجات في السور الحربي التي كانت تؤدي من الشارع العام إلى جبل البيت . وكان المدخل الغربي لجبل البيت ، كما يبدو ، يؤدي إلى الرواق الملكي الممتد في القسم الجنوبي لساحة الهيكل . كما دلت المكتشفات الأثرية الأخرى بأن هناك سيطرة يهودية تامة كانت

في منطقة جبل البيت سواء كان في عهد جوليان المرتد أو في عهد متأخر لاحق هو الاحتلال الفارسي في القرن السابع الميلادي .

٣ ـ وزير الدفاع الاسرائيلي والحفريات

المعلوم عن الجنرال دايان ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، انه من كبار أنصار الحفريات واستغلالها في عمليات التوسع الاسرائيلي وخاصة في اجراءات تهويد القدس . وآخر ماظهر من تشجيعه لها ماورد في جريدة دافار اليهودية اليومية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٨/٢ ، وفيما يلي ترجمة للخبر :

قام موشه دايان وزير الدفاع يوم امس بزيارة حائط المبكى والحفريات الجارية بالقرب منه بمناسبة ذكرى ٩ آب يوم خراب الهيكل الثاني ، فاستقبله البروفسور بنيامين مزار مدير الحفريات الذي أخذ يشرح للوزير مدة خمسين دقيقة وأطلعه على منطقة الحفريات بالقرب من الحائط الجنوبي للحرم القدسي ومكّنه من رؤية المكتشفات الأخيرة .

ورداً على سؤال صحفي قال دايان انه لاضرورة حسب رأيه للتأخير بسبب العثور على آثارات قديمة من عهود متأخرة التي يعثر عليها في منطقة الحفريات ، ويجب العمل على كشف واعادة ترميم كافة مايتعلق بأيام الهيكل الثاني . وأفضل أن أرى السور كما كان في عهد الهيكل الثاني ويمكن تصوير بقية الآثارات وتخليدها وازالتها لأنها تخفي وتمنع عنها رؤية الصورة كاملة كما كانت في حينها .

وأجاب على سؤال حول ما إذا كان حسب رأيه مكاناً لتلاوة صلوات الحزن يوم ٩ آب اعتقد بأن هناك لزوماً لهذه الصلاة .

٤ ـ الحفريات في بستان الأرمن بالقدس

نشرت جريدة هارتس في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧١/٨/٥ خبراً عن الحفريات التي تجريها سلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلي بالقدس حالياً ، مخالفة بذلك اتفاقيات جنيف ولاهاي ، وقرارات اليونسكو ، ونظراً لأهمية هذا الخبر ، اورد ترجمته كما يلي :

« عثر في الحفريات الجارية في البستان الأرمني داخل البلدة القديمة من القدس على بقايا قصر هيرودوس وجزء من السور الأول للقدس الذي ذكره يوسف متيا هو ، كما عثر على بقايا قصر يعود إلى ملوك القدس الصليبيين .

وتجرى هذه الحفريات الاضافة إلى حفريات جبل صهيون منذ مطلع شهر تموز الماضي من قبل دائرة الآثار الاسرائيلية والبطريركية الأرمنية باشراف السيد « ميحن بروشي] .

وعثر في قصر هيرودوس على جدران استنادية ، ويمتد هذا القصر على مساحة عدة دونمات الأمر الذي يتفق ووصف يوسف بن متتياهو .

وكان ملوك القدس الصليبيين قد بنوا في وقت لاحق في هذا المكان للقصورها التي كانت أساساتها تقف على الصخر الطبيعي بعد هدم بقايا المباني « الهيرودسيم » .

انقل هذه الترجمات لمعاليكم ، لعلكم تجدون فيها انتم ودائرة الآثار عندنا وذوي الاختصاص بعلم الآثار في الجامعة الأردنية ، مادة لمواصلة شكوانا في منظمة اليونسكو وفي تهيئة الدراسة العلمية المساندة لأية مقترحات تنسبونها بخصوصها .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .
المخلص (روحي الخطيب امين القدس) .

مصـــــــادر

الالوسي جمال الدين : أسامة ابن منقذ – بغداد

بروفنصال ليفي : مجموع رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية الرباط ١٩٤١

ابن بطوطة : تحفة النظار – طبعة باريز ١٩٦٨.

البلوي خالد : الرحلة (مخطوطة بالخزانة العامة رقم ١٢٨٨/د وبالخزانة الملكية رقم ٥٨٠٣ ...

بيري رايس : كتاب بحرية باللغة التركية ألف في عهد السلطان (سليمان القانوني)

التازي عبدالهادي : بلادالشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية ، بحث قدم للمؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام طبعة أولى (الجامعة الاردنية ١٩٧٤

التازي عبدالهادي : تاريخ المغرب الدبلوماسي في عشر مجلدات (جاهزة للطبع) .

ابن جبير : الرحلة إلى المشرق ليدن ١٨٠٢

الخطيب روحي : العدوان الا سرائيلي على المقدسات الاسلامية في القدس، الاردن .

ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر – بيروت ١٩٠٠

أبو خلف مروان : المتحف الاسلامي بالحرم الشريف – المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (الجامعة الاردنية ١٩٨٠)

ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان أمستردام ١٨٩٠

الخليلي جعفر : موسوعة العتبات المقدسة، أول – دار المعارف – بغداد

الخياط ، عبدالعزيز : أوقاف القدس ... المؤتمر الدولي (الثالث) لتاريخ بلاد الشام.- الجامعة الاردنية ١٩٨٠

ابن الزبير : صلة الصلة.، نشر بروفنصال الرباط ، ١٩٨٨

ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحرير وتعليق محمد الهاشمي الفيلالي : الرباط ، ١٣٥٥ – ١٩٣٦

ابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف نشر وتصحيح أدولف فور – الرباط ، ١٩٠٨

الزياني أبو القاسم : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً تحقيق : عبدالكريم الفيلالي ، نشر وزارة الأنباء ١٩٦٧ .

الزياني أبو القاسم : الروضة السليمانية في ملوك الدولة العلوية ومن تقدمها من الدول الاسلامية ، مخطوط بالخزانة العامة وبالخزانة الملكية

الطيباوي ، عبداللطيف : القدس الشريف في تاريخ العرب والاسلام مجلة مجمع اللغة العربية م ٢٤ ، ج ٤ دمشق قعدة ١٣٩٩.– اكتوبر ١٩٧٩ .

مجير الدين الحنبلي : كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، طبعة مصر ١٢٨٣ هـ

المحكمة الشرعية بالقدس : سجلات ووثائق المحكمة ....
المملكة الاردنية الهاشمية

المقـري : روضة الآمن العاطرة الأنفاس
مطبوعات القصر الملكي ، الرباط ١٩٠٤

التاصري أحمد بن خالد : كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الاقصى ...
الدار البيضاء ١٩٥٤ .

ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة على المستضعفين
تحقيق د. عبدالهادي التازي بيروت ١٩٦٤

العابدي محمود : بيت المقدس ، ١٩٦٩

العبادي احمد مختار : دراسات من تاريخ المغرب والأندلس الاسكندرية ١٩٦٨

العبدري : الرحلة ، تحقيق محمد الفاسي ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي .

القلقشندي : صبح الأعشى ، مصر ١٩١٨ .

ابن قنفـذ : أنس الفقير وعز الحقير تصحيح محمد الفاسي وأدولف فور ، الرباط ، ١٩٦٥ .

أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين مصر ، ١٢٨٧

يوسف ذنون
معهد الفنون الجميلة – الموصل – الجمهورية العراقية

فلسطين
موطن ولادة فن الخط العربي

يشكل الخط العربي علامة مضيئة ومؤثرا ملفتاً للنظر في تاريخ الفن العالمي باعتباره فنا عربيا اصيلا ساهمت الشعوب الاسلامية في تشييد صرحه فعم كافة النتاجات الفنية لهذه الشعوب باقتدار وشمولية لذلك أطلق عليه « فن فنون الاسلام » فهو أينما ظهر بهر لشدة التعبير في اشكاله الفنية التي ينفرد بها الحرف العربي بين كتابات الشعوب الاخرى ولا يدانية الا الكتابة الصينية التي تختلف عنه لكونها كتابة صورية استمدت اشكالها من الطبيعة بينما قدم الحرف العربي خلقا جديدا لا نجده في الطبيعة ولكنه يوازيها في الاداء التعبيري الممتع والجمال الاخاذ القائم على التجريد ، تلك المرحلة الفنية التي حققتها البشرية في العصر الحديث وقد سبقها الخط العربي في ذلك بما يزيد على الف عام(١) .

ولم يكن الخط العربي بهذا التنوع والغنى التعبيري حين نشوئه بل كان كتابه اعتيادية قبل الاسلام ترسم واضعوه اشكال الكتابات السائدة في المنطقة والتي كان العرب يستعملونها في تلك الحقبة مثل الكتابة النبطية (٢) والحضرية (٣) والعربية الجنوبية (٤)) استخلصوا منها

(١) محمد ابو كف ، مع فن فنون الاسلام ، مجلة : المصور ٢٥٥٦ ، ٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، ٢٢
(٢) الدكتور جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧ – ٢٧١ .
(٣) فؤاد سفر ، كتابات الحضر ، مجلة سومر ٧ : ١٩٥١ ، م ٢ / ١٧٠
(٤) احمد حسين شرف الدين ، اللغة العربية في عصور ما قبل الاسلام ، القاهرة ١٩٧٥ ، ٣٥ .

الابجدية العربية المعروفة حاليا والتي تحوي اشكالا منكاملة من الحروف النبطية والحضرية او تحوير لبعضها مع الوصل الذي ظهر في الكتابة الحضرية بشكل محدود وتطور في الكتابة النبطية الحديثة واستفادوا مـــن التنفيذ الهندسي في الكتابة العربية الجنوبية « المسند » (الرسم ١، ٢) فتأرجحت الكتابة بين اليبس واللين والبساطة والتعقيد مما اخضعها لتطور محدود ، بدأت على اثره نقلة جديدة بظهور الاسلام .

تركز الاهتمام على الكتابة في صدر الاسلام نشرا وعناية وصارت من ضروراته الاساسية في العقيدة والحيـــاة ، ميدانها الأول القرآن الكريم ، وبدايتها تدقيق في رسم الحرف وبعد عن السرعة « المشق » من زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١) اعقب ذلك ضبط الكلمات بالشكل (٢) والتأكيد على الاعجام (٣) لتحقيق لغة سليمة في التلاوة .

وقد نشأت اساليب مختلفة نسبت الى المدن الرئيسة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة اعتبرت تطويرا لاسلوبي الحيرة والانبار في المظهر « اليابس واللين » او « المبسوط والمقور » ويظهر أن الاساليب الشخصية قد لعبت دورها في ارساء اشكال محددة مهدت لظهور طلائع حسنت هـــذه الاشكال وأرست اصولها مثل ابو حكيمة العبدي كاتب المصاحف في الكوفة في خلافة الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (٤) وخالد بن ابي الهياج الذي كتب محراب الرسول (ص) بالذهب (٥) ومالك بن دينار (ﻫ ١٣٠ ﻫ) الذي كان يكتب المصاحف بالاجرة وتوجت هذه الحقبة بظهور « قطبة المحرر » الذي ذكر انه اول من كتب الاقلام والخطوط الموزونة واستخرج الاقلام الاربعة واشتق

---

(١) الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى) ادب الكتاب تحقيق محمد بهجت الاثري القاهرة ١٣٤١ ﻫ ، ٥٦ ، التوحيدي (ابو حيان) ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٥١ : رسالة في علم الكتابة ، ٣٨٩ .

(٢) اولا طريقة ابي الاسود الدؤلي (ت ٦٩ ﻫ) بواسطة النقط وثانيا طريقة الخليل ابن احمد الفراهيدي (٩٦ – ١٧٠ ﻫ) وهي الطريقة التي عليها الكتابة الى الان (انظر : حفني ناصف ، تاريخ الادب او حياة اللغة العربية ط٢ القاهرة ١٩٥٨ ، ٦٦، ٦٧ .

(٣) ارجح ان الاعجام كان قبل الاسلام والادلة على ذلك كثيرة.

(٤) السجستاني (ابو بكر عبد الله بن سليمان) كتاب المصاحف تحقيق ارثر جفري ، مصر ١٩٨٦ ، ١٣٠ .

(٥) ابن النديم (ابو الفرج محمد بن اسحق) الفهرست (تحقيق كوستاف فلوجل) بيروت ١٩٦٤ ، ٦ .

بعضها من بعض وعلى رأسها (قلم الجليل) (١) فكانت بداية المسيرة الفنية الحقه للخط العربي في العهد الأموي وقد ساعد على نضجها التشجيع الذي لقيته من السلطة وخاصة على عهد الوليد بن عبدالملك (حكمه ٨٦ – ٩٦ هـ/٧٠٥ – ٧١٥ م) الذي اشارت المصادر الى انه اول من عظم الخط (٢) ، ولعل بداية ذلك كانت في عهد ابيه الخليفة عبد الملك بن مروان (حكمة ٦٥ – ٨٦ هـ/٦٨٥ – ٧٠٥ م) ويثبت ذلك كتابة قصر البرقع المؤرخة سنة ٨١ هـ للوليد في عهد أبيه المعدود في قائمة الكتابات ، وقد تجلى ذلك في كتابات قبة الصخرة المؤرخة سنة ٧٢ هـ/٦٩١م والتي حشدت لها كافة الجهود والامكانات لتكون عمارة فريدة في زيارتها وجمال هندستها لكي تتناسب وقدسية اولى القبلتين وثالث الحرمين وتطاول العمائر الدينية الاخرى في بلاد الشام من العهود السابقة للاسلام .

ان هذه الكتابات التي احتلت الجزء العلوي من التثمينة الداخلية لمبنى قبة الصخرة بشكل اشرطة طولها حوالي ٢٤٠ م نفذت بالفصوص المذهبة على ارضية زرقاء داكنة تتوسط زخارف الفسيفساء(٣) لأعراض تزينية تعبر عن القصد من بناء القبة وهو واضح في نصوص الآيات الكريمة التي كرمت الرسول الاعظم محمد (ص) وعرضت رأي الاسلام في المسيح عليه السلام .

والتي اكدت على توحيد الخالق وتسبيحه (٤) وبذلك تعتبر هذه النصوص حوارا هادئا بين الاسلام والمسيحية في البقعة المقدسة ذات الصلة المباشرة بالاديان السماوية ، ولا يوجد اشارة الى اليهود وهذا يدل على عدم حضووهم الواضح فيها كما يؤكد استبعاد الرأي وهذا بان الامويين سعوا بهذا البناء الى نقل الحج الى الشام (٥) .

يضاف اليها اللوح النحاسي المطروق والذي يعود لنفس الفترة (٦) ويمكن ملاحظة التغيير الذي احدثه العباسيون في هذه النصوص في عهد المأمون (حكمة ١٩٨ – ٢١٨ هـ/ ٨١٢ – ٨٣٣ م) بيسر لاختلاف الخط في المساحة والشكل .

---

(١) ابن النديم ، المصدر السابق ، ٧ ، ٨ .

(٢) ابن السيد البطليوسي ، الا قتضاب ، بيروت ١٩٠١ م ، ١٠٤ .

(٣) Creswell, K.A.C, Early Muslîm Architecture, Sccond Edition, V. 1, part 1, Oxford 1969, p. 225.

(٤) الا يات : ٥٦ الا حزاب ، ١٨ آل عمران ١٧١ النساء ٣٥ مريم .

(٥) ولها وزن (يوليوس) الدولة العربية وسقوطها ترجمة الدكتور يوسف العش دمشق ١٩٥٦ ، ١٧٣

(٦) Grohman, A, Arabishe Palaographie II, WIEN 1971, Tefel XII

ان النتيجة التي وصلت اليها كتابات قبة الصخرة فنيا نقلت الكتابة الى ميدان جديد بالاضافة الى ميدانها اللغوي الذي تقدم لنا فيه اسلوبياً في التنقيط للاعجام يختلف عن اسلوبي التنقيط في المشرق والمغرب ولم تتعرض له المصادر اللغوية فيما هو معروف ؛ بالاضافة الى تأكيد وجود النقط للاعجام في فترة سابقة للزمن الذي حددته غالبية المصادر لوضعه من قبل يحيى بن يعمر العدواني ونصر بن عاصم الليثي ، هو ميدان الفن بآفاقه الرحبة في الشكل والتزيين والتبرك والمضمون للتعبير عن المقاصد بشكل يعتمد العقيدة الجديدة في الاداء ، فن تنامى صرحه مطاولا عنان السماء لم تتوقف مسيرته حتى الوقت الحاضر فن تمثلت فيه الاصالة فالتقى الله على نتاجات الحضارة العربية الاسلامية بتفرد لم يسبق له مثيل فكان عمودها الفقري ومحورها الذي يمنحها الوحدة والانسجام قلما قاربته كتابة اخرى في هذا المضمار الذي خلق طبيعة جديدة فيها مقومات الطبيعة فنيا بنتاجات فيها الكثير من الخلق والابداع .

وتتأكد لدينا فكرة انطلاق فن الخط العربي من كتابات قبة الصخرة اذا تفحصنا الكتابات السابقة لها تاريخيا سواء كانت تسجيلية على الاحجار مثل شاهد قبر عبد الرحمن بن جابر (٣١ هـ/٦٥٢ م) المكتشف في اسوان (١) ونقش سد الطائف (٥٨ هـ/٦٧٧ م) في الحجاز (٢) وحجر حنفة الأبيض (٦٤ هـ / ٦٨٤ م) قرب كربلاء في العراق (٣) او على النقود الصادرة قبل سنة ٧٢ هـ (٤) ، فاننا لا نلاحظ فيها الخصائص الجديدة التي توفرت في كتابات قبة الصخرة بينما نلاحظ هذه المميزات بكل سهولة في النقوش المعاصرة لها مثل احجار اميال الطريق (الصوي)والتي عثر على خمسة منها (٥) تميزت حجر الميل الثامن الى القدس بخطها المتقن والذي يبلغ ضبطه مستوى كتابة فسيفساء قبة الصخرة وكذلك النقود المعربة التي بدأ ضربها بعد هذا التاريخ بفترة وجيزة (٦) فاذا ما دققنا النظر فيها فاننا نلاحظ وجود اعراف تحكم رسمها وخصائص جديدة توازن بين اشكالها كتب لها الاستمرار فيما تلاها من كتابات سواء في نهاية القرن الأول الهجري او ما تلاه من القرون ، وحضورها اكثر وضوحا في

---

(١) دكتور ابراهيم جمعة ، دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجار في مصر في القرون الخمسة للهجرة القاهرة ١٩٦٩ ، ١٣٠ .

(٢) ادولف كروهمان المرجع السابق ، ٧٩ .

(٣) الدكتور عيسى سلمان وزملاؤه ، نصوص في المتحف العراقي المجلد الثامن نصوص عربية ، بغداد ١٩٧٥ ، ١٢ .

(٤) ناصر السيد محمود النقشبندي ، الدرهم الاسلامي ج ١ بغداد ١٩٦٩ ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٥) محمود العابدي ، الآثار الاسلامية في فلسطين والاردن عمان ١٩٧٣ ، ١٨٠ .

(٦) الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، فجر السكة العربية القاهرة ٦٥-١ (انظر الألواح) .

افريقيا والاندلس من المشرق لروح المحافظة فيها وارتباط الاخيرة المتواصل بالامويين بما في ذلك تنقيط لبعض الحروف مثل حرف القاف ، بينما يبدأ التطوير في العراق بظهور العباسيين وانتقال مراكز الحضارة شرقا .

ان التدقيق في كتابات قبة الصخرة يبرز عدة خصائص اهمها :

١ ـ أعتماد المعمار الهندسي في رسم الحروف بالدقة التي تسمح بها نصوص الفسيفساء في تنفيذها فنرى الخطوط العمودية مستقيمة (يابسة) مثل الألف واللام ، وكذلك الخطوط الافقية التي تأخذ شكل سطر في بقية الحروف . اما المسارات اللينة فانها ترسم بشكل اقواس منظمة مثل عراقات الراء والواو والنون وانحنـــاء بداية الدال والصاد والطاء والكاف والعين ، او بشكل دوائر مثل رؤوس الميم والفاء والقاف (الرسم ـ ٣ ـ) وهذا الاسلوب في التنفيذ معروف في رسم حروف « المسند » ويزيد هذا الارتباط تاكيدا انتقال « الترويسات من المسند » الى هامات الحروف المرتفعة والتي عمت هذا النوع من الخطوط في القرن الثاني الهجري . ويمكن ملاحظة بدايتها بوضوح في احجار اميال الطريق ، ولعل للنعرة اليمانية التي سادت سياسيا في هذه الفترة دخلا في هذا الاتجاه .

٢ ـ محاولة وضع شكل محدد للحرف لا يتغير حيثما تكرر ، وقد تتنوع بعض الحروف مثل حرف الكاف ولكنها تحافظ على ثبات الشكل حتى في تنوعه وقد اعطى ذلك للكتابة ايقاعا متناغما خلقه ترديد الاشكال الموحدة فأضفى الطابع الزخرفي غير المتناظر عليها ، وحقق انسجاما معماريا بين العناصر المختلفة .

٣ ـ محاولة وضع نظـــام للمسافات الداخلية في شكل الحرف الواحد وصلته بالحرف الذي يليه وكذلك في الفراغات بين الحروف غير المتصلة ومعالجة حجم الكلمة بالمدود المناسبة لكي تلائم المساحات المفروضة .

٤ ـ حصر الكتابة محددة لا تحيد عنها الا فيما ندر ، تلتقي في الاعلى عند حد لا تتعداه ، وكذلك في الأسفل معتمدة على مسار رئيسي تستند عليه جميع الحروف باتزان ثابت وترتفع عنه بنسب مقدرة .

٥ ــ خضوع الحروف لعرض معين يعتمد صدر قلم مستوى السنين لا يتحول الى السن الايمن الا في بعض الحروف التي تتشوه اذا اتبعت فيها هذه القاعدة مثل حرف الهاء وهذا دليل التذوق الفني المرهف والاحساس بالعلاقات في الكتل والمساحات ومعالجة الفراغ .

هذا بالاضافة الى ميزات اخرى تبدو اقل التزاما مما تقدم مثل تتابع التنسيق واوضاع التنقيط وغيرها وهي بحاجة الى دراسة ميدانية ادق واشمل تلقى الضوء على دقائقها التي اعطت لهذا الفن ابعاده التشكيلية .

اما اذا طبقنا مقاييس القدماء على هذه الخصائص فاننا نجدها تنطبق على كتابات قبة الصخرة سواء في صحة الشكل او حسن الوضع ، كما ذكرها الوزير بن مقلة (٢٧٢ ــ ٣٢٨ هـ / ٨٨٦ ــ ٩٥٠ م) وهي التوفية والاتمام والاكمال والاشباع والارسال لتصحيح الشكل والترصيف والتأليف والتسطير والتفصيل لحسن الوضع (١) .

وبالرغم من وجود هذه القواعد العامة فاننا لا نستغرب اذا لاحظنا عدم استقرار بعض الجوانب الفنية فيها ، لأن هذه طبيعة كل محاولة اولية لارساء اسس فنية جديدة ، وقد نلمح ايضا بعضا من هذه الميزات موجودة فيما سبق ولكنها ليست بهذا الاحكام والتحديد والتنوع .

ان الخصائص المذكورة فيما تقدم اكسبت كتابات قبة الصخرة شكلا مميزا لعله كان النواة الأولى لابتكار انواع جديدة من الخطوط اعتمدت الخط الهندسي في مساراتها وقد اطلق عليها في عصور متأخرة اسم « الخط الكوفي » وهي في واقعها لم تكن الا تطورا طبيعيا واشتقاقا من « قلم الجليل » اذ المعروف انه « ابو الاقلام » (٢) ولذا لا نستبعد ان تكون كتابات قبة الصخرة هي النموذج لهذا الخط فهو جايل بمساحة حروفه العظيمة التي تزيد على عرض اربع وعشرين شعرة وهو كذلك « خط اهل الشام » (٣) ولا نستبعد

---

(١) ابن مقلة (ابو علي محمد) رسالة في علم الخط والقلم مخطوطة مصورة في مكتبتي عن مجموع في دار الكتب المصرية رقم ١٤ علوم ، وانظر ايضا :
القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي) صبح الاعشى في صناعة الانشا الطبعة المصورة ٣ : ١٣٩ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ٨ .

(٣) البطليوسي : الاقتضاب ، ٨٩ .

الصلة بين تسميته وبين « الجليل » كجبال معروفة قديما تطاق عـلى سلاسل جبال الشام (١) ولا زال « جليل » القدس شامخا يمثل بقايا هذه التسمية حتى الوقت الحاضر كما أن الخطوط التي وصلتنا بعده شديدة الصلة به ، مما يؤيد ابوته لها ، في حين نرى ان الخطوط الاخرى قد انقطعت فخط الانبار « المشق » قد حذر من استعماله — كما مر — وصار اصطلاحا للاداء السريع في الكتابة (٢) وانقطعت سلسلة خط الحيرة « الجزم » الذي تعلمه اهـل الكوفة لأن المصادر لم تذكر لنا شيئا عن استمراره او اشتقاق خطوط اخرى منه بل ذكرت ان جميع الخطوط اشتقت من « الجليل الشامي » الذي اخترعه « قطبة المحرر » في عهد بني امية ، « وهواستخرج الاقلام الاربعة اشتق بعضها من بعض وكان اكتب الناس بالعربية » حتى بلغت في القرن الثالث الهجري زمن ابي العباس محمد بن ثوابة (ت ٢٧٧ هـ) اربعة وعشرين قلمـا كلها مـن اربعة اقلام ، قلم الجليل وقلم الطومار الكبير وقلم النصف وقلم الثلث الكبير ومخرج هذه الاربعة الاقلام من القلم الجليل وهو ابو الاقلام (٣) وقد كان نشره في بدء قيام الدولة العباسية على يد الضحاك بن عجلان في زمن السفاح واسحق بن حماد زمن المنصور والمهدي وهما من اهل الشام وعلى الاخير منهما تتلمذ الخطاطون العباسيون واخترعوا بقية الخطوط من مشتقات الجليل والتي زادت على العشرين قلما (٤) كما سبق ولم يكن فيها خط اسمه الخط الكوفي .

ويظهر ان هذه التسمية اطلقت على مجموعة خطوط القرون الثلاثة الأولى الهجرية في فترات لاحقة وقد اتجه الفكر الى الخطوط اليابسة فقط لاسباب كثيرة اهمها :

اولا : تدهور الخطوط القديمة في نهايـة القرن الثالث الهجري لتردي الاحوال فاهملت ولم يبق منها « الاقلم المؤمرات وصغير الثلث وقلل الرفاع » كما ذكر الوزير ابـن مقلة (٥) .

ثانيا : التحول الى الخطوط اللينة والتركيز على تطويرها في القرن الرابع الهجري جعـل الاهتمام قاصرا عليها مما دفع الخطوط القديمة الى هوة النسيان وتخلصا من الحرج في

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان مصر ...١٩٠ ، ٣ : ١٣١ .
(٢) الصولي ، ادب الكتاب ، ١٢٣ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ، ٧ وما بعدها .
(٤) البغدادي (ابو القاسم عبد الله بن عبد العزيز) كتاب وضعة الدواة والقلم وتعريفها تحقيق هلال ناجي ، مجلة المورد م ٢ : ٢٠: ٨لي١٩ ، ٤٧ .
(٥) البطليوسي ، الاقتضاب ، ٨٨ .

عدم معرفة اسمائها اطلق عليها الخط الكوفي جملة رمزا للقدم بتأثير بقايا المعلومات التي علقت بالذهن عن انتقال الخطوط في صدر الاسلام من الحيرة والانبار الى المراكز الرئيسة المرتبطة بحركة استنساخ المصاحف مثل الكوفة والبصرة (١) .

ولذلك قيل ان ابن مقلة هو الذي غير الصورة الكوفية الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن (٢) وقيل ايضا ان اصلاح الكوفي وترطيب الكتابة قد اجتهد الناس فيه قبل الشيخ ابن البواب (٣) الا ان المتأخرين لم يوافقوهاً على ذلك ممن وقر اصطلاح الخط الكوفي في اذهانهم على انه الخط اليابس فنفوا حدوث ذلك لوجود خطوط لينة قبل المائتين (٤) .

كما قيل ايضا « الخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي » (٥) توخيا للدقة العلمية ودليل فهم صحيح خاصة وان ذلك قد صدر عن ذوي الاختصاص ، لذلك ربطوا التسمية زمنيا وهذا يشير الى انها تحمل مسميات اخرى في حينها فتكون التسمية تعويضا — كما قلنا — عن « الخطوط القديمة » تخلصا من الحرج في عدم معرفة مسمياتها الحقيقية ولربما تم ربطها بخط المصاحف الذي تعلمه اهل الكوفة من اهل الحيرة من قلمهم « الجزم رغم تغيره — كما ذكرنا — على اعتبار ان ابن مقلة ركز على خط النسخ الذي صار فيما بعد الخط الذي تكتب به المصاحف .

ان فهم اصطلاح « الخط الكوفي » على معنى القدم يحقق التوازن في الاخبار المتقدمة والتي تذكر ان ابن مقلة هو الذي غير الخط الكوفي اي انه هو الذي طور الخطوط القديمة وسلك بها دروب اللينة التي كانت موجودة في « قلم الغبار » وغيره ولكن بشكل كان جديد اساسا لخط الثلث والرقاع والنسخ المحدثة وغيرهم .

---

(١) الزبيدي (محمد مرتضى) الحسيني حكمة الاشراق الى كتاب الافاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، نوادر المخطوطات ٥ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ٦٥ .

(٢) النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) نهاية الارب في فنون الأدب طبعة دار الكتب المصورة ٧ : ٣ .

(٣) رسالة في الكتابة المنسوبة (مجهولة المؤلف) نشر الدكتور خليل محمود عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية م ١ : ج ١ ، ١٩٥٥ ، ١٢٦

(٤) القلقشندي ، المصدر السابق ٣ : ١١ .

(٥) القلقشندي المصدر السابق ٣ : ١١ وهو بدوره يروي التسمية على لسان صاحب « الابحاث الجميلة في شرح العقيلة » .

مما تقدم يجب ان يعاد النظر في هذه المصطلحات لكي يأخذ « خط الجليل » مكانته بين مسميات الخطوط ، الذي رجح لدينا ان صورته الأولى لا زالت قائمة بين ظهرانينا في كتابات قبة الصخرة في القدس الشريف واحجار اميال الطريق الفلسطينية ولعل هناك غيرها وهي اصل الكتابات الهندسية التي عمت فيما بعد جميع انحاء الوطن العربي والعالم الاسلامي ولا زالت قواعدها الاساسية سارية حتى وقتنا هذا ومن هنا ندرك اهميتها الفريدة وندرتها التي تجعل الحفاظ عليها ضرورة حضارية ومهمة علمية وقضية فنية تتعدى حدود فلسطين وتقع مسؤوليتها على جميع الامم وعلى الاخص العرب المسلمين .





جده – المملكة العربية السعودية

نقـــود ضربت بمناسبات تاريخية بفلسطين

فلسطين عزيزة على العرب منذ قدم التاريخ ، سكنتها قبل الاسلام قبائل عربية واستوطنها العرب المسلمون منذ عام ٦٣٥م وحكمها العرب والمسلمون حتى عام ١٩١٧ عندما أدخلها البريطانيون تحت الانتداب بعد الحرب العالمية الأولى، ولا يزال اكثر اهلها عربا حتى يومنا هذا .

زارها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرتين احداهما مع عمه ابي طالب والثانية عندما قدمها بتجارة لخديجة بنت خويلد . ثم وجه المسلمين اليها والى سائر بلاد الشام . وقبل الهجرة بثمانية اشهر عرج الرسول الى السماء من بيت المقدس . وسار الرسول على رأس جيش الى تبوك سنة تسع للهجرة حيث صالحه صاحب ايلة يوحنا بن رؤبة على الجزية . وكان الرسول قد جهز لها جيشا عام احد عشر من الهجرة استعمل عليه اسامة بن زيد وأمره بالتوجه الى الشام وان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم وهي ديرالبلح اليوم . فالرسول وجه المسلمين الى فتـــح فلسطين باسرائه تخومها وبتهيئة جيشين يقود احدهما مولاه زيد بن حارثة وابن مولاه هذا اسامة . وافتتحها المسلمون زمن ابي بكر وعمر، وزارها عمر اربع مرات وتم فتح بيت المقدس على يديه ، كما فتح معاوية بن ابي سفيان آخر معقل فيها وهو قيسارية سنة تسع عشرة للهجرة . (تشرين الأول ٦٤٠ م) .

احبها الامويون فكانت بيعة معاوية في بيت المقدس وكذلك بويع سليمان بن عبد الملك فيه وهم باتخاذ بيت المقدس منزلاً وعاصمة لدولته بدلا من دمشق . ودلائل حبهم لفلسطين كثيرة . واحبهـــا الأخشيديون فاوصى ملوكهم الاربعة بأن يدفنوا في بيت المقدس فنفذت وصاياهم ودفنوا فيه . وكرس صلاح الدين حياته لفلسطين . ودفن

في فلسطين كثير من الصحابة وملوك العرب . ومن الخلفاء الفاطميين ولد الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور في عسقلان عام ٤٦٧ هـ .

النقود والمداليات :

كان العرب والمسلمون يحيون ذكرى المناسبات التاريخية بعدة امور منها انشاء العمارات التذكارية كالقباب والقلاع ووضع المنابر في المساجد ، ومنها ضرب النقود او اصدار الاختام والمداليات .

فالملك الظاهر بيبرس انشأ قبة عين جالوت احتفاء بانتصاره على التتار كما انه بمناسبة انتصاره على الصليبيين في صفد سنة ٦٦٤م انشأ بحمص مدفن خالد بن الوليد بطل معركة اليرموك .

وإن أول من أصدر نقدا عربيا فلسطينيا كان عبد الملك بن مروان ، الذي قام بالاصلاح النقدي العربي ، فعندما تولى الخلافة عام ٦٥ للهجرة (٦٨٥) م وجد قوى عاتية ضده ومنها أن توجه امبراطوار القسطنطينية الى المصيصة وقصد بلاد الشام الأخرى ولما قضى عبد الملك على منافسة الأكبر عبد الله بن الزبير ووطد حكمه في العراق وبقية بلدان الخلافة ، قام باصلاحه الإداري المعروف الذي بدأ فيه تعريب القيود والسجلات الحكومية وقام باصلاحه النقدي فعربه. وأبطل استعمال النقود الرومية التي كان التعامل بها في بلاد الشام .

وقد أصدر عبد الملك دينارا عربيا عام ٧٤هـ عليه صورة ترمز الى الخليفة واقفاً يهم باستلال سيفه من غمده رمزا للقوة والتحدي لامبراطور القسطنطينية الذي كان طامعا باسترداد مدن بلاد الشام ، وحول اسم الخليفة على هذه النقود عبارة (محمد رسول الله) ويقال إن العلاقات بين العرب والبيزنطيين وموقعه (سباستبوليس) عام ٩٧٣ (٦٩٢ م) كان من اسبابها صدور تلك الدنانير العربية الاسلامية التي نافست مكانة السكة البيزنطية وسيادتها العالمية .

وكذلك اصدر فلوسا نحاسية تحمل نفس الشعار ضربت في ايليا فلسطين اي بيت قدس وفي يبنى بفلسطين وفي جبرين وكذلك في عمان .

وختم عبدالملك بن مروان، كُتب على وجهه اسمه وعلى الوجه الآخر اسم (فلسطين) وقد اكتشف هذا الختم في تل جزر بفلسطين (وهو تل أبوشوشة على مقربة من الرملة) وذلك عام ١٩٠٣م والختم موجود في متحف الآثار باستنبول وهذه اوصافه :

على الوجـــه :

طائران تحت حرف ⌃ وعـــلى يمين ويسار الحرف مـــن اعلى عبارة (لعبد الله عبد الملك امير المؤمنين (داخل دائرة)

وفي المدار عبارة :

لا الله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله

وبعدها غصن .

وعلى الظهـــر :

كلمة (فلسطين) وتحتها حلية متكررة وتحت الحلية اسدان متقابلان بينهما زهرة كزهرة الكشافة وعلى المدار حلية متكررة .

ورسم الاسدين من رسوم الامويين وقد وجد مثلها تحت تمثال سليمان بن عبدالملك في خربة المفجر قرب اريحا .

وفي زمـــن العباسيين حدثت عصبية بالشام بين اهلها وتفاقم امرها فاغتنم لذلك امرهم الخليفة هارون الرشيد فعقد لجعفر بن يحيى على الشام، وقال له : إما أن تخرج انت أو أخرج أنا، فقال له جعفر بن يحيى : بل اقيك بنفسي فأتاهم ومعه القواد والعساكر والسلاح والاموال ، والمح بينهم فعادوا الى الأمن والطمأنينة ، واطفأ تلك الثائرة . فازداد الرشيد له اكراما (١) .

وقد ظهر فلس من ضرب مدينة الرملة، عليه اسم جعفر نشره الاستاذ عبد الرحمن فهمي بموسوعته تحت رقم ٢٧٤٣ (٢) ولكن سنة الضرب عليه مطموسة وهذا وصفه :

---

(١) الطبري (٨) ٢٦٢ وابن الاثير (٦) ١٥١ .

(٢) فجر السكة العربية ، عبد الرحمن فهمي محمد ، ص ٧٦٦ .

لا اله الا	اللـــــه
الله وحده	محمـــــد
شرلايك لـــه	رسول الله
	جعفـــــر

المدار : محمد رسول الله ارسله بالهدي المدار : ... ضرب بالرملة سنة ... ودين الحق ليظهره على الدين كله .

١٨ ملم / ٢,٣٢ غم

وكذلك ظهر فلس من ضرب طبرية ضرب عام ١٨١ هـ وعليه اسم الخليفة هارون الرشيد (١) وهذا وصفه :

عـــدل	ضرب هذا الفلس بطبرية سنة احدا (كذا) وثمنين (و) مئة

المدار : مما امر به عبد الملك امير المؤمنين نصره الله

(٢١ مم / ٤,٠٥ غم)

والغالب هو ان الفلس الأول ضرب عام ١٨٠ هـ وأن هذين الفلسين انما ضربا في فلسطين تخليدا لذكرى ايقاف الفتنة ورجوع الامن والطمأنينة الى تلك البلاد على يدي جعفر بن يحيى وزير الرشيد .

وفي ربيع الثاني عام ٢١٦هـ (٨٣١م) اجرى المأمون اصلاحات في قبة الصخرة ببيت المقدس وقد صدر له نقد هام جدا عام ٢١٧ هـ ضرب في القدس. وهو النقد الاسلامي الوحيد الذي يحمل كلمة (القدس) حسب علمنا ، ويبدو انــه اصدره تخليداً لذكرى ذلك العمل الذي قام به . وفي نفس السنة ايضا اصدر نقدا في كل من الرملة وغزة وعكا .

والنقد المضروب في القدس موجود في متحف القدس .

(١) متحف دمشق رقم ع / ١٦٣٨٩ .

ومعلوم ان الطولونيين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي في مصر وبلاد الشام وامتد حكمهم من برقة الى العراق ومن النوبة الى آسيا الصغرى. ولكنهم بقوا رسميا تابعين للخلافة العباسية ببغداد . وقد اصدروا نقدا ذهبيا يعد بعشرات الملايين من الدنانير وبعض النقد الفضي ، وقليلا من الفلوس النحاسية. واكثر الذي ضربوه كان في مصر وفلسطين .

وفي عام ۲۹۱هـ ارسل الخليفة المكتفي قائده محمد بن سليمان فاسترد فلسطين ودخل الفسطاط عام۲۹۲هـ وقضى على الدولة الطولونية، وعادت بلاد الشام ومصر الى التبعية العباسية المباشرة وحمل معه الى الخليفة ما بلغ نحو من مليوني دينار طولوني وقد تتبع العباسيون الدنانير الطولونية فسحبوها من التداول واعادوا ضربها في بغداد من جديد ، الا أن القائد العباسي « محمد بن سليمان » قبل ان يعود الى بغداد ضرب دينارا عباسيا صرفا في الرملة عاصمة فلسطين عام۲۹۱هـ فور استيلائه عليها . وتوجد نسخة منه في روسيا ذكرها ماركوف تحت رقم ٩٠٤ . ولدى المؤلف دينار ضرب في الرملة في المدة التالية اي عام۲۹۲هـ هذا وصفه :

الوجـــــه :

لا اله الا — لله

الله وحده — محمد

لا شريك لـــه — رسول

.. — الله

المكتفي بالله

المدار الداخلي : بسم الله ضرب هذا الدينار

سنة اثنتين وتسعين ومايتين (المدار) محمد رسول الله ...

ولو كره المشركون

المدار الخارجي : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ

يفرح المؤمنون بنصر الله

وكان يوجد مثيل له لدى السيد محمود الافغاني بعمان .

وهنالك دينار أيوبي هام ضربه صلاح الدين في دمشق في العام الذي انتصر فيه على الصليبيين في حطين واسترد فيه بيت المقدس (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) وهذا الدينار هو الدينار الأيوبي الوحيد الذي ضرب في دمشق . ولا نعلم انه ضرب فيها للايوبيين دينار ذهبي هناك قبله او بعده . وقد ظهر لقب صلاح الدين على ذلك الدينار هكذا :

سلطان الاسلام والمسلمين

بينما كان لقبه على دنانيره الاخرى المضروبة في غير دمشق ، هو :

سلطان المسلمين

فقط . ولما كانت بلاد الشام تشمل فلسطين وكانت عاصمة بلاد الشام هي دمشق فان التفسير الوحيد لهذا اللقب الكبير الذي ظهر لمرة واحدة وذلك على الدينار المضروب سنة انتصار صلاح‌الدين على الصليبيين في حطين واستعادته بيت المقدس ، انما هو لقب الرجل المعتز بنصره وان لم يتخذه لقبا رسمياً دائما وهذه مأثوراته :

الوجه	الظهــر
الامام الناصر	الملك الناصـــر
امير المؤمنين	يوسف بن ايوب

المدار الداخلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله

المدار الداخلي : صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين

المدار الخارجي : ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون

المدار الخارجي : بسم الله ضرب هذا الدنانير بدمشق سنة ثلاث وثمنين وخمس مائة

وقدا كتشفت دراهم ايوبية وانصاف دراهم من ضرب غزة تحمل تاريخي عام٦٢٤هـ و ٦٢٥ هـ .

وفي عام ٦٢٤ هـ حصلت اعادة توزيع الممتلكات بين الامراء الايوبيين تحت زعامة كامل محمد بن ابي بكر بن ايوب . وجرت المفاوضات في تل العجول قرب غزة ، ويبدو ، الكامل محمد اراد تأكيد اهمية تلك الحوادث السياسية فضرب تلك الدراهم تخليدا كراها .

هذا مع العلم ان الايوبيين كانوا مقلين في ضرب النقود في مدن فلسطين معتبرين دمشق عاصمة فلسطين بصفتها جزءا من بلاد الشام وكانوا يضربون الكثير من نقودهم الفضية في دمشق .



وكان الامير سيف الدولة الحمداني امير حلب راغبا بالاستيلاء على فلسطين فدخلها وضرب فيها درهما عام ٣٣٥هـ ذكر عليه الضرب (فلسطين) توجد منه قطعة في متحف القدس وأخرى في السويد .

وكذلك فعل القرامطة الذين استولوا على فلسطين لمدد قصيرة فقد ضربوا في فلسطين دينارا عام ٣٥٧هـ كما ضربوا درهما فضيا عام ٣٥٨هـ وبقوا في فلسطين من عام ٣٦٠هـ الى عام ٣٦٣ هـ فضربوا فيها دنانير في الاعوام ٣٦٠ و٣٦١ و٣٦٢هـ . ثم عادوا الى فلسطين وضربوا فيها دنانير في الاعوام ٣٦٥ و٣٦٦ و ٣٦٧هـ . وكذلك فعل الفتكين القائد التركي امير دمشق الذي انحاز الى معز الدولة بن بويه في بغداد ضد الفاطميين ، فضرب دينارا عباسيا في فلسطين عام ٣٦٧هـ ذكر عليه اسم معز الدولة البويهي .

ورغم ان الاتراك حكموا فلسطين اكثر من اربعمائة سنه (من ١٥١٦ الى ١٩١٧م) فانهم لم يضربوا نقودا في فلسطين . الا انهم عندما ردوا حملة محمد علي باشا خديوي مصر من عكا عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) صنعوا اوسمة تحمل طغراء باسم السلطان عبد الحميد وتحمل اسم قلعة عكا وعليها صورة ترمز الى تلك القلعة تخليدا لذكرى انتصارهم على جيش محمد علي باشا . وقد كانت الاوسمة من الذهب والفضة والبرونز . وقد انعموا بها على رجال الجيش البريطاني الذين ساعدوهم في اخراج جيش محمد علي من بلاد الشام وقد اعطوا الاوسمة الذهبية لضباط المعركة الكبار والفضية للضباط الآخرين والنحاسية للبحارة والجنود وسواهم . اما الاوسمة الذهبية فنادرة ولكن الاوسمة الفضية والبرونزية فتوجد منها اعداد كثيرة ولدى المؤلف وسام فضي منها .



هذه هي بعض النقود والاوسمة التي صدرت بمناسبات تاريخية في فلسطين وهناك مئات الدنانير والدراهم والفلوس والاوسمـــة العربية والاسلامية التي ضربت في مدن فلسطين زمن حكم الامويين والطولونيين والاخشيديين والفاطميين والايوبيين والمماليك والاتراك . وهي موجودة في متاحف النقود في العالم ولدى بائعي النقود .

محمد الخولي

أمين المتحف العربي الاسلامي في دمشق

نقش السكة على النقود الفلسطينية
(في صدر الإسلام والعهد الأموي)

يتوقع كل مختص عندما يرد الحديث عن السكة الاسلامية في صدر الاسلام والعصر الأموي أن متحف دمشق لابد أن يحتوي على أهم وأندر نماذج هذه الفترة في مجموعته . معذور من يفكر على هذا النحو لان مثل هذا التفكير لايعدو حدود المنطق إذا ما أخذت مكانة مدينة دمشق بالنسبة للحقب الأولى من حكم المسلمين ، ولكن ينبغي ألا يغرب عن البال أن من تنبهوا إلى أهمية الآثار وجمعها والعناية بها في ديار الغرب سبقونا في العالم العربي على الأقل بنحو قرن من الزمان ، لذلك كل ما كانت تجود بـه هذه الأرض العربية خلال القرن الماضي والنصف الأول من هذا القرن ذهب الى مجموعاتهم . ولكن عطاء هذه الأرض لم ينضب ، وبما أن القوانين التي وضعت بعد الحرب العالمية الثانية لحماية الآثار في المنطقة العربية والحفاظ على كنوزها القومية ساعدت على الحد من تناثر هذه الآثار ولا سيما النقود على متاحف ومجموعات البلدان الأوربية والأمريكية. وبما أن نماذج السكات التي صدرت في الماضي لايمكن تجديدها . لذلك لديهم نماذج لما نعثر على مثيل لها بعد — وهي محدوده جداً — ولكنها منشورة ولدينا بالمقابل نماذج لم تطل أيديهم مثلها ، والفرق أن معظم النماذج التي لدينا لم تر النور بعد ، ومما لدينا ولديهم يمكن أن نعطي صورة أشمل وأقرب الى ماهو معروف من اصدارات نقود هذه الفترة ، ولا شك أن جهدنا المتواضع هذا ، الخاص بنقود فلسطين خلال هذه الفترة إذا نحن ضمناه جميع ما لدينا من نماذج مع ما وقع لنا من المنشورة من النماذج المماثلة والنماذج الأخرى سيكون اسهاماً هاماً يفيد في القاء المزيد من الضوء على هذه السكات ممايساعد على اعادة تقييم بعض نماذج هـذه السكات التي ربما قيم بعضها بالندارة أو الفرادة وهو ليس كذلك . بقي علينا أن نعترف بأن الوصول الى المجموعات الخاصة في عالمنا العربي ليس بالسهولة المألوفة

بالنسبة لمثيلاتها في العالمين الأوربي والأمريكي وفي اعتقادي لو أتى اليـوم الذي يمكن أن نتجاوز فيه هذه الصعوبة (١) لأمكننا أن نسجل مفاجآت هامة ، بشكل خاص بالنسبة لنقود هذه الحقبة بالذات التي كانت بلاد الشام خلالها من أهم مناطق العالم الإسلامي من النواحي السياسية والادارية والاقتصادية .

لابد هنا من الإشارة الى أن العرب المسلمين في صدر الاسلام استعملوا نقود غيرهم ، وبالأخص نقود الأمبراطوريتين السامانية الشرقية والبيزنطية الغربية . وصلت هذه النقود الى العرب من خلال التجارة التي ربطت المراكز التجارية في أرض الحجاز ــ لا سيما مكة ــ بالمدن التجارية الهامة لدى كل من الأمبراطوريتين المذكورتين ، بالاضافة الى أن بلاد الشام كانت بمثابة الوطن الثاني لكثير من الحجازيين من أهل اليسار والسعة ، نظراً لكونها أقرب الأصقاع اليهم ونظراً لما تتمتع به من إغراءات في مناخها وخيراتها بالاضافة الى مكانتها التجارية . وقد رصد الأستاذ سمير شما في كتابه « النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين » اخبار بعض الجاليات الحجازية في بلاد الشام ؛ فذكر أن أمية بن عبد شمس جد بني أمية أقام في ربوع الشام أكثر من عشر سنوات ودفن في غزة ، كما أن هاشم بن عبد مناف جد الرسول (ص) دفن هناك . وذكر عمرو بن كلثوم الشاعر صلته بالأندرين وهي ضاحية من ضواحي دمشق بالقرب من قطنا حيث قال :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا　　　ولا تبقي خمور الاندرينا

وعندما شعر العرب المسلمون أنهم بحاجة إلى نقود خاصة بهم تعبر عن استقلالهم الاقتصادي بعد تكوين الحكم العربي الذي امتد على اصقاع متعددة في آسيا وافريقية ومنها بلاد الشام التي تكون فلسطين جزءاً منها بل من أهم أجزائها ولكي يستوفي هذا الحكم معظم مستلزماته واعتباراته قاموا بسك تلك النقود في مدن لم تكن معظمها في يوم من تاريخها مقراً لسك النقود وعندما نعني بذلك فلسطين يمكننا أن نستثني منها بعض مدن الديكابولس مثـــل بيسان ــ (Scythopolis) . وجرش وعمان (فلادلفيا) التي اشتهرت بسك النقود في العصر الروماني ، أما في العصر البيزنطي فلم يكن في منطقة الشرق العربي سوى مركزين لسك النقود أحدهما في انطاكية والثاني في الاسكندرية ، ولكن واحدة من مدن فلسطين سبقت الى ضرب النقـــود في العهـــد العربي الإسلامي المبكر وهي بيسان مع

---

(١) نحن من جانبنا نحاول تقريب هذا اليوم ، وذلك بإقامة الصلات الحسنة مع الأشخاص المعنيين ومساعدتهم ، وحصاد ذلك في المستقبل ــ كما نأمل ــ هو التعاون القائم على التفاهم والثقة إن شاء الله .

احتفاظها بكامل مظاهر النقد الخاص بالامبراطور البيزنطي جوستين الثاني وصوفيا بما في ذلك دار السكة التي هي نيكوميديا والمشار اليها بـ NIKO وكل ما قامت بتغييره هو استبدال اسم الأمبراطور المحيط بصورتي الوجه باسم مدينة بيسان باليونانية (CKYΘO/ΠOΛHC) أما بقية المدن الفلسطينية التي اشتهرت بسك النقود خلال هذه الفترة فقد خلت من مثل ذلك وقد نبه شأنها لأول مرة في هذا المجال تحت الحكم العربي البيزنطي .

هناك الكثيرون ممن كتبوا عن السكة الإسلامية في هذه الفترة فتناولوا عهودها وانواعها ومدنها وكتابتها وتقنيتها ، ولكني مع ذلك وجدت أنه بالإمكان أن اسهم اسهاماً متواضعاً في إغناء هذا الموضوع أولاً بإضافة جديد اليه وثانيا بتناوله باسلوب مختلف يعتمد على بذل المزيد من العناية لاظهاره الى حيز الوجود . أملاً في ايصال المعلومات شاملة وواضحة الى المختصين والقراء على السواء . وهنا أرجو ان يسمحوا لي بإعطاء فكرة عما عنيته من عبارة (المزيد من العناية) :

هناك نماذج من النقود نعكف على دراستها ساعات طوال بواسطة العدسات المكبرة ووسائل التنظيف المختلفة وعندما نصل الى نتيجة نقول في الحالة العادية إن هذا رأينا في دراسة هذه القطعة بدون أن نفسح مجالاً للقارئ في الاطلاع على الكيفية التي كونا بها رأينا لذا وجدت الحل الامثل — في رأيي بل الأقل — في تقديم هذه الدراسة أن اعتمد اسلوب الرسم (٢) في عرضي لهذا الموضوع لكي أنقل الى القارئ تصوري في تحليل النص الذي يحمله النقد والذي قد يحتمل أكثر من تفسير ومن ناحية ثانية يساعد الرسم في سد ثغرات قد يحدث التغاضي عنها خللاً في النص وذلك برسم قطع من المصادر إذا تعذر وجود النموذج المطلوب من اجل احكام اغلاق الموضوع عن القارئ ، بهذا سيجد القارئ العادي أنه حصل على صورة متكاملة عن جوانب الموضوع ، أما بالنسبة للمختص الذي لم يقتنع بوجهة نظر الباحث أو تفاجأ بنموذج غريب — وافوه بذلك لوجود نماذج من هذا النوع في البحث — فيمكنه بواسطة عناصر البحث المعروضة أن يكون تصرره الخاص وبالتالي أن يقوم بالنقد اللازم .

---

(٢) ادون شكري للآنسة اليزابيت سفيج التي ساعدت بكفاءة رائعة في رسم بعض نماذج في هذا البحث ، كما اشيد بمساعدة السيدة منى المؤذن لي .

أعود الى سياق الموضوع لاشيد بالجهود التي سبقت جهدي في التصدي الى موضوع النقود الفلسطينية ممثلة بأبحاث كل من الدكتور محمد ابو الفرج العش والأستاذ سمير شما والدكتور عبد الرحمن فهمي وغيرهم من الباحثين الأجانب أمثال ج. ووكر ، و هـ. لافوا، و ج. مايلز وغيرهم الا أن هذا البحث سوف يتضمن بعض السكات التي لم يسبق نشر مثلها بعد بالاضافة إلى طرح الموضوع الخاص بنقود ما بعد اصلاح عبد الملك بن مروان من وجهة نظر جديدة فتمثل بعرض جميع النماذج التي صدرت في مدينة واحدة مع اجراء عملية احصاء تقريبي لكل نموذج كما سيكون عرض السكات التي اشتمل عليها هذا البحث على أساس التسلسل الهجائي لأسماء السكات وقد أفردت لكل سكة عنواناً خاصاً حتى في حال تعدد السكات التي تعود الى مدينة واحدة وذلك بسبب ما لاحظته من تباين ما بين هذه السكات وعلى هذا سوف يكون استعراض السكات الفلسطينية وفق الترتيب الآتي :

١ — الأردن ٢ — ايلة ٣ — ايليا ٤ — ايليا فلسطين ٥ — بيت جبرين ٦ — بيسان ٧ — جبرين ٨ — جرش ٩ — حطين ١٠ — الرملة ١١ — شاش فلسطين ١٢ — طبريا ١٣ — صفورية ١٤ — عسقلان ١٥ — عكا ١٦ — عمان ١٧ — غزة ١٨ — فلسطين ١٩ — لـــد ٢٠ — يبنى .

عشر من هذه السكات خاصة بالنقود العربية والبيزنطية وقد ميزناها بوضع خط تحتها، ست منها استمرت بإصدار السكة بعد اصلاح عبد الملك وهي التي تحتها خطان . تجدر الإشارة إلى أن ميتشنر أضاف سكة جديدة هي « قيسارية » في كتابه « **World of Islam** » لكنه لم يورد النموذج الشاهد .

تدرج العرب المسلمون في تعريب السكة تحاشياً لردود الفعل من قبل الرعية التي قد لا تتقبل السكة الجديدة إذا ما تخلت تماماً عن التقاليد المتبعة في نظام السكة المتداولة لا سيما وأن معظم الناس كان تعاملهم مع السكة التقليدية المألوفة منذ زمن بعيد وجميع ممتلكاتهم وشؤون حياتهم مقيمة بها وهناك عامل هام ينبغي أخذه بعين الأعتبار وهو عامل الاستقرار بعد الفتوحات الإسلامية .

مرت عملية تعريب النقود التي اصطلح على تعريفها بالنقود العربية البيزنطية حتى اصلاح عبد الملك بن مروان بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى : اتسمت هذه المرحلة بتقليد النقود البيزنطية مع التقيد الكامل بالمظهر ويمثلها نقود بيسان التي أتت تقليداً لنقد جستين الثاني وصوفيا (٥٥٦ — ٥٧٨ م) . الذي يحمل في وجهه صورة شخصين ملكين جالسين متوجين ومتوجهين إلى الأمام وحولهما ذكرت مدينة الضرب باليونانية (**CKYΘO/ΠΟΛΗC**) أي بيسان **Scythopolis** .

ويتميز الخلف بوجود الحرف N وفوقه صليب، وتحته الحرف M . يلاحظ في بعض السكات اضطراب في تنفيذ الرسم والكتابة، فلو أخذ الوجه من النموذجين المشار اليهما بالرقمين (١) و (٦) لوجدنا الكتابة في رقم (١) طبيعية وفي اتجاه عقارب الساعة أما في الرقم (٦) فنجدها بعكس عقارب الساعة . وفي خلف الرقم (١) نجد (NIKO) من غير (θ) ونجد حرف الـ (N) في ANNO مقلوبة . ونجد في الرقم (٢) NIKO مقلوبة والـ (θ) تائهة الى الجانب الأيمن وهناك مظاهر أخرى بما فيها أختام عربية سوف نستعرضها فيما يلي:

النماذج	عددها	مكان الحفظ	المصدر	المميزات
١	١	دمشق	دمشق	اختصر الحرف (O) من NIKO وقلب الحرف (N) من ANNO (اللوح)
٢	١	لندن	ووكر (٣)	الحرف (O) من NIKO منزلق إلى العمود الأيمن (اللوح ١)
٣	١	لندن	ووكرNo2	رقمت NIKO تامة . هناك نموذج مماثل في القدس نشره بيرمان وشما ٦ .
٤	١	لندن	ووكرNo3	رقمت NIKO مقلوبة والجزء ا<O منزلق إلى العمود الأيسر (اللوح ١)
٥	٥	جدة	شما ص ٨٦(٤)	الشطر الأول من اسم المدينة في الوجه مهمل و NIKO مقلوبة (اللوح ١)
•	٢	عمان	ووكر A-1وA-2	مثل السابق
٦	١	عمان	ووكر A-3	مأثورة الوجه بعكس اتجاه عقارب الساعة وNIKO مقلوبة وANNO على اليمين بدلاً من اليسار . (اللوح ١)
٧	١	بلجيكا	ووكر Bel-1	التاريخ متصل
٨	١	بلجيكا	ووكرBel-2	NIKO في العمود الأيمن و (بيسان) اي بيسا ن تحت الحرف M
٩	١	جده	شما ص ٨٧	عليه كلمة طيب ختمت تحت الصورة في الوجه (اللوح ١)

(٣) المقصود بووكر هو مصنفة الشهير Catalogue of Muhmmadan Coins

(٤) « المقصود بـ (شما) هو كتاب الأستاذ سمير « النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين » .

المرحلة الثانية :

اتسمت بظهور سكات في مدن اخرى تحمل في بعض نماذجها صورة شخص واحد ونماذج أخرى تحمل صورة شخصين ، والبعض يحمل صور ثلاثة اشخاص . ويعتقد أنها جميعاً تقليد لما صدر من نقود هيراكليوس . وقد ظهرت بادئ ذي بدء مكتوبة بالأحرف اليونانية ، ثم باليونانية والعربية ، ثم بالعربية فقط . وتميزت بعضها بكلمات عربية مثل ؛ طيب ، واف ، وفيه مصري .... الخ وفيما يلي استعراض لما صدر من نقود فلسطين في هذه المرحلة متتابعة بحسب موضوع الصورة حيث يكون البدء بالنماذج ذات الصورة الواحدة ثم بالصورتين ثم بالثلاث صور من غير ما اهتمام بالغ بالتفاصيل :

النموذج الأول :

يمثل الأمبراطور منتصباً على قدميه تارة وجالساً على العرش تارة أخرى ، رأسه مزدان بالتاج فوقه صليب وبيده اليمنى عصاً رأسها صليب ، وبيده اليسرى كرة فوقها صليب . وفي الخلف الحرف M تارة بالحرف الكبير وتارة أخرى بالحرف الدارج ؛ تعلو هذا الحرف نجمة ثمانية أوشاره ( ) . وفي قلب هذا الحرف هلال أو حرف A ، الى الجهة اليسرى تارة والى الجهة اليمنى تارة أخرى يقع اسم المدينة . وتحت الحرف M عبارة مثل : طيب ، الحق ، وفيه وقد صدرت نماذج هذا النوع في المدن التالية :

المدينة	عدد الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
آ — ايليافلسطين	٧	المتحف البريطاني	ووكرالأرقام٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢
ايليا فلسطين	١	بلجيكا	ووكر Bel-3 (اللوح ١)
ايليا فلسطين	١	جمعيةالنميات الأمريكية	ووكر ANS 5
ايليا فلسطين	١	جـــده	شما ص ٨٧
ب — فلسطين عمود	١	دمشق	القطر ٢١ مم (اللوح ١)
فلسطين عمود	٣	المتحف البريطاني	ووكر الأرقام ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥
فلسطين عمود	١	استامبول	ووكر I-1
فلسطين عمود	١	جمعيةالنميات الأمريكية	ووكر ANS-G (اللوح ١)
حـ — طبرية	١	دمشق	القطر ١٨ مم
طبرية	١	باريس	ووكر P-4

النموذج الثاني :

يمثل في الوجه هيراكليوس جالس على العرش والى يمينه ابنه قسطنطين واقفاً وهما يتوجهان إلى الامام وفوق رأس كل منهما صليب ويرتدي ثوباً طويلاً وبيده الوحشية كره فوقها صليب وفيما بينهما قائم فوقه صليب اوخلفه يشغله في الوسط الحرف M تعلوها نجمة خماسية وفي قلبها الشارة A والى يسارها (ضر) المقصود بها (ضرب) وفوق حرف M شارة وتحته خط يفصله عن اسم المدينة . ضربت نماذج هذه المرحلة في المدن التالية :

المدينة	القطر	العدد	مكان الحفظ	المصدر
آ ــ عمان	١٩	١	دمشق	(اللوح ١)
عمان	ــ	١	جده	شما (٦)
عمان	ــ	١	القدس	بيرمان ١٧ شما (٧)
ب ــ ؟	ــ	١	عمان	ووكر A-5 يختلف بوضعه ومعلوماته عن سابقة
ب ــ ؟	ــ	١	دمشق	مثل سابقه .

النموذج الثالث :

يمثل في الوجه ثلاثة أشخاص واقفين (هيراكليوس وولداه قسطنطين وهيركليوناس) متجهين إلى الأمام، ومرتدين أثوابا طويلة وفوق رأس كل منهم صليب وفي يد كل منهم كرة فوقها صليب . وأما الخلف فيتوسطه حرف M فوق شارة وفي قلبه الحرف A . نفذت كتابة دار السكة بالأحرف اليونانية في نماذج طبرية ــ التي تعد أكثر من غيرها ــ بإتجاه يعاكس اتجاه عقارب الساعة THBERIADO . وكتبت طبرية بالعربية الى اليمين من الحرف M واما النماذج الأخرى فلكل منها مميزاته التي سنشير إليها خلال استعراضنا له فيما يلي .

---

(٦) شما ــ النقود الاسلامية التي ضربت في فلسطين ص ٨٥ .

(٧) شما ــ المصدر نفسه ونفس الصفحة .

المدينة	القطر	العدد	مكان الحفظ	المصدر
آ ـ شاش فلسطين	٢٠مم	١	دمشق	كتبت كلمة (الحق) تحت الحرف M (اللوح ١)
ب ـ طبرية	٢٠	٣	دمشق	
طبرية	١٩	١	دمشق	المتحف رقم ٤ ، ٦٨ ، ١٠٤ عليه كلمة (مصري)
طبرية	ـ	٩	المتحف البريطاني	ووكر الأرقام من ٤٣ ـ ٥١
طبرية	ـ	٤	اللوفر	لافوا الأرقام من ٢٩ـ٣٢ (٨)
حـ ـ مجهول السكة	ـ	٢	المتحف البريطاني	ووكر رقم ٥٢ ـ ٥٣
مجهول السكة	ـ	١	لايبزغ	ووكر J-I

المرحلة الثالثة :

هذه المرحلة تخص النقود المصورة العربية التي أخذها الأمويون قبل واثناء حكم عبد عبد الملك بن مروان وتتميز هذه النقود بخلوها التام من الإشارات المسيحية ، وقد صدر منها ذهب ونحاس ، أما الفضة فليس في حدود معلوماتنا سوى نماذج نادرة جداً مغشاة بالفضة (٩)

الوصف المشترك لمعظم نقود هذه المرحلة لايعدو ما يلي : والنموذج المختلف سنشير اليه في مكانه

الوجه: في الوسط الخليفه واقف ويده اليمنى على مقبض سيفه يهم باستلاله ويده اليسرى ممسكة بالغمد ، شعر رأسه مفروق ومرسل ووجهه متجه نحو الأمام، يلبس بردة فضفاضة ، وفي بعض النماذج تبدو هذه البردة مزدانة بثنيات ماثلة ، وحول الصورة مأثورة تختلف من نقد لآخر وأشهر هذه المأثورات هي :

١ ـ « خلفة الله / أمير المؤمنين » ٢ ـ « محمد / رسول الله » ٣ «لا اله الا الله وحده »
٤ ـ « لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » ٥ـ « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » (انظر اللوح ٢)

(٨) انظر لا فوا Catalogue des Monnaies Muslmanes. No 29-32.
(٩) في المتحف الوطني بدمشق نقد من هذا النوع مسجل بالرقم ع/٢١٧٠٠ .

الخلف : يشغله في الوسط قائم فوق قاعدة مكونة من ثلاث درجات أو أربع ، وفي أعلى هذا القائم كرة أو دائرة ، والى جانبي القائم يتوضع اسم دار السكة واحياناً تشغل جانباً واحداً فقط ويشغل الجانب الآخر عبارة مثل واف أوفية... الخ أما مأثورة المحيط فهي غالباً شبيهة بالمأثورات التي أوردناها في وجه النقد . (انظر اللوح ٢) .

أما أشهر نماذج هذه المرحلة من النقود التي ضربت في مدن فلسطين هي : نماذج عمان وحطين وجبرين وفيما يلي مسح تقريبي لهذه الأمثلة :

المدينة	عدد النماذج	مكان الحفظ	المصدر
١ ــ عمان	٩	عمان	الحديدي (١٠) الاقطار من ١٦ ــ ١٨ مم
عمان	٤	دمشق	١٧ مم
عمان	٦	لندن	ووكر الأرقام من ١٢٦ ــ ١٣١ ، ٩٦
عمان	١	عمان	ووكر A-4
٢ــ حطين	١	دمشق	١٤٣٦٨ القطر ٢٢ مم
٣ــ جبرين	١	لندن	ووكر No 105
جبرين	١	استامبول	ووكر No I-2

هذا ما يتعلق بنقود ما قبل التعريب الكامل الخلو من صورة عبدالملك . أما السكات التي صدرت بعد الاصلاح المذكور في مدن فلسطين وجميعها على الفلوس النحاسية فهي كما يلي والتي سنقوم بدراستها في الصفحات التالية :

المدينة	عدد الأمثلة	النماذج	المدينة	عدد الأمثلة	النماذج
١ ــ الأردن	٣	٣	٩ ــ عسقلان	٦	٢
٢ ــ ايلة	١	١	١٠ــ عكا	٦	١
٣ ــ ايلياء	٦	٤	١١ــ عمان	٧	٢
٤ ــ بيت جبرين	٦	٢	١٢ــ غزة	٢	١
٥ ــ جبرين	٢	٢	١٣ــ فلسطين	٧	٤
٦ ــ الرملة	٤٨ + ؟	٤	١٤ــ لد	٥	٣
٧ ــ طبرية	٣٧	٢٥	١٥ــ يبنى	٣	١
٨ ــ صفورية	٤	٢			

(١٠) الدكتور عدنان الحديدي : « فلوس نحاسية أموية من عمان » ، حولية دائرة الآثار العامة ، عمان ، ٢٠ [١٩٧٥] ص ص ٩–١٤ .

تميزت النقود المصرية بغياب صورة الخليفة واسمه، وخلت حتى من أقل اشارة اليه . واقتصرت مأثوراتها على الشهادة بالوحدانية وبالرسالة وسورة الاخلاص وعبارات أخرى مثل البسملة ولله الملك...الخ لم يظهر من اسماء الخلفاء بعد عبدالملك سوى اسم الوليد بن عبدالملك، نشير هنا الى أن غياب صورة الخليفة لايعني تحريم أوخطر وإنما تواضع ونكران للذات والا لما صور الأسد والطائر والحصان وغيرها .

كذلك تميزت النقود المصرية بتنوع سكاتها فمثلاً سكات طبرية النحاسية من النقود المصرية غير المصورة فقد بلغت حوالي خمس وعشرون سكة . لعل ذلك عائد الى نفاد السكات بسرعة نظراً لسعة المنطقة التي تصرف بها ونظراً للنشاط الإقتصادي التي اشتهرت بعض المراكز الفلسطينية نشير هنا إلى أن الحجاز ومدن الجزيرة العربية لم تسك بهـــا النقود اللهم الا معدن أمير المؤمنين التي ظهرت على الذهب فقط ، لذا كانت هذه المنطقة الواسعة تغطى حاجتها من أقرب المدن اليها وهي مدن فلسطين. تمثل هذا التنوع باستبدال النصوص والمأثورات تارة كما سنرى ، وبالشارات الفنية والصور كالنقطة والنجمة وغصن النخيل والشجرة والزهرة والكأس والإناء والطير والحصان والجرذ والحروف تارة أخرى .

وفيما يلي استعراض للسكات الفلسطينية المصرية التي اشتهرت خلال العصر الأموي وفق الترتيب الهجائي، مع عملية احصاء تقريبي المنشورات أشهر المصنفات التي صدرت حتى الآن من هذه المادة لعلنا نسهل عملية تقييم القطع المتوافرة مـــن حيث غزارة الأمثال أو ندارتها .

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالنماذج	مكان الحفظ	المصدر
أولاً – الأردن :						
النموذج :	لا إله	محمد	–	١	دمشق	(اللوح ٢)
١ آ–	إلا الله	رسول		٣	المتحف البريطاني	ووكر ص ٢٢٨–٢٢٩
	وحده	الله				
	✵ .					
	ب– لاتوجد حاشية...	بسم الله ضرب		١	دمشق	شما
	ج– طوق واحد	بالأردن طوق واحد		١	الوفر	لافوا ح١ رقم١٣٨٥
٢	مثل سابقه ماخلا :	"		١	استامبول	اسماعيل غالب – موزه هيمايون ص ٨٥
	☐ ☐ بدل النجمة والنقط					
٣ آ–	لا إله	محمد	١٩، ٢٠مم	٢	دمشق	
	إلا الله	رسول				
	وحده	الله				
	ب– لا حاشية ...	بسم الله ضرب هذا الفلس بالأردن				
	جـ– ثلاثة اطواق	طوق واحد				
ثانياً – ايلة :						
النموذج :	لا إله	محمد		١	جدة	شما رقم ٣٣
١ آ–	إلا الله	رسول				(انظر اللوح ٢)
	وحده	الله				
	ب– ثلاثة أطواق	بسم الله ضرب هذا الفلس بايلة				
	جـ–	طوقان متتاليان				
ثالثاً – ايلياء :						
النموذج :	لا إله	محمد		١	دمشق	(اللوح ٢)
١ آ–	إلا الله	رسول		١		ووكر ص ٢٣٥
	وحده	الله				رقم p. 124
	ب– ثلاثة اطواق	بسم الله ضرب هذا الفلس بايليا				
	جـ–	طوق مابين المركز والحاشية				
٢ – أ –	مثل سابقه			١	دمشق	(اللوح ٢)
	ب –					
	جـ –	لايوجد طوق فاصل				

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالنماذج	مكان الحفظ	المصدر
٣– آ –	بطة تتجه يساراً	الملك لله		١	عمان	شما (اللوح ٢)
ب –	طوق واحد	طوق واحد		١		شتايكل شما ص ٨٢
٤– آ –	لا اله الا الله وحده ايليا	محمد رسول الله		١	القدس	شما ص ٨١ (اللوح ٢)
				١	دمشق	شما ٨٢
ب –	طوقان	طوقان				

رابعاً – بيت جبرين :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالنماذج	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : آ – ١	لا اله الا الله و حده لا شر يك له	محمد رسول الله	٢٤مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
ب –	طوق واحد	ضرب هذا ببيت جبرين				
جـ –		طوق مابين المركز والحاشية				
٢– آ –	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	٢٢,٥مم	١	دمشق	المتحف ع ١٤٦٤٤
				١	المتحف البريطاني	ووكر
ب –	ثلاثة أطواق	ضرب هذا الفلس في بيت جبرين		١	طهران	ووكر
جـ –		طوق واحد		١	دمشق	شما
				١	الاشموليان	شما

خامساً – جبرين :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالنماذج	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : آ – ١	لا [اله] الا [الله] وحد[ه]	ضرب بفلو[س] جبرين	١٦مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
ب –	طوقان متباعدان من غير حاشية	طوق واحد				
٢ – آ –	لا اله * الا الله وحده	محمد رسول الله		١	دمشق	شما (اللوح ٣)
ب –	طوقان	ضرب هذا الفلس بجبرين				
جـ –		طوق مابين المركز والحاشية				

سادساً — الرملة :

تعتبر سكات الرملة من السكات الفلسطينية الشائعة ويكفي لأخذ فكرة عن وفرة سكات هذه المدينة ن نعلم أن ووكر نشر حوالي ٣٦ فلساً بالاضافة إلى ما نشره لافوا وما نشره الأستاذ سمبرشما مؤخراً، ونشرت بين فلوس الرملة عدة فلوس مؤرخة نوردها فيما يلي :

سنة ٩١	دمشق
٩٤	جدة شما
١٠١	المتحف البريطاني
١١٣	دمشق
١١٦	المتحف البريطاني

أما أنواع سكات الرملة فقد وفقنا في عرض مايلي :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الوجود	المصدر
١ — آ —	(رسم)	(ن)	١٥مم	٤	دمشق	(اللوح ٣)
ب —	لا اله الا الله وحده	ضرب هذا الفلس بالرملة				
جـ —	طوق يفصل المركز عن الحاشية	طوقان يحفان بالحاشية		٢٥	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٠٧–٢٥٩
ملاحظة : بعض هذه الأمثلة سقطت منها احرف مثلا كُتبت الرملة الرمة						
٢ — آ —	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	٢٧مم	١	دمشق	المتحف ٤٫١٥٠٣٩ (اللوح ٣)
			٢٥مم	عدة	اللوفر	لافوا ص ٣٨٠
ب —	لله الملك فلس واف	ضرب بالرملة★		١	جدة	شما
جـ —	طوقان يحفان بالحاشية	طوقان يحفان بالحاشية		٢	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٥٦–٢٥٧
				١ مثقوب	استامبول	غالب م. هـ ص ٩١
٣ — آ —	مثل سابقه شجرة نخيل	محمد رسول الله	٢١	٣	دمشق	(اللوح ٣)
ب —	طوقان بينهما شخطات	بسم الله... الفلس بالرملة		٧	المتحف البريطاني	ووكر ٢٥٥- ٢٥٦
جـ —		طوقان يحفان بالحاشية				
ملاحظة : هناك نموذج مماثل ولكن الشجرة إلى اليسار				١	دمشق	
				١	المتحف البريطاني	دوكر ٢٥٦

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
٤- آ -	مثل سابقه	محمد رسول الله		١	دمشق	(اللوح ٣)
ب -	ضرب بالرملة سنة احدى وتسعين	.... بالوفا أمر عبد الوليد (كذا)				
ج -	طوقان يحفان بالحاشية	طوق مابين المركز والحاشية				

سابعاً — طبرية :

لم تعط طبرية كمية النقود التي أعطتها الرملة ولكنها فاقت الرملة بكثير بتنوع سكاتها وما حملته هذه السكات من زخارف متنوعة .

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : آ- ١	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	٢٠مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
ب -	ضرب هذا الفلوس ثمنين	بسم الله ضرب هذا الفلس بطبرية				
ج -	طوق واحد	طوق واحد				
٢- آ -	الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد	لا اله الا الله وحده لا شريك له	٢١	١	دمشق	(اللوح ٣)
ب -	بسم ذا الفلس ... يه سنة عشرة ومئة	... الله أرسله بالهدى و				
ج -	طوق واحد	طوق واحد				
٣- آ -	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	١٧	٤	دمشق	المتحف ع ١٤٨٢٣ (اللوح ٣)
ب -	ما أمر عبدالله الوليد أمير المؤمنين	طبرية سنة ست وتسعين			جمعية النميات الأمريكية	ووكر ANS 42
ج -	لا أطواق	طوق واحد		١	....	بيرمان — شما رقم ٤٧
				١	جدة	شما ص ٨٥
				١	....	شنايكل–شما (اللوح ٣)
٤- آ -	رأس كبش	طبرية	١٧مم			
ب -	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	١٨مم	٢	دمشق	

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
جـ —	طوقان يحفان بالحاشية	— طوقان يحفان بالحاشية		١	المتحف البريطاني	ووكر p. 267
				١	جدة	شما ص ٨٤
ملاحظة: بعض هذه النماذج الرأس بها أشبه برأس الانسان						
٥ — آ —	لا إله إلا الله وحده	محمد رسول الله		١	دمشق	المتحف ع ١٦٩٦٩، (اللوح ٣)
ب —	... عبدالله الوليد امير المؤمنين	— .... الفلوس بطبرية سنة				
جـ —	لا أطواق	— لا أطواق				
٦ — آ —	لا إله إلا الله وحده	محمد رسول الله	٢٠مم ١٩مم	١ ١	دمشق دمشق	(اللوح ٣) متحف ع ١٦٥٥٠
ب —	ثلاثة أطوق	— بسم الله ضرب هذا الفلس بطبرية				
٧ — آ —	مثل سابقه وحده ٥	مثل سابقه		١	دمشق	(اللوح ٣)
ب —	مثل سابقه	— مثل سابقه				
جـ —		— طوق واحد				
٨ — آ —	مثل سابقه ٥ لا اله	محمد رسول الله		١	دمشق	(اللوح ٣)
ب —	ثلاثة أطوق	— بسم الله ضرب هذا الفلس بطبرية				
جـ		— طوق واحد				
٩ — آ —	مثل سابقه	مثل سابقه		٢	دمشق	(اللوح ٣)
		لكن هناك عصفور فوق اسم محمد				
١٠ — آ —	مثل الرقم ٨	—	٢٢مم	١	دمشق	(اللوح ٣)

نموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
١١– آ–	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	١٧مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
	ب – مما أمر به عبدالله الوليد امير المؤمنين	– بسم الله ضرب بطبرية				
	ج – الحاشية بين طوقين					
١٢– آ–	مثل سابقه	[illegible] محمد رسول الله [illegible]	١٧مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
	ب– طوق واحد					
	ج –	طوق واحد				
١٣– آ–	مثل سابقه	محمد رسول الله	١٨مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
	ب– طوق واحد	ضرب بطبرية				
	ج –	طوق واحد				
١٥– آ–	مثل سابقة	ضرب محمد رسول الله طبرية	١٩مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
	ب– طوق واحد					
	ج –	طوق واحد				

ملاحظة : يشبه الرقم ١٢ ماخلا الشجرة .

نموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
١٤– آ–	مثل سابقه	محمد رسول الله ضرب بطبرية	١٨مم	١	دمشق	(اللوح ٣)
	ب– طوق واحد	ضرب بطبرية				
	ج –	طوق واحد				
١٦– آ–	الله احد الله الصمد	محمد رسول الله	٢١مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
	ب– لا اله الا الله وحده لاشريك له	– بسم الله ضرب هذا الفا – بطبرية				
	ج – طوق واحد	– طوق واحد				

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
١٧- آ -	مثل سابقه	محمد رسول الله	١٧مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
ب-	» »					
ج-	» »					
١٨- آ -	الله احد الله الصمد	محمد رسول الله	٢٢مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
ب -	طوق واحد	- [ضرب هذا الفلس] بطبرية				
ج -		طوق واحد				

ملاحظة: الطائر فوق معترضه يذكر بالصليب فوق معترضة في الفلوس البيزنطية

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
١٩- آ -	مثل ١٧	محمد رسول الله	٢٢مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
ب -	مثل ١٧	- بسم الله ضرب هذا الفلس بطبرية				
ج -	مثل ١٧	- طوق واحد				
٢٠- آ -	لا اله الا الله وحده	ضرب بطبرية	١٦مم	١	برلين	ووكرص ٢٦٧ B. 251 (اللوح ٤)
٢١- آ -			١٥مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
ب -	لا اله الا الله وحده	- ضرب هذا الفلس بطبرية				
ج -	طوق واحد	- طوق واحد				

ملاحظة: ورد نموذج مماثل من سك الرملة انظر الصفحة ٩

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
٢٢- آ -	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله بطبرية	١٧مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
ب -	طوقان	- طوقان				

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	المثل	مكان الحفظ	المصدر
٢٣- آ -	بسم ا لله محمد رسول ا لله ب	بسم ا لله فلو س طبر ية		١	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٦٧ رقم 885 (اللوح ٤)
ب - طوق واحد		—				
٢٤- آ -	ضاع لا اله ا لا الله و حده	محمد رسول الله	٢٢مم	١	دمشق	(اللوح ٤٤)

ب - طوق واحد - بسم الله ضرب هذ الفلس بطبرية

ملاحظة : نفذت حاشية الخلف باتجاه عقارب الساعة . وابتدأت البسملة من الأسفل

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	المثل	مكان الحفظ	المصدر
٢٥- آ -	لا اله الا الله وحده لا شريك له * بطبرية	محمد رسول الله ٥٥	٢٢مم	١	دمشق	ع و١٩٠٥٦ (اللوح ٤)

ب - طوق واحد - طوق واحد

ثامناً - صفورية :

النموذج :	الوجه	الخلف	القطر	المثل	مكان الحفظ	المصدر
١- آ -	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله	٢٣مم	١	دمشق	ع و١٥٢١٣
				١	باريس	لاقوا ١٤٧٦ رقم
ب - ثلاثة أطوق		- بسم الله ضرب هذا الفلس بصفورية		١	المتحف البريطاني	ووكر ص ٢٦٦ (اللوح ٤)

ملاحظة : أشك أن نموذج ووكر من ضرب صفورية وأميل إلى أنه من ضرب طبرية

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	المثل	مكان الحفظ	المصدر
٢- آ -	مثل سابقه	محمد رسول الله		١	دمشق	(اللوح ٤)
ب-	مثل سابقه	... وريه عشر ومئة				

تاسعاً – عسقلان :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
النمذج : ١- آ-	لا اله الا الله وحده لا شريك له	محمد رسول الله	٢٦مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
				١	المتحف البريطاني	ووكر رقم١٣٩ p.
ب – ثلاثة أطواق	– بسم الله ضرب هذا الفلس في عسقلان			١	متحف الاشموليان	شما ص٨٨
جـ	– طوق واحد تعلوه نجمة سداسية			٣	باريس	لافوا ص٣٩٤
النموذج : ٢- آ-	لا اله الا الله وحده	محمد رسول الله		١	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٧٣ رقم ٩٠٣
				١	متحف الاشموليان	شما ص ٨٨
ب – لله الملك فلس واف	ضرب بعسقلان فلسطين سنة					(اللوح ٤)
جـ – طوق واحد						

عاشراً – عكـا :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : ١- آ-	• لا اله • الا الله وحده	مثل سابقه	٢٠مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
				١	المتحف البريطاني	ووكر رقم٩٠٤
				١	متحف الاشدوليان	شما ص ٨٨
ب – طوقان – بسم الله ضرب هذا الفلس بعكا				٣	باريس	لافوا ص ٣٩٤

ملاحظة : نموذج الأشموليان ينتهي نص حاشيته بنجمة خماسية

حادي عشر – عمـان

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
النموذج ١- آ-	٥ لا اله ٥ الا الله ٥ وحده ٥		١٨مم	١	دمشق	(اللوح ٤.
				١	جده	شما ص ٨٦
ب – طوق تلتصق به الحلقات الأربع	– محمد رسول الله عمان			٢	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٧٤
جـ –	– طوق واحد					

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
٢ – آ –	لا إله	ضرب	١٦مم	١	دمشق	(اللوح ٤)
	إلا الله	هذا الفلس		١	المتحف البريطاني	ووكر ص ٢٧٥
	[وحده]	بعمان		١		بيرمان رقم ٦٤
	ب – طوق واحد	–				شما ص ٨٧

ثاني عشر – غــزة :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : ١ – آ –	لا إله	محمــد		١	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٧٥
	إلا الله	رسول				رقم ٩٠٨
	وحده	الله		١	باريس	لافوا ص ٣٩٦
	ب – نطاقان يحفان بالحاشية – ضرب بفلسطين غزة					(اللوح ٤)
	جـ – لله الملك فلس واف – نطاقان يحفان بالحاشية					

ملاحظة : يشبه هذا الفلس سكات عسقلان .

ثالث عشر – فلسطين :

أستعرض هنا النقود التي تحمل اسم فلسطين فقط

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثال	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : ١ – آ –	لا إله *	محمــد	٢٥مم	١	دمشق	(اللوح ٥)
	إلا الله	رسول		٢	المتحف البريطاني	ووكر ص٢٧٦
	وحده	الله				
	ب – لله الملك فلس واف – ضرب بفلسطين			عدة	جدة	شما ص ٨٠
	جـ – طوقان يخصان بالحاشية – طوقان يحفان بالحاشية			١	بيرمان	شما رقم ٥٥
النموذج : ٢ – آ –	لا إله *	مثل سابقه	١٨مم	١	دمشق	(اللوح ٥)
	إلا الله					
	وحده					
	ب – طوق واحد – ضرب هذا الفلس بفلسطين *					
	جـ – – طوقان يحفان بالحاشية					
٣ – آ –	لا إله	مثل سابقه	٢٠مم	١	دمشق	(اللوح ٥)
	إلا الله					
	وحده					
	ب – طوقان يحتويان ثلاث حلقات – بسم الله ضرب فلسطين					
	جـ – – طوقان يحفان بالحاشية					

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالأمثال	مكان الحفظ	المصدر
٤– آ –	[رسم]	مثل سابقه	١٩مم	١	دمشق	(اللوح ٥)
ب –	بسم الله ضرب هذا الفلس بفلسطين	– بسم الله سنة احدى وثمانين				
جـ –	طوقان يحفان بالحاشية	– طوقان يحتويان الحاشية				

ملاحظة : حاشية الوجه ذات وضوح يساوي ٦٠٪

رابع عشر – قيسارية :

تحدث عنها ميتشنر في كاتولوكه WORLD OF ISLAM ولكنه لم يورد النموذج

خامس عشر – لـــد :

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالأمثال	مكان الحفظ	المصدر
١– آ –	لا اله الا الله وحده	محمـــد رسول الله		١ ٢	المتحف البريطاني باريس	ووكر ص ٢٨٠ لافوا ص ٤٠٠
ب –	لله الملك فلس واف	– ضرب فلسطين بلد		١	متحف الاشموليين	(اللوح ٥)
جـ –	طوق واحد	– طوق واحد				

ملاحظة: أحد نموذجي باريس وردت مأثورة حاشية الخلف « ضرب بفلسطين بلد » بدلا من « فلسطين بلد »

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عددالأمثال	مكان الحفظ	المصدر
٢– آ –	مثل سابقه	مثل سابقه	١٥مم	١	دمشق	(اللوح ٥)
ب–	ثلاثة أطوق	– ضرب هذا [الفلس] بلد		١	المتحف البريطاني	ووكر ص ٢٨٠
جـ–		– طوق واحد				
٣– آ –	لا اله الا الله وحده	مثل سابقه		١	جدة	شما – ١ قلم رقم ١٣ (اللوح ٥)
ب –	ثلاثة أطوق	– بسم الله ضرب هذا الفلس واف				
جـ –		– طوفان يحتويان الحاشية				

ملاحظة: إذا ثبت أن هذا النموذج من ضرب لد عندها سيكون في متحف دمشق أكثر من عشرة: في رأيي أن هذا الفلس من ضرب حلب

سادس عشر – يبنى

النموذج	الوجه	الخلف	القطر	عدد الأمثلة	مكان الحفظ	المصدر
النموذج : ١ – آ –	لا اله	مثل سابقه		١	باريس	لافوا ص ٤٠٧
	الا الله			١	–	بيرمانز شما ص٨٩
	وحده			١	طهران	ووكر ص٢٨٨ h. 17
ب –	ثلاثة أطواق	– بسم ضرب هذا الفلس في يبنى				
جـ –		– طوق واحد				(اللوح ٥)

أضيف عدة نماذج من النقود المزخرفة التي يعتقد معظم الباحثين أنها من ضرب مدن فلسطين، وذلك لورود مثل زخارفها على نقود رومانية مضروبة بفلسطين ، هـذا بالاضافة إلى أن مورد هذه النقود هو منطقة جنوب سورية . (اللوح ٥) .

ختاماً أذكر بكل الاعتبار والإحترام فضل أستاذي الكبير الدكتور محمد أبو الفرج العش الذي فتح قلبي لحب هذا العلم الجميل وأرجو أن أكون قد وفقت في إضافة جديد إلى ماصدر حتى الآن من أبحاث عن النقود الفلسطينية العائدة إلى هذه الفترة .

محمد ابو الفرج العش

جامعة قطر — الدوحة

المنشآت التذكارية في فلسطين

المنشآت التذكارية في العالم الاسلامي كثيرة ومتعددة الأغراض وهي على الأكثر اقيمت لتخليد ذكرى خليفة او حاكم او قائد او عالم او وليّ... أي انها انشئت من أجل شخص، كان له نفوذ أو عصبية أو رواد في حياته.

ليس هذا قصدي من هذا البحث المتواضع انما أنا أهدف الى لفت النظر الى اثر خلّد فكرة سامية. هذا الاتجاه في تخليد فكرة غدا هاما في العصر الحديث عند الأمم المتحضرة ونحن الآن نتبع في اعمالنا العالم المتحضر دون أن نعلم أنا سبقناه شوطا طويلا في هـذا المضمار في حضارتنا العربية الاسلامية.

فلسطين هذا الجزء الهام في بلاد الشام الحبيب الى قلوب المسلمين والميسحيين اقيمت فيه منشآت تذكارية تخليدا لفكرة على اثر حدث عظيم او تجسيدا لمعتقد يزيد في ايمان المسلمين.

لدي ثلاثة أمثلة من هذه المنشآت :

قبة الصخرة في بيت المقدس :

أنشأها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ تخليدا لذكرى الاسراء والمعراج، وذكرى القبلة الأولى في الاسلام، وذكرى الحرم المقدس الثالث في العالم الاسلامي.

ليست القبة مسجدا، انما هي مبنى تذكاري يحفّ بالصخرة المباركة، بنيت على غير مثال سابق من حيث المخطط والشكل واناقة العمارة وجمال الزخرف (١).

(١) كتب عنها من الناحية الفنية عدد كبير من الباحثين في الفن العربي الاسلامي وليس غرضي من هذا البحث ان اتكلم في هذا الموضوع، ولكن يجب أن اشير الى ما ذكره فيليب حتّى في تاريخ سورية ولبنان وفلسطين « ط٢ج٢ ص ١٢٩» أن مخطط الصخرة منتحل من مخطط كاتدرائية بصرى اعتماداً على رأي دوسو.
Syrie Antique p. 40

لقد اهتم بهذه القبة جميع الباحثين في الفن العربي الاسلامي من مسلمين وأجانب وهي تأتي في المقام الثالث من حيث القدسية بعد الحرم المكي ومسجد الرسول (ص) في المدينة المنورة ، لكنها تأخذ المكانة الأولى من حيث فن العمارة والزينة وتتميز بالفسيفساء الزجاجية التي غشّت اعالي الجدران والعقود .

أهم أثر في القبة الكتابة بالخط الكوفي الرصين التي تؤرخ انشاءها نثبت هذه الكتابة بسطورها المتقطعة (٢)، وقد شغلت الأطناف العليا للجدران بطول ٢٤٠ مترا تقريبا ولما كان على المخطط والصناع أن يشغلوا كل هذه المساحة بالكتابات قد كرروا كثيرا من الأدعية وكلمات التوحيد .

يلاحظ أن الاملاء القديم الذي كتب به النص كغيره من النصوص المعاصرة فيه عدة ظواهر :

١ — حذف الألف من وسط الكلمة مثل : شفعته ، القيمة ، السموت ، سجنه سلطنك الشيطن ، السبغة ، السلم ، وهي شفاعته ، القيامة ، السموات ، سبحانه ، سلطانك الشيطان ، السابغة ، السلام .

لايزال املاؤنا حتى الآن يطبق القاعدة القديمة في حذف الألف من الوسط لعدد من الكلمات مثل : الله ، اله ، الرحمن ، السموات ...

٢ — كتبت (رحمة) بالتاء المفتوحة اربع مرات في هذا النص ، في نصوص الكتابات العربية قبل الاسلام(٣) وبعيد الاسلام حتى أواسط العهد الأموي نجد أن بعض الكلمات تكتب بالتاء المفتوحة ، وخاصة كلمة (سنة) تكتب (سنت) لكنها في النص كتبت بالتاء المربوطة صحيحة وكذا على النقود .

٣ — (نسائك) كتبت الهمزة على نبرة وما زالت تكتب كذا في القرآن الكريم .

النص :

١ — (بسم الله) لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول .

---

(٢) السنة ٧٢ هـ Répertorie Chronologique d'Epigraphie Arabe, vol. I

(٣) راجع بحثي « نشأة الخط العربي » : ١ — الخط العربي قبل الاسلام ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ج ٢٣ (١٩٧٣) ص ٥٢ — ٨٩ .

٢ — الله صلى الله (عليه وسلم) بسم الله الرحمن الرحيم، لا اله الا الله وحده لاشريك له محمد .

٣ — رسول الله . بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده .

٤ — محمد رسول الله صلى الله عليه وملائكته ورسله والتسليم عليه ورحمت (كذا)

٥ — الله بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد .

٦ — رسول الله صلى الله عليه ، وتقبل شفعته يوم القيمة في امته . بسم الله الرحمن الرحيم لا اله .

٧ — الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله صلى الله عليه ، بنى هذه .

٨ — القبة عبد الله عبد (الله الامام المأمون) امير المؤمنين في سنة اثنتين .

٩ — وسبعين تقبل الله منه ، ورضي عنه آمين رب العالمين والحمد الله بسم الله الرحمن الرحيم .

١٠— لا اله الا الله وحده لا شريك له . محمد (رسول).

١١— (الله) صلى الله عليه وسلم عليه ، ورحمت (كذا) الله .

١٢— اللهم صل على رسولك وعبدك عيسى بن مريم .

١٣— بسم الله الرحمن الرحيم .... وقيّم

١٤— السموات والأرض . كل ملك لك ومنك ، واليك مصيره .

١٥— رب العزة الرحمن الرحيم وسعت رحمتك كل شيء سبحنه .

١٦— وتعالى عما يشرك المشركون ، نسئلك (كذا) اللهم برحمتك واسمائك الحسنى .

١٧— وبوجهك الكريم ، رسلطنك العظيم ، وكلمتك التامة التي بها .

١٨— السموات والأرض وبها نعصم برحمتك من الشيطن وننجى بها من عذابك يوم .

١٩— القيمة بنعمتك السبغة وفضلك العظيم ، وبحلمك وقدرتك وعفوك .

٢٠— وبجودك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ، وتقبل شفعته في امته صلى .

٢١ــ الله عليه والسلم عليه ورحمت الله و ...

٢٢ــ بسم الله الرحمن الرحيم ....محمد عبد الله .

٢٣ــ ورسوله ....صلى الله على محمد .

٢٤ــ عبا ه ونبيه والسلم عليه ورحمت الله وبركته ومغفرته ورضوانه .

ماذا نستنتج من هذا النص :

١ ــ تاريخ انشاء هذا المبنى واضح وهو ٧٢ هـ .

٢ ــ يجب أن يكون بانيه عبد الملك بن مروان . يبدو أن الفسيفساء التي رقمت بها .

الكتابة أصابها شيء من النقص ، فقام على اصلاحها في العهد العباسي رجل اراد أن يتقرب من الخليفة المأمون فوضع بعد كلمة (عبد) الثانية (الله الامام المأمون عوضا عن (الملك بن مروان) ، أو أنه ازال الاسم الأصيل عمدا ووضع اسم المأمون .

هذا يعتبر أسوأ تزييف حصل على المباني الأثرية ، ويا ل على غباء المزيف الذي ترك التاريخ (اثنتين وسبعين) كما هو . ربما كان الامام المأمون وهو الرجل العالم العاقل غير عارف بهذا التزييف ؟.

٣ ــ كلمات التوحيد والصلاة والسلام على رسول الله والأدعيه...كلها تدل على أن الباني كان يريد التقرب من الله عز وجل، وكان قصده تخليد ذكرى الاسراء والمعراج وذكرى القبلة الأولى ، ولكن اتهم بعض المؤرخين عبدالملك بن مروان بأنه بنى القبة ليلفت نظر المسلمين الى قدسية المكان او يصرفهم عن الحرمين الشريفين (٤) .

لا شك أن هذه التهمة سخيفة جدا ، وقدكتبت في العهد العباسي الحاقد على بني امية . وقد نسي الناس ــ على ما يبدو ــ أن عبد الملك من كبار فقهاء المدينة قبل أن يتولى الخلافة، وانه من اذكى خلفاء المسلمين واكثرهم حكمة وحسن تصرف ، فهل يعقل أن يقوم بعمل يعرف سلفا أنه لن يؤتي أية عاقبة حسنة بالنسبة الى الادارة الرضية والسياسة الحكيمة اللتين اشتهر بهما ؟ .

(٤) ذكر هذا فيليب حتي « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ط٢ ج ٢ ص ١٢٩ اعتمادا على اليعقوبي ج ٢ص ٣١١ . وقد برر تحويل الحجاج السوريين عن مكة بسبب قيام خلافة عبد الله بن الزبير في الحجاز ، وأضاف الدكتور حتي أن عبد الملك كان يهدف الى أن تتضاءل كنيسةالقيامة وسائرالكاتدرائيات أمام هذا الأثر النفيس .

٤ — في النص الصلاة والسلام على عبدالله عيسى بن مريم . وقد وضع بالصيغة المعروفة لرسول الاسلام والسلام . هذا يدل دلالة واضحة على أن الاسلام خاتم الأديان أتى متمما لرسالة الله عز وجل — وقد فرض على المؤمن المسلم أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

يدل ذكر السيد المسيح على الاعتراف بأن لهذا المكان قدسية عظيمة في نفوس (المسلمين والمسيحيين على السواء ، وأن لكل فريق منهم معبدا مسجدا كنيسة القيامة لها مقامها القدسي لدى المسيحيين ومسجد عمر — رضي الله عنه — بني قريبا منها ليجمع قلوب المسلمين . أتى عبدالملك وبنى الصخرة لبؤلف بين قلوب المؤمنين بالله ويقرب بين معتقداتهم ويزيل الحقد بين الفئتين فهو مبنى اقيم لهذا الغرض النبيل الذي يخدم مصالح الأمة كلها من مسلمين ومسيحيين، ويوضح اعتراف كل فئة بالأخرى ولبس عجيبا أن يفعل عبد الملك ما كان قد فعله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب — س حينما آثر ألا يصلي في كنيسة القيامة خشية أن يعتبر المسلمون بعده أن لهم حقا في هذه الكنسة وأراد أن يظل لكل من المسلمين والمسيحيين المتصالحين ما يحفظ كيانهم دون أن تمس مشاعرهم الدينية ، ويستمر السلام بينهم جميعا ما داموا يؤمنون بإله واحد .

٥ — ذكر فان برشم النص بترتيب آخر فاورد كتابات الشريط الخارجي ثم كتابات الشريط الداخلي . نجد أن بعض الجمل التي ذكرت في سجل الكتابات الذي اشرنا اليه سابقا لم تذكر في سجل فان برشم ، ولكن هذا ذكر اشياء كثيرة لم تذكر في السجل .

اهم ما ذكره فان برشم في الشريط الداخلي الآيات الكريمة التي تتحدث عن طبيعة المسيح ، وهي: « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله الا الحق . انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القها (كذا) الى مريم ، وروح منه ، فآمرا بالله (كذا) ورسله ، ولا تقولوا ثلثه (كذا) انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد ، له ما في السموات (كذا) وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملئكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » (النساء ١٧١ — ١٧٢) .

اللهم صل على رسولك وعبدك عيسى بن مريم « والسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضي أمرا فانما يقول له كن فيكون . وان الله ربي وربكم فاعبدوه . هذا

صراط مستقيم « مريم ٣٣ – ٣٦ » « شهد الله أنه لا اله الاهو والملئكة واولوا العلم قائما (بالقسط لا اله الا هو) العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام. وما اختلف الذين أتو (كذا) الكتب الا من بعد ما جاءهم من العلم بغيا بينهم. ومن يكفر (بآيات الله فان الله سريع الحساب) (آل عمران ١٨ – ١٩) .

هذه الآيات توضح طبيعة المسيح وتنهى عن معتقدات منحرفة نعتقد أن هذه الكتابات توجيه للمسيحيين لإدراك التقارب في المعتقدات وتبشير بالتصحيح وتبليغ به .

وقع فان برشم(٥) بعدد من الاغلاط في نقل النص نشير الى بعضها (صل) كتبها (صلي) ، (أولي) كتبها (أولو) ، (سريح) كتبها (صريع) وقد كنا اشرنا الى أن الألف في وسط الكلمة لم تكن تكتب في املاء القرآن الكريم العثماني . وقد التزم كاتب النص بهذه القاعدة القديمة .

مشهد النصر في عين جالوت :

أقام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري مشهد النصر في موقع « عين جالوت» تخليدا لذكرى انتصار المسلمين على المغول سنة ٦٥٨هـ وذلك في سنة ٦٥٩ هـ ، حينما انبرى الظاهر للقيام باصلاحات عمرانية واسعة في الشام ومصر والجزيرة العربية في السنة نفسها .

أرسل الأمير علم الدين اليغموري لعمارة الحرم النبوي بالمدينة المنورة(٦) وبعث بالصناع والآلات قبة لعمارة الصخرة بالقدس وكانت قد وهنت ، ورمم القلاع الشامية وأنشأ دار العدل بدمشق ، وأنشأ دار الصناعة بمصر وأنشأ اسطولا كبيرا ، ونظم البريد في سائر الطرقات ومن ضمن هذه الاصلاحات الهامة بنى مشهدا في عين جالوت ، عرف بمشهد النصر .

ركن الدين بيبرس أحد الأمراء المماليك الأتراك البارزين وهو الذي أسهم اسهاما

---

(٥) Max van Berchem: Materiaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, 2ième Partie (SYRIE DE SUD) Tome deuxième, Jerusalem " HARAM", P. 22 ff..

(٦) المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ج / ١–٢ ص ٤٤٥ – ٤٤٧ صححه محمد مصطفى زيادة ، ط ٢ – القاهرة سنة ١٩٠٧ .

كبيرا في موقعه المنصورة تجاه الحملة الصليبية السابعة التي غرت مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا الملقب بالقديس ، وكانت اكبر حملة قذف بها الصليبيون الى المشرق لاستعادة القدس الشريف وتدمير جميع القوى العربية والاسلامية لتمكين الاحتلال الصليبي في البلاد الاسلامية .

ظهر المماليك على أثر انتصارهم في موقعة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م كاكبر قوة ضاربة في المشرق الاسلامي ومنذ ذلك الوقت اخذت القوات الاسلامية تتقدم والقوات الصليبية تتأخر ، وأخذ ظلها ينحسر تدريجيا حتى زال اثرها في عهد الملك المنصور قلاون وابنه الأشرف المملوكي .

بعد مقتل الملك الايوبي تورانشاه سنة ٦٤٨هـ حكم المماليك الأتراك مصر وكان حكمهم مقلقلا بسبب تنافس المماليك على الحكم وعدم توطيد شرعية الحكم :

١ — حكمت شجرة الدر وسميت سلطانة .

٢ — لم يوافق الخليفة العباسي في بغداد على توليه امرأة .

٣ — تزوجت شجرة الدر عز الدين أيبك ليعترف الخليفة بالحكم المملوكي استطاع أيبك السيطرة، وقد انتخبت الامراء المماليك اميرا ايوبيا هو الأشرف مظفر الدين موسى(٧) للمشاركة بالحكم . صوريا ارضاء للأيوبين واحباطا لمطالبة الملك الناصر يوسف الثاني صاحب حلب ودمشق بعرش مصر .

٤ — الصراع بين شجرة الدر وأيبك انتهى بقتلهما .

٥ — اختلاف المماليك على اختيار الحاكم وانتهاء الخلاف بتعيين الملك المنصور علي أيبك وكان شابا صغير السن لم يحسن التصرف .

(٧) ابو الفداء ج ٣ ص ١٩٢ ذكر ان الاشرف مظفر الدين موسى هو ابن يوسف صاحب اليمن ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل محمد ابي بكر بن ايوب كان عمر الأشرف ست سنوات وكانت مشاركته صورية لمدة سنتين ٦٤٨ – ٦٥٠ هـ = ١٢٥٠ – ١٢٥٢ م . وعندما انتصر أيبك على الناصر يوسف الثاني الطامع لسلطنة انفرد بالحكم .

٦ — مطامع الملك الناصر يوسف الثاني ملك حلب ودمشق بالاستيلاء على مصر حتى أنه فاوض المغول قبل قدومهم الى الشام لمساعدته على تسلم العرش على مصر والشام .

٧ — الاحتلال المغولي لبلاد الشام .

هذا الوضع الحرج جعل نائب السلطنة قطز أن يثب الى الحكم ليحفظ البلاد من التفكك الداخلي والعدوان الأجنبي .

كان ركن الدين بيبرس المساعد الأمين لقطز وزعيم الجبهة التي نادت بمحاربة المغول ، وقد انتصر قطز وبيبرس على الوهن الذي اصاب بعض الامراء المماليك بسبب الجزع العام الذي لحق بالناس من ارهاب المغول وتفظيعهم .



لقد كان الموقف شديد الخطورة وبالغ الدقـــة . لقد وصل الانذار المغولي الى القاهرة وهو مفعم بالتهديد والوعيد . حزم المماليك امرهم ورفضوا الانذار بل قتلوا رسل المغول واعلنوا الجهاد العام .

كانت طلائع الجيش المغولي وصلت الى غزة . بادر قطز بارسال بيبرس بمقدمة الجيش الى غزة فانسحب المغول ليتكتل الجيش في مكان استراتيجي من فلسطين .

كان أمام المسلمين مشكلة يتخوفون منها ، وهي أن الصليبيين ما زالوا يشكلون قوة في الساحل الفلسطيني ، اتجه المسلمون اليهم ليتعرفوا على موقعهم .

كانت جرت اتصالات بين المغول والكنيسة البابوية لادخـــال المغول الوثنيين بالدين المسيحي . لم تنجح هذه المبادرة كثيرا ولكن يجب أن نعلم أن قائد الجيش المغولي كتبغا كان مسيحيا ، وقد شجع المسيحيين عندما احتل دمشق أن يتحدّوا المسلمين بل يعتدوا على بعضهم .

كان هذا الأمر يقلق قطز وبيبرس وقـــد خشيا أن يغتنم الصليبيون الفرصة فيأتوا المسلمين من وراءهم عندما تنشب المعركة مع المغول .

شاءت الظروف أن يتخذ الصليبيون موقفا حياديا ، وذلك للاسباب الآتية :

١ ــ سمع الصليبيون بوحشية المغول وعدم حرصهم على الوفاء بالعهود .

٢ ــ منذ معركة المنصورة التي لم يكن فيها الصليبيون المقيمون طرفا كانت الهدنة شاملة بين المسلمين والمسيحيين .

٣ ــ لم يكن الصليبيون بعد هزيمة الحملة السابقة قادرين على التحرك وانما ساد بينهم روح المسالمة ليبقوا على ما في ايديهم .

٤ ــ عندما توجه اليهم الجيش الاسلامي ليتعرف على موقفهم اعلنوا حيادهم. وما كانوا يستطيعون أن يتحركوا بعد أن توعدهم قطز بالعودة اليهم وافنائهم قبل مقابلة المغول .

اطمأن المسلمون الى موقف الصليبيين لكنهم مع ذلك وضعوا عليهم عيونا حتى لا ينكثوا ثم توجهوا لملاقاة المغول ..

احترس المسلمون من خطة المغول العسكرية التي تعتمد على عنصر المفاجاة وحملة الصاعقة لذا وضع قطز كمينين في مؤخرة الجيش الاسلامي على جانبي الوادي في منطقة عين جالوت .

التقي الجمعان وظهر المغول على المسلمين في الجولة الأولى واضطر المسلمون الى التراجع (٨) وتبعهم المغول دون نظام . جمع المسلمون امرهم وكروا عليهم بحماس بالغ مرددين الله اكبر حتى أن قطز رمى الخوذة عن رأسه واستبسل في الجهاد فتضعضع المغول وسقط قائدهم قتيلا فتبعهم بيبرس وقضى على فلولهم وبذلك أنقذ المماليك مصر والشام من خطر داهم .

هنا يحسن أن نستقرىء عوامل فوز المسلمين وانكسار الغزاة :

١ ــ كان المسلمون حذرين جدا ، لان هذه المعركة ستكون عاقبتها اما الحياة الكريمة وانقاذ العالم الاسلامي واما الوقوع تحت سنابك المغول وسيستشري شرهم الى جميع البلاد الاسلامية في الجزيرة العربية وشمالي افريقية .

(٨) اعتقد أن التراجع كان مفتعلا حسب خطة عسكرية .

٢ ـ هذا الحذر الشديد المشوب بالخوف من العاقبة جعل المسلمين يدا واحدة وقد باعوا ارواحهم الى الله لينالوا سيادة الآخرة اذا فاتتهم السعادة في الدنيا لذا كانوا مخلصين بجهادهم مندفعين الى اقصى درجات الاندفاع .

٣ ـ الخطة العسكرية التي اتبعها المسلمون كانت سببا في انتصارهم وخاصة منذ أن تخوفوا من موقف الصليبيين .

٤ ـ كانت الفظائع التي ارتكبها المغول ينتقل خبرها بسرعة البرق الى جميع البلاد الاسلامية ، فكانت سمعة ارهابهم تسبقهم لهذا توانى المقاتلون في مجابهتهم فكان المسلمون يفرون امامهم تاركين ديارهم لقمة سائغة للعـــدو وكان بعضهم يرتضي الذل والمهانة هذا الأمر جعل المسلمين في معركة عين جالوت يستميتون بالجهاد مقدرين أهمية الموقف .

٥ ـ ادراك المغول اهمية قوتهم وهلع المحاربين منهم ، لذا نشأ عندهم غرور واستهانوا بجميع القوى لكنهم فوجئوا باستبسال المسلمين في مغركة عين جالوت وكان لهذا أثره الكبير في انتصار المسلمين .

٦ ـ كان هولاكو قد تلقى رسالة طلب اليه بها العودة من اجل تسوية الأمور التي نجمت عن موت القاءان (الخاقان) الأكبر . غيابه مع عدد من الجنود كان له اثره في ضعف الجيش المغولي .

★ ★ ★

النتيجة الهامة في المعركة الفاصلة تتجسد بأن نظر المسلمون جميعا الى المماليك نظرة المنقذ فارتفع نفوذهم داخلا وخارجا وخاصة نفوذ الذين أبلوا بلاء حسنا ولكن من المؤسف حقاً أن تقع فاجعة غير منتظرة ذلك أن بيبرس كان قد طلب من قطز ولاية حلب ويبدو أن قطز تلكأ في الاستجابة الا انه كان ينوي أن يوسد لبيبرس مركزا أعلى باختياره لنيابة السلطنة ، لكن بيبرس تعجل الأمر وقتل قطز المجاهد .

المهم أن بيبرس كان محاربا عظيما وادرايا مخلصا وسياسيا حكيما ، استطاع أن يثبت مركزه بالرغم من الجرم الذي ارتكبه فقام باصلاحات كبيرة ووطد نفوذه باستدعاء امير عباسي ونصبه خليفة على المسلمين ، واستقطب بذلك اهتمام ورضا جميع المتنفذين

في الداخل والخارج والعالم الاسلامي وكان له فضل في تصفية الصليبيين من معاقلهم بالتدريج واستمرت سلطته تعلوحتى اصبحت الدولة طوع ارادته وقد مارس الحكم بالعدل والثبات والقوة والدهاء .

* * *

نعود الى فكرة انشاء مشهد النصر في عين جالوت وهي فكرة تكاد أن تكون جديا ة على المسلمين لأنها تخلد حدثا عظيما وفكرة سامية هذا المشهد لم يصفه لنا المؤرخون والجغرافيون المسلمون — في حد علمنا — وان كان احد من الكتاب قد ذكره ووصفه فلا بد من أن يقع في ايدينا نص في يوم من الايام . لذا نترك هذه النقطة مفتوحة لنتابع البحث عنها ربما ذكرها أحد الرحالة أو أحد الأثريين فنستكمل الكلام عنها .

* * *

تربة خالد بن الوليد بحمص :

كان جامع خالد بن الوليد بحمص خارج المدينة، وكان في غاية من البساطة أمر الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بانشاء تربة هامة الى جوار الجامع تخليدا لذكرى البطل الفاتح بمناسبة انتصاره على الصليبيين وفتح صفد من فلسطين كان فتح هذا البلد الحصين شاقا وقد بذل المسلمون وعلى رأسهم الظاهر جهودا كبيرة لفتحها ولما نصره الله كان عليه أن يتوجه إلى شمالي بلاد الشام لمحاربة الأرمن في كليكيا أمر الجيش أن يتحرك بعد الفتح ولم يسمح له أن يدخل الى دمشق (٩) .

كان الظاهر يدرك ثقل الواجب بتطهير البلاد الشامية من الصليبيين وبتأديب الذين اسسوا دولة ارمينية الصغرى في كليكيا متعاونين مع الصليبيين عندما قدموا الى بلاد الشام وقد لاقى منهم المسلمون شرا مستطيرا وكان آخر عدوان وقع على المسلمين في سنة ٦١١هـ ١٢٦٢/٣ م فاعتدوا على البلاد الشامية : العمق والمعرة وسرمين والفوعة وعاثوا في البلاد فسادا .

عندما فتح الملك الظاهر صفد وأكرمه الله بالنصر وقبل أن يوزع الغنائم على المجاهدين وقف قرية من قرى صفد على قبر خالد بن الوليد بحمص (١٠) تعبيرا عن شكره لله تعالى

---

(٩) نشرت بحثا عن اخشاب من تربة خالد بن الوليد بحمص في مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية ج ١٩ (٩-١٩) ص ١٥ — ٤٨٩ . يحسن الرجوع اليه .

(١٠) المقريزي : السلوك ٢/١ ص ٥٤٨.

وتقديراً للفاتح العظيم خالد بن الوليد وتيمنا بالنصر عـلى الأرض ، ثم انشأ التربة الى جوار جامع خالد بن الوليد بحمص .

انشاء هذه التربة يختلف عن انشاء التربة الأخرى ذلك لأن الترب المعروفة ، أنشأها اصحابها قبل موتهم أو أنشأها ذووهم بعد موتهم أما هذه التربة فان لها معنى آخر. الظاهر بيبرس يعرف قيمة الجهـاد في سبيل الله، لقد قارع الصليبيين في المنصورة والمغول في عين‌جالوت وطاردهم حتى اخرجهم من بلاد الشام ، ثم انبرى لمحاربة الصليبيين ومن تعاونوا معهم ، هذا المجاهد يقارن بين ما فعله ويفعله ولديه الامكانات الكبيرة وبين ما فعله العرب المسلمون عندما فتحوا الشام والعراق وايران ومصر وكانت امكاناتهم محدودة بالعدد والعدة كان لاشك يؤمن بأن النصر من عند الله وأن الله ينصر عبده المخلص الذي باع روحه في سبيل الله وقاتل باخلاص ليرفع كلمة الله ، وينشر شريعته العادلة لذا انشأ الظاهر هذا الأثر تقديرا للشجاعة الخارقة والجهاد المخلص واراد أن تكون هذه التربة رمزاً لهذه المثل العليا والتي كانت سببا في انتشار الاسلام وقيام الحضارة العربية الاسلامية وتوطيد اسس الدولة المتينة التي تحمي الافراد والجماعات وتدافع عن الحمى بتصميم وصبر .

ربما كان الملك الظاهر يعي تماما الدور الذي يجب أن يلعبه المسلمون بعد أن نصرهم الله على الاعداء الغربيين والشرقيين الذين طمعوا بخيرات البلاد الاسلامية، لا بد أن المسلمين جميعا كانوا يدركون أن الاعداء تكالبوا عليهم من الغرب والشرق بسبب انحرافهم عن طريق الاسلام الصحيح، وقد نسوا الله فنسيهم وخذلهم واذاقهم الذل والهوان وعندما استيقظ الضمير الاسلامي في عهد عماد الدين زنكي وابنه الملك العادل نور الدين محمود ، وناضلوا باخلاص ثم ظهر بعدهم الناصر صلاح‌الدين يوسف بن ايوب ليتم العمل الذي بدؤوه فنصرهم الله ايضا ولكن خلفـاء صلاح الدين وخاصة بعد موت الملك العادل أبي بكر ، عادوا الى الخلافات الداخلية وتحاربوا فيما بينهم حتى إن بعضهم كان يستجير بالصليبيين ليتغلب على اخيه أو عمه أو ابن اخيه... واخيرا كان آخر ملك ايوبي في حلب ودمشق وهو الناصر الثاني صلاح الدين يوسف بن محمد العزيز وكان يريد أن يتعاون مع المغول عندما كانوا في العراق آنئذ ليستولي عـلى مصر .. هذا الوضع السيء البعيد جدا عن روح الاسلام أورث المسلمين البلاء العظيم ولم يتخلصوا منه الا بالعودة الى الله والاستماتة في سبيله فكانت الصحوة الثانية .

الملك الظاهر سواء وعى هذه الحقائق أم لم يع فإنه سار في الطريق الصحيح واراد أن يحيي روح الاسلام ممثله العليا بتكريم فاتح عظيم. هذا مع العلم أنه ليس من الثابت تماما أن خالد بن الوليد دفن في حمص وقد اختلف المؤرخون (١١) في هذا الأمر . اعني أن الانشاء كان لتخليد فكرة تجسدت بالبطل الفاتح وليس لضم رفات .

نحن العرب المسلمين الآن مدعوون أن نفكر من جديد في وضعنا الراهن عشرون دولة عربية أو تزيد ، عدد كبير من الدول الاسلامية ، امكانات عادية ضخمة ومواقع استراتيجية هامة ، هل نسير في الطريق الصحيح لانقاذ فلسطين ؟ .

* * *

هذه التربة اهملت، وطرأ عليها البلى وأصابها حريق فجمعت الأخشاب وخزنت في مكان لايليق اهتمت المديرية العامة للاثار والمتاحف السورية لهذه الاخشاب فنقلت الى متحف دمشق، وعولجت من امراض الخشب ونظفت واعيد انشاء الضريح راكمات النواقص بحيث امكن عرضه في قسم الاثار العربية الاسلامية ، وعرضت معه اجزاء خشبية اخرى من ضمنها لوحتان هامتان: احداهما مستطيلة ضلعها الأعلى بشكل قوس والثانية مستطيلة . تحمل كل مـــن اللوحتين كتابة تخلد انشاء التربة . النصان متشابهان خصصت الأولى للتعريف بالتربة والثانية للتعريف بالضريح وكلاهما رقمتا بالخط الثلث وقد نفذت الكتابة بتجويف المهاد حتى برزت الكتابة وقد هذبت حروفها ودمجت بتجديب اعاليها اليكم نص اللوحة الأولى وهو مؤلف من خمسة اسطر .

١ — بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشائه على حرم تربة سيف‌الله وصاحب رسول الله خالد بن الوليد رضي الله .

٢ — عنه مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج .

٣ — والمتمردين محيي العدل في العالمين ملك البحرين صاحب القبلتين خادم الحرمين الشريفين وارث الملك سلطان العرب و (ال) ـــعجم والترك .

---

(١١) يحسن مراجعة هذه القضية في بحثي الذي اشرت اليه في الحاشية (٩) اخشاب .... ص ٢٤ .

٤ ــ اسكندر الزمان صاحب القرآن بيبرس الصالحي قسيم امير المؤمنين اعز الله سلطانة عند عبوره على (كذا) .

٥ ــ (حمــ)ص للغزاة ببلاد سيس وذلك في شهر ذي الحجة سنة أربعة (كذا) وستين وستمائة .

النص واضح جدا عرفنا منه اسم المنشيء واسم المنشأ له وتاريخ الانشاء والمناسبة اليكم بعض الملاحظات على النص :

١ ــ توجد نواقص طفيفة وضعت بين معقوفتين .

٢ ــ غلطة انشائية : (عند عبوره عه على حمص) لم تكن (على) ضرورية لأنه تعالى عبر المدينة ولا يقال عبر على المدينة وتستعمل (على) اذا كان العبور على جسر مثلا .

٣ ــ « سنة اربعة » خطأ والصحيح « سنة اربع » .

٤ ــ « للغزاة ببلاد سيس » كان يجب أن يقال : « لغزو بلاد سيس » .

٥ ــ (سيس) عاصمة ارمينية الصغرى وهي (سيسية) كما ورد في معجم البلدان (١٢) عند ما قال : ان اهل سيسية لحقوا بأعالي الروم في سنة ٩٤ هـ أو ٩٣ هـ » .

٦ ــ هل عبر الملك الظاهر بيبرس حمص في تلك المناسبة ؟ اعتمدنا على مرجعين قريبين من عصر الحادث وهما المقريزي (١٣) وأبو الفدا (١٤) توجه الجيش الاسلامي الى دمشق بعد فتح صفد في ١٧ شوال ٦٦٤ هـ (تموز ١٢٦٦ م) فنزل الجسورة خارج دمشق، وأمر الملك الظاهر الا يدخل احد من العسكر الى دمشق بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير الى سيس، واقام الملك المنصور صاحب حماة(١٥) مقدما على العساكر، وسيرهم معه ... فساوروا في الخامس من ذي القعدة (آب ٢٦٦م) الى سيس .

وهذا الكلام متفق عليه ، يفهم منه أن الملك الظاهر لم يكن مع العسكر حين عبر حمص لفتح سيس ، وهو مخالف للنص .

---

(١٥) الاسرة الايوبية المالكة في حماة ظلت تحكم حماة في العهد المملوكي منضوية تحت لواء المماليك وكان الاحترام بينهم وبين المماليك متبادلا وان اهل المدينة يحبونهم ويجلونهم .

عاد الجيش منتصرا، وعلم الملك الظاهر بهذا الخبر الهام، فرحل من دمشق في ١٣ ذي الحجة، سنة ٦٦٤ ﻫ (آب ١٢٦٦ م) ومر في طريقه بقارا فعرضت له مشكلة، حلها، ثم تابع مسيرة — حسب رواية ابي الفداء — الى حمص فحماة فافامية حيث التقى بالجيش المظفر أما المقريزي فلم يذكر أن الظاهر وصل الى حمص . ومع ذلك فاننا نصدق رواية ابي الفداء لأنه أعرف بتاريخ بلاد الشام وهو ملك حماة والملك المنصور قائد الجيش المظفر هو جده . اذا عبر الظاهر حمص ولكن بعد عودة الجيش المنتصر وليس عند توجهه لفتح سيس .

اوردنا هذه الملاحظة وشرحنا ظروف العبور حتى نوفق بين ما هو مكتوب على الأثر وما ذكره المؤرخون. وهنا نلاحظ أن النص لم يكن دقيقا من هذه الناحية نفسر ذلك بأن ناقش الكتابة نفذ عمله بعد مرور وقت طويل من الحادث ذلك لأن هذا العمل الفني الدقيق يتطلب جهداً ووقتاً ونعتقد أن الملك الظاهر حين أمر بإقامة التربة قد خصص لها من الغنائم التي كسبها بعد فتح صفد قرية من قراها ينفق ريعها على هذه التربة وليس عند عبوره حمص . لهذا السبب اعتبرنا ان اقامة تربة خالد بن الوليد بحمص كانت بمناسبة النصر في فتح صفد أولا ، والظفر في سيس ثانيا .



32. Ahmad Isa Bey presents this information on the authority of one Abdul Gabr, the then director of the Islamic museum and library in Jerusalem, presumably in the 1920 s.

33. Ibn al-Qifti, p. 378.

34. Abu'al-Faraj Ibn al-'Ibri (Bar Hebraeus), *Tarikh Mukhtassar al-Duwal*, ed. Antoine Salihani Beirut, 1958, 253-4.

35. Ibn Abi Usaybi'a, II, 216.

36. ᶜImad al-Din al-Isfahani, *al-Fath al-Qussi ''l-Fath al-Qudsi*, extracts translated in F. Gabrieli, *Arab Historians of the Crusades*, London, Routledge and Kegan Paul, 1969, pp. 166-73; 174-4.

37. Ibn al-Athir, as quoted in Gabrieli (above) pp. 144-6.

38. Hume (op. cit. *note* 31) pp. 402-8.

39. *Ibid*, pp. 411-5.

40. Hamarneh, op. cit. note 20, p. 372.

41. Hume, p. 404.

42. *Ibid*, pp. 408, 411, 416, 420.

43. Shihab al-Din Ahmad b. Hajr al-'Asqalani, *al-Durar al-Kamina A'yan al-Mi'a al-Thamina* Hyderabad, 1348 A.H. Vol. 1 520-8 (on Tankaz); p. 522 on the Safed bimaristan.

44. *A Mediterranean Society* op. cit. note 9.

45. *Ibid*, Vol. 2, p. 243-4.

46. *Ibid*, p. 254.

12. Taqi al-Din Ahmad al-Maqrizi, *alcMawa'iz wal-I'tibar fi Dhikr al-Khatat wal-Athar*, Cairo, Bulaq, 1854, Vol. 2., p. 405.

13. Ibid, p. 405.

14. Ibn al-Qifti, *Ta'rikh al-Hukama'*, ed. J. Lippert, Leipzig, 1903, p. 251.

15. De Lacey O'Leary, *How Greek Science Passed to the Arabs*, London, Routledge and Kegan Paul, 1949, pp. 14–18.

16. C. Elgood,«Jundi–Shapur – a Sassanian university», *Proc. Roy. Sec. Med.* 1939, 37: 1033–6.

17. Ibn al-Qifti, p. 133.

18. Sabur ibn Sahl d. in 255/869. See Ibn al-Qifti, p. 207.

19. *Rihlat Ibn Jubayr*, Gibb Memorial Series, Leiden, Brill, 1949, pp. 325–6, see also Ibn Abi Usaybi'a« *Uyun al-Anba*» *Tabaqat al-Atibba*, ed. A. Muller, Konigsberg and Cairo, 1882–4, I. 309.

20. S.K. Hamarneh,« Development of hospitals in Islam, *J. Hist. Med.*, 1962, 17: 366–384.

21. Al-Maqrizi, vol. 2, 405.

22. Ibid Vol. 2., 406–7; Ahmad Isa Bey, *Histoire des Bimaristans (Hôpitaux) à l'Epoque Islamique*, Cairo, 1928, p. 40.

23. Hamarneh opposite note 20 pp. 375–7; D. Jetter, «Hospitalgebaude in Spanien», *Sudhoffs Archiv*, 1960, 44, 239–250.

24. E. Herzfeld, Damascus, Studies in Architecture I, *Ars Islamica* 1942, 1–53, and III, 1946, 1–71, D. Jetter« Zur Architectur islamischer Krankenhauser» *Sudhoffs Archiv*, 1961, 45: 261–275.

25. Rihalt Ibn Jubayr, 283–4.

26. Ibn Abi Usaybi'a, II, 242.

27. Abu'l Fadl Dawud b. Abi'l–Bayan. d. 638/1240. See M. Ullmann, *Die Medizin im Islam*, Leiden Brill, 1970 P. 309.

28. Ibn Abi Usaybi'a, II. 243.

29. A. Terzioglu, :*Mittlealterliche Islamische Kranekhauser unter Berucksichig–Psychitraischen Anstalten*, Diss. Berlin, 1968.

30. Ahmad Isa Bey, pp. 107–8.

31. Ibid, and E.E. Hume,« Medical works of the Knights Hospitallers of Saint John of Jerusalem», *Bull. Hist. Med.*, 1938, 6 (1): 399–466, p. 404.

NOTES

1. See for example the sections in: A. Castigloini, *A History of Medicine*, New York, Alfred Kopf, 2nd, 1947; M. Neuburger and J. Pagel, *Handbuch der Geschichte der: Medizin*, Jena: Gustav Fischer, 1902; W.C. Dampier, A *History of Science*, Cambridge University Press, 3rd ed. 1943.

2. See J. Murdoch's interesting paper on this particular subject,« Transmission and figuration: an aspect of the Islamic contribution to mathematics, science and natural philosophy in the Latin West», in *Proceedings of the First International Symposium for the History of Arabic Science*, IHAS Public ations, Aleppo, 1978, Vol II, pp. 108–122, see also the research done on Ibn ll-Shatir's astronomy by V. Roberts, «The solar and lunar theory of Ibn al-Shatir a pre-Copernican Copernican model», in *The Life and Work of Ibn al-Shatir*, ed. E.S. Kennedy and I. Ghanem, IHAS Publications, Aleppo, 1976, pp. 44–48.

3. A.H.M. Jones, *The Greek City from Alexander to Justinian*, Oxford, Clarendon Press, 1940 pp. 215–7.

4. There is a great deal of hisba literature: for a general account, see the article *Hisba* in the *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., Leiden, Brill, 1967–, pp. 485–93; also S.X. Hamarneh,« Origin and functions of the hisba system in Islam and its impact on the health professions, » *Sudhoffs Archiv*, 1964, 48: 157–173.

5. For example, H.C. Burdett, *Hospitals and Asylums of the World*, London, Churchill, 1891, 5 vols.

6. On this practice, which was called incubation, see L. Etelstein, *On Ancient Medicine*, Baltimore, Johns Hopkins, 1967, pp. 241, 378–9.

7. G.E. Gask and J. Todd,« The origin of hospitals» in *Science, Medicine, and History*, Essays in honour of Charles Singer, ed. E.A. Underwood, Oxford University Press, 1953, Vol. 1, 122–130.

8. S.W. Baron, *A Social and Religious History of the Jews*, Cambridge University Press, New York, 1958 vol. 8, 239, and 392.

9. S.D. Goitein *A:Mediterranean Society*, Berkely, University of California Press, 1971, Vol. 2, 251.

10. Fr. R. de Vaux,« Les hopitaux de Justinien à Jrrusalem d'après les dernières fouilles», *Comptes Rendus de l'Academie des Inscriptions et Belles Lettres*, 1966–202v7.

11. A. Philipsborn,« Der Fortschritt der Entwicklung des Byzantisches Krankenhauswesens» *Byzantinische Zeitschrift*, 1961, 54, 338–365.

pital when it was in Islamic hands, but of course the report would confirm the liklihood of Salah al-Din having taken over the other (Jerusalem) Hospital of the Knights of St. John.

Scanty as the information about these two hospitals may seem, it is even scantier on the bimaristan of Safad. All that we know about this is that it was built by the viceroy of the Mamluk Sultan, Muhammad b. Qalawun, in around 712.[43] This viceroy Tankas, whose base was in Damascus, was known for his generosity and benevolence. He was responsible for many good works and charitable establishments in Jerusalem and Damascus. Beyond this passing reference to the bimaristan of Safad there is no further information, and no trace of this hospital remains today.

We have indirect evidence of the existence of another hospital in Palestine, that of Ramla. The Cairo Geniza manuscripts, recently discovered and edited,[44] have yielded a wealth of information about the social conditions in Cairo in the 12th and 13th centuries. The papers, many of which are in Hebrew and some of which are in Arabic, refer to many aspects of everyday life at that time. Although they were primarily concerend with the Jewish community of Cairo, they nevertheless provide the most fascinating picture of the life of the whole society. Among these papers, there is a mention in two places of the hospital of Ramla in Palestine. From the first extract, we learn of a certain Abraham b. Furat who served as the head of the dysentery ward in the hospital[45] – the exact quotation says that he served the government as head of the department, thus revealing that the hospital was government owned. This Abraham was transferred to Cairo. There is a later mention of the way a patient was treated at Ramla[46], but it is not clear whether this was at the hospital or not. Slight as this information is, it still tells us that the hospital of Ramla was organised on similar lines to the bimaristans we have descriptions of; we may also infer that physicians moved freely or were transferred from one bimaristan to another without difficulty, which would support further the idea that they were similarly organised and managed.

Conclusion

The evidence we have presented reveals that there were at least three bimaristans in different cities in Palestine during the mediaeval period. As no trace remains of them today, their existence could only have been discovered from allusions to them in the historical literature, some of it, as in the case of the Geniza documents, rather unexpected. Further research would no doubt reveal the existence of others in other major cities of Palestine and shed more light on those mentioned above. It is likely that all the cities under Islamic dominion had their own bimaristan. Confirmation of this statement would help to fit one more piece in the jig–saw of Islamic civilization.

hani. He has left us with a detailed account of the changes Salah al-Din wrought in Jerusalem and of the good works he ordered, in particular, the restoration of the Aqsa Mosque and the establishment of several madrasas in Jerusalem, Yet, there is nowhere any mention of the bimaristan.[36] Likewise, Ibn al-Athir's description of the restoration of Jerusalem makes no mention of any hospital.[37] It is difficult to know how to interpret these omissions, especially since 'Imad al-Din specifically mentions the destruction of the church built by the Kinghts Templars in the vicinity of the Aqsa Mosque. If, as seems likely, Salath al-Din's bimaristan was the building he took over from a rival order, the hospitallers and which he developed (see below), it is strange that neither historian mentions it. It may indicate a lack of interest in medical matters on the part of these historians, or merely that the establishment of a bimaristan was a common place act of benevolence, or that the bimaristan was not aa important one. Yet, as against the last possibility, we do know that at least two well-placed and respected physicians worked there, one of whom left because he was ordered to do so by the king whose court was in Damascus.

The order of the Knights of St. John, or the Knights Hospitallers, as they were also known, was founded in the 11th century. The point of interest for us is that they founded a hospital in Jerusalem in about 1099.[38] It was situated close to and to the south of the Church of the Holy Sepulchre. Today the site of this hospital lies to the north of the German church in the Dabbagha district mentioned above. Descriptions from pilgrims who visited Jerusalem up until 1341, long after the Knights Hospitallers had been driven from Palestine, tastify that it was a very large place which housed about 2,000 people.[39] Interestingly enough, the last report dating from 1341 mentions that patients could be treated there if they paid. Among the people who saw the hospital was the famous Jewish traveller of Spain, Benjamin of Tudela, who was in Jerusalem in 1163. All the accounts of the hospital suggest that it also served as a resting place for pilgrims and for the needy in general. Hamarneh suggest that Salah al-Din took over this hospital in 1187 and developed it and named it after himself.[40] There is another report which says that the hospital was made into a lunatic asylum by Salah al-Din's nephew.[41] What evidence there is for either of these suggestions is unclear. What is incontestable, however, is that we know of two physicians who were appointed to the Jerusalem« bimaristan» around the time of Salah al-Din, and it is very likely that this and the hospital of the Knight of St. John are one and the same.

The Knights Hospitallers went on to establish a similar hospital at Acre between 1163 and 1170.[42] When Salah al-Din conquered this in 1187, it is reported that he converted the bishop's palace into a hospital. When the Knights re-established themselves in Acre, they converted a madrasa of Salah al-Din into a hospital. I have not been able to discover anything more about the hos-

assume that there were bimaristans in Palestine as well, but one comes across them only in passing through mention of the physicians who worked there. In this way, we learn that there were at least three bimaristans in Palestine, one in Jerusalem, one in Safad and one in Ramla. Ahmad Isa Bey, who, in 1928, wrote the only book on bimaristans we have and which remains the best authority on this subject, states that there was a bimaristan in Jerusalem built by Salah al-Din in 583/1187 when he conquered Jerusalem from the Crusaders.[30] The hospital was known after him as al-Salah and was situated in the Dabbagha district of Jerusalem. It fell into ruins and was finally demolished by an earth–quake in 862/1458. No more was heard of it until the end of last century, when the Turkish Sultan Abdul Hamid gave part of the Dabbagha district to Crown Prince Frederick of Prussia when he was on a visit to Jerusalem. In 1898 the German government erected a church on the site which was dedicated in the presence of the German emperor.[31] It was during the building of this church that stones bearing inscriptions of the names of Salab al-Din and his successors were unearthed, thus providing a clue to the site of the old bimaristan.[32]

The bimaristan is mentioned (though not by name) by the historian of medicine Ibn al-Qifti in his biography of the Christian physician, Ya'qub Ibn Saqlan.[33] The same information but with rather more detail is to be found in Abu'l-Faraj Ibn-'Ibri's *Tarikh Mukhtasar al-Duwal.*[34] This Ya'qub was born in Jerusalem and completed his studies in philosophy ana medicine presumably in 581. He worked at the bimaristan there until he was moved by the King (al-Mu'azzam'Isa b. al-Malik al-'Adil, a descendant of Salah al-Din), to be his own physician in Damascus. Ya'qub is described as not having been a great scholar but very experienced in the work of the bimaristan. Yet, he was evidently highly esteemed by the king who, even when Ya'qub was crippled with gout and arthritis, would have him brought to attend him at the palace carried in a chair. He died at Damascus in about 620.

Roughly contemporary with this physician, we have a record of another physician who worked at the Jerusalem bimaristan. Rashid al-Din al-Suri was born as his name implies, in Tyre in 573 and went to study at Damascus, where one of his teachers was the famous physician and writer, ʿAbd al-Latif al-Baghadadi.[35] He worked for several years at the bimaristan of Jerusalem, and it seems returned to Damascus, where he taught medicine. He entered into the service of al-Malik al-Adil, and later served his son and gardson. He died in 639/1242. He wrote three books, one of which was addressed to Ibn Abi Usaybiʿa.

One might have hoped for more information on the Jerusalem bimaristan from the contemporary and biographer of Salah al-Din, 'Imad al-Din al-Isfa-

today; it stands just off the suq al-Hamidiyya. Like all other bimaristans, it is based on the eastern house or madrasa design: an open central courtyard with a fountain surrounded by four sides or iwans, off which were the wards and other rooms of the hospital.[24] It had male and female wards, and the usual specialised wards for fevers, dysentery, eye diseases, and surgical cases. Such specialisation called for specialised staff and we know that hospitals of this size had their own occulists surgeons, bone-setters, and physicians. The hospital had a chief physician appointed by the caliph, or more often his wasir. He and his staff saw the patients, daily, doing their rounds early in the morning and during the round ardering what each patient needed of drugs and food and drink.[25] This was evidently done on a sort of register, for the Syrian physician and medical historian, Ibn Abi Usaybi'a tells us how he used to sit at the side of the physician who wrote up the prescriptions after the round was finished.[26] Such hospitals usually had their own dispensaries and even their own formularies. *Dustur al-Bimaristan* is just such a formulary, written by Ibn Abi'l-Bayan in the 12th century, for use in the hospitals of Egypt, Syria, and Iraq.[27]

We have a good illustration of the teaching function of the bimaristan in the account that Ibn Abi Usaybi'a gives of the activities of his teacher, al-Dakhwar, who was the sometime director of the Nuri hospital.[28] He describes how the physician used to do his round, visiting the fever wards, and then the wards of the insane (Arabic, al-mamrurun). He would discuss the cases with other physicians and examine the patients together with them. What prescriptions he nuggested were written down on the register, and after the round he would repair to the lecture room of the hospital where students read medical texts to him.

Although we have given here descriptions of what the bimaristan was like at its best, and in particular, it may be said that the hospital of Qalawun in Cairo was so magnificent that it could hardly have been representative; yet we can discern clearly the basic features of the bimaristan under Islam. It was a special institution for the sick, and not the poor or needy, funded by the state, with specialised wards, sometimes being a specialist hospital itself;[29] it was staffed by medical personnel and functioned also as a teaching hospital. As such, it was a far cry from the hospices of antiquity and a reconginsable early model for the hospitals of our own day.

The Bimaristans of Palestine

As the discussion above must have indicated, the bimaristans whose names come up again and again were those of Baghdad, Damascus, and Cairo. We may

Tigris river and must have been a magnificent place. The Jubayr, the 12th century Spanish traveller to whom we are indebted for much information on this subject,[19] tells us that when he saw the hospital in 1184, it seemed to him to be like a great palace which took its water supply from the Tigris. When it opened, it had a staff of 24 physicians, among whom were specialists: occulists, bone-setters, physiologists, and surgeons. This splendid place, along with so many other buildings in Baghdad was destroyed during the Mongol invasion of 1258.[20]

We have a good deal of information about the hospitals of Cairo, thanks to al-Maqrizi. The first hospital there was founded by Ibn Tulun between 259 872 and 261/874. This had separate wards for men and women, baths, and special section for the insane.[21] Salah al-Din later founded al-Nasiri hospital in 1171. But without doubt, the most impressive hospital in Egypt, and in the whole Muslim world probably, was the great Mansuri hospital founded by the Mamluk Qalawun in 1284. It was built in 11 months and had a huge endowment amounting to 1 million dinars a year. It had special wards for fevers, for ophthalimic cases, for surgery, and separate wards for men and women. It also had a pharmacy, store-rooms., a lecture hall, and a library. Story-tellers were employed to amuse convalescent patients, and at night, music was played to soothe the sleepless. There are many studies and descriptions of this great bimaristan, which still stands in Cairo today.[22]

The hospital building movement spread to the Muslim West later on. The first hospital was founded at Marrakush at the end of the 6th/12th century. Other hospitals were soon established in other parts of North Africa, and then in Spain. Hospitals were also built in Ottoman Turkey from 726/1306, and some of these remained in use until the end of the First World War. In Istanbul alone, the Turks established 70 hospitals during the last 500 years.[23]

We may assume, therefore, that at one time every major city had its own bimaristan even if we do not have the names or the descriptions of each one of of these. The bimaristan served two functions: the healing of the sick and the teaching of medical students. It was founded by the state or by charitable endwoments (*awqaf*). It dispensed free treatement and free medicines and was open to everyone. Although we are here particularly concerned with the bimaristans of Palestine, yet, as we shall see, nothing of these remains today. Our picture of what they might have been like can, however, be built up from what we know about a typical bimaristan of Islam which still exists today. The Nuri bimaristan of Damascus was founded by Nuri-al-Din Zengi in 561/1156, (he also founded a hospital which was known by his name in Aleppo). The architectural lay-out of this great hospital may be studied by any visitor to Damascus

these Byzantine hospitals, we can only speculate that the most likely antecedent of the Islamic hospital or bimaristan was a late Persian model with which the Arabs first came into contact when they conquered Persia in 640 A.D.

The Bimaristan

The very word « Bimaristan » indicates that the institution might have come from Persia. It is derived from the Persian *bimar*, meaning ill and *stan*, a place. It was later contracted to « maristan », and today it has become « marustan » which in common speech means lunatic asylum. Al-Maqrizi says that the first hospital was built by a Coptic king of Egypt called Manaqyush ibn Ashmun,[12] but this seems to have been mentioned nowhere else. He goes on to say that the first to have founded a hospital in Islam was the Umayyad caliph, al-Walid I, who ruled from 86 to 96 A.H. We have no details about this hospital, but we know that al-Waiid is also supposed to have restrained lepers from going out among the people and gave them money. He also gave each cripple a servant and each blind man a guide.[13] But it was really a hundred years later that the hospital building movement in Islam began in earnest when Harun al-Rashid asked the head of the hospital at Jundi-Shapur to create a hospital in Baghdad on the same lines. It was said to be situated in the S.W. part of the city, and when it was finished, another physician of Jundi-Shapur, Yuhanna b. Masawayh, came to be its director.[14] It is to Jundi-Shapur, therefore, that we must look for the precursor of the Arabic bimaristan. Jundi-Shapur was a city in the S.W. of Iran, it does not exist today. An academy was founded there by the Persian King Shapur I in the 3rd century A.D. It flourished in the 5th century under Kisra Anushir-awan and became a famous centre of learning.[15] By the time of the Arab conquest of the city in the 7th century, the academy and hospital of Jundi-Shapur were well established and had a staff of physicians and teachers; these were Nestorian Christians in the main who spoken in Syriac.[16] The books they used were mainly Greek translated into Syriac, and the type of medicine that they practised was predomin-antly Greek, although there was an Indian tradition as we l. Ibn Al-Qifti has left us with a description of the academy of Jundi-Shapur which leaves us in no doubt as to the high reputation it must have enjoyed.[17] It even had its own formularly, composed by its sometime director, Sabur ibn Sahl.[18]

Thus, although it seems very probable that the bimaristans of Islam derived from this late Persian model, yet we have far too little information about the hospital of Jundi-Shapur to be certain. By contrast, we know a great deal about the lay-out, originisation, and staffing of Islamic bimaristans. One of the earliest and best examples of these was the 'Adudi hospital built by 'Adud al-Dawla in 372/982. It was situated in the western part of Baghdad by the

supply; for moral behaviour in public, for the public observance of religious functions, and even for the control of the medical and pharmaceutical professions.4 By the time the *hisba* was fully developed under the Muslims, there remained nothing but the faintest resemblance between its officer, the *muhtasib* and the agoranomus of Greek times.

Another important institution which was developed, if not entirely invented, by the Muslims was the hospital institution or bimaristan. Although this developmant should rank as one of the most significant and original contributions of Islamic civilisation, here again we note a striking neglect of the Islamic endeavour in many of the published sources on the history of hospitals.[5] Of course, there were places for the healing of the sick in pre-Islamic times. Early records speak of the healing temples of Aesculapius, the Greek God of healing, where people went to spend the night and were allegedly healed by seeing the God in dreams.[6] Aside from these religious places, doctors usually saw their patients in their own houses. The Romans established military hospitals which had medical attendants and sick rooms; there is, however, no evidence of similar institutions for civillians. In early Christian times, hospices arose, the so-called xenodochia, which combined the functions of a resting place for strangers and a healing place for the sick. There is evidence that at least one of these had nurses and physicians in attendance.[7]

It seems that there were similar institutions for the Jews. Such hospices were attached to synagogues and catered to Jewish travellers and the Jewish sick. A hospice of this type existed in Jerusalem before 70 A.D., but although some have argued that the Jews probably had their own hospitals, arising out of their awareness of the need for segregating the sick and their « sense of social responsibility»,[8] there is no evidence that Jewish hospitals existed as such. In fact, what need Jews might have had for hospital care in the mediaeval period was obviated by the fact that hospitals under the Muslims were open to people of all denominations. They could have availed themselves of these if they needed them, (although the evidence is that they do not seem to have used them).[9]

Hence, we may say in summary that as far as we know, there were no institutions in antiquity which we would call hospitals in the sense with which we would understand the word; that is, a place specialised for the treatment of illness with attendant nurses and doctors, with specialised wards and dispensaries, and often with facilities for teaching medical students. In late Byzantine times, however, it appears that there were a number of hospitals in Jerusalem and other parts of Palestine which, from the scant descriptions we have, resmeble more clocely the hospital rather then the hospice.[10] One of these, at Jerusalem, is said to have held a thousand beds.[11] Until more is known about

GHADA AL-KARMI

THE BIMARISTANS OF PALESTINE

London U. K.

The Arabic Islamic contribution to science and medicine, though considerable, has received little attention until recent times. Many textbooks on the history of medicine and science devote no more than a few pages to the whole period of Arabic civilization, which was something like 500 years.[1] The prevailing view has been that Islamic science was unoriginal and taken largely from the ideas and work of previous civilisations, notably Greek civilisation. Attention has remained focussed on this aspect of Islamic scientific production, and the contribution of the Muslims to learning has been limited to their role, undoubtedly important, as translators and therefore tranmitters of the wisdom of the Ancients. This is the conventional view of Islamic science, and few would argue that the theoretical basis of much Arabic science and medicine is largely non-Arabic. How much this foreign heritage was elaborated, modified, or added to by the Muslims is, alas, still undefined due to the lack of research into original Arabic scientific works and their proper assessment, although something about this critical area has begun to emerge in recent years.[2]

However that may be, and this is not the place to discuss the matter further, the contributions that the Muslims genuinely made and which seem to be entirely original have received almost no attention whatsoever. If it could be said that Islamic civilisation had one outstanding feature, it would be the establishment of institutions; that is to say, the Islamic tendency to incorporate and develop pre-existing ideas and customs and put them into an Islamic mould and then institutionalise them. The institution of hisba is a good example of this tendency, where the previously Greek office of market inspector, or « agoranomus»,[3] that is, a man legally appointed to preside over certain commercial dealings in the market place such as weights and measures and currency exchange, was incorporated, updated, and developed into the *muhtasib* of Islam. Under the Muslims, this was no longer just a man who controlled weights and measures in the market, but someone appointed by the qadi and indirectly by the caliph, who was in charge of all dealings in the market place, from buying and selling to meat inspection. He was responsible for such things as the safety of public buildings, the inspection of sewers, and the cleanliness of the water



List of Illustration

17. See note 15, above.

18. The history of this symbol in Jewish art is long and instructive. It is supposed to have been brought into Palestine on the return of the Jews from Babylon. (see note 19 below).

19. E. R. Goodenough, *Jewish Symbols in the Greco–Roman Period*, N.Y. 1954, IV, 145–166; *The Jewish Encyclopedia*, VIII, 205.

20. Goodenough, *Jewish Symbols....*, IV, 176 and *passim*.

21. This pavement has been covered over with earth in order to preserve it after excavation so ethrog and the knife were not visible. The motif was described to the writer by the excavator.

22. The fruit on the Mount Nebo mosaic has every appearance of shaddeck or *bamuli* being more in the shape of a pear. These and other examples of this motif are not published.

23. A. M. Smith,« The Iconography of the Sacrigife of Isaac in Early Christian Art», *American Journal of Archaelogy*, Ser. II, XXVI, 1922, 159–173; Carl H. Kraeling, *The Synagogue, The Excavations at Dura Europos*, Yale Univ. Press; 1956, 46, 59.

24. A. Grabar, *L'iconcolasme byzantine* Paris, 1957, 99–103.

25. R. Gottheil, « Abraham», *Jewish Encyclopedia*, I, 1901, 90; A. J.:Wensinck, « Ibrahim», *Shorter Encyclopedia* of Islam, London, Brill, 1961. 154v5; cf. Eisenberg, *Abraham in der arab*, Legend, 1912.

26. References cited in Ettinghausen, 3–10, and in E. Cruikshank Dodd, *Art Bulletin*, 1975,269.

27. *Ibid*, 268–269. Actually a senmury and the bust of a nude woman appear at the far side of the pool: Hamilton, *Khirbet al-Mafajar*, 1959, pp. 152–153.

FOOTNOTES

1. Research on the ethrog in Palestine and on the nature of this fruit was carried out by Dighy Willard while he was a graduate student at the American University of Beirut. The present article depends frequently on his very capable contribution. Unless otherwise indicated, the photographs are by the author.

2. (العمري ، مسالك الابصار) Al-Umari, *Masalik al-Absar*, Cairo, Dar Kutub, 1924, 253–5.

3. R. Ettinghausen, *From Byzantine to Sassanian Iran and the Islamic World*, Brill, 1972, 17; hence-forth cited as Ettinghausen.

4. See E. Cruikshank Dood, The Image of the Word, *Berytus*, 1969, 35–62; a bibliography for iconoclasm will be found in A Grabar, *L'iconoclasm byzantine*, Paris, 1957, for more recent literature see *C. Byzantium*, *Emire of New Rome*, London, 1980, 266.

5. For a bibliography on floor mosaics, see. E. Kitzinger, *Byzantine Art in the Making*, London 1977, 49–52.

7. R. W. Hamilton, « Khirbet al-Mafjar: The Bath Hall Recondisored», *Levant*, X, 1978, 136.

8. *Idem.*, *Khirbet al-Mafjar*, Oxford, 1959, 336–337.

9. Ettinghausen, 35–36.

10. E. Cruikshank Dodd, *Art Bulletin*, 1975, 270.

11..See note 7.

12. For bibliography, See D. N. Wilber, *Persian Gardens and Garden Pavilians*, Rutland, Vermont and Tokyo, 1962, more recently, Wayne Begley,« The Myth of the Taj Mahal and a New Theory of its Symbolic Meaning», *Art Bulletin*, LXI, 1979, 7–37.

13. George E. Post, *Flora of Syria, Palestine and Sinal*, Beirut, 1932, I, 277. See also the following: S. Tolkowsky, *The Gateway of Palestine: A History of Jaffa*, London, 1924, 178; *Idem.*, *Hesperides; A History of the Culture and Use of Citrus Fruits*, London, 1938; L. H. Bailey, *Manual of Cultivated Plants*, N. Y., 1925, 446.

14. Also called a shaddock, Pummelo or *laymun hindi* (ليمون هندي) . As shown in the photograph, this fruit is rather like a grapefruit but the skin is much thicker. It is sweeter than the grapefruit and is pear–shaped or sometimes round; it is savoured as a delicacy. Like the *kibbad*, it is bigger than the *laymun hamid*. It should be noted that these fruits receive different nomenclature in local dialects. The definitions used here are Damascene and Lebanese.

15. Jewish literature on this subject is confused about the shape, size and nature of *citrus medica*. The Jewish Encyclopedia pictures a *laymun hmid* as an ethrog: I.N. Casanowicz,« Etrog», *Jewish Encyclopedia*, I, London, 1903. See also F. S. Bodenheimer, *Citrus Entomology in the Middle East*, The Hague, 1951, p. 1.

16. Unfamiliar to medieval travellers from the West, the ethrog, in one or more of its shapes, termed« Adam's Apple» or« Paradise Apple»; Ibid; Harlan P. Kelsey, William A. Dayton, *American Joint Committee on the Horticultural Nomenclature*, Harrisburg, Penn., 1942, 247.

The Surat–Yusuf and the traditions connected with it would not be so attractive in connection with the mosaic at Khirbet al–Mafjar were it not for the associations already connecting the Fruit of Paradise with the Garden of Eden in Jewish tradition. Here, too, the ethrog in a dream meant that one was precious before his maker (as was Jacob) and was associated with the birth of a male child (Joseph).

This paper is limited to an interpretation of a single panel in an entire decorative scheme. It was observed that the entrance to this hall was decorated with figurative sculpture of a more–or–less secular character. The sculptures of dancers at the entrance to the bath undoubtedly conveyed the physical enjoyments of Paradise,[26] whereas the interior was quite properly decorated with iconoclast symbols more suited to spiritual appreciation. Separation of physical delights from spiritual pleasures is difficult in Islam, however, for the Divine is always One, both in this world and the next.[27] Nevertheless, by their placement at the doors of the hall, the physical delights sculptured at the entrance prefigure or anticipate the pleasures of the bath. As in all ancient rituals, the bath was a cleansing agent and the symbolism of water likewise, belongs to ancient traditions. The position of the *kibbad*, the fruit, beside the water in Paradise has already been pointed out. Since the decoration inside the bath chamber was inconclast in character and non–figurative, only this panel provides it with direction and meaning. The placement evidently indicated the identity of the authority in the niche. The Person identified by the fruit and the knife was in a position of authority at the head of this Paradise, between this world among equals and the first Moslem. In this case, in the context of the Sacrifice of Abraham, the mosaic of the fruit and the knife at Khirbet al–Mafjar could be read by all who entered the hall as a proclamation of faith to the People of the Book and a re–affirmation of Islam.

The placement of the panel in front of the *kursi* in the chambre supports this suggestion ,for by its placement the mosaic gives in indication of the identity of the occupant.

Earlier interpretations of the Sacrifice of Isaac among Christians and Jews suggest a parallel but specifically Moslem explanation for the selection of this motif in the bath hall. The place to find such an explanation of this motif is the Revelation itself or in the *Hadith* based upon it. Since, for christians and Jews, the *kibbad* and the knife represented the Sacrifice of Isaac, perhaps it did also for Moslems. Abraham was the founder of the Ka'aba and the first Muslim .Celebration of the Adha, the Feast of the Sacrifice is the most significant feast in Islam and the most profound ritual occasion. The Prophet proclaimed Abraham as the 'representative of the absolute primitive religion from which Judaism and Christianity have diverged and to which Islam has returned.[25] The representation of the fruit and the knife in the panel of the bath hall would, in this case, convey to both Christians and Jews the original and legitimate authority of Islam.

There is another meaning, less precise, which may also be conveyed by this panel but which has a more popular flavour and this is the story already mentioned, the story of Yusuf, as it is told in the Kor'an and in later tradition connected with it.

The story of Yusuf in the Koran is virtually identical with the story of Joseph in the Bible except for one incident: The neighbours of Zuleika, Potiphar's wife, were gossiping about her and criticizing her for her open love of the slave Yusuf (Joseph). In order to exonerate herself, she invited the local ladies to visit her and, at a chosen moment, she summond Yusuf who appeared before them to serve them. At the sight of his beauty the ladies cut thier hands with the *knives* that they were using to cut their *fruit*. Zuleika was promptly justified. As far as she was concerned, she became an example of the lower of Truth and Beauty, love of the Divine. Yusuf was seen an example of purity and resistance to temptation and of Divine beauty. What is more, the story later arose that, before the birth of Yusuf, there stood a tree outside the house in the garden of Yakub (Jacob) This tree would produce a twig on the occasion of the birth of a son, and the tree already had eleven twigs, when, on the occasion of Yusuf's birth, it did not produce a twelfth. Yakub prayed to God, whereupon the angel Gabriel descended *from Paradise* and brought a twig that surpassed all the others by blossoming and bearing *fruit*. This Surah came thus to be associated not only with purity and beauty, but also with justice and with the heir to a new dynasty, the hope of future generations.

vish potrayals of the ethrog alone are numerous and are fully :ed eleswhere. Dionysiac or pagan examples may be traced in the 'almyra, Dura Europos, Petra, Jarash and in the mosaics of the Haue motif was then transferred into Christian iconography and, indeed ne so frequent among the mosaic of Christian church pavements as anal (see fig.15). The image of the fruit with the knife, however, is quent. It, too, occurs on Christian pavements :among the fruit in the is scrolls on a church pavement in Madeba, for example, are bran- the ethrog tree bearing several heads of fruit, single fruits, and , in ae scroll, the ethrog occurs alone with a knife (fig. 16). The same occurs on a recently uncovered church pavement in Ma'in,[21] near ι, and in a church on Mount Nebo (fig.17).[22] In this last example it is in a bowl and is accompaned by one or two knives. It would , therefore, that the iconography of the fruit and the knife was underlso by the Christian church although the special significance of this ιas not been pointed out.

rely the meaning of this symbol in Jewish art gives a clue to the mea- both Christianity and in Islam: it represents an iconcolast rendering Sacrifice of Issac. Furthermore, the Sacrifice of Issac was significant ly Christian iconography , for it was regarded as a pre-figuration of ιcifixion.[23] The story of Abraham as it occurred in the Old Testament ken up by Christians as an indication of prophecy fulfilled by the 'estament. In the fourth and fifth century scenes of the Sacrifice of were especially frequent and this scene came to signify the Risen It is therefore possible that, in the iconocast environment of Pales- the eighth century the figural images of Abraham and Issac which lly illustrated this, then were replaced by accepted non-figural sym- ymbols which had an established pre-Christian tradition, the fruit e knife; Andre Grabar has traced the development of certain Chris- onoclast symbols from Jewish prectises.[24] The fruit and the knife 's to be another example of transference of meaning and interdepen-

he possible meaning of the ehrog, for Islam, has been indicated above. nore difficult to find a specific Islamic connotation for the ethrog he knife since the motif does not, apparently, occur in other palace ures. It does not occur either among the Dome of the Rock or the yad Mosque mosaics. The fact that this motif occurs in the bath hall irbet al-Mafjar suggests, however, that it perhaps. has a more popular ss specifically spiritual connotation. Indeed, the bath hall was a place orldy affairs or affairs of state, not specifically indicated for prayer.

ethrogs, sometimes in the shape of the *kibbad*, sometimes pearshaped like the *bamuli* or even in the shape of the *laymun hamid* with the pointed protuberance at the flower and (figs.12,13). The mosaic decoration in its entirely on the walls of the Umayyad Mosque, with the architectural structures, fruit, trees and flowing water describe Paradise. In the Dome of the Rock this same fruit occurs in the soffits of the arches, along withn other Paradise fruits, but it is significantly present with the palm and the grape on the Tree of Paradise represented on the face of the arcades (fig. 14). These stylized trees are not like the more natural repersentations on the soffits of the arches of the Dome of the Rock. They are not only more stylized, more formal and«Sassanian» in character, but among other Paradise symbols they group together three ancient motifs, the palm, the grape and the ethrog on one trunk. It is significant that all three of these symbols are deeply embedded in the repertoire of Jewish and Christian tradition. Their appea rance on one tree in the Dome of the Rock is an example of the artisitc synthesis of the three religions and by this means indicates the universality and unity of Islam.

Bodheimer pointed out that the earliest documentary evidence of this type of ethrog in Palestine is a coin struck by Simon Maccabaeus in B.C. 136, which depicts an ethrog on one side and a lulab or palm frond on the reverse.[17] Apparently the symbol originated in Dionysiac festivals of renewal and fertility and was taken over by the Jews as a symbol for the feast of the Sukkoth, or Feast of the Tabernacles, the Harvest Festival that was iteslf of Dionysiac origins.[18] The use of the ethrog in Jewish symbolic vocabulary apparently sprang from the Biblical phrase « and ye shall take you on the first day the fruit of goodly trees, branches of palm trees and boughs of thick trees, and willows of the brook» (Leviticus 23:40). According to Jewish tradition, the ethrog was the Forbidden Fruit in the Garden of Eden. What is more, according to the same traditions, an ethrog in a dream is regarded as an omen that one is«precious before his maker» and, if a pregnant woman would bite into an ethrog, she will bear a male child.[19] These associations or popular traditions associated with the fruit are significant in relation to later symbolic associations in Islam. Even more noteworthy, however, is the specific image at Khirbet al-Mafjar: fruit with a knife. E. Goodenough has shown that the ethrog had not only symbolical implications of its own, but that when associated with a knife it developed even more important significance: It came to signify the Sacrifice of Isaac.[20] This last development is particularly interesting in view of the later development of this symbol in Christian and Islamic art.

still gazes with pleasure at the *kibbad* tree in the courtyard of his own house. The courtyard of an Arab house is the center of activity, the area to which all parts of the house are joined, the enclosed and magical heart of the house giving purpose and direction to all its attached rooms. In almost every Damascus house or every old house in Jerusalem, Aleppo, or in Hamathe courtyard is planted with a *kibbad* tree, whether it be an ordinary home (humble *birket*) off the street of the Salahiyeh, the great court of the Azzam palace, or the splendid panorama of *kibbad* trees planted around the modern swimming pool of the American Residence in Damascus.

The custom of planting a *kibbed* near the birket in the courtyard can be traced back to at least the first century B.C., if not much earlier. The courtyard, with the Fruit of Paradise and the Garden Underneath in which Water-flows was an earthly representation or reflection of Paradise.[12] The actual identity of the ethrog, or the fruit of Paradise, has been confused with several fruits of the citrus family , some of which apparently appeared in Palestine as early as the third century B.C. and all of which are liberally represented painting and in mosaic. The most prominent variety is a kind of lemon called by George Post a *citrus medica*,[13] and translated as *kibbad*. It is described by Post as«large, rough and pearshaped» and coming from India, along with the *citrus limon*, or *laymun hamid*. Among the variety of citrus fruits grown in the Near East, varying in shape, colour, taste and size, two are portrayed frequently in the art of Palestine, the *kibbad* (كباد) (figs.2,3,4) and the *citrus grandis* or *bamuli* (بوملي) (figs. 5,6,7).[14] The *laymun hamid*, which is called an ethrog in the *Jewish Encyclopedia*, is a different shape from the *kibbad* and considerably smaller (fig. 8).[15] Two outstanding examples of mosaic decoration from Syria in the late seventh and eighth centuries will indicate the identity and meaning of the *kibbad* as the original« ethrog», over the variety called *bamuli* or the *laymun hamid*. There is no question that the *kibbad* had a particular significance, although the other varieties of citron seem to have been identified with the *kibbad* at an early period.[16]

The *kibbad*, not the *laymun hamid*, is indicated in the mosaic of khirbet al-Mafjar and it is represented prominently in the mosaic of the Dome of the Rock in Jerusalem and in the Great Mosque of Damascus. Both these series of mosaics are only a few years earlier than the mosaics of Khirbet el-Mafjar and both provide an explanation for the *kibbad*. Of the two monuments, the Paradise garden motif of the mosaics of the Omayyad Mosque in Damascus is closest in date to the palace. Here, on the facade of the prayer hall and on the arcades in the court, the trees are hung with *kibbad* (figs. 9,10,11) and the soffits of the arches are adorned with baskets of

Secondly, Western scholars have stated that these extraordinary baths and palaces in the deserts of Jordan and Syria were luxurious playgrounds devoted to the extravagancies of pleasure-loving caliphs. Only two sources are generally cited in support of these interpretations: one is the sly writing of Alghani, an Abbasid poet, and the other is the great historian at-Tabari, who is equally suspect as far as the history of the Umayyads is concerned. It is hoped that this study of a single mosaic panel will lay the ground for more scientific and less imaginative interpretation of history and more sympathy for the genuine achievements of the Umayyad caliphate. Indeed these great constructions in the desert were not luxurious frivolities but were born on the contrary of economic and political necessity. They are evidence of an administrative system that was as efficient as it artistically brilliant. The study of this mosaic panel at Khirbet al-Mafjar shows intelligent selection within the artistic idiom of its day and proclaims to the People of the Book that the master of the palace bath obtained his poltitcal authority from God.

When the mosaic of Khirbet al-Mafjar was first published by R.W. Hamilton, in 1959, the suggestion was made that the knife on the mosaic represented the Caliph, the fruit repressented the Caliph's wife, and the emerging twig the Caliph's son. The fruit was identified as a ground or a primal Venus shape.[8] Richard Ettinghausen dispensed with these interpretations and identified this fruit as an ethrog. He said that it represented a welcoming gift to the caliph, or« a kind of local hors-d'oeuvre».[9] In a review of Ettinghausen's book, I suggested an association of this mosaic with the Surat Yusuf and with a hadith that interpreted this same Surah.[10] Meanwhile R.W. Hamilton produced another interpretation of the mosaic as an anagram so that the picture could be read as the initial letters of the Caliph's personal signature. However, Hamilton himself points out that « the pictorial signature was Without precedent in a Muslim building» (or in any other building, for that matter).[11] It would seem that we were all slightly wide of the mark. The bath hall is neither a« frivolity hall», nor an imitation of Sassanian luxury palaces. It was part of an estate erected triumphantly, perhaps, but also soberly, in local palace tradition of the Roman governors of Arabia Felix and their Christian successors. The mosaic represents an appropriate symbol in this same tradition for the Umayyad conqueror of the Empire of New Rome. Seen within the context of the historical and artistic environment of Palestine, the mosaic panel leaves no doubt about the function of the bath hall.

First and foremost, the fruit depicted in the mosaic is clearly recognizable. Every man from Damascus, Homs, Aleppo, Jerusalem or, even Beirut

Paradise and were found not only in the shrines of the Peoples of the Book, but also in pagan temples.[5] Certain specific symbols became attached to a particular creed, for example the lulab (or palm branch) for the Jew or the fish for the Christian, but even the fish and the lulab were used in both religions. Perhaps the only symbol exclusive to Christianity was the cross, with its specifically Christian implications. The Menorah, the seven branched candlestick, was specifically Jewish. Although early Moslem iconography was developing the use of the written word in religious decoration was still not developed.[6] Except in these rare instances, the Peoples of the Book in the eighth century used a common language. Many of these symbols were adapted from older Dionysiac traditions. The quotation at the head of this article, selected by R. W. Hamilton in connection with the mosaic at Khirbet al-Mafjar,[7] was taken from a 9th century description of a monastery that the Caliph al-Walid is supposed to have visited near Damascus. This is so apt a description for the mosaic under discussion, especially coming from a nearly contemporary Moslem pen, that it deserves to be given a prominent position in discussion of the mosaic in question. This discussion takes its departure from this quotation: the mosaic of the fruit and the knife is most certainly 'abstruse' in its meanings in our time and perhaps it was also challenge in its own time. Like symbolical art in any period, there may, indeed, be several meanings and the observer is free to choose the one that best suits him-this is, in fact, one of the objectives of symbolism. The following interpretation, therefore, will not give a precise meaning for the picture, but it will suggest the limits wihch an interpretation is legitimate. Such interpretation has significant implications for the understanding of Umayyad art in general, and in particular for the doceration and function of Umayyad palace architecture.

Identification and interpretation of the fruit in the mosaic at Khirbet al-Mafjar is important for two reasons: in the first place the common artistic vocabulary used in the religious precincts of Palestine in all three monotheesistic religions and even in its Dionysiac precedents is evidence of their common identification and tradition. So much emphasis has been placed on the differences between the religious traditions in this area and distinctions drawn between them that modern scholarship is inclined to ignore the fact that these radical differences were not perceived so early by those who first practised the religions and who often spoke the same or similar language, both literary and artistic. The fruit from the mosaic at Khirbet al-Mafjar is an outstanding example of symbol that had, apparently, intelligible meaning for a pagan, Jewish, Christian or Moslem viewer before the authority seated in the niche. If it is like other Omayyad decoration of this period, it proclaims the message of the Universality of Islam.

ERICA CRUIKSHANK DODD
Lebanon – A. U. B.

The Mosaic of the Fruit and the Knife in Khirbet al Mafjar.[1]

« Most of its floor is of coloured stones. And in the chapel there is a marvellous picture abstruse in its meanings.»[2]

The palace and bath of Khirbet al–Mafjar, near Jericho, are among the most impressive remains of Umayyad architecture and decoration. Latest evidence indicates that this structure was built during the reign of the Caliph Hisham in the second quarter of the 8th century and that it was destroyed by an earthquake before it was completed.[3] The largest building, which was already in use before the earthquake, was the bath complex. The main room of this elaborately decorated establishment was adorned with a floor mosaic in geometric patterns. Geometric patterns of this kind with and without figural motifs were common to floor mosaics in churches, temples and synagogues in contemporary Palestine. At the end of the hall was a nich intended for an important person to be seated. In front of this nich and surrounded by this brilliant mosaic carpet was a single figurative panel showing a bulbous, yellow fruit on a twig with leaves and a knife beside it (fig.1). Although there are other examples of figural art in the bath complex, there is no other representational mosaic in the room.

The fact that this was the only representational mosaic among the geomatric designs on the floor, and that it should be placed in such a prominent location at the head of the room, suggests that the picture must have specific meaning or associations. Religious art of Palestine in the 8th century, centering on Jerusalem and Damascus, was like the geometric mosaic on the floor of the bath, firmly inconoclastic. Although liberal representation of human figures in secular art was permitted at this period–as is shown by the sculptures in the entrance of this same hall, for example, or by the paintings in the near–by baths of Quasayı Amra–no figures were permitted in the churches, mosques or synagogues of Palestine.

Religious ideas were conveyed by a large repertoire of symbolic images. The church of the Nativity in Bethlehem, the Dome of the Rock in Jerusalem and the Great Mosque of the Umayyads in Damascus are evidence of the point.[4] Most of the non–figural images used in these religious precincts appear to have had rather loose symbolic connotations of the future life and



So the basic ideas of the plans for the madrasa are the same, but the results are different according to the different traditions in planning the house. In consequence of that fact we can state that the Syrian madrasa owes little to influence from outside because its different plans originate in local house plans.

With this result, however, we disagree with Creswell who, in case of the Egyptian madrasa, came to the same result, but assumed Egyptian influences on two madrasas in Syria, one at Damascus and the other at Jerusalem. (MAE II, pp. 131–132).

The first was founded for three classes by the Egyptian Sultan az-Zahir Baybars in 1277. Although partially destroyed (Fig. 1, S7), we are able to imagine its layout according to written descriptions. One class used the southern iwan which is at the same time the hall of prayer. The other class had an eastern iwan which must have been opposite the western entrance, that is to say in the entrance axis, and was probably protected against sun by an arcade like the entrance. The third class used a room in the corner. As the hall of prayer of this madrasa is an iwan, Creswell asserts this shows« a thoroughly Egyptian practice in striking contrast to the Syrian custom» . But he is wrong because we find the same feature in the Sahibiya at Damascus, which was not founded by an Egyptian (Fig. 1, S6). And the iwan of the Zahiriya shows that there was a second axis as in all madrasas in southern Syria.

The madrasa of the Egyptian Emir Tankiz an-Nasiri was completed in 1328/29 at Jerusalem. It constists, according to Creswell« of four liwans opening on opposite sides of a square, but the latter, instead of being open to the sky, is covered by a cross–vault». I cannot see any reason to assume the Egyptian influence on the architectural form of this madrasa because the vaulted central foom is unknown for a madrasa in Egypt at that time. But we find it in Syria in the earliest madrasa still existing at Borsa (Fig. 1, S1). If the architect of this madrasa had dispensed with the two pillars standing in the north and south side of the vaulted room, the layout would have been just the same as in the Tankiziya at Jerusalem.

As is well known, the vaulted central room occurs in the madrasas of Asia Minor, but without the four iwans opening onto it and not as early as at Borsa. Therefore it is impossible to derive the plan of this madrasa from there. We have with the madrasa with the vaulted central room and the iwan like rooms around it the result of a third tradition in planning the madrasa coexisting with the traditions in the regions of Damascus and Aleppo. In our present knowledge we cannot trace this plan back to a possible prototype which must be assmued to have been a medieval house plan. But I am convinced that the house plan defines the plans of the madrasa in the region of Palestine.

another side and, to gain the desired order of all parts around the court, the madrasa has to have a second iwan as a counterpart to the first.

In this way the plans of the madrasas in the south of Syria appear to be laid out on two axes at right angles to each other in significant contrast to the madrasas in the north. There the plans are based on a single axis emphasizing either the iwan and the hall of prayer or the latter and the entrance (Fig. 2). Even those very peculiar plans of the Djami' Madrasa and the two–class madrasa follow this principle of planning (N4 and N5). This shows that we have different customs in building a madrasa in the two regions.

Now customs in architecture generally mean traditions. If we look for such traditions to recognize the possible prototypes for the different plans of the madrasa, we find the same different architectural features in the Syrian dwelling house as far as we can trace it back. The different plans of the house at Damascus and at Aleppo were recently pointed out by Kassem Toueir. (Die Malereien des Aleppo – Zimmers in Islamischen Museum Zu Berlin, KuOr VI, 1969 1–13). The house of Aleppo generally has a single iwan in the south side of the court, the north side being occupied by the qa'a. The qa'a is in ground–plan T– shaped, and a dome covers its centre. At Damascus the qa'a is more simple, but we have here beside the iwan in the south side of the court two smaller iwan or niches in the west and east side of the court. So the court of the house at Damascus can be considered as laid out on two axes whilst the Aleppine house shows one only. That is the principle of planning for the madrasa too in both different regions.

There is only one difference in the house the iwan always is in the south part, but not in the madrasa. But this feature is easy to explain. The madrasa needs a hall of prayer which must be oriented correctly according to the qibla. Therefore the south side of the court is required for the hall of prayer and is blocked for an iwan. Its final arrangement depends on the situation of the entrance.

At Damascus the entrances always are in the centre of one side of the court of the madrasa. If this is the north side, the entrance and the hall of prayer are arranged in one axis and two iwans in the other. If the madrasa is entered from east or west, the entrance hall is equalized in span with an iwan opposite from it, and the hall of prayer is arranged opposite a great iwan serving as the temporary lecture hall. This latter arrangement we find too in the madrasa of the north, but without a special entrance hall and without a second iwan. In such cases the court is entered in a corner and this is the straight modification of the Aleppine house which has one iwan only opposite the qa'a. If in the north a madrasa is entered in the centre of the north side, the architect dispenses either with the iwan or with symmetry in the plan.

ching inside the building. Indeed we find those halls behind the cells in both sides of the court, the foundations of them excavated by Laufray in 1944. (Laufray, une madrasa ayyoubide de la Syrie du Nord–la Soultaniya d'Alep, AAs III, 1953 PP. 49–66). Only on condition that these halls were the lecture halls, the Sultaniya could fulfil the functions of an institute for two classes. Therefore we see that actually there is a difference between a madrasa for one or for two classes–but not a correspondence of the numbers of classes and iwans.

The only explanation I can give is that the single iwan, facing generally in the sourthern direction, is entirely unsuitable for teaching during the summertime because it is completely unprotected against the hot sun. Therefore we have to assume that the hall of prayer was used also as a temporary lecture hall. But this solution is possible for one class only, because two classes cannot divide between themselves either the hall of prayer or the iwan. So the two–class madrasa must be provided with special halls for teaching which are suitable for this function during the whole year.

This explanation is confirmed by the only northern madrasa built for one class and provided with two iwans. The Djami' and Madrasa at Aleppo–Firdaus (Fig. 2), N5) shows one iwan facing into the court and one iwan, situated back to back against the other, facing in the northern direction. As this building was at the same time a mosque and a madrasa its hall of prayer was intended exclusively for prayer and could not be used alternately as a lecture hall. Therefore the building had to be provided with a special iwan for teaching during summertime and consequently facing in the other direction to be protected against the sun.

The principle of using the iwan and the hall of prayer alternately as the lecture hall holds good even for the one–class madrasa at Damascus. For we see that in the case of the great iwan arranged opposite to the hall of prayer, it is equal in ground–space with the latter (Fig. 1, S3, S4), whilst the other iwans are distinctly smaller. Therefore the great iwan served as the temporary lecture hall. This is the reason why, in the madrasa of Nur ad-Din, the small iwan contains a spout for water and a channel which makes this iwan unfit for lecture functions. But we see that it is of the same width as the hall of the entrance. So we must assume that the southern custom of providing the madrasa with two iwans is not called for by the function of the building, but is a purely architecutral idea to arrange all parts around the court in a balanced order.

This is the starting–point to explain the layout of the smaller madrasa of the southern region showing generally two iwans of equal span beside the hall of prayer (Fig. 1, S1, S6, and relatively S2, S5). In each example this madrasa the entrance is situated opposite the hall of prayer blocking the north side of the court for any other hall. The iwan therefore must be placed to

S7 Damascus Madrasa az-Zahiriya	1277	3	?	?	?	+
N1 Aleppo Madrasa of Shadbakht	1193	1	1			+
N2 Ma'arrat an-Nu'man Madrasa for the Shafeyites	1199	1	1			+
N3 Aleppo-Firdaus Madrasa az-Zahiriya	1220	1	1			+
N4 Aleppo Madrasa as-Sultaniye	1223/24	2	0	0	0	+
N5 Aleppo-Firdaus Djami' and Madrasa	1235	1	2	(back to back)		+
N6 Aleppo Madrasa Ash-Sharafiya	c. 1250	1	1?			+
N7 Aleppo Madra al-Kamiliya	13th.C.	?	1			+

Secondly there is a significant difference between the madrasas from the south and from the north: in the south all madrasas have more than one iwan– indeed they have at least two and in case the hall of prayer is an iwan too we find three iwans; the northern madrasa shows one iwan only facing into the court or dispenses with the iwan in the only case of the two–class madrasa. So we have to conclude that there are two different principles of planning for the madrasa in Syria.

In consequence of the fact that every madrasa built for one class only has at least one iwan, and that in some cases this iwan is the only hall in addition to the hall of prayer, this iwan must have served as the lecture hall. But we have with the Sultaniya at Aleppo a madrasa for two classes without iwan (Fig. 2, N4). This madrasa must have been provided with special halls for tea-

So we have to investigate the whole material in an unprejudiced way and because I will accept for the first step of investigation the limitation set by Creswell to the time before 1300, the list of monuments comprises 13 madrasas. I arrange their plans according to their sites in two groups: one for the southern region (Fig. 1) and one for the northern region (Fig. 2). Within this arrangement I give them numbers according to their dates of foundation. To the 6 madrasas of the southern region I add for later consideration the Zahiriya of Damascus. To have a first comparison concerning the numbers of classes and iwans I tabulate these data (see list below).

First we see that there is no simple relation between the numbers of classes held in a madrasa and the the numbers of its iwan. We have madrasas for one class only with one or two or even three iwan–and the unique madrasa for two classes has no iwans at all:

List of Madrasas with Dates, Classes and important Features

No. Place and Name	Dates	classes	Iwans great	Iwans small	Iwan equal	Hall of Prayers
S1 Bosra M. of Abu Mansur Kumushtakin	1136	1	1	—	2	+
S2 Damascus Dar al-Hadith of Nur ad-Din	1154	1	—	—	2?	+
S3 Damascus Madrasa of Nur ad-Din	1172	1	1	1	—	+
S4 Damascus Madrasa al-Adiliya	1172	1	1	1	—	+
S5 Damascus Madrasa Al-Maridjaniya	1213/14	1	—	—	(2)	+
S6 Damascus Madrasa as-Sahibiya	1240	1	—	—	2	+

In 1943 Herzfeld tried to contest Creswell's theory . He showed that, at least at Damascus, there were built madrasas in Creswell's criciform style before the madrasa entered Egypt. As for Creswell's argument that the cruciform plan depends on the number of four classes and therefore could not have been realized in Syria or Palestine, Herzfeld produced the plans of several madrasas for one class only which had more than one iwan and stated: « Never is there architectural distinction between a madrasa for one or for two rites» (Damascus, Studies in Architecture, Ars Islamica X,p. 14).

Creswell answered this criticism in 1959 and, although having added some of the plans of Syrian madrasas produced by Herzfeld, restated his theory without alteration. He asserted: « If we consult medieval witnesses we shall find ample justification for my theory that each rite (whether one only or two) was provided with a liwan and conversely, that each liwan implied a rite» (The Origin of the Cruciform Flan of Cairene Madrasas, MAE II, P. 121).

The statements of Creswell and Herzfeld show us that the problem cannot be solved without knowledge of the methods of planning the madrasa in Syrian and Palestine. Our first step must be to prove the consistence of those statements with reality.

Creswell's interpretation of the historical references concerning the iwan implies that each iwan was a hall opened to the court. But we know that the term means a hall without a specific form. And the examples Creswell adduces to confirm his theory of the correspondence of the numbers of iwans and classes concern, in six of seven cases, madrasas built in Egypt and Iraq. All seven examples were schools for more than one rite or class. Therefore these references do not hold good for the one–class–madrasa in Syria.

Although Creswell asserts his material is complete :« These thirteen madrasas, nearly all of which are exactly dated, comprise all known to me in Syria or Palestine, dating from before A.D. 1270» (MAE II, P. 107), he omits two well–preserved monuments of Damascus. Their plans had been produced by Herzfeld who could not give the dates of foundation. But these dates we find in Creswell's own list. There is no reason to exclude them from consideration. On the other hand two of the madrasas Creswell adduces do not provide sufficient data formations.

Herzfeld however did not make full use of the results of Creswell's research work concerning the madrasa of the north region of Syria. He could not deny that there the madrasa actually had one iwan only if it was built for one class, but he passed over that in silence.

JOHANN GEORG SCHMID
(W. Germany)

THE ORIGIN OF THE DIFFERENT PLANS OF THE MEDIEVAL MADRASA IN SYRIA AND PALESTINE

Amongst the medieval Muslim institutions of learning the madrasa deserves a special notice. Established in Persia in the early eleventh century as an institution for one of the four principal rites of law schools, the madrasa spread over the whole Muslim world. The first madrasa for two rites or classes was built at Damascus during the times of Nur ad-Din and from Syria the madrasa was brought to Egypt by Salah ad-Din. As for the origin of the architectural forms of the madrasa we have two theories which are naturally exclusive.

The general plan of a madrasa comprises a central court, a hall of prayer, one or several halls for teaching, sometimes opened to the court as an iwan, and rows of cells for the students. These elements are produced by the functions of the institution which brought together the mosque, the college and the living quarters into an architectural unity. But within this unity we have specific architectural features.

At the beginning of this century there was general agreement that the plan of a madrasa was based on the central court flanked by four iwans forming the branches of a cross. This« cruciform» which is shown by some famous schools at Cairo was considered to be imported from Persia by way of Syria, in spite of fact that there does not exist a Persia madrasa built in the eleventh or twelfth century. But the plan with four iwans around a court was quite common in Persia for houses, palaces, caravanserails, ribats, mosques and even for the madrasa later on.

It was Creswell who, in 1922, first challenged this explanation. (The Origin of the Cruciform Plan of Cairene Madrasas, B.I.F.A.O., XXI, pp. 1–54). He showed that generally the Syrian madrasa was not cruciform as the Cairene madrasa, because the hall of prayer in the Syrian madrasa was not an iwan but a laterally developed hall with a triple–arched facade. Beyond that he found in most cases one iwan only and assumed that two iwans occurred in those madrasas which were founded for two rites. And, as he proved by historical references that at Aleppo, Damascus and Jerusalem the madrasa had in most cases one class only and no madrasa with four classes was founded in Syria or Palestine before such an institution was founded in Egypt, he concluded that the cruciform plan is Egyptian in origin.



خيرية قاسمية

جامعة دمشق – قسم التاريخ

عرض لتاريخ مدينة حيفا[1] حتى الحرب العالمية الأولى

آ – مقدمة :

تقع مدينة حيفا على خط عرض ٤٩–٣٢° شمالاً وخط طول ٣٥° شرقي غرينتش على الساحل الجنوبي لخليج عكا ، لاصقة بجبل الكرمل[2] ، الذي يمتد رأسه الشهير نحو البحر بانحدار متدرج . وموقع المدينة موغل في القدم ، وتميز عبر العصور التاريخية بسهولة تحصينه وصلاحه للرسوّ . وبكونه بوابة الأراضي الداخلية الخصبة ، لأن طرقاً عديدة تفضي اليه .

وقد اختلفت الروايات حول تحديد موقع المدينة التاريخية ، وحول اشتقاق الاسم[3] ، وأكثر الروايات دقة هي أن (حيفا العتيقة) القريبة من رأس الجبل على بعد /٢/ كلم من حيفا الحالية جنوباً (عند رأس الكروم) هي الموقع الذي ظل مأهولاً منذ فجر التاريخ حتى عام ١٧٦١ م[4] ، أما اسمها فالأغلب أنه مشتق من الجذر العربي (الحَيف) أو (الحيفَ) وهو حد الحجر الجارح ، وقيل انها دعيت بذلك لوقوعها على شاطىء البحر عند الصخور الكبيرة[5] .

وتنظر الأديان الثلاثة للمدينة نظرة تقدير لما تحويه من آثار وما ترتبط به من ذكريات دينية وتاريخية .

ب – حيفا في التاريخ القديم :

عثر الباحثون في جوانب الكرمل[6] على نماذج من المستحاثات معاصرة للفترة

الابوسونية « Euson » ، وبعضها تعود إلى فترة أكثر قدماً بعض الأصداف المتحجرة وقد أهلت منطقة جبل الكرمل منذ العصر الحجري القديم واكتشفت في مغاور الجبل وكهوفه بقايا هياكل بشرية ، كما عثر على قبور بجانب طريق الناصرة وفي مغارة الواد قرب عتليت ، تعود إلى العصر الحجري القديم والوسيط[٧] .

أما في عصور التاريخ ، فأول من سكن منطقة حيفا هم الكنعانيون (الفينيقيون) الذين عمروها وبنوا المدن والقرى ومنها حيفا ، وكانت احدى مدنهم الساحلية الهامة[٨] . وبقي من البلدة الكنعانية (الفينيقية) مدافن قديمة منحوتة في الصخور ونواويس حجرية على المنحدرات القريبة من سفح الكرمل[٩] .

وعلى شواطىء حيفا نشبت معركة بين المصريين (في عهد رمسيس) ١١٩١ ق.م والفلستين (القادمين من بحر ايجة) الذين امتلكوا الساحل من جنوب الكرمل حتى غزة [١٠] .

ومنذ أوائل القرن الثاني عشر وأوائل القرن العاشر ق.م وقع جزء من أرض فلسطين الداخلية بيد العبرانيين وقد خصّ يشوع بن نون (سبط منسّا) بالساحل شمال الكرمل . ومع ذلك لم يستطع العبرانيون مدّ نفوذهم الفعلي نحو الساحل الشمالي وظلت حيفا احدى الموانىء الفينيقية المزدهرة[١١] ، ولم يرد ذكر لحيفا في التوراة ، ولكنها وردت في التلمود (العبرانية المستحدثة) على صورة سيفا ومعناها الفرضة والمرفأ[١٢] . ومن هذه الفترة اكتشفت عدة نواويس من الحجارة الرملية المطلية بالملاط [١٣] .

وتوالت على المدينة بعد ذلك سائر الدول والأمم التي تغلبت على فلسطين : الآشوريون ، الكلدانيون ، الفرس ، اليونان والسلوقيون ، فزهت وخربت مراراً[١٤].

ودخلت حيفا في حكم الرومان بعد احتلال بمبيوس لفلسطين (في القرن الأول قبل الميلاد) . وكانت خرابا وما لبثت أن ازدهرت . وقد دعاها الكتاب اليونان والرومان باسم « Sycaminom [١٥] و « Sycamine] باليونانية تعني شجرة التوت ، ولعلها دعيت كذلك لكثرة التوت بها [١٦] . وأحياناً سموها «Porphyrion»[١٧] والمشتق من

كلمة «Porphyra» اليونانية بمعنى الأرجوان ، وقد يعني الاسم صدف الأرجوان . ويطابق هذا الاسم «Murex» اليونانية أو « Chilzon » (أي حلزون) العربية السامية وهو نوع من الرخويات البحرية التي تنتج صبغا أرجوانياً وهي كثيرة في سواحل فينيقيا من لحف الكرمل جنوباً إلى ماوراء صيدا شمالاً[١٨] .

وقد اختلف الباحثون فيما بعد[١٩] حول تطابق هذين الاسمين على موقع المدينة القديمة ، وقد ميزوا بين آثار عدة مدن متقاربة تتوضع على ساحل خليج عكا ويحدث التداخل في تحديد مواقعها وفي تسمياتها : الأولى هي (حيفا العتيقة) أي الموقع القديم للمدينة الكنعانية التي تتوضع على الجانب الشرقي من اللسان الأرضي الممتد شمالاً من الكرمل .

والثانية «Sycaminum» التي تقع تحت موقع يسمى تل السمك وهو تل بارز يقع على الساحل غربي حيفا العتيقة وجنوب رأس الكرمل[٢٠] . ويشرف على الطريق الساحلي ، وربما سمي كذلك نظراً للكميات الهائلة من الأصداف البحرية حول قاعدته ، أو تحريف من الاسم اليوناني «Sycaminum» إلى اسم عربي أو من الاسم « Shikma » « بمعنى الجميز[٢١] .

والثالثة هي «Porphyreon» التي يجزم بعضهم أنها لاتطابق موقع حيفا وانما تشير إلى مدينة شمالي صيدا (على بعد ٨ أميال منها)[٢٢] ، بينما يقول الآخرون إنها ربما تطابق موقع مدينة أخرى باسم «Chilzon» التي تعني باليونانية «Murex» وتقابل (حلزون) العربية . وآثار هذه المدينة متميزة عن آثار حيفا العتيقة وقد نطابق وادي الحلزون في منطقة حيفا[٢٣] .

وقد وجدت عدة آثار من العصر الروماني في مواقع متعددة منها بعض معاصر الخمر على جبل الكرمل[٢٤] كما عثر في حيفا العتيقة (على عمق ٥ أقدام) على بقايا حمام روماني صغير مؤلف من أرضية جميلة من الفسيفساء البيضاء المثبته بالملاط الجيد ، وعلى حوض محفور في الصخر (٤ أقدام مربعة بعمق ٨ بوصات) تلاصقه قناتان محفورتان في الصخر الأولى تتجه غرباً ، والثانية نحو الجنوب الغربي وتكسو الحوض والأقنية طبقة من الملاط المخلوط بالآجر الاحمر[٢٥] .

وقد عثر بين حدائق (حيفا العتيقة) على أرضيات مرصوفة بالفسيفساء وحجارة منحوتة وقطع نقدية ذهبية وأساسات أبنية ، وآثار ميناء صغير[٢٦] ، بجانب الطريق العمومي ، وبجانب تل السمك موقع آخر اسمه Shigmona — شيقومونا — هو تحريف Shikma اليونانية بمعنى (الجميز) — يحتوي على جدار حظيرة ونحت في الصخور في الشرق والجنوب ومدافن منقورة في الصخر وإلى الجنوب أحواض معصرة خمر ، أرضها مرصوفة بالفسيفساء[٢٧] .

وقد ارتبطت مدينة حيفا بعدة مناسبات وأحداث دينية ، فيقال ان النبيين الياس واليسع علّما تلاميذهما الديانة الحقيقية في المكان الذي أصبح يطلق عليه اسم (الخضر) (قرب الفناربين تل السمك ورأس الكروم)[٢٨] وإن النبي الياس انتصر على أعدائه الوثنيين من اليهود فوق قمة الكرمل (أخذ بعضهم يدعونه أحياناً باسم جبل مار الياس)[٢٩] ويذكر الانجيل ان السيد المسيح وطىء أرض حيفا وباركها بمروره في طريقه مع السيدة مريم العذراء من مصر إلى الناصرة[٣٠] . وحفل جبل الكرمل منذ ظهور المسيحية بالنسّاك والموحدين[٣١] .

ج — حيفا بعد الفتح العربي الاسلامي

يبدو أنه لم يكن لحيفا أهمية تذكر خلال الفتح العربي الاسلامي لبلاد الشام ، فلم يرد اسمها في مصادر الفتح ، ومن المؤكد أنها صارت إلى العرب بعد تسليم قيسارية لمعاوية في ١٩ هـ ٦٤٠ م . ومن القبائل العربية التي نزلت فلسطين بعد الفتح واستقرت في حيفا وأطرافها قبيلة جذام بني عامر بني لام (من العرب القطحانية) وبني مخزوم القرشية[٣٢] .

وأقدم ذكر للمدينة في المصادر الاسلامية جاء في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ذكرها الرحالة ناصر خسرو (ت ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠ م) في سفرنامة بقوله : « ثم غادرتها (أي عكة) ، إلى قرية تسمى حيفا في طريق به كثير من الرمل الذي يستخدمه صياغ العجم والمسمى بالرمل العكي . وحيفا مشيدة على البحر وبها نخل وأشجار كثيرة . وهناك عمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي»[٣٣] .

ولا شك ان مدينة عكا كانت تبزّ حيفا بعد الفتح العربي ولا يعني هذا اهمال الأخيرة ، فقد أخذ العرب بتحصينها ، ونظروا إلى جبل الكرمل نظرة تقدير وأطلقوا عليه اسم جبل مار الياس ، لما شهده الموقع من حياة النبي الياس وعمله ، واقيم مسجد على المكان المسمى (الخضر) أو مدرسة الأنبياء . وربما تعود آثار بلدة Temmaneh أو Tinany شرقي تل السمك ، إلى فترة اسلامية مبكرة ، وقد عثر قرب جدارها الشرقي على قطعة رخام منقوش عليها بعض الحروف العربية القديمة قرئ بينها كلمة « الله »[٣٤]

د ـ حيفا خلال حروب الفرنجة

لما قدم الفرنجة إلى الأراضي المقدسة ٤٩٤ هـ ١٠٩٩ م مرّوا قرب أسوار عكا وحيفا في طريقهم إلى بيت المقدس ملتزمين الساحل ، وبعد استيلاء الفرنجة على بيت المقدس ظلت حيفا تابعة للدولة الفاطمية ، وبها حامية صغيرة في برجها الرئيسي ، ولم يتمكن الفرنجة من احتلالها إلا بعد حصار خمسة عشر يوماً بمساعدة أسطول بندقي ، وسقطت في ٢٥ تموز ١١٠٠ م وهرب إلى عكا وقيسارية من استطاع النجاة وقتل الباقي . وقد جعلها عودوفروا دي بويون تحت إمارة تنكريد مع طبرية وبلاد الجليل[٣٥] . وإلى حيفا يشير ياقوت الحموي بقوله انها « حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه (كندفري) الذي ملك القدس في ٤٩٤ هـ[٣٦] .

وأصبحت حيفا منفذاً بحرياً لإمارة الجليل الصليبية ، وأطلق عليها في تلك الفترة اسم «Cayphas» (واشتق منها اسم Caiffa الفرنجية الحديثة) . وللصليبيين آراء غريبة حول اشتقاق الاسم ، فيعزو بعضهم بناءها إلى القس الأكبر «Caiphas» الصدوقي ، وسميت نسبة اليه ، وآخرون يفترضون ان لاسمها علاقة بكلمة «Cephas» إشارة إلى وجود الحجارة في الموقع[٣٧] ، وقد أطلق الفرنجة عليها أحياناً اسم «Porphyreon» وأحياناً اسم «Sycaminum» رغم عدم تطابق الاسمين على موقع المدينة[٣٨] . كما أشاروا في بعض الأحيان إلى موقع شرقي حيفا عند نهر المقطع باسم «Palmarea» (أي مدينة النخيل) نسبة لوجود أشجار النخيل[٣٩] .

وقد ورد وصف المدينة بعد استيلاء الفرنجة عليها في روايات الحجاج والرحالة

المسيحيين الذين قدموا فلسطين[٤٠] وأشار الحاخام بنيامين من طليطلة عام ١١٦٣ م إلى مدينة «Kafifa» في رحلاته ، وإلى أن جانباً من هذه المدينة يتوضع على الساحل في حين يشرف جبل الكرمل على الجانب الآخر . وانه قرب قمة الجبل يوجد كهف النبي الياس وقد بنى المسيحيون كنيسة قرب الموقع وسموه القديس الياس[٤١] . وربما إلى الفترة الصليبية يعود كشف عمود غرانيتي له تاج مرمري . وقد يكون أحد أعمدة كنيسة « القبر المقدس » التي تشير اليها الأدبيات الصليبية[٤٢] .

وإلى الفترة الصليبية أيضاً تعود بقايا القاعة التي بناها الفرنجة في جنوب المدينة عند (خربة رشميا) غرب نفي شعنان . وتحتوي على انقاض بناء مستطيل فيه برج مدافن منقورة في الصخر وصهاريج[٤٣] .

ومع أن الصليبيين قد جعلوا من عكا ميناءهم الرئيسي[٤٤] ، إلا أن وصف الجغرافي العربي الشريف الادريسي (توفي ٥٦٠ هـ ١١٦٠ م) لمدينة حيفا يشير إلى أهمية حيفا أيضاً تحت حكم الفرنجة فيقول « ومن قيسارية إلى مدينة حيفا على الساحل يومان وحيفا تحت طرف الكرمل وهو طرف خارج في البحر وبه مرسى لإرساء الأساطيل وغيرها . ومدينة حيفا هي فرضة لطبرية وبينهما ثلاث مراحل خفاف »[٤٥] .

وقد ظلت حيفا بيد الفرنجة حتى عام ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م فعادت لأصحابها بعد انتصار صلاح الدين في حطين وخضوع عكا في ١٢ تموز وسقوط جميع المدن الصغيرة على الساحل جنوبها . ويشير ياقوت إلى أن حصن حيفا بقي في أيدي الفرنجة » إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في ٥٧٣ هـ وخرّبه»[٤٦] . ويذكر استرجاع حيفا العماد الاصفهاني محمد بن صفي الدين (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) في كتابه « الفتح القسّي في الفتح القدسي » وانها استسلمت إلى بدر الدين دلدرم وغرس الدين قايج بعد فتحهم قيسارية[٤٧] .

ولم تمكث حيفا طويلاً بيد المسلمين فقد استرجعها الفرنجة ثانية ١١٩١ م مع عكا وصيدا . ولم يكن صلاح الدين قد ترك للصليبيين فيها شيئاً من اسوارها وحصونها . وقد عمل الصليبيون على إعادة بنائها وشن العرب المسلمون هجماتهم على معسكر ريتشارد قلب الأسد عند مصب نهر المقطع شرق حيفا (قرب مدينة «Palmaraea» [٤٨] .

وبموجب صلح الرملة (١١٩٢) م كانت حيفا ضمن المنطقة الساحلية (من صور حتى يافا) التي عهد بحكمها للفرنجة .

وفي هذه الفترة تأسست على جبل الكرمل رهبانية الكرمل ، او طريقة الكرمليين اذ بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس كثر النساك والرهبان حول الجبل ، وطلبوا في /١٢١٢ م / من بطريرك عكا ان يرسم لهم قانوناً لرهبانيتهم فتأسست رهبانية الكرمل وكثر اتباعها وانتشروا في أنحاء اوروبا(٤٩) .

وفي عامي ١٢٥٠، ١٢٥١ م اهتم لويس التاسع بتحصين قلعة حيفا وقيسارية حتى هاجمها الظاهر بيبرس في ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م وفر الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها فدخلها (الأمراء) وقتلوا عدداً من الفرنج وخربوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها وعادوا ومعهم الأسرى (والرؤوس)(٥٠) .

ويبدو أن الفرنجة قد عادوا لحيفا فاستردها الملك الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون مع عكا وصور وصيدا في عام ١٢٩١ م ، وأنهى بذلك الوجود الفرنجي في فلسطين ، وأوقع بحيفا الخراب كغيرها من المدن الساحلية حتى لايستفيد منها العدو . ويؤكد هذه الصورة من الخراب القلقشندي في وصفه لحيفا بقوله « وهي « وهي خراب على الساحل » (٥١) .

هـ ـ حيفا في العهد العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر(٥٢) :

انتقلت حيفا إلى الحكم العثماني مع بقية بلاد الشام في عهد سليم الأول /١٥١٦ م/ وكانت قرية صغيرة تتبع سنجق (لواء) اللجون الذي هو بالتالي أحد ألوية ولاية دمشق الشام ، وأشار اليها البحارة العثماني بيري محي الدين ريس في مؤلفه « كتاب بحرية » (الذي قدم سنة ٩٣٢ هـ ١٥٢٥ م) إلى سليمان القانوني بأن قلعتها مدمرة لكن ميناءها يصلح للرسو .

وقد شهدت حيفا منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر كسائر الساحل الشامي عملية إعادة الاعمار ، إلا أن إعمار حيفا كان بطيئاً إذ لم تعمد أسرة آل طراباي (الأسرة

الحارثية ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م – ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م والتي كانت بلدة حيفا ضمن اقطاعها ، إلى اتباع نفس خطوات التطور السريع التي أقدم عليها معاصرهم فخر الدين المعني في موانىء بيروت وصيدا وعكا . وقد لحق حيفا ضرر بالغ نتيجة للصراع الذي نشب بين الأمير فخر الدين المعني والأمير أحمد الحارثي للسيطرة على شمال فلسطين ، حتى حصل الاتفاق بينهما ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٤ م على « ان الأمير فخر الدين بن معن يرفع سكمانيته من برج حيفا وان احمد بن طراباي يمنع عربانه من التخريب في بلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعد ففعل كل منهما ذلك غير أن الأمير أحمد بن طراباي ارسل من هدم برج حيفا المذكور بعد خروج السكمانية منه ومشت الدروب بين بلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد أحد يتعرض إلى أحد (٥٣) .

وظلت حيفا جزءاً من سنجق الجون التابع اولاية دمشق رغم إحداث ولاية صيدا في القرن السابع عشر ، مع العلم ان مساحات كثيرة من الأراضي المحيطة بحيفا بما في ذلك خليجها الشامي ، قد ضمّت إلى أراضي الولاية الجديدة . ويبدو أن بعدها عن السلطة في دمشق قد جعل منها مركزاً للتجارة المهربة حتى أصبح يطلق عليها اسم « مالطة الصغرى » (٥٤) ، فأخذت السفن تقصدها متجاوزة عكا وصيدا وعلى الأغلب للتهرب من دفع الضرائب المستحقة ، أو لشراء مواد لم تكن الدولة تسمح بالمتاجرة بها . وقررت الدولة العثمانية منذ ١٧١٦ م بناء عدد من الأبراج حول ميناء حيفا لوضع حد للتهريب ولهجمات القراصنة من منطقة شرقي المتوسط .

وقد تولى عثمان باشا ابو طوق والي صيدا الاشراف على التنفيذ فعمر البرج على الجهة الشرقية /١٧٢٣ م/ والبرج الآخر على الجهة الغربية من الميناء /١٧٢٥ م/ ، وأقام في كل منهما ستة وثمانين من جنود المدفعية وثلاثين من الجبجية (الجنود الذين يلبسون الدروع) . وفي عام /١٧٢٥ م/ ضمت حيفا والطنطورة إلى ولاية صيدا أو منذ ذلك الحين سارت حركة العمران فيها بشكل مماثل لتجارب أخرى في السواحل الشامية من أجل توفير الأمن والحماية فازدهرت تجارياً وعمرانياً بعد أن كانت مهجورة منذ اخراج الصليبيين منها /١٢٩١ م/(٥٥) .

وقد سارت حركة العمران في حيفا بشكل متسارع منذ منتصف القرن الثامن عشر حين تقدم الشيخ ظاهر العمر من بلاد الجليل نحو عكا فملكها وحصنها(٥٦) واستولى

على حيفا ، ولما وجد المدينة القديمة لاتفي بمرامه ، عمد عام ١٧٦١ م إلى هدمها، يقول مؤرخ حيانه « وخربها ، وبنى قريباً منها بربع ساعة على آخر حدوده بلداً دعاها حينئذ العمارة الجديدة(٥٧) ، حتى غلب عليها بعد ذلك اسم « حيفا الجديدة » . ويضيف المؤرخ أن ظاهراً كان يقول « أنه فعل ذلك خوفاً من القرصان الكفار » المراد بهم فرسان مالطة الذين كانوا يحمون تجارة اوروبا في البحر . هذا الموقع الجديد الذي بني عام ١٧٦١ م كان عند نهاية الخليج على بعد مسيرة ١٥ — ٢٠ دقيقة إلى الجنوب الشرقي من المدينة السابقة ، (بحيث أصبحت أكثر قرباً من عكا) .

وأكمل تحصين حيفا فبنى سورا حول المدينة له بوابتان وبرجا على نتوء صخري يشرف على المدينة من الناحية الجنوبية . وشيد ابناء الشيخ ظاهر الجامع والسراي في المدينة . واضطر أهل « حيفا العتيقة » إلى أن ينتقلوا إلى المدينة الجديدة داخل الاسوار ، واتخذوا لبنائها حجارة البلدة السابقة .

وابتدأ منذ ذلك تاريخ حيفا الجديدة(٥٨) .

وعند اقتراب الحملة الفرنسية جلا احمد الجزار عن المدينة بعد أن اخلاها من المدافع والذخائر . وفي ١٦ آدار ١٧٩٩م تقدم كليبر نحو المدينة ووضع حامية في القلعة . وقام نابليون بقيادته على جبل الكرمل ، كما اتخذ دير الكرمايين(٥٩) على قمة الجبل مستشفى لجرحاه والمصابين بالطاعون أثناء حصار عكا .

ورست في ميناء حيفا بعض قطع الاسطول البريطاني بقيادة سدني سميث الذي كان يراقب عملية حصار نابليون لمدينة عكا(٦٠) . وكان على الجيش الفرنسي أن يقيم جسور ميدان ليعبر نهري المقطع والنعامين ، وهو في طريقه من حيفا إلى عكا . ووصل الجيش الفرنسي المتقهقر من عكا إلى حيفا بحالة سيئة وأمر نابليون بدفن مدافع الحصار أو القائها في البحر ، كما أحرق العربات(٦١) ، وكذلك أمر باحراق الدير الكرملي(٦٢) .

وفي عام ١٢٢٧ هـ/١٨٣١ م ظهرت قوات ابراهيم باشا عند ساحل حيفا ، واستولى على المدينة فجأة ، وفي حيفا عقد مجلس حربي في ٢٩ تشرين ثاني واتخذت

القرارات لحصار عكا[٦٣] . وخلال حكم ابراهيم باشا في سورية زار الشاعر الفرنسي الفونس دي لامارتين في ٢٠ تشرين أول ١٨٣٢ م مدينة حيفا (وهو يسميها Kaipha وتغنى بروعة خليجها وسهلها وجبلها ومناظرها الخلابة[٦٤] .

وكانت فلسطين قد شهدت خلال فترة حكم ابراهيم باشا تزايد اهتمام الدول الأوربية ، فتدفقت اليها الارساليات الأجنبية ، وبدأ التعرف على أحوالها الجغرافية وطبوغرافيتها ، وجمع المعلومات عن أماكنها المقدسة وآثارها ، وكان الاهتمام الديني والعلمي جانباً فقط من التطلعات السياسية والتجارية لهذه الدول[٦٥] .

وكان من بين الذين قدموا إلى فلسطين ١٨٣٨م قس أمريكي هو ادوارد روبنسون (كان مهتماً بالطبوغرافية التوراتية) ، وخلال رحلاته في فلسطين وصف مدينة حيفا بأنها ذات تجارة هامة على سفح الكرمل . وانها قد تكون المدينة القديمة «Sycaminum» ووصف خصب وغنى سلسلة الكرمل الممتدة من البحر نحو الجنوب الشرقي [٦٦] .

وخلال هذه الفترة أيضاً بدأت زراعة القطن في سهل عكا الكبير شمال حيفا (بين نهري المقطع والنعامين)[٦٧] . وقد أصاب حيفا كثير من الخراب نتيجة لقصف مدفعية الاسطولين البريطاني والنمساوي لقوات ابراهيم باشا /١٨٤٠/ م [٦٨] . وعادت حيفا إلى السلطة العثمانية بعد معاهدة لندن وانسحاب محمد علي من سوريا .

و ـ تطور حيفا أواخر الحكم العثماني : « منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب الأولى » :

أخذت حيفا منذ منتصف القرن التاسع عشر تنمو نمواً سريعاً ، وبدأت السفن تقصد مرفأها الصغير على حساب مرفأ عكا نظراً لملاءمة موقعه بالنسبة للأراضي الداخلية الخصبة (مرج ابن عامر وأراضي حوران) ولسهولة الوصول اليه عبر الطرقات المتجهة نحو الساحل [٦٩] . وقد أتاح تدفق الأموال لسكان حيفا بناء بيوت ذات دورين ، وفي عام /١٨٥٨/م تم بناء أول الدور الخاصة خارج السور على جبل الكرمل[٧٠] .

وقصد حيفا كثير من الأجانب للاستيطان والتجارة والرحلات والكشف العلمي والنشاط الارسالي . ومن أبرز هؤلاء الأجانب مجموعة من الألمان (لم يتجاوز عدد

أفرادها ٢٥٠) نزلوا أرض حيفا في عام /١٨٦٩/ م ، واستقروا في حي خاص بهم في شمال غربي المدينة يشرف عليه جبل الكرمل[٧١] . وكان المستوطنون الألمان أصحاب نشاط وعمل ، وعملوا بمختلف المهن « زراعة وصناعة وتجارة » وتميز حيهم بالشوارع الواسعة والبيوت الحجرية المتناسقة المبنية على الطراز الأوربي ، وتحيط بها حدائق صغيرة[٧٢] . (بلغ عددها ٣١ بيتاً بالاضافة إلى الحظائر والمخازن) . وبلغ مجموع الأراضي التي تملكوها (٤٥٠) هكتاراً من أخصب الأراضي على منحدرات الكرمل (زيتون وكرمة) . وقد تعاملوا مع المواطنين على مستوى محدود في مجال العمل والتعليم [٧٣] الا أنهم بوجه عام عاشوا في عزلة [٧٤] ، وحدث بينهم وبين المواطنين بعض الخلافات حول تحديد أراضيهم ، كما أساؤوا في بعض الأحيان إلى طبيعة جبل الكرمل باستخدامهم أشجاره للوقود أو البناء [٧٥] .

وقصد الحي الألماني معظم الأجانب ، من رحالة وعلماء وتجار ، ممن مروا بحيفا وكان من بينهم اولئك العاملين في صندوق استكشاف فلسطين [٧٦] . وأصبحت حيفا محطة هامة خلال عملية « مسح فلسطين » التي تولى صندوق استكشاف فلسطين [٧٧] القيام بها بين ١٨٧١—١٨٧٧ م والتي نفذها عدد من ضباط سلاح الهندسة الملكية البريطانية برئاسة كلود كوندر ومساعده كتشنر . وشغلت حيفا حيزاً كبيراً من تفكير كوندر (الذي كان يخطط في تقاريره ومحاضراته لمستقبل فلسطين وللدور الذي يمكن أن يقوم به الاستيطان اليهودي في تلك المنطقة) . وكان من جملة الاقتراحات التي تقدم بها عام /١٨٧٩/م بناء رصيف لصد الأمواج حتى تتحول المدينة إلى ميناء له قيمة، واقترح أن تصبح حيفا نقطة انطلاق لخطوط حديدية متجهة نحو وادي الفرات ونحو القدس نظراً لسهولة انشاء تلك الخطوط ولأهمية الميناء ، ولخصب الأراضي المجاورة ، وهي عوامل تجعل من المنطقة المجاورة لحيفا ، بنظره ، نقطة البداية المواتية للاستيطان اليهودي المقبل [٧٨].

وفي مدينة حيفا كان يقيم المهندس الألماني شوماخر (وكان من المساهمين في نشاطات صندوق الاستكشافات) وهو الذي تولى وضع خريطة الحي الألماني ، كما نزل في دار شوماخر /١٨٧٧/م الليفتنانت كتشنر (وكان مكلفاً من قبل الصندوق بالمشاركة

بعملية مسح الجليل) ، وأقام كتشنر مزولة في باحة المنزل استعان بها سكان الحي الألماني للتوقيت .

ومن الذين أقاموا في حيفا لورنس اوليفانت (الصحفي البريطاني وعضو البرلمان) الذي قام برحلات إلى الشرق في السبعينات ووضع مشروعاً لدعوة اليهود في اوروبا للاستيطان في أرض جلعاد ، وهي دعوة بناها على عوامل دينية عاطفية ولكنها تخفي دوافع سياسية واستراتيجية لخدمة المصالح البريطانية . وكان اوليفنت من المساهمين في بحوث وتقارير صندوق الاستكشاف(٧٩) . وملك في حيفا منزلين أحدهما في الحي الألماني والثاني عند قمة الكرمل(٨٠) . وقد مات في حيفا /١٨٨٦/ ودفن في مقبرة الحي الألماني(٨١) .

وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بدت مدينة حيفا وقد أخذت مظهراً جميلاً حديثاً هو مزيج من طابع محلي وعالمي ، وظل ذلك هو سمة المدينة العامة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني(٨٢) . ورصفت شوارعها كما اقيمت البنايات الجديدة خارج السور بجهة طريق عكا والناصرة إلى شواطىء البحر حيث البساتين والنخيل(٨٣) . ومنذ عام /١٨٨٧/م أصبحت مركزاً لقضاء يحمل اسمها من اعمال لواء عكا ، وهو يتبع ولاية بيروت . وزاد ارتباط المدينة بالمناطق المجاورة : ففي /١٨٨٦/م دشنت السلطات العثمانية أول طريق عربات من حيفا إلى طبرية ونحو جنين ، كما جرى الاحتفال /١٨٩٢/م بافتتاح العمل بسكة حديد حيفا دمشق ، فرع من الخط الحجاري (٨٤) ، وتم انشاء طريق العربات بين حيفا ويافا عام /١٨٩٨/م .

وخلال خريف ١٨٩٨م بدأت السلطات العثمانية استعداداتها لزيارة الامبراطور الألماني وليم الثاني والامبراطورة لحيفا في طريقهما للقدس . وقد بني رصيف لرسو يخت الامبراطور على شاطىء البحر قرب الحي الألماني على مسافة نصف ميل غربي المدينة . وقد وصل اليخت الامبراطوري (هوهنزلرن) إلى ثغر حيفا قادماً من استامبول تحرسه دارعتان ألمانيتان . واستقبل الضيفين والي سورية (ناظم باشا) ووالي بيروت (رشيد بك) وزارا مقام النبي ايليا في جبل الكرمل والحي الألماني (٨٥) .

وقد ارتفع شأن مدينة حيفا منذ مطلع القرن العشرين فأصبحت في مصاف مدن

الدرجة الثانية في سورية بعد بيروت ويافا بعد أن كانت تعد منذ ٣٠ سنة من القرى رغم ماكان ينقصها من آثار العمران كمد الترمواي والتنوير والماء والرصيف والمرفأ [٨٦] وعمرت تجارتها ومعظمها بالحبوب ، وذخرت بعشرات نواب القناصل ووكلاء القناصل للدول الأجنبية وكثرت فيها الفنادق والمعابد لجميع الطوائف [٨٧] . وزاد عدد مدارسها وبالاضافة إلى ثلاث مدارس حكومية كان فيها ثماني مدارس أجنبية عام ١٩٠٣ م إلى جانب مدرسة لليهود وأخرى للروم الأرثوذكس[٨٨]

وقد زادت تجارتها حركة ، وسوقها رواجاً منذ أن تم افتتاح خط حديد دمشق حيفا ، فاتصلت بسكة الحجاز من جهة ودمشق وحمص وحماة من جهة أخرى [٨٩] فأصبحت ميناء تصدير حبوب هذه الأقاليم ومدخل كل مايلزمها من اوروبا وامريكا بدل بيروت . وقد أجريت تحسينات كبيرة في الميناء المتفوق طبيعياً ، وأقيمت منارة قرب الدير الكرملي [٩٠] . وفي عام ١٩١٣ م تم افتتاح الخط الحديدي من حيفا إلى عكا ، كما بدأ الاعداد لتمديد فرع آخر لسكة حديد الحجاز من حيفا نحو القدس عبر العفولة وجنين ونابلس[٩١] .

وحدث نمو حيفا واتساع عمرانها وتجارتها على حساب عكا [٩٢] ، رغم أن عكا ظلت مركز المتصرفية ولم ينجح أهل حيفا بنقله إلى مدينتهم [٩٣] .

وارتفع عدد سكان مدينة حيفا من /٣٠٠٠/ نسمة في منتصف القرن التاسع عشر إلى مايقارب / ١٠,٠٠٠ / نسمة عند مطالع القرن العشرين [٩٤] .

وقد أضيف إلى سكانها المحليين مزيج مختلط من الاوربيين كان من بينهم اليهود الاشكنازيم ، وقد ازداد عدد الأخيرين بدافع الهجرة الصهيونية بعد /١٩٠٨م وكانوا يقطنون القسم الغربي من المدينة ويشتغلون بالتجارة وسهل لهم بنك انجلو فلسطين امتلاك الأراضي كما عمدوا إلى نشر اللغة العبرية وفتح المدارس ، ولم يكن غريباً أن تنشط ردود الفعل العربية للحركة الصهيونية في حيفا ، وتولت الصحافة المحلية (وأهمها جريدة الكرمل تنبيه الرأي العام إلى خطورة الحركة ووجهت العمل لأسلوب المقاومة [٩٥] .

خاتمـــة :

لقد كانت جميع الظواهر تشير عند نشوب الحرب العالمية الأولى إلى أن حيفا ستصبح خلال السنوات المقبلة الميناء الأكبر لفلسطين والعاصمة التجارية لها ، ونظراً لأهمية موقعها ولكونها عقدة مواصلات حيوية ، احتلت مكاناً هاماً في الخطط البريطانية الصهيونية المشتركة المقبلة في فلسطين .

(١) مادة حيفا في الموسوعة الاسلامية :
Hayfa, Vol. III, pp. 324-6.

(٢) الاسم يعني الكرمة ، وهو يرمز بذلك للخصب .
Dunning, To-Day in Palestine, London 1907, p. 158.

(٣) من العلماء الذين دققوا في تحديد موقع المدينة وأسمائها ، بعض العاملين في صندوق استكشاف فلسطين. :
The Committee of the Palestine Exploration Fund

وهو جمعية تأسست في انجلترا / ١٨٦٥ / بهدف دراسة الأراضي المقدسة علمياً وتاريخياً وكان الاهتمام السياسي الاستراتيجي بالمنطقة أحد الدوافع الرئيسية لا نشائها . انظر الدراسة المقدمة إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام في عمان نيسان / ١٩٨٠ / بعنوان : خيرية قاسمية صندوق أستكشاف فلسطين : نشاطاته ١٨٦٥.- ١٩١٥ .

(٤) كان بناء حيفا الجديدة قد بدأ في حكم الشيخ ظاهر العمر كما سيرد فيما بعد .

(٥) الأب ماري جوزيف الكرملي ، حيفا ، ماضيها ومستقبلها ، مجلة المشرق بيروت مجلد ٧ عدد ١ كانون الثاني ١٩٠٤ ص ٦٨.- ص ٧٣ .
وسيرد المقال بعد ذلك باسم الكرملي .

(٦) حدث ذلك أثناء عملية بناء المستوطنة الألمانية :
Conder's reports: The Survey of Palestine, Haifa, Jan 20, 1973.
Palestine Exploratin F. und, Quarterly Statement, 1873, pp, 52–53

وسيرد اسم المجلة بعد ذلك تحت : P. E. F.

(٧) مصطفى مراد الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جزء ٧ قسم ثاني ، في ديار الجليل ، جند الاردن ، قضاء حيفا ص ٤٥٢.- ٦٩٩ ، بيروت ١٩٧٤ .
سيرد الكتاب بعد ذلك باسم الدبـاغ .

(٨) الكرمـــلي :
Drakes' Reports, Haifa Jan. 27, a 1873.
P.E.F. 1873, pp. 62-64.

(٩)

(١٠) الكرملي :
Dunning, op. cit, p. 157

(١١)

(١٢) الكرمــلي :

(١٣) اكتشفت في موقع غربي المستوطنة الألمانية في حديقة مهملة مغطاة برمال لينة .
Shumacher, Recent discoveries, Haifa, Nov. 1887.
P.E.F., 1888, p. 104. 5

(١٤) الكرملي :

(١٥) هكذا ذكرها سترايون في جغرافيته وكانت خراباً وذكرها بلينوس الطبيعي ويوسيفوس المؤرخ اليهـودي .

(١٦) حتى نهاية القرن التاسع عشر ظل نوع قديم من شجر التوت موجوداً داخل خرائب حيفا العتيقة قرب دير الراهبـــات .
Conder, Sycaminon, Hepha, Porphyreon, and Chilzon,
P.E.F., 1877, p. 188.

(١٧) وهي غير البادة شمال صيدا
Oliphant, L. Round Mount Carmel, Haifa, 24th Nov. 1885.
P.E.F. 1885, p. 25.

(١٨) الكرملي :
(١٩) وهم العلماء العاملون في صندوق الاستكشاف ، كوندر ، شوماخر ، اوليفانت
(٢٠) Oliphant, Op. cit, p. 26.
(٢١) الدباغ ص.٥٥٨
Conder, Sycaminon, Hepha, etc., Op. cit, p. 188
(٢٢) Ibid, p. 190.
(٢٣) Shumacher, Recent discoveries, 1887.
(٢٤) Ibid, p. 34.
(٢٥) Drake's reports, Jan. 27, 1873, Ibid, p .65.
(٢٦)
(٢٧) الدباغ ، ص ٥٥٨
(٢٨) المصدر نفسه .
(٢٩) الاصحاح ١٨ من سفر الملوك الأول من العهد القديم .
(٣٠) الكرملي ، كانت الطريق الساحلية الرومانية تمر من حيفا العتيقة ويقطع المقام المعروف بالخضر وتمر (بالزورة) ويتبع تقريباً شاطىء البحر وتمر أمام باب الكنيسة اللاتينية .
(٣١) منهم القديس يعقوب ناسك الكرمل .
(٣٢) الدباغ ، ص ٤٨٤ .
(٣٣) ناصر خسرو ، سفر نامة ، / ٤٣٧ - ٤٤٤ ه / ، ترجمة الخشاب ، القاهرة / ١٩٤٥ / ، ص ١٨.
(٣٤) Oliphant, Round Mount X Carmel, Ibid., p. 26.
(٣٥) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، القاهرة / ١٩٦٣ / ، ج ١ ٢٧٥ .
(٣٦) شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي معجم البلدان ، مجلد ٢٢ ص ٣٨١ ، طبع بيروت / ١٩٥٦ / .
(٣٧) Dowling, A., The Twon of Haifa.
P.E.F. 1914, p. 184 .
(٣٨) Condor, Sycaminon, Hepha, etc.... Ibid, pp, 187-190.
(٣٩) Shumacher, Recent discoveries, 1888.
P.E.F., 1888, p. 139.
(٤٠) أول حاج هو تاجر انجلو سكوني Saewulf قدم عام ١١٠٢ م ، كما ان أول حاج روسي للأراضي المقدسة اسمه دانيال قدم ١١٠٦ / ١١٠٧ م
Dowling, op. cit, p. 187.
(٤١) Wright, Th., (ed.) Early Travels in Palestine.
republished, London 1968, p. 81.
(٤٢) تم اكتشافه أثناء حفر أساس بيت جديد كان سيقام على بناء قديم مهدم داخل المدينة الحديثة .
Shumacher, P.E.F. 1888, Op. cit, p. 138.
(٤٣) الدباغ ، ص (٥٥٨) .

(٤٤) Dunning, op, cit, p. 160.

(٤٥) أبو عبدالله محمد بن محمد الادريسي الحسني ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . مجلد ٤ روما / ١٩٧٤ ، ص ٣٦٥ .

(٤٦) ذكر ياقوت خطأ أن تاريخ استرجاع حيفا كان ٥٧٣ هـ وكذلك ذكرت دائرة المعارف الاسلامية خطأ أن صلاح الدين قد استعادها / ١١٧٧ / م .

(٤٧) تحقيق وشرح محمد محمود صبح القاهرة / ١٩٦٥ / ، ص ٩٤

(٤٨/ Dowling, op. cit., p. 188.

(٤٩) Dunning. op. cit., p. 159.

وبعد استرجاع عكا / ١٢٩١ / اضطر الكرمليون لترك المدينة .

(٥٠) أشار إلى الدمار الذيلحق بحيفا في عهد السلطان الظاهر بيبرس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٩ هـ / ١٤٥٠ م) في كتابه « السلوك لمعرفة دول الملوك » م ١ ، ق ٢ .

تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ أما أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م) فلا يشير إلى الحادث الا بأن الظاهر بيبرس فتح قيسارية وتسلم قلعتها ، فهدمها وانتقل إلى غيرها .

(٥١) شهاب الدين أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ /١٤١٨. م) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ م.، المطبعة الأميرية ، دار الكتب المصرية / ١٩١٣ - ١٩١٩ / م٤ ، ص ١٥٥ .

(٥٢) حول تاريخ مدينة حيفا منذ مطلع العهد العثماني وحتى منتصف القرن الثامن عشر يمكن مراجعة البحث المقدم من د. عدنان البخيت إلى المؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام . دمشق / ١٩٧٩ / بعنوان « من تاريخ حيفا العثماني ، دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي » .

(٥٣) أحمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٧٢٤ م) تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني.، تحقيق أسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت - طبعة ثانية / ١٩٦٩ / ، ص (١٩٧ - ١٩٨) .

(٥٤) د. عدنان البخيت ، المقال السابق .

(٥٥) المصدر نفسه .

(٥٦) ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي ، تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني حاكم عكا وبلاد صفد ، تحقيق الخوري ، قسطنطين الباشا المخلصي حريصا / ١٩٣٥ / ، ص (٤٥) .

(٥٧) Shumacher, P. E.F. 1888, Op. cit, p. 139.

يقول شوماخر أن بعض شيوخ الفلاحين لا يزالون يسمون حيفا بالعمارة وهذا الاسم برأيه أكثر تطابقاً مع اسم (بالميرا) الصليبية . الذي يرى أنها أساس بناء حيفا الجديدة .

(٥٨) الكرمـــلي

(٥٩) كانت مجموعة الكرمليين قد عادت / ١٧٦٧ م/ وأقامت ديراً على قمة جبل الكرمل على علو/٥٥٨/ م وعلى مسيرة ٣ كم من حيفا .

(٦٠) P.E.F. 19«7, pp. 25-26.

(٦١) Ibid. p. 31 .

(٦٢) جدد بناء الدير الكرملي عام.١٨٢٨ م .

(٦٣) حول الحكم المصري لبلاد الشام يمكن مراجعة :

أسد رستم،الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا،/٥/ أجزاء،بيروت /١٩٣٠-١٩٣٤

(٦٤) كتاب لا مارتين « ذكريات وانطباعات وأفكار ورؤى خلال رحلة المشرق / ١٨٣٢ — ١٨٣٣ / » أو مذكرات مسافر المطبوع في باريس / ١٨٣٥ / في /٤/ مجلدات (بالفرنسية) ووردت المقتطفات في كتاب «فلسطين : بطاقات بريدية من مجموعة عز الدين القلق ، القاهرة (المركز الجرافيكي العربي).

(٦٥) خيرية قاسمية : صندوق استكشاف فلسطين ، البحث المشار اليه سابقاً .

(٦٦) **Robinson, E.,** Biblical reseraches in Palestine, and the adjacent regions, London, 2nd edition 1960. 336-340.

(٦٧) استمرت زراعة القطن مدة أربعين عاماً ثم وقفت لأنها أصبحت عملية غير مربحة مع تطور مزارع القطن في الولايات المتحدة ونقص الأدوات الحديثة وأساليب الزراعة الجديدة .

(٦٨) **Dowling,** Op. cit, pp, 189-190.
Ibid, p. 189.

(٦٩) **Conder,** The Present Condition ofPalestine.
P.E.F. 1897, p. 12.

(٧٠) **Landau, J.M.** Abdul-Hamids Palestine, London 1979.
pp. 103-105.

(٧١) زعيم الحركة هو كريستوفر هوفمان أسس جمعية الهيكلين في ألمانيا بزعم أنهم يريدون تشييد هيكل اورشليم وأصبح من أهدافها الاستيطان في فلسطين وقد فشلت محاولتهم الأولى للاستيطان عند برك سليمان (القدس) ثم قرب الناصرة على طرف سهل مرج بن عامر ، حتى تم انشاء مستوطنتهم الأولى في حيفا وتبعتها بعد اشهر مستوطنة يافا ثم أسست مستوطنات المانية أخرى قرب القدس ويافا والناصرة وبلغ عددها عام ١٩٢٢ سبعاً تضم ١٧٠٠ نسمة ، ومع أن القصد من تأسيس المستوطنات كان دينياً محضاً الا أنها تخفي محاولة المانيا لإيجاد موطىء قدم في الأراضي المقدسة .

(٧٢) Loc. cit.

(٧٣) Loc. cit.

(٧٤) **Cowper,** A month in Palestine.
London, 1889, p. 113.

(٧٥) P.E.F. 1882, Temple Colony in Haifa, p.3.

(٧٦) أنظر البحث المشار اليه سابقاً حول نشاطات صندوق استكشاف فلسطين .

(٧٧) المصدر نفسه .

(٧٨) **Conder,** The Survey of Palestine, 1872, p. 44.
كما نشرت لكوندر مجموعة مقالا ت في جريدة الجويش كرونكل حول مستقبل فلسطين .

(٧٩) **Oliphant, L.,** The Land of Gilead,
Edinburgh, 1880.

(٨٠) **Cowper,** Op. cit, p. 113.

(٨١) ألف اوليفانت كتاباً بعنوان :
Haifa,–or life in modern Palestine.
طبع في لندن بعد وفاته بعام / ١٨٨٧ / .

(٨٢) **Landua,** Op. cit.

(٨٣) الدبـاغ ، ص / ٤٩٢ / .

(٨٩) انتهى العمل به / ١٩٠٥ /

Dowling, Op. cit. p. 191.

(٨٠) وصف الرحلة ابراهيم الأسود صاحب مطبعة جريدة لبنان في كتابه الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية ، طبع في بعبدا /١٨٩٨./ .

(٨٦) رفيق التميمي ، محمد بهجت بك ، ولاية بيروت ، القسم الجنوبي ١٣٣٥ – ١٩١٦ ، مطبعة الاقبال ، بيروت ، أعيد طبعه /١٩٧٩/ في بيروت (ص ٢٢٦ – ٢٣٠) .

(٨٧) المصدر نفسه ، ٢٣٣ – ٢٣٤ .

(٨٨) الدباغ ، ص ٥٠٠ نقلا عن الكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ .

(٨٩) Dunning, Op. cit, p. 160.

(٩٠) Ibid, p. 159.

ويعجب الرحالة لوجود المنارة لأن الفكرة السائدة كما يقول ان الحكومة التركية غير متحضرة ولا يمكنها أن تشيد مثل هذه العمارة .

(٩١) Dowling, Op. cit, p. 191.

(٩٢) الدباغ ، ص ٤٩٤ نقلا عن :

Baedeker K. Palestine & Syria, Leibzing, 1912.

يورد مايلي. :

كانت واردات الجمرك في عكا قبل افتتاح الخط الحديدي بين دمشق وحيفا ٤ – ٥ ملايين غرشا ، وواردات الجمرك في حيفا / ٠٠٠ ٦٠٠) غرشاً وبعد افتتاح الخط زادت واردات الجمرك على (٥) ملايين غرشا في حيفا وهبطت واردات عكا إلى (٠٠٠ ٧٤٧) غرشا عام ١٩٠٧ و ٠٠٠ ١٠٠ غرشاً عام / ١٩١٣ / .

كما قدرت واردات حيفا عام ١٩١١ بـ (٠٠٠ ٢٠٠) ليرة وصادراتها (٠٠٠ ٦٠٠) ليرة .

(٩٣) رفيق التميمي ، محمد بهجت ، ولاية بيروت ، ص ١٣٣ – ١٣٤ ص ٢٨٠ .

(٩٤) المصدر نفسه ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

يقدر الكتاب عدد سكان حيفا طبقاً لاحصاء ١٩١٦ كما يلي. :

٤٥٠٠ مسلم و ٣١٤ يهودياً و ٢٩٧ كاثوليكياً ، و ٢٤٩ لاتينياً و ...١٨ ماروني و٨٠..٨ روم ارثوذكس و ٥٤ بوستنتيا ، والاغراب المسلمين ...٦٨ والاغراب غير المسلمين ٦٢٠ ، ويشك الكتاب بصحة عدد اليهود ٣١٤ ، ويقدر الرقم بـ ١٠٠٠ بين اشكنازيم وسفارديم .

(٩٥) حول هذا الموضوع : خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ، بيروت / ١٩٧٣ /.



علي محافظــــة

جامعة مؤته — الأردن

المستعمرات الألمانية في فلسطـين بين عامي ١٨٦٨ م و ١٩١٨ م

الغاية من هذا البحث دراسة المستعمرات الألمانية في فلسطين منذ تأسيس أولاها عام ١٨٦٨ وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ وتعالج هذه الدراسة الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت وراء انشاء هذه المستعمرات ومدى صلتها بالمخططات السياسية الألمانية في الدولة العثمانية . كما أنها تتناول طبيعة العلاقات بين المستعمرين الألمان والسكان العرب من جهة ، وبينهم وبين المستعمرين اليهود من جهة أخرى . وتستعرض أيضاً موقف السلطات الرسمية العثمانية من هذه المستعمرات .

مشاريع استعمار فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر :

فتحت حملة نابليون بونابرت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨م — ١٨٠١م) باب الصراع الدولي في الشرق العربي عـــلى مصراعيه . وأطلقت العنــــان لمخططي السياسة الاستعمارية في اوروبا ، فقدموا مشروعات عديدة ترمي إلى تجزئة الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، في وقت بلغ الجشع الاستعماري ، مع انتشار الثورة الصناعية أوجه . وكانت فلسطين بحكم موقعها الجغرافي والاستراتيجي وأهميتها الدينية هدفاً لمخططي هذه السياسة . فمنذ عام ١٨٠٠م نشر الكاتب البريطاني جيمز بيتشينو James Bicheno كتابـــاً بعنـــوان : The Restauration of Jews, the crisis of all Nations دعا فيه إلى تجميع يهود العالم في فلسطين ، تحقيقاً للنبوءات التوراتية . وسعياً إلى حل الأزمات التي تجتاح الدول المسيحية والدولة العثمانية . وعلق بيتشينو آمالاً واسعة على فرنسا النابليونية لتحقيق هذا المشروع . غير أن مبادرة نابليون بجمع « مجلس أعلى » لليهود

لاستغلاله كأداة سياسية ، منيت بالفشل . ولذلك اتجهت الأنظار إلى الدول البروتستانتية (بريطانيا وبروسيا) لتحقيق هذا المشروع . ولقيت آراء بتشينو صدى واسعاً في بريطانيا ، وأعيدت طباعة كتابه السابق الذكر عام ١٨٠٧م (١) .

وقد أعجب بالفكرة اللورد آشلي Lord Ashley الذي أخذ يدعو لها منذ خريف عام ١٨٣٨ م. وفي رأيه أن جمع اليهود على أرض فلسطين سيكون خطوة أولى نحو تنصيرهم كما ان استعمار فلسطين ضرورة للاقتصاد البريطاني الذي شهد آنذاك ازدهاراً واسعاً نتيجة للثورة الصناعية . وبضغط من آشلي قبل قريبه اللورد بالمرستون Lord Palmerston رعاية عودة اليهود إلى فلسطين وحماية الحكومة البريطانية للمقيمين منهم في الدولة العثمانية وكان للكتاب الذي ألفه اللورد ليندسي Lord Lindsay وصدر عام ١٨٣٨م بعنوان «Letters onEgypt, Edom and the Holy Land» رسائل عن مصر وايدوم والأرض المقدسة ، والذي تضمن تحبيذه لفكرة جمع اليهود في فلسطين ، صدى واسعاً في نفس اللورد آشلي . فقام الأخير بجمع الأموال لتنفيذ مشروع جمع اليهود على أرض فلسطين (٢) .

أثار المشروع اهتمام الحكومة البريطانية والصحافة اللندنية . فقد تناولت صحيفة التايمز Times في عددها الصادر في ٢٤ كانون الثاني عام ١٩٣٨م الأفكار الرئيسة التي نادى بها أشلي وايدت « حق الشعب اليهودي في العودة إلى فلسطين » . وربطت المسألة اليهودية بالأزمة السياسية القائمة بين محمد علي والسلطان العثماني (٣) . أما وزارة الخارجية البريطانية فقد أصدرت في ٣١ كانون الثاني ١٨٣٩م تعليماتها إلى W. T. Young نائب القنصل المعين حديثاً ١٩٣٨/٩/١٩ في القدس لبسط حمايته على كافة اليهود المقيمين في فلسطين(٤) .

ونشأت في الوقت نفسه حركة بين اليهود في بريطانيا تدعو إلى استعمار فلسطين ففي ربيع عام ١٨٣٨ م زار موسى مونتفيوري Moses Montefiors (٥) الثري والمحسن اليهودي فلسطين ، وعرج على مصر لمفاوضة محمد علي باشا في مشروع يرمي إلى تأجير منطقة الجليل (نحو ٢٠٠ قرية) له لمدة خمسين سنة وأن يدفع له مقابل ذلك أجراً سنوياً . وكان في نية مونتفيوري أن ينشىء حركة استعمارية في بريطانيا ، في حال موافقة محمد باشا على مشروعه ، من أجل تشجيع يهود أوروبا على الهجرة إلى فلسطين . غير أن مباحثات مونتفيوري مع محمد علي باءت بالفشل عندما أكد والي مصر أنه لايستطيع التصرف بأرض لايملكها . واستمر مونتفيوري في نشاطه دون جدوى ، وزار فلسطين سبع مرات بين

عامي ١٨٢٧م و ١٨٧٥م(٦) كان مشروع مونتفيوري هذا مقامة للمشروع الصهيوني الذي مر بمراحل عدة طوال القرن التاسع عشر .

وبعد جلاء قوات محمد علي عن بلاد الشام اقترح هلموت فون مولتكه Helmuth Von Moltke ، الكابتن في الحرس الملكي البروسي الذي عمل بين عامي ١٨٣٥ م و١٨٣٩م في إعادة تنظيم الجيش العثماني (٧)، مشروعاً آخر لاستعمار فلسطين . وورد هذا المشروع في مذكرات فون مولتكه التي نشرها في صحيفة «Augusburger Allgemeine Zeitung » عام ١٨٤١م تحت عنوان : « ألمانيا وفلسطين Deutschland und Palaestina » وقد شرح الضابط الألماني مشروعه هذا بتفاصيل دقيقة أثارت اهتمام الرأي العام الألماني والاوروبي . وينص المشروع على انشاء « مملكة القدس » لتجعل من فلسطين مركزاً متقدماً للحضارة الاوروبية وأنموذجاً للتطور الاقتصادي في الشرق ، ودولة واقية بين مصر وسورية في حالة قيام مملكة وراثية في مصر ، تحول دون اي اعتداء على الدولة العثمانية ، وجسراً يربط اوروبا بالقارة الهندية . وبيّن مولتكه أن قيام هذه المملكة سيكون بعثاً للتقاليد والقيم الصليبية ونصراً معنوياً عظيماً تحققه المسيحية في العالم . واقترح أن يكون على رأس هذه الدولة أمير ألماني يتمتع بسلطة مطلقة ويتصف بروح متسامحة . فهو يرى أن اعتلاء أمير ألماني لعرش مملكة القدس سوف يبعد فلسطين عن تأثير المنافسات السياسية القائمة آنذاك بين الدول البحرية الاوربية . كما ان تمتعه بسلطة مطلقة سيساعد في فرض النظام على بلد متخلف « لم يبلغ سكانه بعد مستوى حضارة اليونان الذي تؤهله للمطالبة بالحكم الذاتي » (٨) . هذا وتحمس لمشروع مولتكه ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع « Friedrich Wilhelm » وتبناه ، فعرضه على ملوك اوروبا فلم يقبلوا به (٩) .

وبقيت فكرة استعمار فلسطين تشغل بال العديد من رجال الدين والسياسة والاقتصاد في اوروبا . غير أننا سنقتصر على هذه المشروعات التي كانت تمهيداً للمشروع الاستعماري الألماني الذي بدأ تنفيذه في نهاية الستينات من القرن التاسع عشر .

جمعية الهيكل الألمانية واستعمار فلسطين :

تعود جمعية الهيكل الألمانية « Deutsche Tempelgesellschaft » في أصولها إلى حركة الأتقياء Pietismus التي ظهرت في ألمانيا في القرن السابع عشر ، كحركة

دينية اصلاحية في الكنيسة الانجيلية أكدت على دراسة الكتاب المقدس وعلى الخبرة الدينية الشخصية . واستمرت هذه الحركة الدينية حتى مطلع القرن التاسع عشر وتركزت حول تيوزوفن بينجل « Theosophen Bengel » الذي بشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح إلى الأرض في أعقاب وكوارث مريعة تنجم عن الابتعاد عن الروح المسيحية ودعا بينجل كل تقي أن يبحث له عن مكان له في الشرق لقرب قيام مملكة الرب هناك . ورأى بينجل واتباعه في نابليون بونابرت الشيطان المناهض للمسيح . ومع نهاية نابليون اعتقد بينجل أن لابد من مرور بعض الوقت حتي تتم التغيرات الكبرى . وتوقع أن تتم عودة المسيح عام ١٨١٦م .

وفي عام ١٨١٧م حلت مجاعة بمملكة فورتمبرغ « Wurttemberg» انتهز بينجل هذه الحالة ودعا أتباعه إلى الهجرة إلى الشرق . فهاجر آلاف الفلاحين من هذه المملكة إلى جنوب روسيا حيث رحب بهم القيصر اسكندر الأول . واعتقد كثيرون منهم ان ترحيب القيصر الروسي نداء الهي لابد من تلبيته . وتمت هجرة هؤلاء الألمان تحت اشراف البارون فون بيركهايم « Von Berkheim » . وسمح لهم القيصر بادارة شؤونهم ادارة ذاتية .

أما مملكة فورتمبرغ فقد رأت في هجرة مواطنيها خطراً يتهددها لذلك لجأت إلى مختلف الوسائل للحيلولة دون هجرتهم . وتقدم النائب الأول في المملكة باقتراح على حكومته ينص على السماح لهؤلاء المتدينين بتشكيل جمعيات خاصة بهم تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي . قبلت حكومة فورتمبرغ هذا الاقتراح وشكلت أول جمعية دينية في فورتمبرغ على يد غوتليب هوفمان « G. M. Hoffmann » رئيس بلدية ليونبرغ « Leonberg » في تشرين الأول عام ١٨١٨م . وفي صيف عام ١٨١٩ — بدأ أعضاء الجمعية الجديدة بالاستيطان في قرية من أملاك الفارس كورنتال « Kornthal » قرب مدينة شتوتجارت « Stuttgart » وبنوا منازل لهم عليها مع دار للاجتماعات العامة (١٠) .

في كورنتال ترعرع ابنا غوتليب هوفمان : فيلهلم (الأكبر) وكريستوف وتربيا تربية دينية ، فحصل الأول على منصب ديني رفيع في بلاط ملك بروسيا وهو منصب قسيس البلاط « Hof Prediger » بينما ورث الثاني الذي يصغره بتسع سنوات أباه في رئاسة الجمعية الدينية (١١) . درس كريستوف الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن « Tuebingen » . واشتغل في التعليم . ولما اشتد ساعد الحركة العلمانية المناهضة

للمسيحية في ألمانيا في الأربعينات من القرن التاسع عشر برزت هذه الجمعية الدينية للدفاع عن المسيحية معتبرة المبادىء المسيحية الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها الاصلاح الاجتماعي في ألمانيا . وتولى كريستوف مهمة الدفاع عن هذا الاتجاه الديني . وأصدر في أيار عام ١٨٤٥م . بالتعاون مع صديقه عمانويل باولوس « Immanuel Paulus » الصحيفة الاسبوعية « Die Sueddeutsche Warte» للتعبير عن هذا الاتجاه المسيحي الاصلاحي (١٢) .

وجاءت أحداث عام ١٨٤٨م الثورية في ألمانيا فأدخلت الرعب في قلب كريستوف هوفمان . وتأكد له من أحداث ذلك العام الرهيبة أن مسيحية الكنيسة مقتصرة على الوعظ الديني المجرد من الحياة ، وأنها قائمة على قوة العادة ، وعاجزة عن وقف التفكك والانحلال . ووجد أن المسيحية قد تخلت عن مهمتها الأساسية الروحية وغاصت في أوحال المادية وتمسكت بالقشور الخارجية . ورشح نفسه في ذلك العام عن مدينة لودفيجز بورغ « Ludwigsburg » في الانتخابات العامة للبرلمان الاتحادي الألماني « البندستاغ Bundestag » الذي كان مقره مدينة فرانكفورت على الماين . وكان على المملكة فورتمبرغ أن تقدم ٢٨ نائباً عنها إلى ذلك البرلمان . فاز هوفمان على خصمه مرشح الأوساط الليبرالية العلمانية ، فكان النائب الوحيد في البرلمان الاتحادي الألماني الذي يمثل حركة الأتقياء الألمان (١٣) .

وجد هوفمان في الاتجاهات الليبرالية والثورية التي لقيت من يعبر عنها ويمثلها في برلمان فرانكفورت ، دليلاً على فشل الكنيسة الانجيلية في القيام برسالتها . فعاد إلى منطقته وبدأ الدعوة إلى انشاء كنيسة حرة من الأوساط المتدينة الورعة وتأسيس جمعية انجيلية « Evamgaelische Verein » مستقلة عن الكنيسة الانجيلية الرسمية . وكان ساعده الأيمن في دعوته هذه جورج دافيد هارديج « Georg David Hardegg » الذي تعرف عليه عام ١٨٤٨م (١٤) وصديقه عمانويل باولوس .

واتخذت هذه الحركة الدينية اتجاهاً جديداً عام ١٨٥٣م مع اندلاع حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا . إذ سرى اعتقاد لدى الأوروبيين ان الدولة العثمانية على شفا الانهيار ، وان تفككها بات وشيكا . وجاءت الاضطرابات الدينية التي حدثت في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ، لتشد أنظار المتدينين الألمان إلى الأرض المقدسة . وبرز كريستوف هوفمان يدعو إلى سلخ فلسطين عن الدولة العثمانية وجعلها موطناً لشعب الله « Das Volk Gottes » تنفيذاً لوعود الأنبياء الواردة في التوراة . وشعب الله هذا ليس الشعب اليهودي . الذي لم يعد له وجود ، وانما هو الشعب المسيحي الانجيلي .

وفي ٢٤ آب عام ١٨٥٤م دعت لجنة أصدقاء القدس التي تشكلت من اتباع هوفمان إلى اجتماع عام يعقد في فالدهورن « Waldhorn » قرب قرب لود فيجزبورغ من أجل بحث الوسائل اللازمة لتحقيق مشروع هوفمان . واقترح هارديج في هذا الاجتماع التوجه إلى البندستاغ في فرانكفورت والطلب منه أن يسعى لدى السلطان العثماني للسماح للألمان باستعمار فلسطين ، من أجل إيجاد عمل للعاطلين عن العمل في ألمانيا . وكان الشعار الذي طرحه هارديج في هذا الاجتماع ينبغي إيجاد عمل للشعب الألماني « die deutsche Nation muss Arbeit Haben » ونفذ اقتراح هارديج ووقع العريضة ٤٣٩ شخصاً، وحملها هوفمان وهارديج وقدماها إلى البارون فون بروكش « Von Brokesch » رئيس البند ستاغ . غير أننا لانعلم شيئاً عن استجابة البند ستاغ لهذه العريضة أو رفضها(١٥)

وتولت مجلة « Sueddentsche Warte » الناطقة باسم الجماعة الدعوة إلى المشروع الجديد . وأخذت في الوقت نفسه تشن هجوماً على كنيسة فورتمبرغ الانجيلية الرسمية . وفي هذه الأثناء كتب فيلهلم هوفمان من برلين إلى شقيقه ينصحه بالبقاء في حوزة الكنيسة الانجيلية والابتعاد عن مغامرات هارديج . غير أن كريستوف لم يعر بالاً لهذه النصيحة . وكتب مشروع دستور للجمعية الجديدة سماه « مشروع دستور شعب الله » Verfassungsentwurf des Volkes Gottes فتشكلت الجمعية في عام ١٨٥٤م تحت اسم جمعية تجميع شعب الله في القدس « Gesellschaft fur Sammlung des Volkes » وجعلت هدفها السعي لجميع شعب الله في القدس لبناء مملكة الرب . ورأى قادة الجمعية أنهم بحاجة إلى مزيد من الأعداد على أرض الوطن لجمع أكبر عدد ممكن من الألمان وغيرهم قبل الهجرة إلى فلسطين . وقام هوفمان وهارديج برحلات عديدة في اوروبا وحضرا في خريف عام ١٨٥٤م مؤتمراً دينياً في باريس وعرضا عليه مشروعهما فلقي اهتماماً من المؤتمرين .

وتبرعت بعض الأسر الثرية بالأموال لشراء الأراضي الواجب تجميع شعب الله عليها في ألمانيا قبل الانطلاق إلى استعمار فلسطين . فتم شراء قطعة واسعة من الأرض في كيرشنهاردتهوف « Kirchenhardthof » قرب فيننندن « Winnenden » تحت منبع نهر النيكر « Necher » عام ١٨٥٦ م وتمكن هوفمان وهارديج من جمع عدد كبير من الأنصار أطلق عليهم اسم « أصدقاء القدس » « Jerusalem Freunde » بلغ عددهم حوالي عشرة آلاف شخص . وساهمت سنوات الجدب التي شهدتها مملكة فورتمبرغ ،

خلال السنوات الأولى من تشكيل هذه الجمعية . في كسب العديد من الأنصار الراغبين في الهجرة إلى فلسطين (١٦) .

وانتهت حرب القرم عام ١٨٥٦ دون أن تسفر عن انهيار الدولة العثمانية كما كان يتوقع هوفمان وأنصاره . وشنت الكنيسة الانجيلية الوطنية في فورتمبرغ بتشجيع ودعم من حكومتها حملة شديدة على أصدقاء القدس . فأخذت أعدادهم تقل تدريجياً (١٧) .

وفي صيف عام ١٨٥٨م قررت الجمعية ارسال رفد مؤلف من هوفمان وهارديج والمزارع بوبيك « Bubeck » إلى فلسطين ، إيماناً منها بأن المسألة الشرقية لم تحل بمؤتمر باريس عام ١٨٥٦م رأن لابد من دراسة امكانية استعمارفلسطين وصل الوفد إلى فلسطين والتقي بمطران القدس الانجليكاني صموئيل غوبات« Samnel Gobat » وبالمبشرالانجيلي شنلر « Schneller » فشرحا للوفد أوضاع فلسطين ولم يشجعاه على تنفيذ مشروعه . وجمع الوفد معلومات جيدة عن البلاد من القنصلية البروسية في القدس . ولما عاد الوفد إلى ألمانيا نشر هوفمان تقريراً عن الزيارة في مجلة « Suesddeutsche Warte » بيّن فيه المصاعب التي تعترض الاستيطان في فلسطين ، وأوضح أن لابد من الاستعداد لذلك . ودامت فترة الاستعداد هذه عشر سنوات (١٨) .

دخل هوفمان وأنصاره في أثناء ذلك في خلاف مع كنيسة فورتمبرغ الألمانية أدى إلى طردهم منها في ٧ تشرين الأول عام ١٨٥٩م . واضطروا إلى انشاء طائفة دينية خاصة بهم . فقدم هوفمان اقتراحاً إلى مجلس الجمعية بتسمية الطائفة « الهيكل الروحي Der geistliche Tempel » أو « طريق الخلاص Der Weg Zur Rettung » أما فكرة « الهيكل » وتسمية الجمعية به فتعود إلى القس المعمداني جاكوب أمان «Jakob Amman» الذي أنشأ في برن « Bern » بسويسرا جمعية بهذا الاسم عام ١٦٩٣م بهدف إعادة بناء هيكل الرب في القدس (١٩) . ولا صلة لهذه التسمية بجمعية « فرسان الهيكل » التي تشكلت في مطلع القرن الثاني عشر واستمرت في نشاطها حتى نهاية احتلال الفرنجة لبلاد الشام في نهاية القرن الثالث عشر .

واشتدت حملة الكنيسة الانجيلية على الطائفة الجديدة فتفرق العديد من أفرادها ، غير أنها استطاعت أن تحافظ على بقاء بعضهم في حظيرتها وان تكسب إلى صفوفها العديد من الاتباع خارج ألمانيا وبخاصة في أوساط المهاجرين الألمان في أمريكا الشمالية وجنوب روسيا.

وأعيد تنظيم الجماعة في كير شنهار دتهوف عام ١٨٦١م تحت اسم جماعة الهيكل الألمانية « Deutscher Tempel » من أجل تجديد حياة « شعب الله » الدينية والاجتماعية وحتى تكسب الجمعية ولاء العناصر القومية الألمانية رفعت شعارات قومية ألمانية . وجاء في أحد بياناتها : « ان روح الشعب الألماني ومزاياه ينبغي أن تكون الطابع المميز لهيكل القدس واستعمار فلسطين ... ولا بد من السعي لدى سلطة ألمانية (أو دولة المانية) لمتابعة تحقيق هذا الهدف (٢٠) .

واستمر قادة الجمعية يحضرون المؤتمرات الدينية التي كانت تعقد في برلين ولندن وبيرن وجنيف ، ويتجولون في العواصم والمدن الأوروبية الكبرى يدعون إلى تحقيق مشروعهم. فقد شارك هارديج في المؤتمر الذي عقد في جنيف عام ١٨٦٧م والذي كان ضيف شرف فيه غاريبالدي « Garibaldi » بطل الحرية في ايطاليا . كما حضر حفل انشاء الصليب الأحمر على يد السويسري هنري دينان « Henri Dunant » الذي أبدى اهتمامه بشؤون الشرق العربي في فترة مبكرة فقد أصدر كتاباً في باريس بعنـــوان « تجديد الشرق Renovation de l'Orient » عام ١٨٦٥م وقام دينان أثناء اقامته في باريس بانشاء جمعية العمل الدولي من أجل تجديد فلسطين .
Oeuvre Internationale de la Renovation de la Palestine
وتولى منصب سكرتيرها العام . وتولى انشاء فروع لها في باريس . وأقام هارديج صلات وثيقة مع دينان . وتولى الأخير توجيه نداءات إلى فروع « الجمعية الدولية لتجديد فلسطين ». من أجل هيمنة المسيحيين على فلسطين عن طريق الاستيطان السلمي .

وسعى دينان لدى السفير العثماني في باريس جمال باشا ولدى الوزير المفوض الفرنسي في اسطنبول السيوبورية« Bourree » من أجل حث الباب العالي على السماح للمستعمرين الألمان من جمعية الهيكل بشراء الأرض في فلسطين والاستقرار فيها . وتحت ضغط دينان جاء الجواب من الباب العالي يطلب تحديد موقع الأرض التي يريد المستعمرون الألمان شراءها . فاتصل دينان بهارديج واقترح عليه ارسال مهندس مختص إلى فلسطين من أجل اختيار الموقع المطلوب وتحديد مساحته وكتب رسالة إلى هارديج مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني عام ١٨٦٨م يقول فيها : من المعروف جيداً ان ارسال مهندس من اوروبا أمر مكلف (١٠٠٠٠ — ١٥٠٠٠٠ فرنك) وهذا مبلغ أولي بجمعيتكم أن توفره لها . ولذلك قمنا بالاتصال بعدد من الأشخاص وبخاصة بالوزير المفوض بورية ليسأل اذا كان بالامكان إيجاد مهندس قدير وأمين وبأجر قليل في اسطنبول أو في أي مكان آخر في الشرق .

واتصلنا بدورنا بمحل لوفنتال « Loeventhal » في يافا لهذا الغرض . ولكننا لم نستطع أن نحصل على المهندس المطلوب . وربما كان من الأفضل لو أن جمعيتكم اختارت مهندساً من بين أعضائها وكلفته بالسفر إلى فلسطين ... وفشل دينان وهارديج في العثور على المهندس المطلوب . وأخيراً قررت الهيئة الادارية لجمعية الهيكل في اجتماع عقدته في ٢٤ آذار ١٨٦٨ في كيرشنهارتهوف أن يقوم هوفمان وهارديج بالسفر إلى فلسطين في آب من العام نفسه من أجل انشاء أول مركز Tempel Post للجمعية على أرض فلسطين. وقد سر دينان بهذا القرار وكتب إلى هارديج في ٨ نيسان ١٨٦٨م يقول: «آمل أن نتمكن من احراز بعض التقدم في عملنا في هذا الصيف . وكلما طال الزمن زاد اقتناعي بذلك . يمكنك الاعتماد عليّ ، انني مؤمن بمستقبل فلسطين ... وسيكون لجمعيتكم الشرف الكبير في انشاء أول مستعمرة على الأرض المقدسة » (٢١) .

وفي ٦ آب عام ١٨٦٨ م سافر زعيما جمعية الهيكل هوفمـــان وهارديج من كيرشنهاردتهوف مع أسرتيهما إلى فلسطين . ومرا بفينا حيث قابلا البارون فون اورزي « Von Orsi » من وزارة الخارجية النمسوية فوعدهما بأن يقدم ممثلو الحكومة النمسوية الدبلوماسيون النصائح والمساعدات الضرورية لهما . كما مرا ببودابست وقابلا فرانز دياك « Franz Deak » صاحب فكرة الاتحـــاد النمسوي الهنغاري . وأخيراً وصلا إلى اسطنبول حيث رحب بهمـــا الوزير المفوض لرابطة دول شمال ألمانيـــا « der Norddeutsche Bund » الذي كان قد تلقى تعليمات من البلاط الملكي البروسي بتقديم التسهيلات اللازمة لهما ، نتيجة وساطة شقيق هوفمان القس في البلاط البروسي . وفي ١٥ ايلول ١٨٦٨م تقدم هوفمان وهارديج بطلب إلى الباب العالي للموافقة على شراء قطعة من الأرض مساحتها ثلاثة أميال مربعة على جبل الكرمل في حيفا . وجاء اختيار موقع القطعة بتوصية من المفوضية الألمانية . وأوضحا في طلبهما هذا ان الغرض من الاستقرار في فلسطين ديني محض وليس له أية أبعاد سياسية . وان الاستيطان هناك سيقتصر على أعضاء جمعية الهيكل وسوف يتم بصورة تدريجية . كما أبانا أيضاً دور الجمعية المقبل في تطوير الزراعة والصناعة في البلاد ، ولذلك طالبا باعفاء المستوطنين الألمان من الضرائب لمدة تتراوح بين خمس وسبع سنوات حتى يتمكنوا من تدبير أمورهم . وأبديا رغبة المستوطنين في إدارة شؤونهم بأنفسهم دون أي تدخل من السلطة الحاكمة .

واتصل هارديج بالوزراء المفوضين لدول النمسا وفرنسا وانكلترا والولايات

المتحدة وروسيا وهولندا والسويد وقال لهم : « ان ظروف شعبنا اقنعتنا بأن الوقت قد حان لبناء هيكل الرب في الأرض المقدسة . فأقوال الأنبياء في العهدين القديم والجديد تعتبر بناء الهيكل الوسيلة الوحيدة لسعادة الشعوب والأفراد على حد سواء » . ورغم النشاط الحثيث الذي بذله زعيما جمعية الهيكل طوال مدة اقامتهما في اسطنبول (٤٥ يوماً) ، لم يحصلا على الفرمان المطلوب. فغادرا العاصمة العثمانية في ٨ تشرين الأول ١٨٦٨م باتجاه بيروت فوصلا اليها بعد أربعة عشر يوماً وقابلا هناك القنصل البروسي العام الدكتور فيبر « Dr. Weber » فقدم اليهما عدداً من النصائح ومنها ان لايتنازلا عن الجنسية الألمانية وان يرفضا الجنسية العثمانية ، لكي يتمتعا بحماية القناصل الألمان . ومن بيروت سافرا إلى حيفا فبلغاها في ٣٠ تشرين الأول عام ١٨٦٨م (٢٢) .

كان من الأسباب التي دفعت زعيمي جمعية الهيكل إلى البدء بمشروعهما الاستيطاني في فلسطين ، صدور القانون العثماني في السادس عشر من حزيران عام ١٨٦٧م الذي أباح للرعايا الأجانب حق التملك في المدن والريف في كافة الولايات العثمانية . وأصبح هذا القانون نافذ المفعول في حزيران عام ١٨٦٨ م. لذلك اعتقد زعيما جمعية الهيكل أن الطريق أمامهما قد فتح لشراء الأرض في فلسطين والاستقرار عليها (٢٣) .

مستعمرة الهيكليين في حيفا :

عند وصول هوفمان وهارديج إلى حيفا استقبلهما نائب القنصل البروسي في المدينة الهرتسيفوس « Ziphos » ، وقدم لهما كل مايحتاجا اليه من عون ومساعدة . وفي الأيام الأولى من اقامتهما وصل رد الباب العالي على طلبهما مايؤكد استحالة السماح لهما بشراء الأرض في حيفا الا إذا حصلا على الجنسية العثمانية ولكن هذا الرد لم يثنهما عن مشروعهما فأجريا اتصالات بالبلاط البروسي الذي أصدر تعليماته إلى الوزير المفوض لرابطة دول شمال ألمانيا في اسطنبول بضرورة التوسط لدى الباب العالي وتذكير المسؤولين العثمانيين بأنهم سمحوا لرعايا دول أوروبية أخرى بشراء الأرض دون التجنس بالجنسية العثمانية (٢٤) .

غير أن هوفمان وهارديج لم ينتظرا نتائج الاتصالات الدبلوماسية وبتشجيع من تسيفوس قاما بشراء قطعة من الأرض مساحتها عشرة هكتارات عن طريق الاحتيال على القانون العثماني . إذ تم الشراء عن طريق وسيط يحمل الجنسية العثمانية وقام بدوره

بتأجيرها لهما لمدة طويلة ولما احتج القاضي على عملية البيع سويت القضية بتدخل نائب القنصل البروسي (٢٥).

وبدأ بناء أول مستعمرة ألمانية في فلسطين على قطعة الأرض هذه التي كانت تمتد من شاطئ البحر حتى سفح جبل الكرمل في ربيع عام ١٨٦٩م ودشنت المنازل الأثنتا عشرة التي بنيت على هذه الأرض في آذار ١٨٧٠م من قبل نائب القنصل البروسي تسيفوس . واشتملت آنذاك على منازل للسكن وبناء لمدرسة وآخر للصلاة . وقد وضع تصميم هذه المنازل والأبنية مهندس دنماركي جاء من بيروت اسمه لويفد « Loyved » (٢٦) وعلى مدخل المستعمرة نقشت العبارة التالية باللغة الألمانية « لتنساني يميني ان نسيتك ياقدس Vorgessec ich dein Jerusalem meiner Rechten Vergessen (1969) وحرص هوفمان وجماعته على بناء المستعمرة على الطراز الألماني وفتح الشوارع الواسعة فيها وتزيينها بالأشجار والزهور والورود . كما اهتمت الهيئة الإدارية للجمعية باختيار أفضل العناصر من أعضائها للهجرة إلى فلسطين من أجل اقامة مجتمع متماسك مستقل عن المحيط العربي . كما حرصت على إقامة صلات وثيقة بالوطن الأم ، وعلى الحفاظ على مستوى حياتهم كأوروبيين في حيفا (٢٧) .

ونمت هذه المستعمرة بقدوم مهاجرين جدد من كيرشنهاردتهوف وبخاصة بعد ابرام اتفاقية بين مملكة برسيا والدولة العثمانية في ٧ حزيران ١٨٦٩م نصت على السماح للألمان بالاقامة والاستقرار في فلسطين . فبلغ عدد سكان المستعمرة في بداية عام ١٨٧٣ (٢٥٤) نسمة . وبلغ عدد بيوتها (٢١) بيتاً استعمل عشرون بيتاً إلى جانبها كمعامل وورش للعمل . وفي عام ١٩٠٢ م بلغ عدد سكانها ٥١٧ نسمة ، وبلغ عدد منازلها ٩٢ منزلاً وإلى جانبها ٩٥ ورشة عمل(٢٨) . وبلغ عدد سكانها عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (٧٥٠) نسمة(٢٩) . ونقص عدد سكانها بسبب الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٧/ ١٩١٨) واعتقال العديد من الألمان وتهجير بعضهم قسراً إلى ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الأولى والسنوات الأولى التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين ألمانيا والحلفاء عام ١٩١٩م(٣٠).

اعتنى الألمان في السنوات العشر الأولى من استيطانهم في حيفا بزراعة الكرمة وبناء معامل لانتاج النبيذ . غير أن مرضاً أصاب الكرمة في الثمانينات من القرن التاسع عشر فقاموا باقتلاعها . وكذلك أصيبت أشجار الحمضيات التي زرعوها بأمراض أدت إلى

اقتلاعها . عند ذلك انصب اهتمامهم على زراعة الزيتون الذي كانوا يستخرجون منه صابوناً من نوع جيد كانوا يصدرونه لألمانيا وأمريكا الشمالية .

وأقاموا في المستعمرة طاحونة هوائية على الطراز الهولنادي كما أنشؤوا مزرعة للألبان . وانصرفوا تدريجياً عن الزراعة واتجهوا نحو التجارة والصناعة حتى أصبحوا محور الحياة الاقتصادية في حيفا . وكانوا رواداً في الصناعات والحرف اليدوية وتجارة الاستيراد والتصدير . وأدخلوا إلى حيفا المكتبات الحديثة والأمسيات الموسيقية والنوادي المسرحية والنشاط الرياضي ، فكانت مثلاً يحتذى به من قبل السلطات العثمانية في المدينة (٣١) .

مستعمرة يافـــا :

فيآذار عام ١٨٦٩م وفد إلى هوفمان زائر من يافا من أصدقائه الذين تعرف بهم في بازل . هو المبشر الانجيلي زالميار « Saolmueller » يرافقه الألماني ميسلر « Messler » الذي اشترى المستعمرة الامريكية في يافا والمعروفة باسم قرية آدمز « Adams City » وجاء يعرضها على الهيكليين الألمان بسعر معقول . ومن المعروف أن هذه المستعمرة المؤلفة من تسعة عشر بيتاً من الخشب قد أنشأتها طائفة دينية أمريكية جاءت إلى فلسطين لتشهد عودة المسيح إلى الأرض كما كانت تعتقد . ولكنها هجرت المستعمرة بعد أن تبين لاتباعها ان النبوءة بعودة المسيح لم تتحقق ، وبعد ان فتكت بهم الأمراض (٣٢) .

لقي العرض الذي تقام به ميسلر استجابة لدى الهيكليين فاشتروا خمسة منازل منها بمبلغ (٦٥) ألف فرنك فرنسي أول الأمر ثم مالبثوا أن اشتروا ثلاثة اربابها في مطلع عام ١٨٧١م ، وبعد ذلك بعامين أصبحت المستعمرة بأكملها ملكاً لهم (٣٣) .

وفي أيار ١٨٦٩م انتقل هوفمان من حيفا إلى المستعمرة الجديدة وأوكل ادارة مستعمرة حيفا إلى رفيقه هارديج . وباشر فور وصوله ببناء مستشفى صغير ودار للضيافة « Gasthaks » .

وحدث أن قام ولي عهد بروسيا الأمير فريدريش « Friedeich » بالحج إلى القدس في ذلك العام ، بعد أن حضر الاحتفالات بفتح قناة السويس ، فنزل في يافا حتى ٢ تشرين الثاني عام ١٨٦٩م وزار المستعمرة الألمانية الجديدة . وكتب هوفمان عن هذه

الزيارة في مجلة الجمعية « Senddentsche Warte » في عددها الصادر في ١٥ تشرين الثاني ١٨٦٩ م يقول : « لقد استقبلناه (ولي عهد بروسيا) عـلى مدخل المستعمرة ، فنزل عن جواده وتحدث إلى العديد منا بروح ودية . ثم تجول في المستعمرة وزار منزل رئيس الجمعية . واتجه بعد ذلك إلى دار للضيافة حيث تناول مع حاشيته طعام الفطور . وودعناه بعد ذلك ، فركب جواده يرافقه جنود البحرية (الألمان) والباشا (العثماني) والجند الأتراك نحو الرملة ... هذا وقد تبرع الأمير البروسي ببعض المال للجمعية (٣٤) بلغت مساحة مستعمرة يافا هذه ستين هكتاراً .

مستعمرة سارونا « Sarona » :

توسع المستوطنون الهيكليون في يافا في نشاطهم ، واشتروا في عام ١٨٧١م قطعة من الأرض على طريق يافا – تل أبيب مساحتها ٧٨ هكتاراً (بسعر الهكتار الواحد مئة غولد Guld) . وبدأ بناء المنازل عـلى قطعة الأرض هذه في ٢٧ آب ١٨٧١م فكانت المستعمرة الألمانية الثالثة في البلاد . وتولى تصميم الأبنية والتخطيط المستعمرة المهندس الألماني تيودور زاندل « Theodor Sandel » ابن طبيب المستعمرة الهيكلية في يافا الدكتور زاندل . وقد انتقل إلى المستعمرة نائب القنصل الألماني في يافا مراد أفندي (أرمني الأصل) .

انتشرت الحمى بين سكان المستعمرة في عام ١٨٧٢م، وفتكت بثمانية وعشرين شخصاً من مجموع سكان المستعمرة البالغ حوالي مئة نسمة (٣٥) .

اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الأبقار . كما وجد فيها معمل لانتاج النبيذ .

وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٨٧٢ و ١٩٢٦م :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	معدل المساحة للفرد الواحد بالهكتار
١٨٧٢	٦٣	٧٨	١,٢
١٨٨٠	١٦٢	٢٢٣	١,٤
١٨٩٨	٢٦٣	٤٦٩	١,٧
١٩١٤	٢٠٠	٤٧٤	٢,٤
١٩٢٦	٢٢٥	٤٩٢	٢,٢ (٣٦)

مستعمرة ريفايم « Rephaim » :

اشترى الهر فرانك «Frank» أحد أعضاء جمعية الهيكل في مستعمرة يافا قطعة من الأرض في ريفايم شمال غربي محطة سكة حديد القدس خارج حدود البلدية. في نيسان عام ١٨٧٢م وبنى عليها منزلاً وطاحونة تعمل بالماء . وأخذ أعضاء الجمعية يتوافدون اليه ويشترون الأرض المجاورة . واعتنى سكان المستعمرة الجديدة باصلاح العربات التي تجرها الخيول . فمنذ عام ١٨٦٧م فتحت طريق للعربات بين يافا والقدس ، وكانت بذلك أول طريق للعربات في فلسطين . واهتم الألمان بالنقل بين يافا والقدس وأصبح منتظماً بعد بضع سنوات من انشاء المستعمرة الجديدة (٣٧) .

أصبحت مستعمرة ريفايم منذ عام ١٨٧٨م المقر العام لادارة جمعية الهيكل وبلغت مساحتها ٢٥ هكتارا . وكان معظم سكانها يشتغلون بالحرف اليدوية والتجارة والصناعة . واشتملت على مدرسة ثانوية كاملة وروضة للأطفال (٣٨) .

مستعمرة فالهـالا « Walhala » :

أنشأها المستعمرون الألمان في يافا عام ١٨٩٢م على طريق يافا — تل أبيب وأقيم في هذه المستعمرة مستشفى لمعالجة الألمان المقيمين في المستعمرات الألمانية في جنوب فلسطين (يافا ، سارونا ، فيلهلما) . وكان سكانها يمارسون التجارة والصناعة والحرف اليدوية . يعملون في وكالات التأمين والنقل البحري . وأنشىء في المستعمرة معمل للاسمنت وبني « فندق القدس » في يافا الذي كان من أجمل فنادق المدينة (٣٩) .

مستعمرة فيلهلما « Wilhelma » :

أنشئت على يد المستوطنين الألمان في مستعمرتي يافا وسارونا عام ١٩٠٢م، على بعد خمسة أميال إلى الشمال الشرقي من اللد في وسط سهل خصيب ، بالقرب من سكة حديد اللد — حيفا . بلغ عدد سكان المستعمرة في العام الأول من انشائها ٩٤ نسمة وفيما يلي بيان بتطور هذه المستعمرة بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢٦م :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	معدل المساحة للفرد الواحد بالهكتار
١٩٠٣	٩٤	٨٢٤	٨,٨
١٩١٤	١٩٥	٩١٩	٤,٦
١٩٢٦	٢١٥	٩٥٩	٤,٥ (٤٠)

مستعمرة نويهاردهـوف Neuhardhof :

أنشأها المستعمرون الألمان في حيفا من أجل الحصول على مزيد من الأرض خارج نطاق المستعمرة الهيكلية الأولى في البلاد . وتقع المستعمرة الجديدة على بعد أربعة أميال إلى الجنوب من جبل الكرمل . وبلغت مساحتها اربعمائة هكتار . وقد استغلت ارض المستعمرة لزراعة الخضروات والحبوب (٤١) .

مستعمرة بيت لحم في الجليـل « Bethelehem » :

أنشأها المستوطنون الألمان في حيفا عام ١٩٠٦م بأموال من « جمعية شتوتجارت لتطوير الاستعمار الألماني في فلسطين » على أرض قرية بيت لحم الواقعة على سفوح جبال الجليل والتي تبعد بضعة أميال عن مدينة الناصرة . أما مساحتها فألف وسبعمائة هكتار ، زرع ثلثها بأشجار البلوط والباقي بأشجار الكرمة والفواكه والحبوب . وفيما يلي بيان بنمو هذه المستعمرة بين عامي ١٩٠٧ و ١٩٢٦م :

السنة	عدد السكان	المساحة بالهكتار	معدل المساحة للفرد بالهكتار
١٩٠٧	١٠	٧١٨	٥٤,٨
١٩١٤	٤١	٧١٨	١٣,٣
١٩٢٦	٩٨	٧١٨	٥,٤ (٤١)

مستعمرة فالدهايم « Waldheim » :

نشأت هذه المستعمرة عام ١٩٠٧م بالقرب من بير سالم على يد المسؤولين عن دار الأيتـام السورية « Das Syrische Waisenhaus » لتكون مركزاً لتدريب خريجيها واستغلالها لتمويل دار الأيتام . ولذلك لاصلة لها بمستعمرات جمعية الهيكل .

مستعمرة شمـة « Chemeh » :

كانت تتبع بدورها دار الأيتام السورية في القدس ولم تختلف عن مستعمرة فالدهايم من حيث الاغراض التي أنشئت من أجلها (٤٢) .

اشتملت كل مستعمرة من مستعمرات الهيكليين على قاعة للاجتماعات العامة وأخرى للعبادة ومدرسة وروضة أطفال أو أكثر وجمعيات للموسيقى وناد رياضي ومستوصف صغير أحياناً ...

المصاعب الداخلية التي واجهها المستعمرون الألمان :

في السنوات الأولى للاستيطان واجه المستعمرون الهيكليون صعوبات ومتاعب عديدة بعضها أمني وبعضها الآخر اقتصادي واجتماعي . لذلك أهملوا الأمور الروحية وفشلوا في كسب أنصار جدد لحركتهم في فلسطين وفي ألمانيا . وبلغ مجموع من استقر منهم في فلسطين بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٥م نحو سبعمائة وخمسين عضواً ، أي نحو ربع عدد أعضاء الجمعية . وبعد عام ١٨٧٥ أخذت جمعية الهيكل في الاضمحلال التدريجي في ألمانيا نفسها وتوقفت منذ ذلك العام هجرتهم من ألمانيا . ومات معظم الجيل الأول من هؤلاء المستعمرين في أواخر السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر .

أدرك الجيل الجديد تعذر تحقيق الغاية من هجرتهم إلى فلسطين وهي جمع « شعب الله » في القدس واقامة مملكة المسيح . وتركز اهتمامهم على تحسين أحوالهم وتقديم نمط معين من المعيشة للسكان المحليين . وساهم هذا التغير في أهداف الجمعية ، في جعل الحياة أسهل .

كانت أول الصعوبات التي واجهها المستعمرون الهيكليون في فلسطين النزاع بين زعيمي الجمعية كريستوف هوفمان وجورج هارديج . كان هوفمان المؤسس الروحي للجمعية ، و كان هارديج المنفذ لفكرة المستعمرات . أما أسباب الخلاف بينهما فشخصية تدور حول كيفية تطوير الاستيطان الألماني ، وحول بعض الآراء الدينية .

فقد تولى كل منهما ادارة مستعمرة مستقلة عن الأخرى . وكانت مستعمرة حيفا من نصيب هارديج بينما كانت مستعمرة يافا من نصيب هوفمان . وكان هارديج قد أسرع إلى شراء أراضٍ تابعة لمستعمرته دون التنسيق مع هوفمان . وعارض هارديج بشدة نقل المعهد الثانوي إلى ريفايم قرب القدس . وحصل خلاف بين هارديج والهيئة الإدارية لجمعية الهيكل في شتوتجارت حول أموال صندوق الاستعمار التابع للجمعية « Kolinisations Kasse » . ورفض هارديج أن يجيب عن كيفية صرفه لهذه الأموال فاتهمته الهيئة الإدارية بالتبذير . وكان لسلوكه المتصلب أثر في ابتعاد الهيكليين في فلسطين عنه ، فقد كان منفراً في تصرفاته . ولما أجريت الانتخابات لاختيار القيادة الجديدة للجمعية عام ١٨٧٤م لم ينجح هارديج . فما كان منه إلا أن أعلن انسحابه من الجمعية. وصدرت مجلة الجمعية « Seuddeutsche Warte » في ١٧ تموز ١٨٧٤ بآخر

مقـــال له بعنـــوان « وداعـــي لجمعية الهيكـــل Der Tempelverein Von der Gesellschaft des Temples » أكد فيـــه التزامه بمبادىء الجمعية رغم انفصاله عنها . وخرج مـــع هارديج بعدد مـــن أصدقائه فشكلوا « رابطة الهيكـــل «Der Tempelverein» . ومنذئذ تولى القيادة العليا للجمعية كريستوف هوفمان الذي أصبح يتمتع بسلطات واسعة . فأعاد تنظيمها بحيث أصبح لها مجلس استشاري « Tempelrat» مؤلف من مئة عضو . ووثقت الجمعية صلاتها بفروعها في ألمانيا وأمريكا الشمالية وجنوب روسيا بأن أصبح لهذه الفروع ممثلون في مجلس الجمعية الاستشاري . وفي مطلع ايلول من عام ١٨٧٤ دعي ممثلون عن فروع الجمعية للمشاركة في عيدها الذي أقيم في حيفا . وبناء على قرار مجلس الجمعية اعتبر يوم التاسع من ايلول عيداً لها . وتم الاحتفال بهذا العيد الأول بحضور المندوبين المذكورين . ومنذئذ تكررت اللقاءات في هذا العيد الذي كان القصد من استحداثه الحفاظ على الولاء للجمعية (٤٣) .

وحدث انقسام جديد في صفوف جمعية الهيكل سببه الخلاف بين هوفمان ودافيد شتراوس « David Strauss » ، خليفة هارديج في ادارة مستعمرة حيفا، حول أسرار الكنيسة المقدسة وتعاليم الثالوث الأقدس والوهية المسيح وموت المسيح الابن . وكان تأثير هوفمان العقلاني على جماعته قوياً جداً ، لذلك بقيت أكثرية أعضاء الجمعية تدين له بالولاء . وانفصل عدد ضئيل من الأعضاء وأخذ يتقرب من الكنيسة الانجيلية .

واستغلت الكنيسة الانجيلية الانقسامات في صفوف جمعية الهيكل . فأوفدت القس رانيكة « Reinecke » من القدس منذ عام ١٨٧٩ إلى مستعمرات الهيكليين وقام خليفته القس شلخت « Schilicht » بالمهمة نفسها . وفي عام ١٨٩١م قررت جمعية بيت المقدس « Jerusalem Verein » (٤٤) . الانجيلية ارسال معلم إلى مستعمـــرة حيفا ليقوم بتدريس أبناء الطائفة هناك المنشقين عن هوفمان . وبعد ذلك بعام واحد بنيت مدرسة لهذه الغاية . وعندها قررت جمعية بيت المقدس ارسال القس ديكرت« Deckert» إلى حيفا . وبذلك أصبح للطائفة الانجيلية في حيفا مدرستها وكنيستها . وبلغ عدد الأسر التي عادت إلى حظيرة الكنيسة الانجيلية من مستعمرة حيفا الهيكلية عشرين أسرة (٤٥) .

وكان للحرب العالمية الأولى آثار سلبية على المستعمرات الألمانية ، إذ منيت بخسائر فادحة على الصعيد الاقتصادي . ومع ذلك بلغ عدد المستوطنين الألمان في عام ١٩١٨م نحو ألفي نسمة (٤٦) .

الحركة الثقافية في المستعمرات الهيكلية الألمانية في فلسطين :

سعى كريستوف هوفمان ، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل منذ وصوله إلى فلسطين إلى انشاء مؤسسة تعليمية تهيء التلاميذ من أبناء أعضاء الجمعية إلى الالتحاق بالتعليم الجامعي في ألمانيا . كتب هوفمان إلى رفيقه باولوس في ٢٨ أيار ١٨٧٠م يقول : « ان المدارس تشغل بالي ليل نهار » . وكان هم هوفمان تنشئة أجيال جديدة مؤمنة بالرسالة التي كرس نفسه لها . ولم تكن المدارس التي أنشأتها الجمعية في مستعمراتها السابقة الذكر مجرد مدارس دينية وإنما كانت تدرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والعلوم الفنية والتاريخ والجغرافيا واللغات الحديثة (الألمانية والفرنسية والعربية) . وكان التعليم الديني أساسياً في هذه المدارس .

ولعل أبرز النتاج الثقافي للهيكليين في فلسطين هي مؤلفات زعيميهما كريستوف هوفمان وجورج هارديج . فقد تولى الأول رئاسة تحرير مجلة « Sueddeusche Warte » التي كانت تصدر في شتوتجارت مدة طويلة من الزمن وأصدر في عام ١٨٧٥ كتاباً مهماً هو « الغرب والشرق : تاريخ ثقافي من وجهة نظر جماعة الهيكل في فلسطين :

Okzient und Orients: Eine Kulturgeshichte Betrachtung vom Standpunkt der Tepelgemeinden in in Palaestina, Stuttgart, Druck und Verlag. J. F. Steinkoptf, 1985.

ويتضمن هذا الكتاب المبادىء الأساسية لعقيدة الهيكليين بعد الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) . فيه إيضاحات جيدة لأفكار هوفمان وتطلعاته ويتضمن الفصل الأول منه عرضاً لتطور جمعية الهيكل وفكرتها الاستعماوية ، ومدى صلتها بحركة الاتقياء القديمة ، وموقفها من المسائل الكنسية والعلمية والاجتماعية ويؤكد هوفمان في هذا الفصل على أن الهدف الأول للجمعية السعي إلى استعادة مافقدته الكنسية من هيمنة روحية على رعاياها وثقة المثقفين والمؤمنين بها ، وتحقيق تعاليم الكتاب المقدس .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيدور حول الشرق وحاجاته ، مؤكداً على أن على مستقبل الشرق يقوم على التجديد الديني للانسانية . ويبين أن الواجب الديني ينبغي أن يحرك المسيحيين المؤمنين إلى الهجرة إلى فلسطين التي لايمكن مقارنتها بالهجرة إلى أمريكا واستراليا من وجهة نظر اقتصادية ، لأن فلسطين بلد فقير جداً لاتتوفر فيه المصادر الطبيعية الكافية .

ويتضمن الفصل الثالث من الكتاب موضوع « الغرب ومستقبله » . يتناول فيه هوفمان الوضع الدولي بصفته سياسياً منطلقاً من المسألة الدينية التي هي محور تفكيره يقول في هذا الصدد ان الحزب الوطني الحر « Der Nationalliberden Partei » في المملكة الألمانية (١٨٧٥) قد أهمل الدور القيادي للدين « لأن مجرى تاريخ العالم تحركه أفكار روحية عميقة » .

ويكرس الفصل الأخير منه للمسألة الشرقية . ويرى استحالة حل هذه المسألة بفن الدبلوماسية أو بالجوء إلى القوة . أما الحل الذي يقترحه فحملة صليبية سلمية تضمن الاستعمار المسيحي للشرق ، وتقديم صورة حية حقيقية للشرقيين عن التدين والأخلاق المقرونين بالعمل ، وبخاصة بعد ان اتضح أن التبشير المسيحي بين المسلمين لم ينل احترامهم واهتمامهم .

أما الكتاب الثاني لهوفمان فيتضمن ثلاث رسائل مفتوحة « Sendschreiben » نشرها خلال ١٨٧٧ / ١٩٧٨ م وقد أصدرتها مجلة الجمعية في كتاب واحد في شتوتجارت عام ١٨٧٨ بعنوان : رسائل مفتوحة عن الهيكل والأسرار المقدسة وعقدة الثالوث وألوهية المسيح ونبوة الله للبشر

Sendschreiben Ueber den Temple und die Sakramente, das Dogma Ueber Ser die Dreieinigkeit un von der Gottheit Christi, Sowie Ueber die Versoe-Uebng der Menschen mit Gott, Stuttgart, Warte, des Tempels, 1978.

تناول هوفمان في هذه الرسائل عقائد الكنيسة بشأن الثالوث الأقدس وما قبل وجود المسيح وموت المسيح وعودته . وقد أحدثت الآراء التي نشرها انقساماً في صفوف جماعته . وأنشأت مجموعة منها في يافا جمعية أطلقت عليها اسم « مؤسسة الهيكل « Tempelstift » تولت ادارة المدرسة والمستشفى في مستعمرة يافا .

ونشر هوفمان مقالات عديدة ونشرات كثيرة حول الدراسات التوراتية والدروس الدينية للشباب . وتمكن من انجاز كتابة مذكراته التي نشرت بعنوان « طريقي إلى القدس » « Mein Weg nach Jerusalem » ونشر الجزء الأول منها في القدس عام ١٨٨١م بعنوان ذكريات من شبابي « Erinnerungen aus meiner Jugend » ونشر الجزء الثاني منها في القدس أيضاً عام ١٨٨٤ بعنوان « ذكريات سن الرشد » « Erinnerungen des Mannesalters »

ومن الجدير بالذكر أن هوفمان أصدر كتاباً آخر في بداية اقامته في فلسطين بعنوان أشعار وأغاني « Gedichte und Lieder » صدر في شتوتجارت عام ١٨٦٩م .

اضطر هوفمان بسبب المرض إلى العودة إلى ألمانيا عام ١٨٨١م فتخلى عن رئاسة جمعية الهيكل وتوفي في ٨ كانون الأول (١٨٨٥)م (٤٧) .

أما جورج دافيد هارديج رفيق هوفمان والزعيم الثاني لجمعية الهيكل فقد شارك في تحرير مجلة الجمعية «Sueddeutsche Warte» منذ أن تعرف بهوفمان عام ١٨٤٨ . وأصدر كتابين قبل الهجرة إلى فلسطين هما « الانجيل السرمدي « Das Ewige Eangelium» ووسائل لحل المسألةالاجتماعية Mitteln Zur Loesung der Sozialen Frage, Verlag von Carl Scholer صدرا في شتوتجارت عن داركارل شولر عام ١٨٦٦م .

كما أصدر آخر مؤلفاته عام ١٨٧٧م بعنوان : المسألة التركية Die Teurkische Frage Oder die sechste Zornschale von einem Laien, Stuttgart, bei Messler Buchdrucker, 1877.

وتوفي هارديج في ١١ تموز ١٨٧٩ في حيفا (٤٨) .

المستعمرات الألمانية في فلسطين والعلاقات الألمانية — العثمانية :

ينبغي علينا عند معالجتنا لموقف ألمانيا من المستعمرات الهيكلية في فلسطين التمييز بين موقفين : موقف الحكومة الألمانية القيصرية وموقف الرأي العام الألماني .

ففي ظل المنافسة القائمة بين الدول الاوروبية الكبرى على الشرق العربي كان من المفروض أن تستغل الحكومة الألمانية وجود طائفة من مواطنيها في فلسطين لصالحها غير أن دراستنا للوثائق الموجودة في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية أفضت إلى عكس هذا الافتراض . فقد اتصف الموقف الرسمي الألماني من هذه المستعمرات بالتحفظ لاعتقاد المسؤولين الألمان أن النفوذ الذي يمكن لألمانيا أن تحققه من خلال دعمها لهذه المستعمرات لايساوي المصاعب التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية .

غير أن وزارة الخارجية الألمانية كانت عاجزة عن التصرف انطلاقاً من الاعتبارات السياسية الصرفة . إذ تدخلت عدة عوامل أدت إلى تصرفها ، في كثير من الأحيان بصورة مناقضة لما اعتبرته مناسباً في العلاقات الألمانية — العثمانية . ومن أهم هذه العوامل التي أكرهت برلين على تقديم العون للمستعمرين الألمان في فلسطين الرأي العام الألماني والبلاط القيصري ووزارة خارجية مملكة فورتمبرغ والبحرية الألمانية .

كان الرأي العام الألماني أكثر هذه العوامل فاعلية . فقد كان المستعمرون الألمان في فلسطين ينشرون تقاريرهم في الصحف الألمانية بصورة متقطعة أحياناً ومنتظمة أحياناً أخرى عن نشاطاتهم . وكثيراً ماكانت هذه التقارير الصحفية تؤكد على أعداء السكان العرب والإدارة العثمانية لهم . وكانت الأوساط القومية الألمانية تتجاهل في البداية المبالغة الواردة في هذه التقارير ، غير أنها غضبت لتجاهل حكومة برلين للمعاملة القاسية التي زعم المستعمرون أنهم يعاملون بها من طرف السلطة العثمانية والواقع أن اهتمام اوروبا المتزايد بالأحداث الجارية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر صاحبه زيادة في كمية المعلومات المنشورة في الصحف المحلية عن تلك الأحداث وقد استغل قادة جمعية الهيكل هذا الوضع أحسن استغلال ، إذ كانوا خبراء في هذا الميدان الاعلامي .

أما البلاط الملكي ووزارة الخارجية في مملكة فورتمبرغ فقد كانا معاديين ، لأسباب دينية وحيث ان هذا الموقف الديني اتجه إلى الاعتدال بعد انتشار الليبرالية في اوروبا بوجه عام وفي ألمانيا بوجه خاص خف مع الزمن ، هجوم الهيكليين في مجلتهم « Sueddeutsche Warte » على الكنيسة الانجيلية والسلطة السياسية في فورتمبرغ (٤٩) . وأخذ العديد من أعضاء جمعية الهيكل يعودون إلى حظيرة الكنيسة الانجيلية حتى بلغ عدد هؤلاء عام ١٨٧٤م نحو ثلث أعضائها . وبدلاً من التطرف الديني ، نما شعور جديد في مملكة فورتمبرغ بأن على الوطن الأم واجب حماية أبنائه في ديار الهجرة وهم يتعرضون لاهمال البروسيين ولم تعد حكومة شتوتجارت تقتنع بالاعتبارات التي اعتمدت عليها وزارة الخارجية في برلين في تعاملها مع المستعمرين الألمان في فلسطين .

وكانت القوات البحرية الألمانية المرتبطة مباشرة بالقيصر ذات نفوذ واسع . وتتلقى باستمرار تقارير من ضباط البوارج الحربية التي كانت تتردد على الموانيء الفلسطينية ولعل اهتمام القيصر فيلهلم الثاني في البحرية زاد من أهمية هذه التقارير التي كان يقرؤها القيصر نفسه ويعلق عليها بخط يده . وكان معظم ضباط البحرية الألمان الذين يترددون على فلسطين يميل إلى قبول وجهة نظر المستعمرين الألمان القائلة بأن برلين لم تبذل الجهد الكافي لحمايتهم (٥٠) .

وعندما طلب أصدقاء القدس « Jerusalem Freunde » مــن البندستاغ في فرانكفورت أن تتوسط النمسا وبروسيا ، العضوان في الاتحاد الألماني ، لدى السلطان العثماني للسماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، رفضت الدولتان هذا الطلب بصورة قطعية .

وذهبت النداءات الشخصية الموجهة إلى مندوب بروسيا في الاتحاد ، ادراج الرياح (٥١) .

ولما سافر وفد جمعية الهيكل إلى فلسطين عام ١٨٥٨م لدراسة امكانية الاستيطان فيها، طلب من ملك بروسيا فريدريش فيلهلم الرابع «Friedrich Wilhelm IV» الذي كانت تربطه بفلسطين صلات عاطفية دينية ، ان يزود بعادمن الخبراء الرسميين وليس هناك مايدل على استجابة ملك بروسيا لهذا الطلب (٥٢) .

ولما قرر الهيكليون عام ١٨٦٨م البدء بالاستيطان في فلسطين طلبوا من جديد المساعدة مـــن ملك بروسيا . وكان فيلهلم هوفمان شقيق رئيس جمعية الهيكل(كريستوف هوفمان) يشغل آنذاك أعلى منصب كنسي في برلين « General superintendent » وقسيس البلاط الملكي . وله نفوذ كبير على ملك بروسيا . غير أن الملك طلب من وزارة الخارجية أن تتعرف على موقف حكومة فورتمبرغ من جمعية الهيكل قبل تقديم أية مساعدة لها . وجاء جواب وزير الخارجية في شتوتجارت في ١٦ أيلول ١٨٦٨م يقول ان آراء الجمعية ومواقفها المعادية من الكنيسة الانجيلية تجعلها عنصراً غير مرغوب فيه . كما أن الظروف الصعبة في فلسطين سوف تنتهـــي مشروعها بالفشل (٥٣) . غير أن نفوذ فيلهلم هوفمان تغلب على رأي وزارة الخارجية في شتوتجارت وصدرت التعليمات إلى الممثلين الدبلوماسيين البروسيين لدى الدولة العثمانية لتقديم العون للهيكليين . فبذلوا جهوداً كبيرة لحماية الهيكليين في حيفا . ولكن الهيكليين لم يرضوا عن تردد بروسيا في دعمهم . وأصيبوا بخيبة أمل كبيرة (٥٤) .

واذا استثنينا الدعم الذي قدمته برلين للهيكليين أثناء المفاوضات الأولى مع الباب العالي ، فان المستعمرات الألمانية في فلسطين لم تتمكن من اثارة اهتمام حكومتي برلين وشتوتجارت خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٦٨ و ١٨٧٤م. أما على صعيد الرأي العام الألماني فقد حظي مشروع الهيكليين منذ بدايته بتأييد الصحافة الوطنية ففي نهاية عام ١٨٦٨ م نشرت صحيفة « Augusburger Allgemeina Zeitung » مقالة للبرفسور زيب « Seep » مؤرخ الكنيسة والسياسي الألماني جاء فيها : « ان قيصر ألمانيا الكبير فريدريش بربروسيا « Friedrich Barbarossa » قد قضى نحبه مـــن أجـــل امتلاك الأرض المقدسة . وترك للألمـــان واجب استعادة السيطرة على فلسطين العزيزة عـــلى قلب كل مسيحي . ولا بد أن تجد ألمانيا في نهاية المطاف نصيبها من الاستعمار . ومن أجل هذه الغاية ينبغي تشجيع هجرة الألمان إلى فلسطين (٥٥) .

أما موقف السلطات العثمانية الذي كان معارضاً لقيام المستعمرات الألمانية في فلسطين فقد تغير منذ قيام الوحدة الألمانية عام ١٨٧١م . فوالي دمشق رشيد باشا، الذي تعرف على نشاط الانجيليين الألمان في بسرابيا ، كان يعطف على الألمان حتى أنه وعد القنصل الألماني العام في بيروت بمنح الهيكليين قطعة من الأرض في حيفا كبداية . وقام هارديج بزيارة الوالي أثناء وجوده في بيروت وعرض عليه خطة لاستغلال جبل الكرمل . فما كان من رشيد باشا الا أن أرسل سكرتيره الخاص ليعد تقريراً عن المنطقة المطلوبة في عام ١٨٧٢م . وكانت خطة هارديج تقوم على انشاء مصح على قمة الكرمل وربطه بمسبح على شاطىء البحر . ورغم جهود القنصل الألماني فريد ريش كيلر «Friedrich Keller» في سبيل تحقيق هذا المشروع ، امتنعت الحكومة العثمانية من اصدار فرمان باهداء جبل الكرمل للهيكليين (٥٦) .

وحدث تغير في موقف وزارة الخارجية الألمانية من الهيكليين بعد عام ١٨٧٥ . وكان السبب في ذلك المظاهرات التي قام بها المسلمون في فلسطين أثناء الحرب البلقانية في ذلك العام . اذ خشي القناصل الأجانب قيام تحرك إسلامي ضد الأجانب في فلسطين وعلى رأسهم المستعمرون الألمان (٥٧) . وبناء على طلب الهيكليين وافقت الحكومة الألمانية على ارسال بوارجها الحربية إلى الموانىء الفلسطينية في مظاهرة عسكرية القصد منها تطمين المستعمرين الألمان . وفي ٢ حزيران ١٨٧٧م أصدر وزيرالخارجية الألماني فون بيلوف « Von Buelow» تعليماته إلى السفيرالألماني فياسطنبول بالخطوة الاستثنائية التي اتخذتها الحكومة الألمانية . وجاء في هذه التعليمات : « وافق القيصر على طلب المستشار بسمارك لارسال قواتنا البحرية إلى الشرق ، آخذاً بعين الاعتبار الوضع الراهن هناك .. ان الهدف الأول للأسطول ظهور العلم الألماني في الموانىء التركية من أجل حماية رعايانا هناك ومن أجل التعبير عن اهتمام حكومة القيصر برعاياها في ضوء قلقهم الناشىء عن الحرب ... وحماية أرواحهم وممتلكاتهم بالتدخل الفعال إذا اقتضت الضرورة ذلك (٥٨) .

وأصدرت وزارة الخارجية في برلين سلسلة من التعليمات إلى سفرائها في اوروبا لاقنـــاع الدول الاوروبية بأنه ليست وراء ارسال الأسطول الألمـــاني إلى الموانىء العثمانية أية دوافع سياسية ، وان السبب الوحيد هو الدفاع عن الرعايا الألمان في الشرق (٥٩) ..

أما على الصعيد المحلي في فلسطين فقد شعر المستعمرون الألمان في شباط ١٨٧٧م، بينما كان مئات الشباب من المسلمين يتجهون إلى يافا وحيفا للسفر إلى سالونيك للمشاركة في القتال أنهم قد يتعرضون للأذى . وقام وكيل ضابط سابق ألماني بتدريب الشباب الألمان على التدارين العسكرية في مستعمرة سارونا . وطلب هوفمان من القيصر حماية المواطنين الألمان من أي اعتداء محتمل من جانب المسلمين وفي يوم عند الفصح من عام ١٨٧٧م أرسى الطراد الألماني غاسيله « Gazelle » في ميناء يافا . وكان عليه اربعمائة جندي وثمانية عشر مدفعاً . وكان يقود الطراد الأمير فون هاكه « Craf Von Hacke » وجاء هوفمان وممثلون عن الهيكليين إلى ميناء يافا لتقديم شكرهم لقائد الطراد لحماية الحكومة الألمانية لمواطنيها . ولما ردّ قائد الطراد على زيارة هوفمان ورفاقه بزيارة مستعمرة سارونا . أقام المستعمرون الألمان الاحتفالات الضخمة بهذه المناسبة . وحدث شيء مماثل لذلك عندما زار الطراد نفسه ميناء حيفا في الفترة نفسها . وفي صيف العام نفسه قامت أربع بوارج حربية ألمانية بزيارة الساحل السوري والفلسطيني (٦٠) .

وبدأت بعد هذه الظاهرة العسكرية مرحلة من العلاقات الودية بين الهيكليين والحكومة الألمانية واستجابت الحكومة الألمانية لطلب الهيكليين بدعم مدارسهم في فلسطين فقامت وزارة الخارجية الألمانية مبلغ (٣٧٥٠) ماركاً منحة سنوية لهذه المدارس . وكان هذا المبلغ يعادل ربع الموازنة السنوية لتلك المدارس . ومن الجدير بالذكر أن هذه المنحة هي المعونة المالية الرسمية الوحيدة التي قدمتها الحكومة الألمانية للهيكليين منذ بداية مشروعهم الاستعماري في فلسطين عام ١٨٦٨م وحتى عام ١٩١٨ م .

وفي عام ١٨٨٠م سعى الهيكليون إلى اعتراف الحكومة العثمانية بالتنظيم الإداري المستقل لمستعمراتهم . وأيدهم في هذا المسعى القنصل الألماني العام في القدس مينشهاوزن « Meunchhausen » غير أن مسعاهم باء بالفشل . كما فشلت محاولتهم لدفع وزارة الخارجية الألمانية إلى التوسط لدى الحكومة العثمانية لتوسيع حقوق الأجانب المقيمين في الولايات العثمانية (٦١) . وحدثت أزمة عنيفة بين الهيكليين والحكومة الألمانية سببها الخدمة العسكرية في ألمانيا . ذلك أن عدداً قليلاً من المستعمرين الألمان قد أتم الخدمة العسكرية الاجبارية في ألمانيا قبل الهجرة إلى فلسطين . وكان هؤلاء يتمتعون بالجنسية الألمانية وفقاً للقانون الألماني . أما الذين كانوا دون سن السابعة عشرة عندما غادروا ألمانيا ولم يعودوا اليها للقيام بالخدمة العسكرية فقد كان من الصعب منحهم حقوق المواطنة

الألمانية . ومن المعروف أن العديد من الألمان وغيرهم قد دخل في حماية القنصليات الألمانية في فلسطين إما بصفتهم مواطنين يتمتعون بحق المواطنة الألمانية « Reichsangehoerige » وإما بصفتهم رعايا تحت الحماية « Schutzenessen » وفي عام ١٨٨٠م أصدر المستشار الألماني بسمارك تعليمات إلى القناصل الألمان في الدولة العثمانية يطلب فيها رفع الحماية عمن لم يقض الخدمة العسكرية في الجيش الألماني .

ودخلت الأزمة مرحلتها الحرجة اثر وصول خليفة القنصل مينشهاوزن الدكتور رايتس « Reitz» إلى القدس عام ١٨٨١م فقد بدأ يدعو الهيكليين إلى مكتبه واحداً بعد الآخر ويفهمهم بأن القصد من مشروعهم الاستعماري في فلسطين هو التهرب من الخدمة العسكرية في الجيش الألماني . ولما حاول رايتس أن يرفع الحماية عن بعض الهيكليين ثار غضب هوفمان زعيمهم ، بعث باحتجاج شديد اللهجة إلى المستشار الألماني . وقال في رسالته الاحتجاجية هذه إذا كان رايتس يتصرف بناء على تعليمات من وزارة الخارجية فإن الهيكليين سوف يبحثون عن دولة أخرى للدخول في حمايتها ، وربما اضطروا إلى الانتقال إلى بلد آخر . ورجا هوفمان المستشار الألماني أن يعتبر العمل في المستعمرات الألمانية في فلسطين ولعشرين سنة قادمة كخدمة عسكرية . وطلب تعديل قانون الخدمة العسكرية الألماني بحيث يأخذ بعين الاعتبار وضع الهيكليين في فلسطين . فإذا تعذر ذلك طلب هوفمان ابقاء الوضع كما هو عليه حتى عام ١٨٨٤م ليتمكن الهيكليون من إيجاد حل آخر (٦٢) .

وجاء رد المستشار الألماني ليؤكد أن تصرفات رايتس مبنية على تعليمات تلقاها من وزارة الخارجية الألمانية ، وانه من المتعذر استثناء الهيكليين في قانون الخدمة العسكرية . ولكنه اعترف بحقهم في التمتع بالحماية القنصلية الألمانية ، شريطة أن يطبق عليهم قانون الخدمة العسكرية اعتباراً من عام ١٨٨١م (٦٣) . ومنذئذ شرع الهيكليون يرسلون أبناءهم إلى ألمانيا للقيام بالخدمة العسكرية هناك ومدتها ثلاث سنوات (٦٤) .

وحدث تغير مهم في السياسة الألمانية نحو الدولة العثمانية في الثمانينات من القرن التاسع عشر . ففي عام ١٨٨٠م لبى المستشار الألماني بسمارك طلب السلطان العثماني بتزويد بلاده بالخبراء الماليين والعسكريين . وبدأت ألمانيا منذئذ الغزو الاقتصادي « Penetration Pacifique » للدولة العثمانية. وأصبح دعم الدولة العثمانية وتقويتها على

أمل أن تكون في يوم ما حليفة لألمانيا ، هدفاً مهماً من أهداف السياسة الخارجية الألمانية . واستقدمت الدولة العثمانية العديد من الخبراء العسكريين والإداريين الألمان . وأخذ الشباب العثماني يتردد على المعاهد العسكرية والعلمية الألمانية . وبدأ بنك فلسطين الألماني « Deutsche Palaestina Bank » نشاطه في القدس ثم فتح فرعاً لــه في يافا وآخر في حيفا . وأخذت البواخر الألمانية تتردد بانتظام على الموانيء العثمانية . وتأسست في عام ١٨٨٩م شركة بواخر الشرق الألمانية « Die Deutsche Levante-Linie » وبدأت رحلاتها بأربع بواخر ثم مالبثت أن زادت عدد بواخرها إلى العشرين في مطلع القرن العشرين (٦٥) . وفي عام ١٨٨٨م حصلت شركة ألمانية عــلى امتياز من سكة حديد الأناضول (٦٦) .

وفي العام نفسه اعتلى عرش ألمانيا القيصر فيلهلم الثاني . وبعد عام من ذلك قرر أن تكون أول زيارة له خارج ألمانيا إلى السلطان العثماني . وقد أعجب القيصر بآراء السفير الألماني في اسطنبول البارون هاتسفيلد « Baron Hatzfeld » (١٨٧٩ – ١٨٨١م) بشأن التعاون الألماني – العثماني . فقد رأى هاتسفيلد أن فرنسا تمتعت بوضع متفوق في الدولة العثمانية حتى حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، وأن انجلترا التي حاولت الحلول محل فرنسا قد أثارت شكوك الأتراك بعد أن ضمت قبرص اليهـــا عام ١٨٧٨م واحتلت مصر عام ١٨٨٢م وينتهي السفير الألماني السابق إلى القول ان فراغاً قد وجد نتيجة لذلك ولا بد لقوة اوروبية من ملئه ، وأن المانيا هي الدولة المؤهلة لملء هذا المشروع (٦٧) .

في نطاق الانفتاح العثماني على ألمانيا ورغبة هذه الأخيرة في توسيع علاقاتها مع الدولة العثمانية لم يكن للهيكليين الا أثر ضئيل جداً في هذا المجال . إذ حرصت برلين على إزالة مخاوف العثمانيين من تجميع الأجانب على أراضيهم . كما أن فلسطين تقع خارج نطاق المصالح الألمانية التي تركزت على طول سكة حديد بغداد .

لقد دار جدل طويل في أوساط وزارة الخارجية الألمانية حول موقف الحكومة الألمانية من الاستيطان الألماني في الدولة العثمانية على ضوء التطورات الجديدة . ففي عام ١٨٩٠م طلب خليفة بسمارك المستشار كابريفي « Caprivi » من وزارة الخارجية ابداء رأيها في اقتراح تقدم به السلطان العثماني إلى القيصر فيلهلم الثاني يتضمن انشاء مستعمرات ألمانية على طول سكة حديد بغداد . وكانت أول مذكرة من وزارة الخارجية

تناولت هذا الاقتراح قدمها الهركيدرلين « Kiderlen » من الدائرة السياسية في الوزارة .
وقد بنى كيدرلين تحليله على تجربة الهيكليين في فلسطين . وجاء في مذكرته هذه :

« ان المستعمرات الألمانية في فلسطين لاتقدم لنا مثالاً مشجعاً . فالمستعمرون يكسبون قوتهم بصعوبة ، ويتعرضون لعداء السكان المحليين والسلطات التركية . وإذا كان المستعمرون المقترح توطينهم في آسيا الصغرى من الألمان فسيواجه قناصلنا التذمر الدائم من السلطات المحلية ، كما ستواجه سفارتنا تدخل الباب العالي المستمر . وهذا أمر لابد من أخذه في الحسبان . وقد يدمر علاقاتنا الطيبة مع الأتراك بدلاً من أن ينميها . والمستعمرات في فلسطين خير مثال على ذلك (٦٨) .

وقدم مدير الدائرة الاستعمارية في وزارة الخارجية الهركايزر « Kayser » مذكرة مماثلة للمذكرة السابقة . يتبين لنا من هاتين المذكرتين ان وزارة الخارجية الألمانية كانت ترى في مستعمرات الهيكليين في فلسطين مثالاً سيئاً وسبباً دائماً لتهديد العلاقات الألمانية – العثمانية . والواقع أن شكاوى الهيكليين أثارت غضب السلطات العثمانية ، كما أن وجود المستعمرات الألمانية في فلسطين أثار حفيظة الدول الأوروبية ضد ألمانيا . ولم تكن فلسطين بإمكانياتها المحدودة البلد القادر على تلبية احتياجات ألمانيا . فلا هي مصدر مهم للمواد الأولية ولا هي سوق واسع وقادر على استيعاب منتجات ألمانيا . ولذلك لم يكن فيها مايستحق اهتمام ألمانيا الحقيقي في هذه الفترة .

ولعل أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر زيارة القيصر الألماني فيلهلم الثاني في تشرين الأول عام ١٨٩٨م وهي زيارته الثانية للشرق . وكان الغرض المعلن من هذه الزيارة الحج إلى الأماكن المقدسة ففي ٢٥ تشرين الأول من ذلك العام أرست ثلاث بوارج ألمانية تنقل القيصر وحاشيته في ميناء حيفا . وفي صباح اليوم التالي تجمع كافة أفراد المستعمرة الألمانية في حيفا في باحة القنصلية الألمانية من أجل تحية القيصر . وقام فريدريش لانجه « Friedrich Lange » رئيس الجماعة الهيكلية في حيفا (ومؤرخ الجمعية) بالقاء كلمة في حضرة القيصر شكره فيها على الدعم والمؤازرة التي يلقاها الهيكليون من القيصر وبخاصة في ميدان التعلم . وأكد على ضرورة توثيق الصلات بين الهيكليين والوطن الأم . ورد القيصر عليه بالاعراب عن سعادته إذ يرى في قلب الأرض المقدسة مستعمرة ألمانية لها علاقات وثيقة بالوطن الأم . وقال بأنه سوف ينقل إلى ملك فورتمبرغ

ماحققه مواطنوه من انجازات . وأكد حمايته لكافة الألمان . كما ألقى الدكتور شوماخر «Dr. G. Schumacher» ابن أحد قادة الجمعية كلمة في حضرة القيصر أشار فيها إلى قيمة الأبحاث العلمية الألمانية عن فلسطين وأحوالها (٦٩) . وتجول القيصر في المستعمرة ثم اتجه إلى يافا ومنها إلى القدس . وخلال سفره الذي استغرق يومين زار القيصر مستعمرات يافا وسارونا وريفايم حيث استقبل استقبالاً حافلاً (٧٠) .

وأثناء هذه الزيارة أصبحت فلسطين والمستوطنون الألمان فيها موضوع الساعة في ألمانيا. وتأسست في شتوتجارت في تشرين الأول ١٨٩٩م « جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين » . Gesellschaft Zur Foerderung der. Ansiedlungen in Palaestina تحت رعاية البارون فون ايلبريكسها وزن « Frieherr Von Ellerichshausen » من أجل تزويد الجمعية بالتبرعات المالية لتوسيع نشاطها وشراء المزيد من الأرض وتولى ادارة الجمعية الأمير فون اوراخ « K. Von Urach » بينما تولى رئاستها الفخرية النائب العام في المملكة الدكتور فون روب «Von Rupp» وتمكنت هذه الجمعية من جمع مبلغ ثلاثمائة ألف مارك حولت إلى جمعية الهيكل فاشترت به قطعة من الأرض مساحتها ثمانية كيلومترات مربعة بالقرب من اللد غير بعيد عن سكة حديد يافا — القدس . وأنشأت عليها مستعمرة فيلهلما Wilhelma (٧١) .

وإذا كانت زيارة القيصر لفلسطين قد بعثت الحماس في نفوس سكان مملكة فورتمبرغ فأنشؤوا جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين، فلم يتجاوز دعم القيصر للهيكليين اعجابه بمنجزاتهم وتعاطفه معهم ووعده لهم بأن يسعى لدى السلطات العثمانية لتعاملهم المعاملة التي يستحقونها (٧٢) . وإذا عدنا إلى وثائق الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية لمعرفة نتائج زيارة القيصر هذه ، لم نجد فيها ذكراً أو إشارة للمستعمرات الألمانية في فلسطين . فقد لخص نتائج هذه الزيارة القائم بالأعمال الألماني في اسطنبول في تقرير بعث به إلى وزارة الخارجية (٧٣) . ووزعت نسخ من هذا التقرير بناء على أوامر القيصر . إلى كافة السفارات الألمانية في العالم . وقد ورد في هذا التقرير أن الدافع الأول لزيارة فلسطين هو دافع ديني . ولم يرد فيه أية اشارة للمستعمرات الألمانية فيها . والواقع أن زيارة القيصر لفلسطين لم تحدث أي تغيير في السياسة الألمانية الرسمية نحو المستعمرات الهيكلية . غير أن فلسطين بقيت منذئذ موضوع اهتمام الرأي العام الألماني . فقد أثار الوصف الحماسي للمستعمرات موجة من التعاطف الشعبي

ساعدت المستعمرين على التغلب على المصاعب التي واجهوها وبناء ثلاث مستعمرات جديدة . غير أن الأموال اللازمة لبناء هذه المستعمرات جمعت من مواطني مملكة فورتمبرغ وحدها (٧٤) . وذهبت جهود جمعية تطوير الاستيطان الألماني في فلسطين من أجل الحصول على تعاون القيصر الألماني لشراء الأسهم في المؤسسة العالمية التي أنشأها سادى . هذا وقد لقيت الجمعية المذكورة اهتماماً خاصاً في مملكة فورتمبرغ . ففي عام ١٩١٠م طلب وزير خارجية المملكة من ممثليها في برلين أن يتوسط لدى وزارة الخارجية الاتحادية لتضغط على الدويتش بانك « Deutsche Bank » لمنح جمعية الهيكل قرضاً مقداره مئة ألف مارك للحفاظ على الطابع الألماني لمستعمرة سارونا وتطوير مستعمرات فيلهلما وبيت لحم في الجليل . وبينما كانت المساعي جارية للحصول على القرض المطلوب أنفقت حكومة برلين مبلغاً يساوي عشرين ضعفاً من هذا المبلغ على مؤسسة القيصرة اوغستافكتوريا « Kaiserin Auguste Victoria Stiftung » في القدس التي أنشئت تخليداً لزيارة زوجة القيصر للمدينة المقدسة (٧٥) .

ومع مد سكة حديد الحجاز وقيام الفرنسيين بمد السكك الحديدية في فلسطين ازداد قلق الهيكليين وشعروا أن البلاد تكاد تقع تحت النفوذ الفرنسي . وفي صيف عام ١٩١٣م قام وفد من جمعية الهيكل في فلسطين مؤلف من رئيسها كريستيان رورهر « Christian Rohrer » وغوتليب شوماخر « Gottlieb Schumache » بزيارة شتوتجارت وبرلين للسعي لدى حكومة فورتمبرغ وحكومة برلين الاتحادية لتجنيب وقوع فلسطين في منطقة النفوذ الفرنسي . وفي آب ١٩١٣م قدم الوفد مذكرة إلى فون روزنبرغ « Von Rosenberg » مدير الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية في برلين . وسأل شوماخر المسؤول الألماني عن مصير المستعمرات الألمانية في حالة قبول ألمانيا بوقوع فلسطين تحت الهيمنة الفرنسية . وتضمنت مذكرة الوفد الهيكلي اشادة بدور المستعمرين الألمان في تطوير فلسطين ورفع سمعة المانيا . كما اقترحت إيجاد حل لمستقبل فلسطين تقبل به الدول الكبرى ، وذلك بأسرع وقت ممكن وقبل أن يفوت الأوان . واقترح شوماخر في هذا الصدد وضع فلسطين (من الحدود المصرية إلى رأس الناقورة شمالاً وحتى سفوح جبل الشيخ شرقاً) تحت حكم أمير اوروبي . وبرر اقتراحه هذا بأنه لايتعارض والمصالح البريطانية والروسية في المنطقة . واقترح بالمقابل منح فرنسا المنطقة الواقعة شمال فلسطين دون الاضرار بمصالح الدول الكبرى فيها (٧٦) .

وسعى الوفد لدى وزارة خارجية فورتمبرغ بقبول مقترحاته السابقة الذكر ، فأيدتها وطلبت من ممثليها في برلين أن يجس نبض وزارة الخارجية الاتحادية . فجاء الرد : ان سورية لا تقع في منطقة اهتمام ألمانيا لأنها بعيدة عن سكة حديد بغداد (٧٧) وهكذا خابت آمال الوفد الهيكلي من موقف حكومة برلين . وعاد إلى فلسطين خالي الوفاض . وجاءت الاتفاقية الفرنسية — الألمانية لعام ١٩١٤ م (٧٨) لتؤكد اعتراف ألمانيا بوضع فرنسا الخاص في فلسطين وبخاصة في موضوع بناء السكك الحديدية .

غير أن فكرة فصل فلسطين عن الدولة العثمانية ووضعها تحت الهيمنة الأوروبية لم تغب عن ذهن بعض المسؤولين الألمان . فقد اقترح السفير الألماني في اسطنبول في رسالة بعث بهـا إلى المستشار الألماني الأمير فون هيرتانغ « Graf Von Hertling » انشاء مملكة في فلسطين لحل مسألة الأماكن المقدسة ، معتقداً بأن هذا الحل سوف يرضي المسيحيين واليهود في العالم ، شريطة إيجاد حل مرض للأماكن المقدسة الإسلامية في القدس (٧٩) . وكان القنصل الألماني العام في القدس الدكتور برود ه « Brude » قد اقترح على السفير الألماني في اسطنبول مملكة صغيرة في القدس تضم بيت لحم جنوباً وتمتد إلى نهر الأردن والبحر الميت شرقاً وإلى قرية رام الله شمالاً . وان يعتلي عرشها أمير كاثوليكي ألماني ، شريطة أن تبقى هذه المملكة تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وان تدفع للخزينة العثمانية مليون جنيه استرليني ، وان يحتفظ المسلمون والمسيحيون واليهود بأماكنهم المقدسة فيها . واقترح بدوره أيضاً أن تسعى الحكومة الألمانية لدى الباب العالي للتوسع في الاستعمار اليهودي في فلسطين ومنح اليهود حكماً ذاتياً في البلاد (٨٠) . والواقع أن هذه المقترحات قد جاءت في فترة بلغ النشاط الصهيوني في ألمانيا أوجه من أجل الحصول على وعد رسمي من الحكومة الألمانية مماثل لتصريح بلفور .

يتضح مما سبق أن الحكومة الألمانية لم تسع إلى تحقيق أية مطالب علنية وسرية في فلسطين منذ قيام الرايخ الألماني عام ١٨٧١ م وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٨ م كما أنها لم تستغل عنصر المستعمرين الألمان لأغراضها السياسية في البلاد .

علاقات المستعمرين الألمان بالسكان العرب :

اتسمت العلاقات بين المستعمرين الألمان والسكان العرب في فلسطين بالشك

والريبة والحذر . لقد أدرك كريستوف هوفمان أثناء رحلته الاستطلاعية إلى فلسطين عام ١٨٥٨م ان مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب، وإنما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب الذين يشكل المسلمون أكثر من ٩٠٪ منهم (٨١) .

ولما بدأ استيطان الهيكليين في فلسطين كانوا يحملون أفكاراً واضحة عن العداء العربي لهم . وساهمت أحداث فلسطين في تشدد كل فريق في موقفه . وأدرك العرب أن الهيكليين الألمان ليسوا كبقية المقيمين الأجانب في فلسطين . فمشروعهم ليس خيرياً كمشاريع الارساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد . واكتشفوا أيضاً أن الألمان قد جاؤوا إلى البلاد تاركين أوطانهم بهدف واحد هو الاستيلاء على أراضيهم وامتصاص دمائهم (٨٢) . ولذلك كان من المتعذر على مشروع الاستيطان الألماني أن يكسب قلوبهم . وخلافاً لما كان يعتقده أو يزعمه الألمان لم تساهم انجازاتهم في فلسطين الا في بعث كراهية العرب لهم (٨٣) ونظر الألمان بالمقابل إلى العرب نظرة استعلاء وتفوق ، فزادت من توتر العلاقات بين الفريقين (٨٤) . وكان قادة جمعية الهيكل يخشون الاختلاط بالسكان العرب والذوبان في المجتمع المحلي فهم « شعب الله » المكلف ببناء مملكة الرب في القدس . لذلك تحاملوا على العرب دوماً وبرروا هذا التحامل في المقالات التي كانوا ينشرونها في مجلتهم « Sueddeutsche Warte » . فالشرقي في نظرهم « وقح متعجرف بالطبيعة يمارس السرقة والاستجداء ، ولا يحني هامته إلا للقوة والمال » (٨٥) .

وكان قادة الجمعية يحذرون أعضاءها من التزاوج مع العرب . واستغلوا حالة زواج فاشلة بين فتاة ألمانية وشاب مسيحي عربي في دعايتهم هذه . وكانوا يقولون « من الأفضل للألمانيات أن يبقين عوانس من أن يلقين بأنفسن في أحضان الرعاع » (٨٦) .

ولم يخف كريستوف باولوس الذي خلف هوفمان في رئاسة جمعية الهيكل بين عامي/١٨٨٤ و ١٨٩٠م والذي كان من اتباع الفلسفة الانسانية، احتقاره للعرب . وحينما تكونت شركة للنقل بين يافا والقدس من الألمان والعرب واليهود عام ١٨٨٤م أوكل تنظيمها إلى الألمان كتب باولوس بهذا الصدد يقول : تعتبر هذه الاتفاقية نصراً للأمانة الألمانية على دسائس العرب واليهود القذرة . لقد أمكن قيام الشركة لأن ادارتها والاشراف على ماليتها قد أوكلا إلى الألمان الذين تعترف كافة الأطراف بأمانتهم ومثابرتهم على العمل . دعنا نأمل أن يكون لهذا الانجاز الذي حققته النزاهة الألمانية ، تأثير إيجابي

على السكان المحليين . ويمكن اعتبار هذا العمل الأنموذجي عملاً تبشيرياً ، لأن الهيكليين يؤمنون بان على الشعب الذي يتوجه اليه المبشرون أن يتحول إلى كائنات بشرية قبل أن ينظر في أمر تنصيره (٨٧) .

ازاء هذه النظرة الاستعلائية العرقية ، لاعجب اذا عجز الهيكليون عن الوصول إلى قلوب العرب وإقامة علاقات طيبة معهم . وقد اعترف بهذا الوضع السفير الألماني في اسطنبول مارشال فــون بييرشتاين « Marschall Von Biebeistein » في رسالته التي بعث بها إلى المستشار الألماني فون بيلوف «Von Buelow» المؤرخة في ٨ أيار ١٩٠٩ . والتي اقتبس فيها أقوال نائب القنصل الألماني في حيفا (٨٨) .

ورغم حالة الشك والحذر والكراهية التي سادت العلاقات بين المستعمرين الهيكليين والعرب في فلسطين . لم تحدث خلال الحكم العثماني سوى حادثة قتل واحدة ذهب ضحيتها أحد هؤلاء الألمان وبسبب استفزازي . وكان سبب الحادثة التي تمت عام ١٩١٠ م مقتل أحد فلاحي قرية الطيرة (قرب حيفا) على يد أحد الألمان من مستعمرة حيفا ، فثار أهل القتيل لقتيلهم وهاجموا في اليوم التالي للحادث أحد الألمان واسمه فريتس اونجر «Fritz Unger » في مستعمرة نويهارد تهوف وأردوه قتيلاً (٨٩) .

وخشي المستعمرون الألمان اعتداء المسلمين عليهم أثناء الحرب البلقانية /١٨٧٥ — ١٨٧٨م/ . وطلبوا الحماية من حكومتهم ، فرأت هذه أن تبعث ببوارج حربية إلى الشواطىء الفلسطينية . فكانت خطوة لاسابقة لها .

وشعر المستعمرون الألمان بضيق شديد عندما أخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي . فقد حل العرب محل الناقلين الألمان بالشاحنات على طريق حيفا — عكا . كما ألحقوا أضراراً كبيرة بشركة السفريات الألمانية على طريق يافا — القدس بتخفيض أجور السفر . وواجه الحرفيون الألمان منافسة من العرب . وزاد من كراهية العرب للمستعمرين الألمان واليهود حماية الدول الأوربية الكبرى لهم . ولم يشعر العرب في يوم من الأيام بأن وجود المستوطنين الألمان أو غيرهم فيه أية فائدة لهم (٩٠) .

علاقة المستعمرين الألمان بالطائفة اليهودية :

اتخذت جمعية الهيكل موقفاً عدائياً من اليهود واليهودية قبل استيطان أفرادها

في فاسطين ، لاعتبارات دينية محضة . غير أن هذا الموقف تبدل بعد استيطان الهيكايين في فاسطين . ولم يترددوا في التعاون مع المهاجرين اليهود والمستعمرات اليهودية لمواجهة المجتمع العربي لهم . وأخذ هذا الموقف يتغير مع قدوم آلاف اليهود من شرق اوروبا في منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر وذلك بسبب منافسة المستعمرين اليهود الجدد لهم في الميادين الاقتصادية .

فقد كان هوفمان مؤسس جمعية الهيكل يعتقد أن الأرض المقدسة ينبغي أن تكون ملكاً لشعب الله . وان الله كان ينوي في البداية منح هذه البلاد للشعب اليهودي .

غير أن هذا الشعب غرق في الرذيلة والفساد ولم يعد شعباً مقدساً . والهيكليون وحدهم هم الذين أوجدوا الشعب المقدس الجديد « شعب الله » وتأكد هذا الاعتقاد لدى هوفمان عند زيارته لفلسطين عام ١٨٥٨م ورأى حالة اليهود « السيئة وكسلهم وعجزهم عن تخليص البلاد من حالتها المتدهورة » . ووجد الألمان في بداية استيطانهم مبرراً للتفاهم مع الأقلية اليهودية للتخلص من العزلة التي يعيشونها (٩١) .

أما بالنسبة إلى اليهود ، فقد حاول زعماء هواة صهيون « حوفيفي تسيون » (٩٢) الاستفادة من تجربة المستوطنين الألمان في المستعمرات الزراعية . وكانوا يترددون عليهم محاولين تجنب الأخطاء التي وقعوا فيها . وحينما بدأت الهجرة اليهودية المنظمة الأولى /١٨٨٢–١٩٠٤م/ التي تألفت من موجتين كبيرتين هما الأولى /١٨٨٢–١٨٨٤/ والثانية /١٨٩٠ – ١٨٩١/ بدأ موقف المستوطنين الألمان يتغير . وكانت المنافسة الاقتصادية وراء هذا الموقف المعادي . صحيح أن نوعية الانتاج اليهودي من الحرف والصناعات الخفيفة كانت أدنى من نوعية الانتاج الألماني الا أن انخفاض أسعار الانتاج اليهودي جعل من الحرفيين والصناع اليهود منافسين خطرين للألمان (٩٣) .

وشعر المستعمرون الألمان بالخطر الحقيقي حينما طلب ثيودرر هرتسل « Theodor Herzl » في آب ١٨٩٧م مـــن أعضاء المؤتمر الصهيوني الأول – المنعقد في مدينة بازل السويسرية الموافقة على برنامج الحركة الصهيونية . ومنذ أن صدرت صحيفة « العالم Die Welt » الناطقة باسان الحركة الصهيونية في حزيران ١٨٩٧ ، شعر الهيكليون أنهم يواجهون حركة سياسية يهودية منظمة تؤكد صحيفتها كل يوم على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

ومنذ مطلع عام ١٩٠٨م شنت صحيفة الهيكليين « Sueddeutsche Warte » هجوماً على الحركة الصهيونية وعلى مختلف أوجه نشاطها . وكان يقود هذه الحملة فريتس لورخ «Fritz Lorch» أحد الألمان المولودين في فلسطين والذي انتقل إلى شتوتجارت ليعمل في صحيفة الجمعية . وقد أبرز لورخ عدم ولاء الصهاينة للدولة العثمانية وتعاونهم مع بريطانيا من أجل تمزيق أشلائها . أما الصهاينة فقد حاولوا التقرب من المستوطنين الألمان والتفاهم معهم حرصاً منهم على تجنب الصدام مع الامبراطورية الألمانية الناشئة وامتنعت صحيفة « دي فيلت » الصهيونية عن الرد على حملة لورخ الاعلامية (٩٤) .

وبمناسبة انتقال صحيفة الهيكليين «Sueddeutsche Warte» من شتوتجارت إلى القدس في كانون الثاني عام ١٩١٢م نشرت صحيفة « دي فيلت » مقالاً مطولاً طالبت فيه المستوطنين الألمان أن يبدوا مزيداً من التفهم نحو المصالح المشتركة لليهود والألمان . وأكد المقال على الفوائد التي قد يجنيها المستوطنون الألمان والامبراطورية الألمانية من المهاجرين اليهود الناطقين باللغة الألمانية والذين يفضلون اقامة علاقات تجارية مع ألمانيا (٩٥) .

ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا ، في هذه الفترة ، كانت مقراً لمعظم المؤسسات والمراكز التابعة للحركة الصهيونية . وانساق المستوطنون الألمان وراء سياسة ألمانيا الرسمية منذ عام ١٩١٣ م تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من أجل تنمية المصالح الألمانية فيها . وشهدت العلاقات بين الاقليتين الألمانية واليهودية تحسناً ملحوظاً عشية قيام الحرب العالمية الأولى (٩٦) . غير أن هذا التحسن في العلاقات كان مؤقتاً ولفترة قصيرة جداً .

المصـــادر :

(١) Hajjar, J.: L'Europe et les Destinees du Proche Orient, Bloud and Gay, Belgium, 1970, pp. 326-7.

Hyamson, A.M. : British Projects for the Restauration of Jews to Palestine, in ,Poblications of the American Jewish Historical Society', 1918, No. 2, pp, 129-131.

(٢) Hajjar, j.: op. cit, pp. 327-8.

(٣) Hyamson, A.M.: op, cit, p. 136, Hajjar, J.: op. cit, p. 329.

(٤) Tibawi, A. L.: British Interests in Palestine, Oxford Inviesity Press, Lond, 1961, p. 53.

Hyamson, A.M.: The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews of Palestine (1838-1914). London, 1939, vol. I, p. 45.

(٥) ولد موسى مونتفيوري عام / ١٧٨٩ / في ليفورن Livourne ونجح في حياته كرجل أعمال يهودي. وأصبح نبيلا بسبب صلة النسب بأسرة روتشيلد في بريطانيا . وانسحب في عام ١٨٢١ من أعمال التجارة وكرس حياته للأعمال الخيرية الاجتماعية المتعلقة باليهود . وقام بعدة زيارات لفلسطين بين عامي ١٨١٧ و ١٨٧٥ .

Loewe, L. (ed.): Biaries of SirMoses and Lady Montefiore, London, 1890, vol. I. pp. 165 ff.
Hajjar, J.: pp. cit, p. 327.

(٦) Hajjar, J.: op, cit, pp. 330-331.

(٧) حول تفاصيل اقامة ملكته في اسطنبول أنظر :

Holke, Helmuth von: Breife urher Zustaende und Begebenbeiten in der Tuerkei aus den Jahren 1935bis 1839, Berlin, 1890.

Wagner. R.: Molke und Muehlbach zusammen unter dem Halbmonde (1837-1939), Berlin, 1893.

(٨) Moltke, Helmuth von: Vermischte Schriften, Berlin, 1892, Bd.2. pp. 279-288.

Lewin, E. : The German Road to the East,:William Heinmaun, London, 1916, pp. 22-3.
Hajjar, J.: Op. cit., p. 369.

(٩) Geschichete der Deutschen Evangellschen Kirche und Mission im Heiligen Lande, p.4.

Tibawi, A.L. : Op. cit, pp. 44-5.

Richter, J., History of Protestant Missions in the Near East, Aé A. M. S. Press, New York (1970) Reprinted Edition of 1910. p. 237.

(١٠) Brugger, Hana: Die deutschen Siedlungen in Palaestina, Bern, 1909, pp. 11-12.

Carmel, Alex-: Geschichte Haifas in der tuerkischen Zeit (1516-1918), Otto Harrasowitz, X Weisbaden, 1975, p. 80.

(١١) ولد كريستوف هوفمان في بلدة ليونبرغ في الثاني من كانون الأولعام ١٨١٥ . وانتقل مع والده إلى كورنتال . وكان يتردد على خاله الهرباومان في شتوتجارت . واهتم كريستوف منذ باه بالشعر والتاريخ ودرس في جامعة توبنجن الفلسفة والتاريخ. وأعجب بهيجل وكان من الفلاسفة الألمان. ولما أنهى دراسته الجامعية عام /١٨٣٧/م اشتغل معلماً في مدرسة أنشأها صديقه عمانوئل بالوس بالقرب من لود فيجزبورغ. غير أنه لم يقم فيها طويلا واضطر تحت ضغط والده إلى العمل في مدارس الكنيسة في فورتمبرغ. وفي عام /١٨٤١/م كرس هوفمان نفسه للتعليم في المدرسة التابعة للجمعية التي يرأسها والده .

Brugger: H.: OP. cit., pp. 12-20.

(١٢) Brugger: H.: Op, cit, pp, 20-32.

Hoffmann, Christoph: Errinnerungen aus meiner, Jugend, Jerusalem, 1881. p. 720.

(١٣) Carmel, Alex, : The German Settlert in Palestine and their Relations wu with the local Arab population and the Jewish Community (1868-19«8), in ,,Studies on Palestine during the Ottoman Period, Jerusalem, 1975, p. 442.

Geschichte der deutschen Evangelischen Kirche, pp. 132-3. Gaeschichte ..... وسيشار اليه فيما بعد

Alonzo, Alphons d': Les Allemands en Orient, Oscar Schepens, Bruxelles, 1904, p. 37.

Brugger; H. : Op. cit, pp. 26-7.

Carmel. Alex: Geschichte Haifas.... p. 81.

(١٤) ولد جورج دافيدهارديج في الثاني من نيسان عام ١٨١٢ في قرية اغلوزهايم قرب لودفيجزبورغ في مملكة فورتمبرغ . اتم دراسته الثانوية وعمل في التجارة . ثم دخل في منظمة سرية تنادي بالنظام الجمهوري وتنقل بين شتوتجارت وبلجيكا وباريس خلال عامي /١٨٣٠-١٨٣١/م وفي باريس تعرف على عدد من اللاجئين السياسيين الألمان المتحمسين للنظام الجمهوري . وصادق تاجراً اسمه فرانك كان قد أصدر صحيفة في باريس وعاد فرانك إلى فورتمبرغ في خريف /١٨٣١/م . وعزم هارديج على دراسة الطب في جامعة غوتنجن فلم يوفق . اذ كانت السياسة والنضال من أجل الحرية أعز على قلبه من الدراسة . فشارك في محاولة العصيان الفاشلة في فورتمبرغ عام ١٨٣٢ . وحكم عليه بالسجن لمدة اربعة عشر عاماً . ثم استأنف الحكم عليه لدى محكمة الاستئناف في شتوتجارت فخففت الحكم عليه بالسجن إلى تسعة أعوام درس هارديج أثناء وجوده في السجن الكتاب المقدس ، فأثر ذلك على سلوكه وفكره . ولما أفرج عنه عام ١٨٩٠ لم يسمح له بالاقامة في فورتمبرغ فرحل إلى سويسرا حيث بقي حتى عام ١٨٩٩ حينما سمح له بالعودة إلى وطنه بمناسبة الاحتفال باليوبيل الفضي لاعتلاء الملك فيلهلم عرش فورتمبرغ .

Brugger, H. : Op. cit, pp. 5-10.

(١٥) Brugger, H.: Op. cit, pp. 35.

(١٦) Carmel, Alex: The German settlers, p. 443.

المصدر نفسه ص ٣٥-٣٦

Geschichte, p. 134.

(١٧) Carmel, Alex: Op. cit, p. 443, Geschichte... 134.

(١٨) Brugger, H., Op, cit, p. 37.

Carmel, Alex: Geschichte Haifas... p. 81.

(١٩) Brugger, Ni. : op. cit, p. 38.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٢١) المصدر نفسه.، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥ – ٤٧ .
Carmel, A.: Geschichte Haifas... p. 8v.

(٢٣) Eliav, M.: German Interests and the Jewish Community in the 19th century Palestine, in 'Studies on Palestine during the Ottoman Period, Jerusalem, 1975', p. 431.

(٢٤) Brugger, H: Op. , cit, p. 49.

(٢٥) انظر تفاصيل عملية الشراء في مجلة Sueddeutsche Warte, 22-11869.

(٢٦) Brugger, H.: Op. cit, p. 51.

(٢٧) Carmel; A. : Geschichte Haifas... P. 83.

(٢٨) Grothe, Hugo: Bevoelkerung und Wirtschaftliche Lage der Schwaebischen Ansiedlungen in Palaestina, Palaestina 1. 1902, p. 233.
Carmel, A. Geschichte Haifas.... p. 84.

(٢٩) Carmel, A. : The German Settlers.... p. 445.

(٣٠) Auswaertibes Amt, Politische Archiv, Politishce Abteilung VII, Po. 25 Bd. I.

(٣١) Carmel, A. : Geschichte Haifas.... pp. 87-9.

(٣٢) Rosen, F. : Iriental Memories of a German Diplomatist, Methuen and Co. London, 1930, pp. 36-7.

(٣٣) Brugger, H, : Op. cit, p. 52.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٥٣ – ٥٤

(٣٥) Brugger, H. : Op, cit, p. 61.

(٣٦) Quswaertiges Amt, Politische Archiv, Politishce Abt. VII Po 25, Bd. I.

(٣٧) Brugger, H. : Op. cit., pp. 95.

(٣٨) Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische Abt. VII, Po. 25. Paleastina.

(٣٩)

(٤٠) Brugger, H, : Op. cit, p. 95.

(٤١) المصدر نفسه.، ص ٩٤
Answaertiges Amt, Politische Archiv, Politische At. VII, Po. 25 Palistinia.

(٤٢) تقرير القنصل الألماني القدس فيليب فورست « إلى سكرتير لجنة التقسيم الفنية الفلسطينية » في ١٢ تموز ١٩٨٨ .

(٤٣) Geschichte ..... pp. 136-7.

(٤٤) انشأت جمعية بيت المقدس في برلين في ٢/١٢/١٨٥٢ من أجل دعم المشروعات التبشيرية الانجيلية الألمانية في فلسطين .
Geshcichte .... pp. 51-62.

(٤٥) Geschichte... p. 137, Brugger, H.: Op. cit, p. 66.

(٤٦) Seidel, H.J.: Der Britische Mandatstaat Palaestina in Rahmen der Weltwirtschaft, Walter de Gruyter, Berlin, 1926. PP. 81-2.

(٤٧) Brugger, H.: Op. cié, pp. 85/9.

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٨٨

(٤٩) Carmel, A.: The Political Significance of German Settlement In Palestine (1868-1918), in, Germany and the Middle East 1835-1939 Tel-Aviv University, Tel-Aviv, 1975, pp. 48-9.

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(٥١) Hauptstaatarchiv Stuttgart, Koeniglich Auswaertiger Amt.

(٥٢) Sueddeutsche Warte, 1.7 1858, p.2, 22-7 1858, p. 114, 16.9. 1858, pp. 145-6.
Lange, Friedrich: Geschichte des Templer, Stuttgart, 1899, p. 167.

(٥٣) Hauptstaatarchiv, Akten ces Kabinets IV, Nr. 1585.

(٥٤) Sueddeutsche Wate, 12.2 1874, pp. 25-6, 26.3. 1874, pp. 70-71.

(٥٥) Brugger, H, : Op. cit, p. 48.

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٥٨ — ٦٠ .

(٥٧) Answaertiges Amt. Politische Archiv, Tuerkrd 126, Muenchhausen an Bismarck, Jerusalem, den 30 Mai 1897.

(٥٨) المصدر نفسه .

(٥٩) Carmel, A.:; The Political Significance..., p. 54.

(٦٠) Brugger, H.: Op. cit, pp. 84-5.

(٦١) Carmel, A.: The Political Significance.... p. 55.

(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦
Sueddeutsche Warte Vom 18 Maerz 1882, p. 4

(٦٣) Sueddeutsche warte, vom 18 Maerz 1882, p. 4

(٦٤) Carmel, A.: The Political Significance... p. 57.

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨
Brugger, H, : OP, cit, p. 90.

(٦٦) Carmel, A. : The Political Significance .... p. 59.

(٦٧) Holborn, H.: Deutschland und die Tuerkei (1878-1890), Berlin 1926, p. 106.

(٦٨) Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 189, Vol. I.

(٦٩) B rugger N: Op. cit, p. 92.

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٩٣

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٩٣

(٧٢) Carmel, A.: The Political Significance.... p. 63.

(٧٣) Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Preussen 4 (geheim), Vol, 9.
Schlaezer an Hohenlohe, Istambul, 15.11.1898.
نص تقرير القائم بالأعمال الألماني في اسطنبول .

(٧٤) Carmel, A.: The Political Significance.... p. 63.

(٧٥) المصدر نفسه ص ٦٥ — ٦٦ .

(٧٦) المصدر نفسه ص ٦٧ — ٦٩ .

(٧٧) Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 177, Vol. 10.

(٧٨) Hurewitz, J. : Diplomacy in the Near and Middle Easé, Princeton, Vol. 1, pp. 267-276.

(٧٩) Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Tuerkei 175 (e), Abteilung I A , Bd; 2.

(٨٠) Friedman, I.: Germany, Turkey and Zionism (1897-1918), Oxford, At the Clarendon Press, 1977, pp. 390-391.

(٨١) Sueddeutsche Warte Vom 23.9. 1858, p. 125, 14.40. 1858, 0 P. 161.

(٨٢) جريدة الأهرام ، القاهرة ، عدد ٢٧ حزيران ١٨٩٨ .

(٨٣) Sueddeutsche Warte Vom 27.4.1914, pp. 133-4.

(٨٤) Deutsche Kolonial Zeitung, Berlin, 1884, pp. 83-5.

(٨٥) Sueddeutsche Warte, 27, 4. 1911, pp. 131-2.

(٨٦) Carmel, A. : The German Settlers..... P. 448.

(٨٧) Suedceutsche Warte, 30-40. 1884, pp. 1-2.

(٨٨) Auswaertiges Amt, Politische Archiv, Bd. 25 a Nr. 135.

(٨٩) Carmel, A. : The German Settlers..... pp. 449-50.

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٤٥١ – ٤٥٤

(٩١) المصدر نفسه ٢ ، ص ٤٥٥

(٩٢) هواة صهيون حركة سياسية يهودية استهدفت تنظيم هجرة اليهود من أقطار اوروبا الشرقية إلى فلسطين .
وقامت بانشاء المستعمرات اليهودية الأولى في البلاد بين عامي ١٨٨١ و ١٩٠٤ .
حول هذه الفكرة أنظر . :
جرين ، صبرى ، تاريخ الصهيونية ، ج١ ، (١٨٦١ – ١٩١٧ م) .
مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٠١ – ١٤٢ .

(٩٣) Carmel, A. : The German Settlers..... pp. 455-8.

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٤٦٠ – ٤٦٣

(٩٥) Die Welt, 13.10.1911, pp. 1083-4.

(٩٦) Carmel, A.: The Ge man Settlers..... p. 464.



عبدالعزيز عوض

جامعة اليرموك – الأردن

الشخصية الفلسطينية والاستيطان الصهيوني
(١٨٧٠ – ١٩١٤م)

يرتبط ظهور الشخصية الفلسطينية الحديثة ارتباطاً بحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين فقد أدى الاحساس بالخطر الصهيوني الذي استهدف العرب في متصرفية القدس وفي الأجزاء الجنوبية من ولاية بيروت والاحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومة ذلك الخطر المشترك إلى إبراز الشخصية الفلسطينية في فترة ماقبل الحرب العالمية الأولى (١) .

وكان ذلك على الرغم من عدم وجود وحدة إدارية ووحدة جغرافية سابقة تميز عرب فلسطين عن غيرهم من عرب بلاد الشام ، كما أن الكيان السياسي لفلسطين لم يبرز كوحدة قائمة بذاتها الا بعد تقسيم الولايات العربية التابعة للحكم إلى مناطق نفوذ بين فرنسا وبريطانيا بموجب اتفاقية سايكس بيكو السرية التي عقدت بين دول الحلفاء (بريطانيا ، فرنسا ، روسيا) في ربيع عام ١٩١٦م ثم عينت الحدود الاقليمية في معاهدات مابعد الحرب .

هذا ولم تكوّن فلسطين في العهد العثماني وحدة إدارية متكاملة ، بل كانت عبارة عن متصرفية القدس التي كانت تشمل أقضية القدس ويافا وغزة والخليل وبئر السبع والأجزاء الإدارية الجنوبية من ولاية بيروت والتي كانت تشمل لوائي عكا ونابلس ، وتبين لنا من ذلك أن تسمية الوحدات الإدارية العثمانية كانت ترتبط غالباً بالمدن الهامة ولا علاقة لها بالوحدات الجغرافية أو الاقليمية .

وقد رافق انعدام الوحدة الإدارية في العهد العثماني عدم انفراد العرب في المناطق

التي ستعرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى بتشكيل جمعيات أو أحزاب تطالب بالاصلاح خاصة بهم، بل اشتركوا مع غيرهم من عرب الولايات العثمانية في تأسيس الجمعيات والأحزاب المختلفة ، ذلك ان الاحساس بالانتماء إلى أصولهم العربية كان أقوى من الاحساس بالانتماء إلى وحداتهم الإدارية أو إلى وحداتهم الجغرافية الاقليمية . ويعود ذلك إلى وحدة الشعور العربي وإلى وحدة الولايات العربية تحت الحكم العثماني .

وهنا تكمن صعوبة دراسة الحركة العربية في العهد العثماني على أساس اقليمي لصعوبة الفصل بين الاتجاهات السياسية العربية وعدم استطاعة حصر أي اتجاه منها بولاية أو وحدة جغرافية معينة لكن ذلك لاينفي اهتمام الولايات العربية بمشاكلها الخاصة إلى جانب دورها في الاسهام في الحركة العربية .

وعلى هذا الأساس لم يكن عرب فلسطين غائبين عن مسرح الأحداث العربية بل شاركوا في بلورتها وأسهموا في المطالبة بالحقوق العربية من الاتحاديين الأتراك ونالوا نصيباً من اضطهادهم قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها فأصابهم ما أصاب اخوانهم عرب الشام من اضطهاد ونفي وتشتيت ولكن على الرغم من ذلك فان نشاط عرب فلسطين السياسي لم يكن كافياً بسبب انشغالهم في المسألة الصهيونية ممثلة بمشكلتي الهجرة والاستيطان .

لقد عاش العرب واليهود أجيالاً في فلسطين في سلام ووئام ، ولم تكن الحوادث النادرة التي كانت تقع بينهم في بعض الأحيان سوى مظهر من مظاهر أي مجتمع متعدد الطوائف والأجناس وبذلك كانت المنازعات القليلة التي حصلت قبل أن تتكشف أهداف الغزو الصهيوني حالات فردية وعادية (٢) فمثلاً كانت العلاقات بين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود في بداية تكوين المستعمرات اليهودية حسنة بوجه عام وبخاصة في المستعمرات التي استخدمت أعداداً من العمال العرب في أعمالها الزراعية..

أما سكان المدن فقد اعتبروا المهاجرين اليهود الذين قدموا إلى البلاد حجاجاً جاءوا لدوافع دينية أو لاجئين هربوا من الاضطهاد في أوروبا الشرقية . ولما كانت أعداد المهاجرين اليهود قليلة نسبياً ولما كانوا يتسترون أيضاً على الدوافع السياسية الكامنة وراء الهجرة اليهودية فقد أظهر عرب فلسطين نحوهم شعوراً يمكن وصفه بأنه غير عدائي (٣) واستمرت العلاقات بين العرب واليهود هادئة فقد كانت حاجة المستعمرات اليهودية إلى

العمال ماسة . ولم يكن في وسع المستوطنين اليهود احضار المال من الخارج نظراً للقيود المفروضة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين . لذلك اضطروا للاستعانة بالعمال العرب .

ولكن موقف عرب فلسطين الذي كان هادئاً خلال السنوات العشر الأولى من الهجرة الكثيفة ١٨٨١ — ١٨٩١م سرعان ماانقلب إلى شعور بالشك والاستنكار للهجرة اليهودية ، وبدؤوا يتنبهون للخطر الصهيوني رأصبح مألوناً أن تحصل اعتداءات من السكان العرب على المستعمرات اليهودية ، وبذلك سقطت الصداقة القديمة أمام عداء عرب فلسطين للهجرة والاستيطان (٤) فقد كان احساسهم بابتعاد المستعمرات اليهودية عنهم يزداد حيث حرص اليهود على أن تكون مستعمراتهم عبرانية خالصة ، وقاوموا كل مايخل بالشكل العبراني (٥) وسجل عرب فلسطين أول تذمر رسمي لهم من الهجرة اليهودية في ٢٤حزيران ١٨٩١م حينما أبرق زعماء المسلمين في القدس إلى الصدر الأعظم يعربون عن تخوفهم من وصول أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود ويطالبون بمنع اليهود من دخول فلسطين نظراً لعدم قدرة المسلمين من السكان على الصمود أمام منافسة المهاجرين اليهود في النواحي الاقتصادية مما ينجم عنه سوء الأحوال الاقتصادية للسكان وتضمن رد الصدر الأعظم على برقية مماثلة من متصرف القدس منع اليهود من الاقامة في فلسطين والسماح لهم بزيارة القدس لفترة قصيرة حدث بثلاثة أشهر (٦) وفي عام (١٨٩٢) أصدر الباب العالي قراراً بمنع اليهود الأجانب واليهود العثمانيين من تملك الأراضي الأميرية (٧) وقد أدى القرار إلى احتجاج اليهود العثمانيين فقد تدخلت بعض الدول الكبرى — آنذاك — في الموضوع كعادتها واستطاعت أن تقلل من فعالية قرار المنع (٨) .

وقد اهتمت الصحف العربية بالحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال (آب ١٨٩٧م) وتمثل ذلك في مجلة المقتطف (٩) في نيسان (١٨٩٨م) وقد استبعدت المقتطف امكانية استعمار فلسطين لأن اليهود المهاجرين إلى فلسطين حتى عام ١٨٩٨ كانوا أهل صناعة وتجارة ولا يظن أنهم سيعكفون على الفلاحة وان كان في وسع أغنياء اليهود ابتياع الجانب الأكبر من أراضي فلسطين ونقل اليهود الفقراء إليها لكن المقتطف عادت فاستبعدت ذلك للأسباب التالية :

— ان هناك بوناً شاسعاً بين مايمكن للانسان أن يعمله وبين مايقام عليه .

— ان هذا النقل ليس من الهنات الهينات .

ـ ان أغنياء اليهود لن يواصلوا نقل اليهود باستمرار وان المحسنين منهم كالبارون هرش وأمثاله الذين ينفقون الأموال الطائلة شيء نادر .

ـ ان نقل اليهود إلى فلسطين وابتياع الأرض من الحكومة ومن أصحابها أصعب من نقلهم إلى الأرجنتين .

ـ ان طلب كفالة الدول الأوروبية وحمايتها لليهود الذين سينقلون إلى فلسطين عقبة كبيرة لأن الدولة العثمانية لاترضى بذلك عن طيب نفس .

هذا ما ورد في المقتطف من أسباب استبعاد فكرة استيطان اليهود فلسطين على نطاق واسع وبالمقابل يتبين لنا مايلي : ـ

ـ التقليل من شأن المطامع الصهيونية في ذلك العهد المبكر نسبياً ، وعدم معرفة حقيقتها وبالتالي الخطأ في تقرير قيمتها واغماض العين بحجة أن ذلك المشروع مستحيل التحقيق .

ـ عدم معرفة نوعية المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، فقد ادعت المقتطف خطأ أن المهاجرين كانوا من أرباب الصناعة والتجارة وغاب عن بالها أن البلاد بدأت تشهد نوعاً جديداً من المهاجرين اعتباراً من ١٨٨١ م، تمكّن من تأسيس المستعمرات الزراعية والاشتغال في الزراعة ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت المقتطف من أوائل الصحف العربية التي أبدت اهتماماً مباشراً بالحركة الصهيونية .

وبعد اسبوعين أعيد نشر مقال المقتطف في مجلة المنار ثم عقب محمد رشيد رضا عليه بعنوان « خبر واعتبار ـ جمعية اليهود الصهيونية » خاطب فيه العرب داعياً اياهم إلى التنبه قائلاً « أترضون أن يسجل في جرائد جميع الدول ـ يقصد الأوروبية ـ ان فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء (١٥) ثم عاود محمد رشيد رضا الكتابة في موضوع الصهيونية فكتب مقالاً في عام ١٩٠٢م بعنوان «حياة امه بعد موتها ـ جمعية اليهود الصهيونية » . فضح فيه أطماع الجمعية الصهيونية وكيف أنها تتظاهر بنقل فقراء اليهود إلى فلسطين للعيش في ظل السلطان العثماني بينما هي في واقع الأمر تطلب تملك البلاد ثم حمل على الحكام

المسلمين – آنذاك – وطلب من الأمة عدم الاعتماد عليهم وفي أيار ١٩٠٢ اتهم اليهود بالعمل على الاستقلال بفلسطين واحداث ملك جديد لهم فيها (١١) .

وهكذا حذرت المنار منذ اعدادها الأولى من الخطر الصهيوني الذي كان يحاول التسلل إلى فلسطين وقد دل محمد رشيد رضا بمقالاته عن الصهيونية التي ظل ينشرها تباعاً في مجلته المنار منذ عام ١٨٩٨ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى . دل على فهم وادراك عميق لحقيقة الحركة الصهيونية وأبعاد مطامعها .

وفي أعقاب الموجة الثانية من الهجرة اليهودية التي أخذت تتدفق على ميناء يافا بعد فشل الثورة في روسيا عام ١٩٠٥م، بتحريض من الحركة الصهيونية التي تبنت فكرة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، اشتد العداء بين العرب واليهود فقد رافق الموجة الصهيونية فطرد الفلاحين والعمال العرب من المستعمرات الصهيونية بالإضافة إلى المقاطعة الصهيونية المنظمة للمنتوجات العربية ، ونتج عن ذلك أن ساد التذمر أوساط العرب الذين تأثروا مباشرة بتصرفات الصهيونيين العنصرية وقعت مصادمات في يافا بين العرب واليهود في آذار ١٩٠٨م استدعت على أثرها الحكومة المركزية في استنبول قائمقام يافا للتحقيق معه في أسباب الاضطرابات (١٢) .

لكن الأوضاع أخذت شكلاً جديداً بعد ثورة تموز ١٩٠٨م في الا ولاة العثمانية فقد شارك اليهود الطوائف الأخرى ابتهاجها باعلان الدستور العثماني من جديد . بل فاق يهود القدس جميع الطوائف في اظهار عواطفهم فنشط الخطباء منهم وبالغت جرائدهم المحلية في الترحيب بالعهد الجديد (١٣) ورفعت الحركة الصهيونية علمها في يافا وصرح الصهيونيون بوجوب تمثيلهم في مجلس « المبعوثان » ليتمكنوا من عرض قضيتهم والمطالبة بالحكم الذاتي في فلسطين (١٤) غير أن الفلاحين العرب في قضاء طبرية أخذوا يهاجمون المستوطنين اليهود والمستعمرات اليهودية . واتهم نجيب نصار – صاحب جريدة الكرمل في حيفا – بأنه كان وراء ذلك النشاط .

وكان نجيب نصار وقد أخذ على عاتقه منذ صدرت جريدة الكرمل في أواخر ١٩٠٨م معارضة الحركة الصهيونية، وقد عطلت جريدته مرتين في عام ١٩٠٩م بتهمة الاخلال بالأمن ثم حوكم في عام ١٩١٠م لمعارضته تملك اليهود للأراضي وبتهمة اثارة الخواطر ، لكنه بريء من التهمة وفسر الدافع لمقالاته التي عارض فيها انتقال الأراضي

لليهود بالاخلاص والرغبة في خدمة الدولة العثمانية (١٥) ولكن ازاء احساس نصار بحقيقة الخطر الصهيوني ، فقد استمر في حمل لواء مناهضة الحركة الصهيونية أطماعها وسعيها لامتلاك الأرض وإقامة الدولة الهودية . وكشف زيف ادعاءات اليهود العثمانيين ومنبهاً بالعرب أن يهبوا جميعاً لمقاومة الغزو الصهيوني العنصري لفلسطين بجمع الكلمة ووحدة الصف (١٦) .

وبعد استعادة الاتحاديين السلطة وعزلهم السلطان عبد الحميد الثاني في نيسان ١٩٠٩م اتهمت جريدة نهضة العرب التي كان يصدرها في باريس نجيب عازوري اتهمت الاتحاديين بالتحالف مع اليهود والماسونيين وان اليهود تسلطوا على جمعية الاتحاد والترقي وانهم دبروا ثورتها على السلطان بهدف إيجاد الفوارق بين الأتراك والعرب من أجل هدم الامبراطورية العثمانية وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها ومثل هذه الأفكار لم تكن بين العرب فقط بل كانت بين قسم من الأوربيين أيضاً . كما وجدت طريقها إلى وزارة الخارجية البريطانية (١٧) .

وفي النصف الثاني من عام ١٩٠٩م وجهت جريدة الأهرام هجوماً مباشراً للحركة الصهيونية لأطماعها السياسية في فلسطين ، تحدثت في المقالات التي نشرتها عن مؤتمراتهم الصهيونية وعن بحث الاسرائيليين عن وطن لهم في فلسطين ، وفي مقال بقلم أحد أبناء القدس أشارت الأهرام إلى طمع الصهيونيين بالاستقلال في فلسطين ، وكيف أن المستعمرات الصهيونية أشبه بولايات سابقة مستقلة لاتخضع لقوانين الدولة وأنظمتها بدعوى أنها أجنبية ، وطالبت الحكومة العثمانية بوضع حد الأطماع الصهيونية في فلسطين (١٨) .

ومع ازدياد الشعور بالخطر الصهيوني طلب مبعوث القدس في مجلس المبعوثان العثماني بزيادة فعالية اجراءات منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين فأعادت الحكومة العمل بالقيود التي فرضت في تشرين الثاني ١٩٠٠م (١٩) .

ثم أخذت المعارضة العربية شكلاً جديداً في النصف الأول من عام ١٩١٠م فأرسلت برقيات احتجاج جماعية إلى الحكومة العثمانية في استنبول ضد بيع الأراضي لليهود وقامت الصحف العربية بنشر تلك البرقيات كما حثت البرقيات الأخرى المبعوثين العرب الحصول على تأكيد من طلعت بك (ناظر الداخلية) بأن اجراءات محكمة ستتخذ لمنع

قدوم اليهود لم إلى فلسطين وتمليك الأرض لهم[20] وذهبت جديدة المقتبس الدمشقية إلى أبعد من ذلك في خريف ١٩١٠م عندما اتهمت الحكومة العثمانية بازالة العقبات التي كانت قائمة في طريق الاستيطان اليهودي في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (٢١) كما قامت بنشر خطاب مفتوح في أواخر ١٩١٠م، أوضحت فيه استيلاء الحركة الصهيونية على أجزاء من أقضية طبرية وصفد ويافا والقاس وحيفا بأسماء الرعايا العثمانيين ربواسطة السماسرة الذين يعدون أنفسهم من الأعيان ولفتت الانتباه إلى أن الحركة الصهيونية لها علمها وبريدها الخاص وتعمل على تكديس السلاح ، واستدلت بذلك على شروعها في تنفيذ مخططاتها الصهيونية وأهابت بالنواب والحكومة على وضع حد للأطماع الصهيونية قبل أن تصبح فلسطين ملكاً لليهود (٢٢) .

وفي خريف ١٩١٠م أيضاً أثارت الصحف العربية عندما باع الياس سرسق من بيروت أراضي مساحتها (٢٤٠٠) فدان — وتقع بين الناصرة وجنين وتعتبر من أجود أراضي فلسطين — للصهيونيين ، وقد بذل شكري العسلي قائمقام الناصرة آنذاك أفضل مساعيه لمنع انتقال الأراضي معارضاً الأوامر الصادرة من بيروت لكن البيع تم نهائياً في كانون الثاني ١٩١١م (٢٣) .

وفي أيار ١٩١١م وخلال مناقشة الموازنة أثار مبعوث القدس روحي الخالدي المسألة الصهيونية من جديد لكن التوقيت كان سيئاً . لذلك عندما ألقى روحي بك الخالدي مقدمة تاريخية طويلة عن الصهيونية مستعيناً بفقرات من التوراة احتج أحد المبعوثين قائلاً « ان الجلسة يفترض أن تكون لدراسة الموازنة وليس لدراسة التوراة (٢٤) ومهما يكن من أمر فقد تلقى المبعوثون العرب تعهداً أدبياً بأن الحكومة العثمانية ستنظر بعناية لتنفيذ القيود المفروضة على الهجرة اليهودية .

وفي هذه الأثناء تشكل في يافا الحزب الوطني وكان هدفه الحيلولة دون تقدم الحركة الصهيونية في فلسطين وذلك بمنع التعامل مع المؤسسات الصهيونية وحظر بيع الأراضي لها . وقد بين سليمان التاجي من الرملة في صيف ١٩١١م أهداف الحزب الوطني في مقال نشرته له جريدة المفيد البيروتية ، عرض فيه لأخطار الحركة الصهيونية وأوضح أن سكوت الأمة عن خطرها استفز غيرة الشبيبة فأسست (حزباً وطنياً) للعمل على مناهضة الحركة الصهيونية وأهاب بالأمة أن تستيقظ من غفلتها وتطالب الحكومة بما يلي :

١ . سد باب المهاجرة إلى فلسطين وذلك بتطبيق الجواز الأحمر – الورقة الحمراء

٢ . منع بيع الأراضي لليهود مع احصاء نفوسهم بدقة واعطاء العثمانيين منهم تذاكر نفوس تتضمن اسماءهم الحقيقية .

٣ . تطبيق نظام المعارف العثماني على المدارس اليهودية .

٤ . احصاء الأملاك وأراضي المستعمرات واستيفاء الأموال الأميرية من اليهود لصالح الخزينة كما أشار إلى أن الحزب يقوم باحياء ليلة خطابية في كل أسبوع .

وعندما عاد روحي الخالدي إلى القدس في صيف ١٩١١م حث الموظفين العرب في متصرفية القدس العمل على منع انتقال الأراضي لليهود . وفي كانون الأول ١٩١١م بدأت شورى الدولة بالبحث لسن قانون يمنع اليهود الأجانب من الهجرة إلى بلاد الشام تنفيذاً للوعد الذي قطعته الحكومة على نفسها للمبعوثين العرب (٢٦) .

وفي عام ١٩١١م أيضاً جمع نجيب نصار مقالاته التي كان ينشرها عن الحكومة الصهيونية في اعداد جريدة الكرمل ونشرها في كتاب بعنوان « الصهيونية تاريخها ، غرضها ، أهميتها » . وفي مجموعة المقالات هذه تعرض نصار بالبحث والتعليق لمراحل الحركة الصهيونية . وفضح الأسس العنصرية التي قامت عليها ، كما سخر من أسلوبها في التمويه والتضليل وحمل أيضاً على الذين كانوا يمنون أنفسهم بالانتفاع من الصهيونيين في تعمير البلاد واتهمهم بالجهل والسطحية وأن الصهيونية قد غررت بهم ، كما هاجم الحكومة أيضاً لعدم اهتمامها بمنع الهجرة اليهودية وأشار إلى رفع اليهود لعلمهم أثناء الاحتفالات وبيع الطوابع اليهودية تحت سمع الحكومة وبصرها (٢٧) .

وأدرك عرب فلسطين حقيقة تواطؤ الحكومات العثمانية سواء الاتحادية منها أم الائتلافية بسبب افلاس خزينتها وأمل المسؤولين في سد العجز من أموال الحركة الصهيونية لذلك هاجمت جريدة فلسطين التي كانت تصدر في يافا الحكومة الائتلافية في خريف ١٩١٢م ووصفت الأوامر العديدة التي صدرت بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع الاستيطان واستملاك الأراضي بأنها كلها حبر على ورق بما فيها الورقة الحمراء التي تحدد إقامة اليهودي الأجنبي في فلسطين بثلاثة أشهر فقط . وعقدت جريدة فلسطين مقارنة بين الأوامر التي تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وتلك التي تمنع هجرة أبناء فلسطين إلى أمريكا فقالت بأنها لم تحقق الأغراض التي سنت من أجلها بل استعملها الموظفون لشيء آخر وهو اكتساب المال فكأنها سنت لفائدتهم وصدرت لمنفعتهم (٢٨) .

واهتمت الصحف المعادية للحركة الصهيونية (الكرمل – فلسطين – المقتبس –) بمسألة الأراضي المدورة وهي الأراضي التي وضع السلطان عبدالحميد الثاني يده عليها مقابل دفع مبلغ زهيد من المال لخزينة الدولة وعرفت باسم « الجفتلك » وقد استولت عليها الحكومة العثمانية بعد ثورة ١٩٠٨ باعتبارها من أملاك الدولة وسميت هذه الأراضي عندئذ بالمدورة (أي (المنتقلة) لأنها انتقلت من ملكية السلطان الخاصة إلى ملكية الدولة . وقد لعبت مسألة الأراضي المدورة دوراً هاماً في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨ – ١٩١٤م) ذلك أن حكومة حزب الاتحاد والترقي استثنت هذه الأراضي من الطابو بهدف بيعها لحاجتها للمال العاجل فقام المزارعون العرب فيها يطالبون بتمليكها لهم ببدل المثل وبالتقسيط ، كما احتجوا ضد الحكومة المركزية التي تريد بيع أراضيهم دون مسوغ قانوني إلى شركات أجنبية ذات أغراض سياسية تستهدف اخراجهم من أراضيهم (٢٩) .

وارتبط موضوع الأراضي المدورة في فلسطين بمشروع الأصفر (٣٠) لذلك هاجمت الصحف العربية آنذاك المشروع بعنف لأنه يهدد باستيلاء الأجانب على الأراضي المدورة وقد نظرت الحكومة العثمانية في المشروع أكثر من أربع مرات منذ أيار ١٩١٠ ولم توفق في اتخاذ قرار بشأنه وكان دافع الحكومة في كل مرة حاجتها الماسة إلى المال (٣١) وأخيراً صرف مجلس شورى الدولة النظر عن مشروع الأصفر (٣٢) وكان للوزير العربي سليمان البستاني دور اقناع حكومة حزب الاتحاد والترقي بالاستجابة لطلب العرب(٣٣) وأعلنت الحرب العالمية الأولى ولما تتخذ الحكومة قراراً بشأن مستقبل الأراضي المدورة .

ويمكننا القول ان مشروع الأصفر كان بين الأسباب التي عملت على توحيد الجهود الفلسطيني لمواجهة الخطر الصهيوني ، فعندما ألمحت الحكومة في صيف ١٩١٣م إلى نيتها الأخذ بالمشروع (٣٤) تنادى السكان العرب في لواء نابلس فعقدوا اجتماعاً كبيراً في نابلس في آب ١٩١٤م للمطالبة بصرف النظر نهائياً عن مشروع بيع الأراضي المدورة بالمزاد العلني – مشروع الأصفر واعطائها ببدل المثل وبالتقسيط للمزارعين العرب الذين نزعت ملكية الأراضي من أيديهم بوسائل غير مشروعة (٣٥) ودعت جريدة المقتبس الدمشقية الصحف العربية الأخرى وأهل الرأي وأصحاب الأملاك إلى اكراه الحكومة على بيع الأراضي الأميرية للعثمانيين فقط (٣٦) .

وفي صيف ١٩١٣ أقدم الصهيونيون على شراء أراضي الناصرة الزراعية ومساحتها

(٢٢,٠٠٠) دونم من جرجي لطف الله.سرسق هذه الأراضي قد بيعت من قبل والي بيروت منذ أكثر من ثلاثين عاماً (٣٧) حوالي عام ١٨٨١م وكان يقيم عليها أكثر من مئتي عائلة عربية . كما شهد صيف عام ١٩١٣م ، أيضاً قيام الفلاحين العرب بمهاجمة المستعمرات اليهودية وقتل حراسها ، وقد ربط الصهيونيون ذلك بحسد الفلاحين لهم من ناحية ولاستجابة الاتحاديين للمطالب العربية في أعقاب المؤتمر العربي في باريس من ناحية أخرى (٣٨) .

وهكذا اتبعت الحركة الصهيونية الخطة التي اقترحها هرتزل والتي تتلخص في نزع ملكية الأراضي من أصحابها العرب ثم التخلص من الفلاحين على أن يتم ذلك بسرية ، وابعادهم من الأرض بتوفير فرص العمل لهم في خارج فلسطين واغلاق مجالات العمل أمامهم في فلسطين حتى يضطروا للنزوح عنها ، ولا يفكروا في العودة اليها في المستقبل ، وكان هرتزل يرى أيضاً أنه لابأس اذا اعتقد اصحاب الأرض العرب أنهم يغشون الحركة الصهيونية ببيعهم الأراضي لها بأكثر من قيمتها الحقيقية فان الأرض ان تعود اليهم مرة ثانية (٣٩) .

وثمة ظاهرة أخرى على جانب كبير من الأهمية ظهرت في ربيع ١٩١٣م، وهي الاعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في أنحاء متفرقة من الدولة العثمانية . ونستطيع القول ان الاحساس بالخطر الصهيوني المشترك والاحساس بضرورة توحيد الجهود لمقاومته كان وراء تشكيل هذه الجمعيات التي عملت على ابراز الشخصية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى . وكانت جمعية فلسطين في بيروت التي ألفها الطلاب الفلسطينيون في جامعة بيروت الامريكية « لضم الكلمة وجمع الشتات » والتي زاد عدد أعضائها في صيف ١٩١٣م عن أربعين عضواكان أبرزهم أحمد سامح الخالدي (٤٠)، من أوائل هذه الجمعيات .

ومع الاحساس أيضاً باشتداد الخطر الصهيوني، لاسيما بعد احجام المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس في حزيران عام ١٩١٣ ، عن التعرض لموضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين دعا نجيب نصار — صاحب جريدة الكرمل — إلى عقد مؤتمر لا صهيوني (٤١) في نابلس يضم جميع الفلسطينيين رداً على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي كان متوقعاً عقده في فيينا في ايلول عام١٩١٣م ووجدت دعوة نصار هذه تجاوباً

في أوساط المثقفين الفلسطينيين ، فأخذنا نسمع عن جمعية للشبيبة الفلسطينية في الآستانة تؤيد عقد المؤتمر الفلسطيني لمقاومة الصهيونية (٤٢) كما لاقت تأييداً من بعض المتنورين في متصرفية القدس(٤٣) ثم استمر نصار في الدعوة إلى إبراز الشخصية الفلسطينية وتمييزها عن غيرها ، وان فلسطين بما فيها من أعيان ومتعامين تؤلف جامعة — رابطة قوية لايصح معها أن تكون عالة على بيروت أو دمشق وحتى على الحكومة العثمانية ثم خلص إلى القول ... مالنا وللبيروتيين ، نحن الفلسطينيين على شفا جرف فالخطر السياسي والاجتماعي والاقتصادي يهددنا من كل صوب والأمة التي تنازعنا البقاء في وطننا برهنت على كونها أمة حية قوية تعمل لنفسها وتعتمد على نفسها » (٤٤) .

ولم يكف نصار عن الدعوة إلى ابراز الشخصية الفلسطينية ففي شباط ١٩١٤م دعا أهل فلسطين إلى تأليف جامعة عربية فرعية في فلسطين تنبثق عن الجامعة العثمانية « يكون هدفها انقاذ فلسطين من خطر الصهيونية بتأليف القلوب وجمع الكلمة » ثم حذر من أنه اذا تألفت في فلسطين جامعة غير عربية — يقصد الصهيونية — هددت الجامعة العربية سياسياً — واقتصادياً بالتالي الجامعة العثمانية (٤٥) .

وميز نصار الفلسطيني عن غيره بحكم متاعبه مع الخطر الصهيوني وطلب من الشبيبة الفلسطينية أن لاتكون ذيلاً للأعيان والمتنفذين وأصحاب الغايات الذين يسعون وراء مصالحهم الخاصة ، ثم كرر الطلب بتأليف جامعة تعمل على توحيد الكلمة واحياء الزراعة واصلاح شأن البدوي والفلاح . وتقوم بافهام العرب الأضرار التي ستلحق بهم من جراء سيطرة الصهيونية على فلسطين ، وافهام الأتراك أن ضياع فلسطين لايتفق مع مصالح الدولة العثمانية . ثم دعــا الفلسطينيين أن يأخذوا زمام أمورهم بأيديهم قائلاً « وليعلم الفلسطينيون ان كل من يهمل شؤونه أهملته الناس (٤٦) .

وفي نيسان ١٩١٤ جدد نصار الدعوة لعقد المؤتمر بنابلس (٤٧) ثم دعا إلى تأليف حزب وطني آخر يعمل على تكوين رأي عام لمقاومة الحركة الصهيونية (٤٨) لأن الواجب — في نظره — يحتم على الفلسطينيين مقاومة الصهيونيين واخراجهم من البلاد . ويرى نصار هذا الواجب أعظم وأشرف من واجب الصهيونيين المتمثل باخراج الفلسطينيين من ديارهم لأنه دفع تعد ومنع ظلم (٤٩) .

ولقيت دعوة نجيب نصار بعض التجاوب ، فتشكلت جمعيات جديدة للشبيبة

الفلسطينية ، كالشبيبة النابلسية في بيروت (٥٠) واليافية في يافا ، ثم تشكلت جمعية فلسطينية جديدة في الآستانة هدفها السعي لجمع كلمة الفلسطينيين وضمت أبناء القدس ويافا وغزة ونابلس وعكا والناصرة ، وكان في مخططها اتخاذ القدس مركزاً لها وفتح فروع في أنحاء فلسطين على أن يكون لها فرع دائم في الآستانة (٥١) .

وهكذا ازداد الشعور بالخطر الصهيوني بين الفلسطينيين في الخارج في صيف ١٩١٤ فتوسعوا في إنشاء الجمعيات المختلفة في بيروت والقاهرة والآستانة والتشيلي (٥٢) وقامت الشبيبة في القدس أيضاً بانشاء بعض الجمعيات مثل جمعية الإخاء والعفاف وشركة الاقتصاد الفلسطيني العربي . وشركة التجارة الوطنية الاقتصادية (٥٣) لكن هذه الجمعيات على كثرتها كان يعوزها التنظيم ، ولم يكن ثمة رابطة بينها ، فقد كان الحافز لتأسيسها احساس الأفراد والجماعات بالخطر الصهيوني ، ومحاولة لاثبات وجود العربي في فلسطين ، ولما كان معظم هذه الجمعيات خارج فلسطين فقد كان تأثيرها في أوساط السكان محدوداً لذلك لم تستطع أن تفعل شيئاً ملموساً لالحاح دعوة نصار لعقد مؤتمر فلسطيني في نابلس وهي الدعوة التي ظل يدعو اليها بالحاح قرابة عام ولكن دون جدوى .

ومهما يكن من أمر فقد أوجد نصار بحمله لواء مناهضة الصهيونية اتجاهاً معادياً لها في أوساط الشبيبة الفلسطينية أما الأعيان وأصحاب الأملاك فقد أدى تقريعه المستمر لهم إلى عدم المبالاة بنتائج التشهير بهم ونستطيع أن ندرس الأثر الذي أوجده نصار في الرأي العام الفلسطيني على صفحات جريدة الكرمل (٥٤) حيث كان ينشر رسائل القراء المشجعة والمثبطة على حد سواء . فكان بعضها يطلب منه الاستمرار في مناهضة الصهيونية وخدمة وطنه (٥٥) والبعض الآخر يعذله بسبب اتهام البعض له بالسعي للحصول على أموال من الصهيونيين ثمناً لسكوته ، وينصحه باغلاق الجريدة وبيع المطبعة والرحيل عن بلاد لاناقة له فيها ولا جمل (٥٦) وآخرون يذكرون له أن حملاته على الصهيونية جاءت بنتائج عكسية فقد شجعت حركة بيع الأراضي لليهود علناً بعد أن كانت تتم سراً وان دعوته لتشكيل الجمعيات لم تلق استجابة من أحد ويفلسفون ذلك لأن الفقراء وهم الكثرة لايستطيعون والمتوسطين يتوسطون لبيع الأراضي والأغنياء يبيعون لذلك يرى هؤلاء أن يدع نصار الفلاحين لليهود مباشرة ليتخلصوا من المبالغ التي يدفعونها للسماسرة (٥٧) .

ولعله يجدر بنا أن نتعرف على رأي نصار في النتائج التي توصل اليها بعد سنوات من مناهضة الصهيونية فكتب في آب ١٩١٣م... صار لنا خمس سنين ونحن ننبههم إلى خطر الصهيونية العظيم وهم لايسمعون ولا يعون بل هم لاهون في اشباع شهواتهم وفي منازعاتهم ومشاحناتهم وغافلون عما يحدق بهم من الأخطار دعونا إلى تأليف مؤتمر لاصهيوني . . . فما سمعنا لدعوتنا الا أصداء قولية ضعيفة أشبه بأنات العليل أ . هـ (٥٨)
ثم عاود الشكوى من قلة المستمعين لدعوته فكتب في نيسان ١٩١٤م ما يلي : —

... أنا صاحب الكرمل أول من شعر بخطر الصهيونية ونبه إليه ، ماذا جنيت غير الفقر من جهادي الوطني ست سنين ، لو لم أكن مصاباً بهوس في الوطنية لتركت الموضوع الصهيوني من أول سنة نظراً لما لاقيته من إعراض الوطنيين وتحامل الكثيرين منهم علي . لديّ أفكار وآراء كثيرة في الصهيونية وأظن أنها تؤثر في إضعاف حركتها ولكنني أحجم عن إبدائها طالما أرى قومي الفلسطينيين خاصة والعرب عامة بعد انذار ست سنوات بضرر الصهيونية وخطرها وبعد ما رأوا من البراهين الحسية على ذلك الوفاء لم يبلغ منهم الاهتمام بأمرها إلى أكثر من رفع تلغراف احتجاج عليها إلى الحكومة أ. هـ(٥٩)
ولا بد لنا من القول أن نصار كان مبالغاً في شكواه فهو كصاحب أي فكرة يطلب المزيد من التجارب والتفاعل مع دعوته ذلك أن الاهتمام بالحركة الصهيونية قد بدأ في أوساط عرب فلسطين في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وان لم يكن بالدرجة التي يريدها نصار ، وهذا ماسبق ورأيناه في موقف عرب فلسطين العدائي من حركة الاستيطان الصهيوني .

كما وقف عرب فلسطين موقفاً حاسماً من محاولات التفاهم والاتفاق التي جرت بين الاصلاحيين العرب والحركة الصهيونية في عامي ١٩١٢ و ١٩١٤م وقد سبق وذكرنا كيف أن المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس وفي حزيران ١٩١٣م ، قد أحجم عن التعرض بسوء للهجرة اليهودية ، ولم يمر موقف المؤتمر دون ملاحظة صحف فلسطين ويبدو أنها أحست بمحاولات التفاهم والاتفاق مع الحركة الصهيونية بتأثير عاملين : —

الأول : عدم إشارة المؤتمر بسوء إلى الهجرة اليهودية بعد نشر محاضر جلساته بعد تنقيحها .

والثاني : تسرب مادار في المؤتمر من مناقشات حول موقف الاصلاحيين العرب من من الهجرة اليهودية وافتضاح معارضة المؤتمرين للهجرة التركية وسكوت الأعضاء من ترحيب بعضهم بالهجرة اليهودية .

ولما كان الشعور الشعبي في فلسطين شديد المناوأة للحركة الصهيونية (٦٠) فقد أعربت صحف فلسطين عن استيائها واستنكرت تقصير المؤتمر العربي في اتخاذ موقف حازم من الصهيونية ، كما انتقدت صحيفتا الكرمل وفلسطين مواقف الذين حضروا المؤتمر واحتجت الكرمل بشدة على فكرة عقد الاتفاق المقترح ، وبدأت مظاهر المعارضات لقرارات المؤتمر العربي عندما نشرت الكرمل الاتفاق بين الحكومة العثمانية والاصلاحيين العرب وقرار الحكومة العثمانية ببيع الأراضي المدورة (٦١) والتي لاتستطيع أن تقدم على شرائها الا المنظمة الصهيونية في خبر واحد ثم عقبت بعد ذلك على الاتفاق العربي ـ التركي . وتساءلت عن حقيقة الاتفاق الذي تم وأهميته بالنسبة لفلسطين وعما إذا كان الاتفاق ة . تعرض للحد من نشاط الحركة الصهيونية أم تركها تعمل على إحياء اللغة العبرية والقومية اليهودية وتشتري الأراضي المدورة (٦٢) .

أما جريدة فلسطين التي كانت تصدر في يافا فقد سخرت في تموز ١٩١٣م من اهتمام الشيخ أحمد طبارة ـ عضو الوفد البيروتي إلى المؤتمر العربي ـ ببيان مافي مهاجرة منكوبي الروملي لسورية من الأضرار وتجاهله أخطار الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتساهل الحكومة العثمانية في تنفيذ قيود الهجرة وما سينجم عن ذلك من مشاكل في المستقبل (٦٣) وتناولت الكرمل الموضوع بتفصيل أكثر وفضحت زعماء المؤتمر العربي لتعاونهم في بحث موضوع الهجرة إلى فلسطين في الوقت الذي طالبوا فيه توطين مهاجري الروملي في الأناضول بدلاً من بلاد الشام وكيف أن زعماء المؤتمر لم يذكروا شيئاً عن أضرار تمليك الأرض للأجانب والجمعيات الصهيونية لمندوبي الحكومة العثمانية الذين جاؤوا باريس للاتفاق معهم . وتهكم نصار عليهم قائلاً ... ان مهاجري الروملي يستعربون مع الزمن لأن بيننا وبينهم روابط ومناسبات لعله يقصد مصاهرات ـ ولكن مهاجري الصهيونيين لا يمتزجون بشعب ثم أنكر عليهم موقف المتفرج مـــن محنـــة اخوانهم عرب فلسطين ، وتساءل ... نريد معرفة من يبيعنا عبيداً ؟ اخواننا أم هيئة حكومتنا (٦٤) .

وعادت جريدة فلسطين فهاجمت المؤتمر ثانية في آب ١٩١٣م واتهمته بعدم شرعية تمثيله للعرب لأنه لم يتم انتخابه من قبل المجالس المحلية باستثناء الوفد البيروتي وذكرت أن مايهم الفلاح الفلسطيني قبل كل شيء تسجيل الأراضي وتأسيس المصارف الزراعية وتخليصه من سلطة المتنفذين عليه وتوفير الأمن والعدل له (٦٥) .

ومما زاد في حدة موقف عرب فلسطين ازاء محاولات التفاهم والاتفاق مع الحركة الصهيونية اقدام الحكومة العثمانية في تشرين الأول ١٩١٣م على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية طمعاً في الحصول على الرأسمال اليهودي في اوروبا ، وكانت السلطات العثمانية قد درجت منذ عام ١٩٠١م على منح اقامة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر وكانت جريدة الكرمل قد تنبهت إلى ذلك قبل أن تتخذ الحكومة قرار الالغاء فقد لاحظت تساهل حكومة حزب الاتحاد والترقي في تنفيذ القيود فندت في أيار ١٩١٣م بموقف الحكومة وذكرت أنه إذا كان السلطان عبدالحميد قد استولى على قسم من الأراضي والمتنفذون على قسم آخر ، فإن الحكومة تملكها للأجانب ذوي الأطماع السياسية وتساءلت عن أوامر الحكومة بالعمل بالورقة الحمراء ومنع تمليك الصهيونيين وعن الإدارة السنية يمنع انتقال الأراضي على جانبي الخط الحديدي الحجازي الذي يمر وسط الجفالك الأميرية وتساءلت أيضاً عن موقف الصحف الاتحادية الداعية للجامعة الإسلامية (٦٦) .

أما جريدة فلسطين فنشرت قرار الغاء الورقة الحمراء ثم علقت فذكرت أن الالغاء لم يأت بجديد لأن الجوازات كانت ترد لأصحابها بطرق غير مشروعة ، وكان يسمح لليهود بالإقامة في البلاد وكل مافي الأمر أن اعترفت الحكومة بالأمر الواقع رسمياً فسمحت لليهود بالهجرة إلى فلسطين دون قيد (٦٧) كما عزت جريدة القبس (التي صارت بدلاً من المقتبس في دمشق) الغاء الورقة الحمراء إلى التدابير التي اتخذها المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي عقد في فيينا ١٩١٣م (٦٨) .

ولذلك ظل عرب فلسطين يرفضون محاولات التفاهم مع الحركة الصهيونية فقد كانوا يعتقدون أنها تريد ابتلاع فلسطين والاستقلال الإداري التام بها ، بل ان الحركة الصهيونية قامت بتنفيذ مخططها واستولت على قسم من البلاد لذلك طلبوا الحكومة العثمانية بتلبية دعوة السكان لوقف الخطر الصهيوني قبل ضياع فلسطين (٦٩) .

ولما أخذت الحركة الصهيونية تغدق الوعود على الاصلاحيين العرب نهض عيسى داوود العيسى صاحب جريدة فلسطين — للرد على تضليلها الرأي العام العربي وأوضح الفرق الكبير بين تصريحات الزعماء الصهيونيين على صفحات الجرائد العربية وبين القرارات التي يتخذونها في مؤتمراتهم ، واستشهد بما يلحق بأهالي فلسطين من أفعالهم وأكد أن جميع التصريحات الصهيونية ماهي إلا تمويه وخداع كوسيلة لتضليل الرأي الرأي العام (٧٠) .

وعندما أبدى رفيق العظم – رئيس حزب اللامركزية – في أول حزيران ١٩١٤م استعداده للسعي لدى أعيان فلسطين لانتخاب ممثلين عنهم في المؤتمر المقترح عقده في القاهرة بين حزب اللامركزية والحركة الصهيونية عارض نجيب نصار هذا الاقتراح بشدة وذكر أن اتفاق العرب والصهيونيين مستحيل وتعجب كيف يتم الاتفاق مع قوم يقررون في مؤتمراتهم العمل على إيجاد وطن يهودي في فلسطين ، وحمل على اعيان فلسطين بعنف فقال « ... ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها أكثر مما تأتيها من الصهيونيين ، لأن هؤلاء السراة هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم » . ثم نوهت الكرمل بدور الشبيبة الفلسطينية التي أخذت تدرك حقيقة خطر الحركة الصهيونية (٧١) ثم هاجم نصار بعنف كل من شبلي شميل ويعقوب صروف ونمر فارس ورفيق العظم لموقفهم المتخاذل من الحركة الصهيونية واتهمهم باهمال الواجب الوطني والسعي وراء المنافع الخاصة ، ومحاولة كم أفواه المعارضين للحركة الصهيونية وتحذير المتنبهين لخطرها (٧٢).

وعندما عرّض نصار بالاصلاحيين العرب وبجرائدهم وتهكم عليهم مستفسراً .... « عما اذا كان بيع الأملاك للصهيونيين داخلاً في موادهم الاصلاحية » ... رد عليه الشيخ أحمد طبارة في جريدته « الاصلاح » التي كانت تصدر في بيروت . فأشار إلى أن كل مافعله نصار لايقاف تيار الهجرة لم يتجاوز الضجيج والصراخ ولم يفد ذلك العرب في شيء باستثناء ارتفاع أثمان الأراضي التي اتخذ أصحابها من الضجة التي أثيرت حولهم وسيلة لزيادة نفعهم (٧٣) .

ولم يغفر نجيب نصار لحزب اللامركزية سعيه لعقد اتفاق مع الحركة الصهيونية لذلك عندما علم أن حقي العظم « سكرتير حزب اللامركزية » هو رئيس جمعية مقاومة الصهيونية التي تألفت في القاهرة وأرسلت منشوراتها إلى سائر جهات فلسطين أبدى عدم ارتياحه ونصح الشبيبة الفلسطينية العمل مستقلة عن الزعماء لإيجاد « رأي عام عربي عثماني » في فلسطين . ثم طلب منها الاستفادة من التجارب السابقة التي أظهرت اتخاذ الزعماء للشبيبة سلماً لبلوغ الغايات الخاصة (٧٤) .

وهكذا وقف عرب فلسطين موقفاً حاسماً من محاولات التفاهم والاتفاق فرفضوها وأنكروا على الاصلاحيين العرب سعيهم للتوصل إلى اتفاق مع الحركة الصهيونية فقد كان احساسهم بالخطر الصهيوني عميقاً وبذلك كان الشعور الشعبي في فلسطين عدائياً جداً للصهيونية ولا يسمح بتنفيذ أي اتفاق مع الصهيونية .

ولما اشتدت وطأة الحركة الصهيونية على عرب فلسطين استغاث الأعيان في القدس ويافا وغزة في نيسان ١٩١٤م بالمنتدى الأدبي العربي في الآستانة وناشدوه العمل بحزم ضد التيار الصهيوني الجارف الذي هدد الموارد الاقتصادية للفلاح والتاجر ، ولفتوا الانتباه إلى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في متصرفية القدس وان حكومة اسرائيلية قد تأسست في فلسطين تعاقب وتجازي، وأوضحوا أنه إذا كانت الحاجة إلى الاصلاح شديدة فان الحاجة إلى دفع الخطر الصهيوني أشد ثم ناشدوا المنتدى الأدبي باسم الوطنية أن يستعمل كل ما لديه من الوسائل المشروعة لينبه الحكومة العثمانية إلى الخطر الصهيوني(٧٥)

كما اتخذ المجلس الإداري في نابلس قراراً في تموز ١٩١٤ يقضي بعدم البيع للصهيونيين في لواء نابلس ، فسعت الحركة الصهيونية لفصل ارتباط عدد من قرى اللواء والحاقها بقضاء يافا بدعوى قربها ليسهل عليهم بعد ذلك شراء الأراضي فيها (٧٦) واشتدت وطأة الصهيونيين فوزعت منشورات في القدس تحذر من الخطر الصهيوني ، وتضمنت نداء حاراً إلى أبناء البلاد (٧٧) ثم طلبت منهم العمل على ما يلي :

١ ــ مطالبة الحكومة العثمانية بالحاح لصد تيار الهجرة اليهودية الجارف .

٢ ــ السعي لتقوية التجارة الوطنية والصناعة .

٣ ــ عدم بيع الأراضي لليهود .

٤ ــ النظر في كل الوسائل التي تدعو إلى عدم هجرة العرب من فلسطين .

ولعله من المفيد أن نتعرف على وجهات النظر التي كانت سائدة في أوساط متنوري فلسطين الذين تفاعلوا مع الأحداث في تلك الفترة الحاسمة التي سبقت اعلان الحرب العالمية الأولى .

كان من رأي حافظ السعيد ــ مبعوث يافا وأحد أعيانها وعضو حزب اللامركزية ومــن أنصار حزب الحرية والائتلاف العثماني (وهو هنا يتبنى رأي حزب اللامركزية في موضوع الهجرة اليهودية) . أنني أرى أن الهجرة الصهيونية قد تكون مضرة وقد تكون غير مضرة ، فإن كانت مربوطة بقيود وشروط تتكفل بدفع الضرر فلا بأس منها كأن تنظر الحكومة لمقدار نفوس فلسطين سيما لواء القدس ومقدار سعة الأراضي وتنظر

المقدار الزايد فيها عن كفاية السكان... فتسمح ببيعة للمهاجرين الذين يدخلون في التابعية العثمانية ... واما ان كان حبل الاستعمار ملقى على غارب المستعمر في الهجرة والعدد والمقدار فلا يبعد والحالة هذه أن يستولي المستعمرون وهم متلبسون بأجنبيتهم على أكثر الأراضي والتجارة ... فالظن اذاً بأنهم – يقصد الأهالي – يستفيدون بمجرد النظر لأعمال جيرانهم الصهيونيين هو في رأيي ظن لايتحقق وكلام لامعنى له » . أ . ﻫ .

أما خليل أفندي السكاكيني – مدير المدرسة الدستورية في القدس ومن أقطاب النهضة الارثوذكسية في المتصرفية – فيرى مايلي « .. الصهيونيون يريدون أن يملكوا فلسطين وهي قلب البلاد العربية ... ويقسموا الأمة العربية إلى قسمين يصعب معهما اتحادها وتضامنها » أ ﻫ (٧٨) .

أما فيض الله العلمي – مبعوث المتصرفية ومن أعيان القدس – فقد وصف الواقع المؤلم آنذاك بقوله « .. اذا دمنا على حالنا فلا بد أن يأتي يوم يصبحون فيه أهل البلاد ونحن غرباء عنها » أ . ﻫ أما جميل الحسيني من أعيان القدس في الآستانة والمشتغلين في الحركة العربية » فكان من المعارضين للحركة الصهيونية ومن الداعين لمقاومتها » ... المسألة الصهيونية من أمهات المسائل التي يجب علينا أن نقاومها ونحاربها والحكومة تشد ازرها والأهلون جهلاء بسطاء » أ . ﻫ .

ولتوضيح الصورة أكثر نضيف إلى ماسبق رأي عدد من الكتاب والمتنورين العرب في الحركة الصهيونية لنكون على بينة من حقيقة الموقف العربي خارج فلسطين .

كان رأي جرجي زيدان – صاحب مجلة الهلال في القاهرة – في الحركة الصهيونية في أعقاب رحلة شاملة لفلسطين قام بها عام ١٩١٤م وعاين على الطبيعة الآثار السيئة التي ألحقتها الصهيونية بالفلاحين العرب « . . وأما مالاشك فيه من مستقبل تلك البلاد اذا ظلت على ذلك واليهود عاملون على ابتياع الأرضين واستعمارها وأهلها غافلون أو متجاهلون وحكومتها ساكتة أو مشغولة فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلها لليهود » ويرى جرجي زيدان أيضاً أنه لا يمكن تلافي الخطر الصهيوني الا بالنسج على منواله من حيث استغلال الأرض بالوسائل الحديثة – آنذاك – وانقاذ الفلاح من جشع المرابين. ثم يقول « ... وفي وسع الحكومة أن تفعل ذلك لكنها مشغولة مضطربة أما أعيان البلاد فمنصرفون إلى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف والنيابات أو المطالبة بالاصلاح

ولو صرفوا المهمة والجهد إلى الناحية الاقتصادية لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال أ . هـ . (٧٩)

وكتب محمد رشيد رضا – صاحب جريدة المنار – وعضو حزب اللامركزية – مقالاً في المنار في آذار ١٩١٤م بعنوان (المسألتان الشرقية والصهيونية) (٨٠) تعجب فيه من تصدي الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين ثم ذكر مايقال عن اقتناع جمعية الاتحاد والترقي بتلك الفكرة وكيف أنها تساعد الصهيونيين على التمهيد لتمليكهم البلاد ثم خلص إلى القول « ... أنه لامجال للبحث في اثبات هذه الأقوال أو نفيها وانما كان ذلك لتذكير الذين أكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم مافتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها بعد » ... أ . هـ . ثم أنهى المقال بالدعوة لحسم الموضوع بين العرب والصهيونية فقال ... يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين ، إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونية على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان أمكن – وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطنبوه بأسبابه – وإما جمع قواهم لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة .وأولها تأليف الجمعيات والشركات وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ماتحدث به بعضهم على أن يكون أول مايعمل ، وإنما هو الكي والكي آخر العلاج كما يقال » هـ .

وفي ٢٠ تموز ١٩١٤م كتب حقي العظم (٨١) – سكرتير حزب اللامركزية – رسالة إلى محمد المحمصاني من المشتغلين في الحركة العربية في بيروت وقد أعدمه جمال باشا في أيار ١٩١٦م. وقد جاء في تلك الرسالة .. « فيما يتعلق بالاتفاق الذي كان قد اقترحه سكولوف عضو اللجنة التنفيذية الصغرى للحركة الصهيونية – فإن رأيي يختلف عن رأي رفيق بك العظم (رئيس حزب اللامركزية) . . لأنني مقتنع أن لافائدة على الاطلاق من الاجتماع (بالحركة الصهيونية) وإذا لم أعارضه فلأني لا أرى فيه أذى .. اعلم ياأخي أن هؤلاء الناس يسيرون نحو هدفهم بسرعة شاكرين مساعدة الحكومة وعدم مبالاة الأهالي ، وأنا متأكد بأننا إذا لم نعمل شيئاً للتأثير في الوضع الراهن للصهيونية فسيحققون هدفهم في فلسطين في سنوات قليلة حيث سيوجدون دولة يهودية وبعد ذلك يتجهون نحو سورية والعراق ، وهكذا سيفرغون من تحقيق برنامجهم السياسي ... ولكن باستخدام وسائل التهديد والاضطهاد – والأسلوب الأخير هو الذي يجب أن نستخدمه فقط ويتمثل في حث السكان على تدمير مزارعهم واشعال النار في مستعمراتهم وتشكيل

العصابات لتنفيذ هذه المخططات وبعد ذلك ربما يهاجر الصهيونيون من فلسطين لانقاذ حياتهم » أ . هـ .

ويتبين لنا مما سبق استمرار عرب فلسطين في مقاومة الغزو الصهيوني بوسائلهم المحدودة وعلى الرغم من فشل السلطان عبدالحميد في وقف تدفق سيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين بسبب مداخلات السفراء الأجانب وبسبب تواطؤ بعض المسؤولين في الإدارة والشرطة مع الصهيونيين بفعل الرشوة ، وعلى الرغم من مساعدة الاتحاديين للصهيونيين ومن نجاح المتنفذين اليهود في أقصاء بعض المتصرفين أو عزل الموظفين العثمانيين المعارضين لهم في فلسطين .

كما يتبين لنا كيف كانت نظرة عرب فلسطين للحركة الصهيونية نظرة واقعية ، فقد أحسوا بخطر الغزو الصهيوني الذي يتهددهم ، فحصلت كما رأينا منازعات بين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود ووقف إلى جانبهم الموظفون العرب في الدوائر العثمانية ، وكان من بينهم شكري العسلي الذي كان قائمقاماً لقضاء الناصرة ، ثم نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان ، وبذل كل جهوده لمنع الهجرة اليهودية وشراء الأراضي كما أخذ آخرون يضعون العوائق والصعوبات في طريق الاستيطان الصهيوني وزادت معارضة الأعضاء العرب في مجلس المبعوثان للنشاط الصهيوني في فلسطين بل دخلت مقاومة الحركة الصهيونية في البرنامج الانتخـابي لمرشحي متصرفية القدس لمجلس المبعوثان فصرح راغب النشاشيبي أحد مرشحي انتخابات ١٩١٤م بأنه سيبذل أقصى جهوده – إذا نجح في الانتخابات – لازالة الخراب والخطر الذي يتهدد المواطنين من الصهيونية فانتخب بأكثرية فائقة وبذلك اتخذ عرب فلسطين موقفاً حاسماً من الحركة الصهيونية فأسسوا عدة جمعيات لمكافحتها وقاموا بأعمال العنف المسلح وفرضوا على مرشحيهم بمجلس المبعوثان العمل على ازالة الخطر الصهيوني مقابل التصويت لهم فبلوروا شخصيتهم الفلسطينية وأبرزوا مقوماتها الأساسية قبل الحرب العالمية الأولى .

الهـــوامش

(١) يعتمد البحث أساساً على الدوريات العربية المعاصرة له ومن هذه الدوريات جريدة فلسطين (يافا) وجريدة الكرمل (حيفا) والقبس والمقتبس (دمشق) والمفيد (بيروت) والاصلاح (بيروت) والمنار (القاهرة) والمقتطف (القاهرة) الأهرام (القادرة) لمقطم (القاهرة) والهلال (القاهرة) .

(٢) أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ص ٤٣ (بيروت ١٩٦٦) .

(٣) تقرير اللجنة التي عينها المندوب السامي لفلسطين للتحقيق في الاضطرابات التي وقعت في يافا وجوارها في أيار ١٩٢١ ص ٣٢ - ٣٣ (القدس ١٩٢١) .

(4) Beit- Shalom Society., Jewish Arab Affairs. P. 11 (Jerusalem., 1931).

(٥) محمد رفيق ومحمد بهجت : ولاية بيروت - القسم الجنوبي ص ٢١٥ (بيروت ١٣٣٥ ه) .

(6) F.O. 195-1789 No 13 Constantinople, 3rd April 1893.

(7) F.O. 195-1765, No 35; Jerusalem, 30th Dec. 1892.

(8) F.O. 195-1789 No 13 Constatinople, 3rd April 1893.

(٩) المقتطف.: ابريل ١٨٩٨ مجلد ٢٢ ص ٣١٠ .

(١٠) المنار : مجلد ١ ج ٦ ص ١٠٨٣ .

(١١) المنار : مجلد ٤ ج ٢ ص ٨٠١ - ٨٠٩ ومجلد ٦ ج ٥ ص ١٩٦ - ٢٠٠

(12) F.O. 195-2287, No 1 20 Jerusalem 2nd April 1908.

(١٣) عبدالمسيح انطاكي : نيل الأماني في الدستور العثماني ص ٧٥ (القاهرة)

(14) Mandel, Neville., Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882-1914. PP. 77-108. St Antony's Papers No 17. (Oxford). 1965

(15) Ibid. P. 95.

(١٦) نجيب نصار : الصهيونية (تاريخها . غرضها - أهميتها) .
ص ١٢ ، ١٧ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ (حيفا ١٩١١) .

(17) Mandel, op. cit pp. 93-94.

(١٨) الأهرام : العدد ٩٤٩٣ في ٩ يونيه ١٩٠٩ ، ٩٠٠٧ في ٢٥ يونيه ، ٦٥١٥ ، ٩٥١٦ في ٥ ، ٦ يوليه ، ٩٠١٩ في ٩ يوليه ، ٩٠٢١ في ١٢ يوليه ، ٩٥٢٣ في ١٤ يوليه ، ٩٥٣٠ في ٢٢ يوليه ٩٥٤٣ في ٦ اغسطس ١٩٠٩ .

(19) Mandel., op. cit. P. 94.

(20) Ibid. P. 95..

(٢١) المقتبس : العدد ٥٢٩ في ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٠ .

(٢٢) المقتبس : العدد ٣١٨ في ١٥ آذار ١٩١٠ .

(23) Mandel., OP. Cit. P. 69

(24) Ibid., PP. 97-98.?

(٢٥) المفيد : العدد ٧٧٠ في ١٩ آب ١٩١١ .

(٢٦) المفيد : العدد ٨٧٠ في ٣١ كانون الأول ١٩١١ .

(٢٧) نجيب نصار : الصهيونية ، ص ١٢ ، ١٧ ، ٥١ .

(٢٨) فلسطين : العدد ١٨٥ - ٨٤ في ٢ تشرين الثاني ١٩١٢ .

(٢٩) الكرمل : العدد ٣١٦ في ١٤ آذار ١٩١٣ .

(٣٠) نجيب الأصفر : مواطن عثماني من لبنان طلب امتيازاً من الحكومة لإدارة الراضي السلطان عبدالحميد الثاني لمدة ٩٩ سنة واعطاء الحكومة جزءاً من المال ممايبيعه من الأراضي (انظر المقتبس العدد ٤٦٩ في ٨ أيلول ١٩١٠) .

(٣١) الكرمل : العدد ٣١٦ في ١٤ آذار ١٩١٣ .

(٣٢) الكرمل : العدد ٣٣٦ في ٢٧ أيار ١٩١٣ .

(٣٣) الكرمل : العدد ٣٦٦ في ١٩ ايلول ١٩١٣ .

(٣٤) الكرمل : العدد ٣٥٥ في ٥ آب ١٩١٣

(٣٥) الكرمل : العدد ٣٥٧ في ١٢ آب ١٩١٣ .

(٣٦) المقتبس : العدد ١٣٤٧ في ١٩ تموز ١٩١٣ وانظر أيضاً فلسطين العدد ٢٥٥ - ٥٢ في ١٩ تموز ١٩١٣ .

(٣٧) الكرمل : العدد ٣٣٤ في ٢٤ حزيران ١٩١٣ .

(٣٨) فلسطين العدد ٢٦٣ - ٥٩ في ١٣ آب ١٩١٣ والعدد ٢٨٧ - ٨٤ في ٨ تشرين الثاني ١٩١٣ .

(39) Zohn, Harry., The Complete Diaries of Theodor Herzl. (5 Vols, U.S.A. 1960). PP. 740 - 741.

(٤٠) فلسطين : العدد ٢٥٣ - ٥٠ في ١٢ تموز ١٩١٣ .

(٤١) رداً على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الذي كان مقرراً عقده في فيينا في ايلول ١٩١٣ وتم عقده في ٢ - ٩ ايلول .

(٤٢) الكرمل : العدد ٣٦٣ في ١٩ ايلول ١٩١٣ .

(٤٣) فلسطين : العدد ٢٦١ - ٥٨ في ٩ آب ١٩١٣ .

(٤٤) الكرمل : العدد ٣٦٦ في ١٩ ايلول ١٩١٣ .

(٤٥) الكرمل : العدد ٤٠٤ في ١٠ شباط ١٩١٤ .

(٤٦) الكرمل : العدد ٤٠٩ في ٢٧ شباط ١٩١٤ .

(٤٧) الكرمل : العدد ٤٢٠ في ١٠ نيسان ١٩١٤ .

(٤٨) الكرمل : العدد ٤٢٥ في أيار ١٩١٤ .

(٤٩) الكرمل : العدد ٤٢٩ في ٥ أيار ١٩١٤ .

(٥٠) الكرمل : العدد ٤٣٣ في ٢٩ أيار ١٩١٤ .

(٥١) الكرمل : العدد ٤٣٧ في ١٢ حزيران ١٩١٤ .

(٥٢) فلسطين : العدد ٣٢٦ - ٢٩ في ١٠ حزيران ١٩١٤ .

(٥٣) فلسطين : العدد ٣٣١ – ٣٤ في ٢٧ حزيران ١٩١٤ .

(٥٤) يذكر نصار أن عدد المشتركين في جريدة الكرمل بلغ ٣٤٦ مشتركاً يدفعون و ٥٠٠ مشترك لا يدفعون الا بعد المطالبة وأكثرهم لايدفع . وآلاف يقرؤون مجاناً انظر الكرمل : العدد ٢٩١ في ١٣ كانون الأول ١٩١٢ .

(٥٥) الكرمل : العدد ٣١٥ في ١١ آذار ١٩١٣ .

(٥٦) الكرمل : العدد ٣٠٤ في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ .

(٥٧) الكرمل : العدد.٣٠٨ في ١٤ شباط ١٩١٣ .

(٥٨) الكرمل : العدد ٣٦٠ في ١٣ آب ١٩١٣ . ١٩١ .

/٥٩) الكرمل : العدد ٤٢٣ في ٢٣ نيسان ١٩١٤ .

(60) Manedl, Nevile., Attempts at an Arab - Zionist Entente: 1913-1914 – P. 263. Middle Eastern studies, Vol II (1965).

(٦١) الكرمل : العدد ٣٤٦ في ٤ تموز ١٩١٣ .

(٦٢) الكرمل : العدد ٣٤٧ في.٨ تموز ١٩١٣ .

(٦٣) فلسطين : العدد ٢٥٢ – ٤٩ في ٩ تموز ١٩١٣ .

(٦٤) الكرمل : العدد ٣٥١ في ٢٢ تموز ١٩١٣ .

(٦٥) فلسطين : العدد ٢٦٢ –.٥٩ في ١٣ آب ١٩١٣ .

(٦٦) الكرمل : العدد ٣٣٥ في ٢٣ أيار ١٩١٣ .

(٦٧) فلسطين : الأعداد ٢٨٠ – ٧٧ في ١٤ تشرين أول ١٩١٨ ، ٢٨١ – ٧٨ في ١٨ تشرين أول ١٩١٣ ٢٩٤ – ٩١ في ٢٧ كانون الأول ١٩١٣ .

(٦٨) القبس : العدد ٣٧ – ١٣٣٧ في ١٧ تشرين الثاني.١٩"٨ .

/٦٩) المقطم : العدد.٧٦٤٨ في ٢٢ مايو ١٩١٤ مقال بعنوان زعماء الصهيونية كشف الستار عنها وخطارها بقلم : محمد عبدالرحمن العلمي .

(٧٠) المقطم : العدد ٧٦٥٥ في ٣٠ مايو ١٩١٤ مقال بقلم عيسى داوود العيسى بعنوان مغالطات صهيونية .

(٧١) الكرمل : العدد ٤٣٥ في ٥ حزيران ١٩١٤ والعدد ٤٥١ في ٣١ تموز ١٩١٤ .

(٧٢) نشر شبلي شميل سلسلة مقالا ت في المقطم عن الصهيونية حث فيها العرب على الاقتداء بها بدلا من معارضتها فهاجمه نصار بعنف على صفحات الكرمل . انظر الكرمل : العدد ٤٣٧ في ١٢ حزيران ١٩١٤ .

(٧٣) الاصلاح : العدد ٣٥٢ - ١٧٤٦ في ٥ تموز ١٩"٤ .

(٧٤) الكرمل : العدد ٤٥٣ في ٧ آب ١٩١٤ .

(٧٥) فلسطين : العدد ٣٢٣.– ٢٦ في ١١ نيسان ١٩١٤ .

(٧٦) فلسطين : العدد ٣٣١ – ٣٤ في ٢٧ تموز ١٩١٤ .

(٧٧) الكرمل : العدد ٤٤٤ في ٧ تموز ١٩١٤ .

(٧٨) فلسطين : العدد ٣٢١ – ٢٤ في ٤ نيسان ١٩١٤ .

/٧٩) الهلال : ج ٧ سنة ٢٢ في ابريل ١٩١٤ ص ٥١٩ .

(٨٠) المنار : مجلد ١٧ ج ٤ ص ٣١٩–٣٢٠ .

(18) Mandel., op. cit pp. 264-265.



حسين حمادة

دمشق – سوريا

خصائص الأدب الجغرافي الفلسطيني
في
تاريخ الأدب الجغرافي العربي للمستعرب
اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي

وفقت الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية باختيارها ترجمة كتاب تاريخ الأدب الجغرافي للمستعرب السوفييتي اغناطيوس يوليا نوفتش كراتشكوفسكي إلى اللغة العربية .

وبكل الأمانة العلمية والاقتدار المبدع نقله عن الروسية إلى اللغة العربية الأستاذ صلاح الدين عثمـان هاشم ، ومـن ثم قام بمراجعته العلامة ايغوربليايف تلميذ كراتشكوفسكي وبعد إعداده للطبع باللغة العربية قامت الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بالتعليق على ماجاء في هذا التاريخ الأدبي والجغرافي مـن ناحية دراساته وارتباطاته الفكرية الأصولية بالاسلام والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

ولكم كنت أتمنى لو انسع مجالي للحديث عن كل مايضمه هذا السفر العلمي الكبير الذي تحتوي صفحاته التسعمائة والخمس والسبعون من القطع الكبير وصفاً ودراسة لمائتين وستين رحلة علمية أدبية جغرافية تاريخية تستند على خمسمائة وثمانين مرجعاً عربياً وإيرانياً وتركيا وروسيا واوا وربيا بلغاتها الأصلية استنفذت مـن عمر البحاثة كراتشكوفسكي ثلاثين عاماً والذي مات عن مؤلفه وهو بعد غير كامل المادة بالشكل الذي خطط له المؤلف .

حازت فلسطين ورجالها على مواضع كبيرة وكثيرة فيه . وهذا يستأهل من الدارسين المتخصصين بالقضية الحضارية والانسانية والعربية عامة والفلسطينية خاصة أن يعتمدوه كمصدر أصيل لدراساتهم العلمية الموثقة عن علوم وآداب وتاريخ وجغرافية منطقتنا ، فإضافة للوصف الممتع الذي نعيشه مع رحالتنا وعلمائنا . يورد كرانشكوفسكي عبارات تكتسب أهمية جوهرية في ميدان دراساته . ويركز على موضوعات تدلل على عمق معرفتهم واستيعابهم لقسمي العلوم النقلية والعقلية .

طراز الفضائل ونمط الرحلة وارتباطهما بالأماكن المقدسة :

في دراسة كراتشكوفسكي ورد ذكر فلسطين (٥٤) مرة وبيت المقدس (٤٤) مرة ومدينة الخليل (١٤) مرة وعكا (٧) مرات والرملة (٦) مرات ونابلس وعسقلان (٤) مرات وصفد (٣) مرات ويافا مرتين وحيفا والناصرة مرة واحدة وهذا التعداد لايشمل ماورد عن اليهود من خزر وسواهم .

ويقدم لنا القرن الثامن عشر لوحة للأدب الجغرافي فقد انتعش فيه بصورة كثيفة نمطان فقط أحدهما هو الجغرافيا الاقليمية من طراز الفضائل والآخر نمط الرحلة وكلا النمطين ارتبطا ارتباطاً وثيقاً « بالأماكن المقدسة » الاسلامية والمسيحية اما على هيئة وصف لها أو رحلة اليها . وكما كان عليه الحال من قبل فان الرحلة كثيراً ماإستندت على أساس ترجمة شخصية لحياة الرحالة نفسه فقد تتحول أحياناً إلى معجم للسير يترجم فيه لأساتذته وللعلماء الذين التقى بهم وإما إلى مختارات أدبية تعطي فكرة جيدة عن الذوق الأدبي لعصره ولكن يحتل الجانب الجغرافي فيها مكانة ثانوية . وكما حدث من قبل فقد ظلت كل من سورية والمغرب المورد الرئيسي للأدب غير أنه يجب أن نشير بصفة خاصة إلى أن زيادة الاهتمام بصورة دون غيرها من البلاد إنما مرده إلى أن عدداً كبيراً من المصنفات التي تم تأليفها هناك موجودة في مجموعات المخطوطات بمعهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية وأيضاً بمدينة برلين . ومما يميز عدداً كبيراً من الرحالة السوريين هو معرفتهم الوثيقة بالقسطنطينية . أما في بقية البلاد العربية فان المصنفات الجغرافية يمكن تتبعها في حالات منفردة . « راجع تاريخ الأدب الجغرافي العربي » حتى (٧٥٤) فقرة (٧٣٠) .

الخبر التام في حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام

من خلال مطالعتي لمجلدي « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » لكراتشكوفسكي

تابعت مداح المدن المقدسة والمؤلفين الذين تشربوا حـب فلسطين وتخصصوا في دراسة تلك البلاد ومن بين هؤلاء الرحالة ومؤلفاتهم أثبت كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ، لمجير الدين الحنبلي و « الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى » للقاسم ابن عساكر و « الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » لعبدالغني النابلسي (١) و « الخبر التام في حدود الأرض المقدسة وفلسطين والشام » للتمرتاشي « والروض المغرس في فضائل البيت المقدس » للصحبي « وسفر نامة » لناصر خسرو » فضائل البيت المقدس » لأبي بكر الواسطي و « فضائل البيت المقدس » لمحمد بن طولون و « فضائل البيت المقدس والشام » لأبي المعالي المقدسي و « فضائل القدس » لابن الجوزي و « فضائل قدس شريف » لمحمد يمني وكتاب « الأنس في فضائل القدس » لأمين الدين بن عساكر و « لطائف أنس الخليل في تحائف القدس والخليل » للدمياطي « ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » لأحمد المقدسي و « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السلام » لاسحاق التدمري و « موانح الأنس برحلتي لوادي القدس » للدمياطي .

ارتباط الأدب الجغرافي في بنود حركة التحرير

يجب ألا يغيب عن الذاكرة أن مصر والبلاد الشامية كانت تقف على رأس الحركة الرامية إلى تحرير فلسطين والمناطق المجاورة لها من أيدي الصليبيين ، وتاريخ هذه الحركة قد تردد صداه في عدد هائل من الآثار الأدبية ، وتستحق هذه الفترة برأي كراتشكوفسكي تفرد ببحث خاص يعالجها بأجمعها منذ عهد صلاح الدين الأيوبي إلى عهد محمد الفاتح .

وعلينا أن نستذكر بأنه انبعث أدب دعاية ذو أصالة كبرى انصبت فكرته في أن فلسطين بل جميع أرض الشام إنما هي أرض الأجداد بالنسبة للمسلمين لاينازعهم في شرعيتها أي منازع . ولم تلبث مقابر الأنبياء القديمة الموجودة بها . وأيضاً المعابد والمساجد العتيقة أن اكتسب قداسة لاتفوقها سوى قداسة مكة والمدينة . وفي العصور المتوسطة الأخيرة أصبح الحج اليها فريضة كالحج إلى مكة ودفع هذا بدوره إلى ازدهار المؤلفات المرتبطة بها ولم تقم الدعاية على استشارة العواطف الدينية فحسب بل ان العلماء قد اهتموا أيضاً بتوضيح جانب آخر دنيوي يتعلق بفلسطين . فأخذت تتشكل

---

(١) يقوم كاتب الدراسة بتحقيق رحلة للعلامة عبدالغني النابلسي «الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية» عن مخطوطتين وجدهما في المكتبة الظاهرية بدمشق .

وتنمو الفكرة القائلة بأن الشام تمتلك تسعة أعشار ثروة العالم بأجمعه . وقد ارتبط الأدب الجغرافي في جميع مراحل تطوره بنمو حركة التحرير التي ترجع بدايتها إلى عهد صلاح الدين الأيوبي أو إلى ماقبل ذلك بقليل حينما مر مايقرب من مائة عام على وجود بيت المقدس في أيدي الصليبيين ٤٩٢–٥٨٣ هـ / ١٠٩٩–١١٨٧ م وتنتهي الفترة لحركة الاسترداد عام ١٢٩١م والفترة الثانية تصل عام ١٣٧٥ م وتبدأ الفترة الثالثة عام ١٤٢٤م.

وأمام هذه التحديدات الزمنية يضحي أكثر فهماً لنا سبب النمو غير العادي الذي تمتع به الأدب الجغرافي عن فلسطين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر بالذات ولا يجب بأية حال الاعتقاد بأن هذا الأدب يرجع في نشأته إلى هذين القرنين إذ أنه يرتبط في الواقع بتقاليد أدبية ضاربة في القدس هذه التقاليد عن استعداد غريب إلى الاستمرار والتماسك ومن السهل أن نرى كيف اشترك أحياناً علماء من أسرة واحدة أو من مدرسة واحدة في معالجة موضوع واحد ، وهناك نزعة للاحتفاظ بعنوان واحد لعدد من المصنفات ويأسف كراتشكوفسكي إلى أن مايتميز به الأدب من ناحية الكم لاتعادله ميزاته مـن ناحية الكيف فهو أدب نقلي بكل مايحمله هذا اللفظ من معنى لذا يرى كراتشوفسكي لزاماً علينا الاقتصار على تلك الصفات المبكرة التي هي بمثابة الأساس في بنائه والتي تعتبر أنموذجاً للمؤلفات التي أعقبتها وان كان المستعرب الروسي يؤكد أن هذا الأدب الواسع المدى لم ينشر منه إلى الآن الا جزء ضئيل للغاية كما أن ماأخضع منه للدراسة أقل من ذلك بكثير .

خصائص الأدب الجغرافي الفلسطيني

ومن خصائص هذا الأدب – الفلسطيني – وذلك في الفترة الأولى التي ترتفع إلى عهد سابق لعهد صلاح الدين ان فلسطين نفسها لاتنال فيه أهمية مستقلة بل تدخل ضمن الشام التي احتلت فيه المكانة الأولى ، وفي الفترات التالية من تطور هذا الأدب تبدأ القدس في التمتع بحقوقها كاملة من حيث العناوين شأنها في هذا شأن دمشق وخير مثال لهذا مؤلف نال الصيت فيما بعد وهو أبو المعالي المشرف بن المرجي بن ابراهيم المقدسي على مؤلفه « فضائل البيت المقدس والشام » ولا يزال العرض بتاريخ موجز لبيت المقدس القديمة ، وفتح العرب لها في عهد عمر وبناء عبدالملك في الحرم ويلي هذا الكلام على فضائل القدس وفضل الصلاة فيها ، وينصب العرض في جوهره على سرد الأحاديث النبوية التي قيلت في فضل القدس وهو منهج اكتسب رواجاً كبيراً لدى المؤلفين التاليين

فنسج على منواله برهان الدين وابن عساكر – الابن – وأحمد المقدسي وأخيراً نلتقي بالعنوان منفرداً قائماً بذاته على هيئة – فضائل بيت المقدس – حوالي عام ٥٠٠ هـ – ١١٠٦ م لدى أبي بكر محمد الواسطي .

وقد حافظ الأدب – الفلسطيني – على ازدهار الأول إلى مابعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس واسترجاعها على يد صلاح الدين . وأخذت طرفاً فيه أحياناً شخصيات كبرى كالمؤرخ الداعية المشهور أبي الفرج عبدالرحمن الجوزي توفي عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م وان نشاط دعوته التي نالت الحظوة لدى الجماهير حتى خرجت أحياناً إلى الشوارع ليساعدنا على تفهم الأسباب التي حدت بمثل هذا الرجل ليجعل من فلسطين موضوعاً لخطبه ولماذا اعتبرت أحياناً رسالته « فضائل القدس » مجرد فصل من مصنفه الكبير « مثير الغرام إلى ساكني الشام » .

ويضيف كراتشكوفسكي ومما يثبت أن الأدب الجغرافي من هذا الطراز كان يرتبط ارتباطاً فعلياً بالدعوة – التحريرية – التي لم تقف عند حد القول فقط بل خرجت أحياناً إلى حد الفعل . فالمؤرخ سبط ابن الجوزي توفي عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م لم يكتف بدعوة أهل دمشق إلى جهاد الفرنجة بل اشترك بنفسه على رأس حملة عسكرية موفقة على مدينة نابلس .

وفي وقت واحد مع ابن الجوزي وذلك في الحد الفاصل بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر يأخذ طرفاً في – الأدب الفلسطيني – اثنان من أسرة دمشقية اشتهرت بمؤرخيها هي « بنوعساكر » وأحدهم هو القاسم بن عساكر توفي عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م ابن صاحب « معجم السير » المشهور ومن الممكن أن نتصور ماتمتعت به مثل هذه الموضوعات من رواج ولما ينقض على تحرير المدينة من أيدي الصليبيين أكثر من عشرين عاماً ، واسم مصنفه هو « الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى » ، ويوشك هذا المصنف أن يكون المصدر الأساسي لجميع من عالجوا الكتابة عن القدس إلى جانب جمال الدين المقدسي في القرن الرابع عشر . وقد استعمله كل من الفرازي والسبكي وكما هو تقليد أسرتهم – آل عساكر – فقد شغل الموضوع نفسه ابن عمه أمين الدين أحمد بن محمد الذي تقتصر معرفتنا بمصنفه « كتاب الأنس بفضائل القدس » .

باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس

وإذا كانت الفترة الأولى لازدهار هذا الأدب المعاني بفلسطين والشام ترتبط

كما رأينا بمصير بيت المقدس وحروب صلاح الدين فإن الفترة الثانية الواقعة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر والتي تعتبر أكثر انتاجاً في هذا الميدان يمكن تحليلها على ضوء وقائع من تاريخ حركة ـ ـ التحرير ـ وأول مؤلفي القرن الرابع عشر من الناحية الزمنية هو برهان الدين ابراهيم بن الفركاح توفي عام ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م وتخصص إلى حد ما في هذا الأدب الذي كرس لفاسطين كما يبدو واثنان من كتبه حازا رواجا لدى الجمهور أكثر من غيرهما . وأحد هذين الكتابين على مايلوح ليس سوى تنقيح لكتاب الربعي « الاعلام بفضائل الشام » وأما الكتاب الثاني والذي نال انتشاراً أكثر من سابقه فيحمل عنوان « باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » وهو يقع في ثلاثة عشر فصلاً تبدأ من لحظة بناء المسجد الأقصى ويتخلل العرض شواهد دينية في فضل الحج إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه وما في الحج من بيت المقدس إلى مكة من مزايا وفي أهمية الزكاة في بلد كبيت المقدس وبعض فصول الكتاب تتناول الكلام على تفاصيل معينة على المسجد وبعض مواضع القداسة الأخرى بالمدينة ، أما الفصل الأخير فيعالج الكلام على فضائل الخليل ومن بين جميع الجغرافيين الذين تخصصوا في المسألة الفلسطينية من منتصف القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر يستدعي النظر بشكل خاص ثلاثة هم : المقدسي ، والسيوطي ، ومجير الدين العليمي ، وقد وجه المستشرق الروسي مدنيكوف عناية خاصة في مصنفه الكبير نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ومما يؤكد صواب مدنيكوف في هذا الاختيار أن راحداً من خيرة المختصصين في جغرافية فلسطين وهو المستشرق الألماني «هارتمان» وقد وصل إلى نفس هذه النتيجة مستقلاً عنه. وأحمد بن محمد المقدسي توفي سنة ٧٣٥ / ١٣٦٤ م صاحب كتاب « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » وهو معروف إلى الآن من مخطوطاته فقط ومن المقتطفات التي نشرها لوسترانج والتي اعتمد عليها مدنيكوف في وضع ترجماته الروسية . ومما يؤسف له أن الدراسة المسهبة التي قام بها « كينغ » لمثير الغرام لم تر النور بأكملها .

والكتاب ينقسم إلى قسمين : الأول في فضائل الشام وفلسطين عامـــة . والثاني في فضائل المسجد الأقصى خاصة وفي سير بعض الشخصيات التي ارتبط اسمها به .

مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام

ابتداء من النصف الثاني في القرن الرابع عشر نبصر أن المسائل الفلسطينية لم تعد وقفاً على أهل الشام وحدهم أو أصحاب الجغرافيا والطبوغرافيا ويمكن أن نقدم مثالاً

لقولنا : الفقيه الكبير محمد بن بهادور التركي المصري الزركشي ، توفي عام ٧٩٤ — ١٣٩٢ م ولقد رجع معاصره السبكي تاج الدين عبد الوهاب كثيراً إلى مصنفه الكبير الخاص بفلسطين علماً بأن القدس قد فازت بمكانة كبرى في تلك الرسالة ويدل كتاب السبكي على صحة ما ذهبنا من خلال عنوانه « الروض المغرس في فضائل البيت المقدس » .

وعلى الرغم من أن الكتاب معروف لنا معرفة مباشرة الا أنه لعب دوراً دون شك في هذا الأدب المختص بفلسطين ، وقد احتلت مكانة هامـــة عند شهاب الدين أحمد بن محمد الأقفهسي المصري وعند الزركشي واسحاق بن ابراهيم التامري والذي عمل خطيباً بمسجد الخليل وكتابه « مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام » . وهذا يدل على مكانة مدينة الخليل الفلسطينية إلى جانب بيت المقدس وهذا الأثر الذي تم تأليفه في عام ٨١٤ هـ / ١٤١١ م قد تمتع بشهرة كافية في أوساط المتخصصين في الشؤون الفلسطينية فقد ذكره السيوطي بين مصادره كما عرفت له مخطوطات تضم زيارات إلى القرن الرابع عشر .

ومن أغزر الكتب مادة والتي اتسع ذكرها في الأدب الأوربي عن فلسطين مخطوط « اتحاف الأخصا بفضل المسجد الأقصى » وقد نسبه حاجي خليفـــة إلى كمال الدين محمد أبي شريف توفي عام ٩٠٦ هـ — ١٥٠٠ م ولكن يوجد أساس قوي لنسبة الكتاب إلى شمس الدين محمد بن أحمد السيوطي وقد قال بهذا الرأي مدينكوف ويمكن القول بأنه ثبت نهائياً في الآونة الأخيرة ومما يكتسب أهمية خاصة بالنسبة لنا من وجهة التأليف التاريخي هو أن المؤلف قد أعطى في المقدمة تحليلاً عاماً لمصادره وعرضاً سريعاً لكل الأدب الفلسطيني السابق له .

ويرى كراتشكوفسكي بأن مصنف « كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين عبد الرحمن بن أحمد العليمي العمري توفي عام ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م . هو المؤلف الوحيد المعروف الموجود مصنفه في طبعة شرقية وهو آخر مؤلف عرفته هذه السلسلة وهذا المصنف يعتبر أوسع وأحفل وصف تاريخي طوبوغرافي يعالج الكلام على القدس والخليل وبقية مدن فلسطين وقد أتم العليمي تأليفه في أربعة أشهر بالتقريب من عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٦ م ومثل هذه السرعة في تصنيف مؤلف كبير الحجم تدعو كراتشكوفسكي إلى الوقوف موقف المتحرز من المنهج الذي اتبعه في التأليف والعليمي قد اهتم فيما بعد

باكمال القسم التاريخي فساقه إلى عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م والكتاب بضفته مصنفاً نموذجياً في هذه السلسلة يمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام :

- الأول منها في وصف القدس .
- والثاني في وصف المسجد الأقصى والكلام على مدارس وأديرة فلسطين ومدنها .
- والثالث يحوي تراجم السلاطين والعلماء بحسب المذاهب الأربعة .
- أما القسم الرابع فيعالج الكلام على تاريخ الولاة ويختتمه بتاريخ سلطنة قايتباي .

ونظراً لوجود المصنف في عدد هائل من المخطوطات ولأنه من المؤلفات القليلة المطبوعة فقد اجتذب هذا الكتاب أنظار المستشرقين ، وتوجد مخطوطتان له بعد الدراسات الشرقية وهـــو معروف في أوساط المستشرقين منذ منتصف القرن الثامن عشر ومجير الدين العليمي هو المؤلف الوحيد من بين جميع حلقات هذه السلسلة الفلسطينية الموجودة كتابه ولو بصورة مختصرة في ترجمة اوروبية كاملة ١٨٧ تدين بها لعالم النميات والمؤرخ المشهور سوفير .

وسلسلة المؤلفات التي عرضنا لها لاتمثل حدثاً مرموقاً أو جديداً من وجهة نظر التطور العام للأدب الجغرافي العربي ولكنها تعتبر من وجهة نظر التاريخ الحضاري شيئاً طريفاً خاصة على ضوء ظروف الحروب الصليبية وهي تمثل في ضخامة عددها واتساع مداها شيئاً متفرداً ترك طابعه الخاص على الأدب الجغرافي البلاد إلى الفتح العثماني .

ختاماً أقول إن ما قمت به من عرض لمجلدي كتاب تاريخ الأدب الجغرافي العربي كان عرضاً وافياً ، لما جاء في الفصل الثامن عشر عن الجغرافيا الاقليمية في الشام عامة وفلسطين خاصة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر وهوفصل من أربع وعشرين فصلاً اعتمد فيها مؤلفها المستعرب الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي على خمسمائة وثمانين مرجعاً بالعربية والايرانية والتركية والروسية واللاتينية .

عبد الرحمن عزين

فلسطين الاتحاد العام للفنانين التشكيليين

دراسة مختصرة حول الأزياء الفلسطينية

بعد أن اغتصب الصهاينة الأرض الفلسطينية العربية عمدوا إلى طمس وسرقة التاريخ والتراث الفلسطيني ، أقاموا في عواصم أوربا والأمريكتين معارض لأزيائنا الشعبية المطرزة وفنوننا التطبيقية المتمثلة في فن الزجاج ، الفخار ، الصدفيات ، التطعيم بالعاج والعظم ، المنحوتات الخشبية ، الصناعات المعدنية ، وصناعة الحصر والأطباق .

كما أقاموا المهرجانات والحفلات لرقصاتنا الشعبية ، والأغنية والموسيقى الشعبية ونسبوا كل ذلك بالزيف والتضليل لأنفسهم . من أجل ذلك قمت باعداد هذا البحث المتواضع مضمناً إياه بعض الحقائق الموثقة التي تدحض ادعاءات الصهاينة . والبحث بعنوان : نبذة تاريخية مختصرة حول تاريخ الأزياء الشعبية الفلسطينية

الأزياء قديمة ، وقد عرفت لدى كل شعوب العالم القديم ، وأقدمها الأزياء الجلدية التي ظهرت في عصور ماقبل التاريخ ، وللتعرف على الأزياء الشعبية في فلسطين لابد لنا من العودة إلى البدايات الأولى التي عرف فيها الزي ، والتي نستدل عليها من خلال الأدلة الأثرية الملموسة وأقدم دليل على استخدام الانسان في فلسطين الأزياء ، يعود إلى المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم ، ويأتينا الدليل من كهوف بئر السبع ، حيث عثر المنقبون على أقدم النقوش في فلسطين ويمثل احدها رحلة صيد ، حيث يظهر الرجال وهم يرتدون الملابس الجلدية ، ويصوبون حرابهم إلى الحيوانات ، وهذه الملابس بدائية ومتواضعة وهي تستر بعض أجزاء من أجسادهم . وتاريخ هذه النقوش يعود إلى ٣٥٠٠٠ (خمس وثلاثون ألف سنة) قبل الميلاد . أما الملابس المنسوجة فقد ظهرت بعد أن عرف الإنسان في فلسطين استئناس الحيوانات وتربيتها ، والزراعة ، وبناء القرى ، والعقيدة الاسطورية . والاستقرار الكامل . وقد عرف ذلك في فترة تمتد منذ (١٥٠٠٠ — ٧٨٠٠ سنة قبل الميلاد) وذلك في قرى عين ملاحة شمالي غربي بحيرة الحولة ، وعينات بالقرب من بحيرة طبرية ، ومرتفعات وادي النطوف شمالي غربي القدس ، وعين السلطان في أريحا .

ولكن لم يعثر على أدلة ملموسة تفيد على أنهم قد عرفوا النسيج في هذه المرحلة التي تعرف بإسم العصر الحجري المتوسط . علماً بأنهم قد عرفوا استئناس الأغنام والماعز وبواسطتها يمكن الحصول على خامة النسيج وهي الصوف والوبر . وكل ماعثر عليه المنقبون أدوات حياكة الملابس ، وهي الابر والدبابيس وقد شكلت من عظام الحيوانات (٢) .

ولكن الأدلة الأثرية تأتينا من الاكتشافات التي قامت بها الآنسة كاثلين كينيون Kathleen M. Kenyon في أريحا . والدليل الأول : يتمثل في تمثال الأمومة ويعود تاريخه إلى ٦٨٠٠ سنة ق.م ، وهذا التمثال صغير جداً ولا يتجاوز حجمه أكثر من حجم الأصبع طولاً ، ورأسه مفقودة ، أما باقي التمثال فهو موجود ، ويدل على مستوى فني رفيع . فرغم صغر التمثال فقد أظهر المثال العباءة الفضفاضة التي تتجمع حول خصر ، كذلك ذراعيها اللتين تضعهما حول خصرها ، أما الأيدي فترفع بها ثدييها(٢)

والدليل الثاني : يتمثل في النحت الجنائزي الذي أطلق عليه علماء الآثار والباحثون اسم « النحت الصوري » . وقد تمثل هذا النوع من النحت في الجماجم المغطاة بطبقة من الجبس والتي عثرت عليها الآنسة كينيون . منها جمجمتان مغطاتان بالجبس ، ولكنهما ليستا بصورة جيدة ، والسبب في ذلك راجع لظروف البيئة . فإحداهما عثر عليها بالقرب من نبع الماء ، ولذلك شوه الوجه نتيجة للرطوبة ، أما الجمجمة الأخرى فقد وجدت خلفها ، ويلاحظ أن الجزء العاوي منها قد نزل ، وقد تميزت بوجود أثر لشنب مطبوع عليها (٣) .

كما عثرت الآنسة كينيون على عشر جماجم تعود إلى العصر الحجري الحديث غير المتضمن لصناعة الفخار وقد وجدت أسفل أرضيات المنازل التي تلتف حول باحة تتوسطها، وتاريخها يعود إلى حوالي ٥٨٠٠ سنة قبل الميلاد(٤). كما وجدت الآنسة كينيون أيضاً سبع جماجم مغطاة بالجبس ويعود تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد (٥) . وكانت الجماجم عندما عثر عليها في صف واحد وفي اتجاه واحد ، وأحياناً دائرية وعثر أيضاً على جماجم الأطفال ، كما أن بعضها كان المثالون يظهرونها حليقة الرأس ، والبعض الآخر عليه خطوط سود ، وبعضها كان يوضع في عيونها أصداف وضعت بعضها في

العرض وبعضها الآخر وضعت بالطول وكأنها عيون حقيقية . كما أن المثالون قد قاموا بحشو الفتحات الخارجية للجماجم بالصلصال ، وقد عثر على جمجمة قام المثال بتلوينها بعد أن غطاها بالجبس وذلك ليعطيها لون الجلد وقد قيلت عدة آراء حول الفكرة التي قام من أجلها المثالون بتغطية هذه الجماجم بالجبس فبعضهم قال إن هذه الرؤوس تكون جماجم للأحفاد المبجلين أو ربما رؤوساً لأعداء قتلوا في المعركة ، وبعضهم اعتقد بأن أهل أريحا قد شكلوا هذه الجماجم لعقيدة عبادة الجمجمة (٦) .

وفي اعتقادي أن هذه الجماجم شكلت لمضمون ديني وهو الاعتقاد بعودة الروح إلى الجسد . ومن النظر لهذه الجماجم نلاحظ أن بعضها يخص الكهنة وهي الجماجم المحاوقة ، فقد ظهر علـى بعضها غطاء خاص بالرأس ، وهذا الغطاء يشبه إلى حد كبير الغطاء المعاصر لدى السيدات الفلسطينيات ويعرف باسم (الوقاية أو الصمادة) .

وهذا دليل ثانٍ على معرفة أهل فلسطين للأزياء وخاصة الجزء الذي يخص الرأس .

أما الدليل الثالث : فيأتي من حفريات كل من جاريستانج وكينيون . حيث عثرا على أدوات مشكلة من العظم والحجر وذلك داخل البيوت الدائرية التكوين ، إلا أنها تعود إلى قبيل العصر الحجري الحديث ومن هذه الأدوات مااستخدم كأسلحة ومنها ما استخدم كأدوات يومية لأداء أغراض كالقطع والدق والتمزيق والتعزيم ومنها ما استخدم كأواني بعد تجويفه ، كما شكل بعضها كأدوات كمالية مثل الخرز وذلك لأغراض الزينة كذلك الإبر والسنانير (٧) . ومعنى معرفتهم لتشكيل الابر في هذه المرحلة الموغلة في القدم وهي قبيل العصر الحجري الحديث (٨٠٠٠ – ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد) . هذا يعني أنهم استخدموها في الحياكة سواء حياكة الأزياء الجلدية أو الأزياء المنسوجة .

أما الزخارف أو التطريز على الأزياء ، فنستدل عليها من خلال اللوحات الجدارية المرسومة بعناية فائقة عـلى جدران منازل « تليلات غسول » الواقعة بالقرب من البحر الميت وتاريخها يعود إلى حوالي ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد (٨) .

كما نستدل عليها أيضاً من تمثال الأمومة أو أم الآلهة والذي عثر عليه في منطقة بئر السبع جنوبي فلسطين . وهو تمثال مصنوع من العاج وتاريخه يعود إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد (٩) .

ومع أن الآثار المادية الملموسة والمتمثلة في منحوتات أريحا والرسوم ال
ومنحوتات بئر السبع تفيدنا بأن أهل فلسطين قد عرفوا فن النسيج والتطريز ء
نهاية عصور ماقبل التاريخ ، إلا أن الأثريين لم يعثروا على أدوات غزل ونسيج
إلى هذه المرحلة .

وأولى الدلائل تعود إلى بداية عصر البرونز المبكر حيث ورد في كتب المؤ
ومنهم فيليب حتي مايفيد بأن أهل فلسطين قد عرفوا (صناعة الغزل والنسيج وقد
من الصناعات الاعتيادية ومكانها المنزل ، وقد وجدت آثار مغازل من الحجر و
وأثقال من الحجر والطين تستخدم لأجل الأنوال وترجع إلى أوائل الألف الثالث
الميلاد ، كذلك اكتشفت الابر والدبابيس في فلسطين قبل قدوم بني اسرائيل في ص
برونزية وبدون صناديق والابر لها ثقوب بينما الدبابيس طويلة برؤوس مضلعة أو
شقوق) (١٠) .

واضح لنا من النص السابق أن الغزل والنسيج كان لايخلو منه بيت في فل
منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، والمعروف أن النسيج هو الحامل الذي ينفذ عليه فن الت
وهو متوفر بكثرة في كل بيت كما أن وجود الابر والدبابيس بكثرة وبكميات
داخل صناديق من البرونز وخارجها يفيد أن هذه الابر كانت تستخدم في التطريز
لما صنعت بهذه الكثرة .

وكان الكنعانيون الرجال والنساء والأطفال والشيوخ يرتدون الملابس المطر
ونستدل على ذلك من خلال النقوش التي سجلت على جدران المقابر المصرية لا
الكنعانية التي كانت تزور مصر خلال فترات عصر البرونز المبكر والمتوسط والمتأ
كما عثر على نقوش منها نقش على قطعة من العاج يعود تاريخها إلى ٢٣٠٠ سنة قبل ا
وهي تظهر أحد الأفراد الكنعانيين بملابس القتال ، وتتكون ملابسه من مئزر بح
ويصل إلى قرب الركبتين (١١) .

كذلك يوجد نقش على مقبرة خنم حتبه الثاني (وهو حفيد خنم حتبه الأول
من عهد سنوسرت الثاني ، ويمثل جماعة من الكنعانيين عدتها ٣٧ شخصاً يتقد
الكاتب « نفرحتبه » وهو يمسك قلماً من البردي كتب عليه « العام السادس
حكم جلالة حور سيد الأرضين ملك مصر العليا والسفلى سنوسرت » يبلغ عدد ال
الذين جاء بهم الأمير خنم حتبه بسبب خضاب الكحل ٣٧ شخصاً» (١٢) .

ويقود هذه الجماعة الآتية من جنوب بلاد كنعان شيخهم « أبشه » ويلقب « حقاوخاسوت » . وهم يلبسون أثواباً مطرزة متعددة الألوان ، ومنسوجة بعناية ويلبس الرجال نعالاً أو صنادل ، والنساء أحذية طويلة ، ويشاهد الرجال بلحية سوداء وشعر مسدل على الأكتاف والنساء بشعورهن طويلة ناعمة يزينها غطاء يعرف بالعصبة .

ومن النظر للنقش السابق الذكر نلاحظ أن ملابسهم المطرزة بأشكال هندسية جميلة تتميز بأنها موزعة بشكل أشرطة طولية ، وهي الأساس الذي تقوم عليه زخرفة الأزياء الشعبية المعاصرة . والاختلاف الذي نشاهده بين الشكل القديم للثوب والشكل المعاصر ، هو في جوهره اختلاف ظاهري ، وينحصر فقط في التجديدات التي طرأت على بعض الزخارف ، وليس في توزيعها على سطح الثوب ، وهذا راجع للبعد الزمني بينهما وطبيعة التطور .

وهناك صور أخرى عديدة مرسومة على قبور المصريين القدماء . منها) جماعة من الكنعانيين يلبسون الأثواب الطويلة التي تصل من الكتف حتى الركبة ، وهذه الأثواب مصنوعة من القماش المصبوغ ، ومزخرفة بالشريط ، وأحياناً مزخرفة بعناية وتاريخها يعود إلى ١٧٠٠ سنة قبل الميلاد (١٣) . وهذا يؤكد معرفتهم لفن زخرفة التطريز على الثياب خلال عصر البرونز المتوسط .

وكان للأصباغ دور كبير في اخراج الزخارف وتلوين الثياب . وأهم أنواعها صبغة الأرجوان . والحقيقة أن هذه الصبغة ارتبطت منذ بداية عصر البرونز المبكر وحتى الفتح الإسلامي بفلسطين والساحل السوري اللبناني .

ويرجع تسميتهم بالكنعانيين لاشتهارهم باستخدام هذه الصبغة ومعرفة أسرارها ، والتي لم يتاجروا بها ، بل تاجروا بالأقمشة المصبوغة بالأرجوان والأقمشة المطرزة .
وقد برزت في الصدارة إحدى المدن الساحلية وهي « صيدا » ذلك لأن الأسطول التجاري العظيم للكنعانيين الفينيقيين كان يسير منها إلى جزر البحر محملاً بالبضائع وأشهرها الأقمشة الأرجوانية والمطرزة . أي أن مدينة « صور » كانت في الغالب مكان تجمع إنتاج بقية المدن الكنعانية من الأقمشة المطرزة وتصديرها منها . والأدلة على أن هناك مدن اشتهرت بالأقمشة الأرجوانية والمطرزة كثيرة منها : أن أهل أوغاريت كانوا يقومون بصناعة الأرجوان حيث ورد في إحدى نصوص أوغاريت (أن كمية

من الصوف وزعت بين الحائكين المكلفين بصنع الأرجمان Argmn كذلك عثر على أصداف مكسرة بالقرب من ميناء اوغاريت تعود إلى الفترة الممتدة من (١٤٠٠ – ١٣٠٠ سنة ق.م) [١٤] . تشير إلى أنهم استخرجوا منها صبغة الأرجوان .

كما أن المنقبون عثروا داخل منازل عصر البرونز المتوسط بأريحا على أوعية للدبغ والصباغة ، وهي مبطنة بالطين والجص . كما عثر في المقابر إلى جوار الأثاث الجنائزي الذي يتكون من سرير خشبي وطاولة خشبية وطعام داخل أطباق وجرار فخارية وسلال لأدوات الزينة على نسيج مثل التي توجد في المنازل المعاصرة [١٥] تماماً .

والصبغة الأرجوانية ، كانت تستخرج من أصداف الموركس (Murex) وهو حيوان بحري ، وكان هذا النوع من الأصداف خلال تلك الفترة يُوجد بكثرة على سواحل البحر المتوسط كله . ولا نعرف كيف توصلوا لمعرفة هذه الصباغة ، ويبدو أن الصدفة قد أوصلتهم لمعرفتها ، إلا أنهم أخفوا سرَّ استخراج السائل المحتوي على هذه الصباغة لتبقى تجارتهم هي المطلوبة ، ولذلك نجد الباحثين يتفقون على أن الكنعانيين الفينيقيين كانوا يحضرون أصداف الموركس أيضاً من مستعمراتهم داخل البحر واحضارها يدل على أن أهل جزر البحر لم يعرفوا استخراج الأرجوان منها .

أما كيفية استخراج صبغة الأرجوان وخطوات استخدامها في الصناعة فلم ترد إلا متأخرة على لسان « بليني » . وهذا يدل على أن الكنعانيين قد حافظوا على سرية استخراج هذه الصباغة واستخدامها وهذه السرية ساعدت على ازدهار صباغة الملابس الأرجوانية والمطرزة بفلسطين والساحل السوري بشكل عام . مما أدى بالتالي لازدهار فن الزخرفة « التطريز » .

وتتلخص خطوات استخراج صباغة الأرجوان كما أوردها بليني كالتالي :

١ – يستخرج السائل الأرجواني من عرق من عروق الحيوان الصدفي وهو مازال حياً .

٢ – يوضع في آنية ثم يضيفون اليه كمية من الملح ثم يترك لعدة أيام .

٣ – يغلى بعد ذلك على نار خفيفة وخلال الغليان يجمع الغثاء المرة تلو المرة ويقذف به خارج الإناء .

٤ – بعد عشرة أيام يوضع الصوف أو المادة النسيجية في السائل وتترك لمدة خمس ساعات منقوعة .

٥ — بعد ذلك يؤخذ الصوف ويجفف قليلاً ويمشط .

٦ — يعاد الصوف مرة أخرى حتى يصبح لونه بلون الدم المتجمد ، بعد ذلك يصبح القماش أرجواني اللون .

ومن الأصباغ الأخرى اللون القرمزي : ويعتقد الدكتور فيليب حتي في كتابه تاريخ لبنان أن سكان لبنان هم من توصل إليها . وكانوا يصنعونه من حشرات توجد حول السواحل الشرقية للبحر المتوسط ، وتعيش على شجر السنديان ويعتقد أنهم يأخذونها ويجففونها ، ثم يقومون بتذويبها في بعض الأحماض ، فيحصلون على اللون القرمزي . وهذه الحشرة كانت تعيش برية ، ولكن الفرس ربوها ، ثم اهتم بها الأرمن بعد ذلك .

ويشير أحد العلماء الكيميائيين المعاصرين إلى السبب في غلاء ثمن هذه الصبغة قديماً . بأنه راجع للوقت والمجهود الذين يؤديان من أجل الحصول على هذه الصبغة «إذ أن الكيميائي الألماني الذي بحث هذه الصبغة حصل من عدد إثني عشر ألف حلزون ، على كمية من المادة الملونة تقدر بحوالي ثلاث وعشرين قمحة فقط ، بلغ ثمن الأوقية حوالي ستين جنيهاً » وقد توصل العلماء في وقتنا الحاضر من تحضير هذه الصبغة من الانديجوتين مع البروم (١٦) .

والواقع أن الكنعانيين استمروا في إنتاج صبغة الأرجوان ، لصباغة ماينتجون من الأقمشة وذلك خلال فترات عصر البرونز بمراحله الثلاث (المبكر — المتوسط — المتأخر) وخلال العصر الحديدي بفتراته الثلاثة (الحديدي الأول — الثاني — الثالث) والعصر اليوناني الروماني والبيزنطي .

وقد قلدهم صباغوا الأرجوان في إيطاليا زمن الحكم الروماني لفلسطين وذلك في القرن الأول قبل الميلاد . وزاد الاقبال على الأقمشة الأرجوانية بعد الاعتراف بالمسيحية . حيث أصبحت زي الرهبان . ومن المدن التي تخصصت في صباغة وتجارة الأقمشة صور ، أوجاريت شمال اللاذقية ، والمجدل أو عسقلان ومجدل شمس ، وعكا ، وأريحا ، وغزه . وقد بقيت عملية الصباغة مستمرة في فلسطين حتى أيامنا هذه وقد ورد في كتب أحد الباحثين أن الصباغة تحدث قبل عملية الغزل ، مع أنه في بعض الأحيان تصبغ بعد النسيج . وإلى وقت قريب جداً كان أهل فلسطين يستخدمون الأصباغ النباتية المستخرجة من نباتات تنمو بكثرة في فلسطين وهي الصبار القرمزي للون الأحمر ، والزعفران للون الأصفر ، والكرمة للون البني والنيلة للون الأزرق(١٧) .

وصباغة الخيوط القطنية والصوفية والحريرية مازالت مستمرة حتى الآن في بعض المدن الفلسطينية ولكن النساجين « المجادلة » يتميزون بفن الصباغة والغزل والنسيج دون سواهم وهم بحق الذين عملوا على حفظ هذا النوع من التراث طيلة آلاف السنين دون انقطاع .

كذلك توجد نقوش على قبر من طيبة في عهد تحوتمس الرابع (١٤٢٠ – ١٤١١ سنة ق.م) وأهمها الصور التي تمثل جماعة من الكنعانيين وهم يقدمون الجزية . ويبدو فيها تطور الزي الخاص بالرجال ، وهـو يتكون من ثوب مفتوح من الأمام مثـل الزي الشعبي المعاصر المعروف باسمه الشعبي « الدماية » والاختلاف بينهما يكاد لايذكر ، ويتركز في الأكمام ، فكم الدماية الكنعانية ضيق ، بينما الدماية المعاصرة فكمها أوسع بقليل . وكانوا يزينون ملابسهم بقطعة من القماش يلفونها حول الجسم وتبدأ من وسط الجسم وتنتهي أسفل الركبة بقليل وهي تمثل البداية الأولى لحزام الرجال المعاصر المعروف باسم الشملة . وفي النقش يظهر القميص الذي يعرف حالياً باسم « الخلق » . وكانوا يرتدونه فوق الدماية ، ويتميز الخلق القديم بأكمامه النصفية الضيقة . وعادة إرتداء الخلق فوق الدماية ماتزال باقية في مدينة جنين وقراها فقط . وعلى بعض رؤوس الكنعانيين تظهر العصبة التي تمثل البدايات الأولى للعقال . كما يظهر زي يشبه العباءة المعاصرة وكان يرتديه الكهنة فقط ونستدل عليهم في النقش السابق من خلال رؤوسهم الحليقة .

ومع مطلع القرن الرابع عشر قبل الميلاد تطور غطاء الرأس لدى الرجال ، حيث أصبح عادة عبارة عن جزءين :

الأول – عبارة عن طاقية مخرمة أو مطرزة .

الثاني – عبارة عن شريط يلتف حول الرأس ، ويربط خلفها شكل يتدلى خلف الرأس على الأكتاف ويساعد على تثبيت الطاقية .

أما غطاء الرأس الذي يعرف شعبياً باسم الحطة والعقال ، فقد ظهر في فلسطين مع نهاية عصر البرونز المتأخر ، وبداية العصر الحديدي ، ويمثله تمثال نصفي عثر عليه في تل الفارعة(١٨) .

كما عثر على لوحات عاجية في مجدو ، وهي غنية بنقوش تبين الزي الكنعاني القديم ، حيث يظهر في عدد منها رسوم لمحاربين كنعانيين ومآدب أكل وشراب وأمراء محليين . ويظهر الرجال وهم يرتدون لباساً يشبه الثوب المعروف حالياً بإسم « الدماية » المخططة ، وغطاء الرأس لديهم الطاقية المخرمة .

كما عثر على لوحات عاجية أخرى في مدينة مجدو ، وعليها نقوش تمثل تطور الزي النساني في فلسطين خلال عصر البرونز المتأخر ، ومنها لوحة تعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد . وقد استمرت الأزياء الكنعانية في فلسطين خلال العصور التي تلت عصر البرونز ، وكانت أثينا ثم روما بعدها تستورد كميات كبيرة من المنسوجات الكنعانية وخاصة المنسوجات الأرجوانية . وقد زاد الاقبال على المنسوجات والملابس الكنعانية بعد أن اعترف الامبراطور البيزنطي قسطنطين بالديانة المسيحيةوقد زار الكثيرون من الحجاج المسيحيين الأماكن المقدسة في فلسطين وعندما عادوا إلى بلادهم نقلوا الكثير من الملابس المطرزة الأرجوانية إلى بلادهم كهدايا للتبرك منها .

وعندما جاء الدين الاسلامي ، حرم على الرجال التشبه بالنساء ، ولذلك ابتعدوا عن إرتداء الأزياء المطرزة وحل محلها ملابس ذات أشكال هندسية من ضمن نسيج الثوب ، بينما بقيت ملابس النساء كما هي تطرز وقد زادت تطوراً أو تقنية عما كانت عليه ، ولكنها لم تبتعد عن الشكل العام للأزياء القديمة التي سبق وأن تحدثنا عنها .

وقد ترك الرحالة والمستشرقون والفنانون الذين زاروا فلسطين خلال القرنين الماضيين رسومات وصوراً فوتوغرافية تؤكد استمرارية الأزياء الشعبية الفلسطينية (١٩) ومن هذه الصور على سبيل المثال مايلي :

١ – صورة تمثل جماعة من أهل فلسطين وهم يقطعون الحجارة وتاريخها يعود إلى سنة ١٨٨٩ ميلادية .

٢ – صورة تمثل جماعة من أهل فلسطين بالقرب من غزة وهم يعدون القهوة وتاريخها يعود إلى سنة ١٨٨٢ ميلادية .

٣ – صورة تمثل جماعة من أهل فلسطين من منطقة طبريا في حالة استراحة وتاريخها يعود إلى سنة ١٨٣١ – ١٨٣٢ ميلادية .

٤ – صورة لفلسطينية من بيت لحم وتعود إلى سنة ١٨٨٧ ميلادية .

٥ — صورة لفلسطينية من القدس وتاريخها يعود إلى سنة ١٨٩٤ ميلادية .

ومع استمرار الأزياء الشعبية الفلسطينية تعددت وتنوعت أشكالها باختلاف المناطق والقرى ، بل وتميزت كل منطقة عن الأخرى ، وربما يرجع هذا الاختلاف الشكلي الذي يتركز في لون أرضية الثوب غالباً ، وكمية المساحة المزخرفة من الثوب ، إلى عادات موغلة في القدم ، وقد وجدت لتمييز سكان كل مملكة كنعانية عن الأخرى ، أو كل قبيلة عن الأخرى ، والمهم في الأمر ، أن الفرد العادي يمكنه أن يحكم على الزي عندما يراه من حيث نوعه والبلدة التي ينتمي إليها فيقولون في فلسطين .

الثوب المجدلاوي — الثوب البلتاجي — ثوب الجنة والنار — ثوب المية ومية أو أبو متين — الثوب الدجاني — ثوب الملكة — ثوب الجلاية — الثوب الشروقي — الثوب المقلم — الثوب السبعاوي — الثوب المرقم — ثوب الملس — ثوب الزم أو العروق أو المعرق — الثوب الغباني — ثوب الأطلس — الثوب السكناوي — ثوب الحبر .

وخلاصة القول إن فن الأزياء الشعبية الفلسطينية فن قديم مستمر دون إنقطاع ، وهو لايقتصر على قرية أو بلدة ، إنه فن نراه في كل قرية وبلدة ومدينة . إنه فن شامل ، إنه ظاهرة أكثر من الأشجار وجوداً ، حتى إننا نستطيع أن نقول :

أينما وجدت فتاة فلسطينية داخل الأرض المحتلة وجدت الأزياء الشعبيةالفلسطينية . ولا يفوتني أن أذكر شيئاً هاماً وضرورياً ، وهو أن الصهيونية تقوم بسرقة التراث الفلسطيني وخاصة فن الأزياء الشعبية الفلسطينية . وقد اتبعت في ذلك طرقاً غير مشروعة منها على سبيل المثال مايلي :

- طلب موشي دايان في اجتماع للكنيست الاسرائيلي بضرورة تكوين مؤسسةاسرائيلية ، مهمتها شراء المطرزات الشعبية الفلسطينية القديمة وكل مايتعلق بالتراث الفلسطيني ، وقد وافق أعضاء الكنيست الاسرائيلي على ذلك بالاجماع ، ورصدت لذلك أموال طائلة ، للعمل على سرقة التراث الفلسطيني . وعينت زوجة موشي ديان رئيسة لهذه المؤسسة .
- كما يقوم القادة الصهاينة باصطحاب زوجاتهم اللواتي يرتدين الأزياء الشعبية الفلسطينية وذلك أثناء رحلاتهم ولقاءاتهم في العواصم الدولية كعمل إعلامي الغرض منه إيهام العالم بأنهم يملكون تراثاً شعبياً قديماً ، وقد وردت صورة في صحيفة الجير وزاليم بوست بتاريخ ١٩ — ٦ — ١٩٧٨ م تدل على ذلك .

- تقوم الحركة الصهيونية بسرقة التصميمات الخاصة بالملابس الداخلية الشعبية ، وقد نشرت صحيفة جيروزاليم بوست صوراً لهذه الأزياء خلال شهر يناير من سنة ١٩٨٠ م .

- تقوم الحركة الصهيونية بصناعة ملابس قطنية مسروقة من الأزياء الشعبية الفلسطينية وخاصة زي عرب النقب ومرج ابن عامر . وقد طبعت اعلانات لذلك في نفس الصحيفة السابقة الذكر .

- تقوم الحركة الصهيونية بالاشتراك في المهرجانات الفلكلورية العالمية بأزيائنا الشعبية الفلسطينية ، ومن هذه المهرجانات ، المهرجان التاسع عشر للفلكلور في أمريكا ، وقد نشرت صحيفة ليدنر الأمريكية بتاريخ ٥ - ١٢ - ١٩٧٨ م ، صورة لفتاة إسرائيلية ترتدي الزي الشعبي الفلسطيني ، وتصافح رئيس إحدى البلديات الأمريكية باسم ملكة الزي الشعبي الاسرائيلي .

- زي مضيفات شركة العال الاسرائيلية مسروق من الأزياء الشعبيةالفلسطينية ، وقد نشرت أول صورة له في صحيفة الجيروزاليم بوست بتاريخ ٧ - ٢ - ١٩٨٠ م .

ومن خلال عرضنا الموجز السابق لبعض الحقائق أو الأدلة الأثرية الملموسة للأزياء الشعبية الفلسطينية نستطيع أن نقول :

- الأزياء الجلدية - ظهرت منذ ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد في مغارات بئر السبع تقريباً
- الأزياء المنسوجة - ظهرت منذ ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد في أريحا .

- الأزياء المطرزة - ظهرت منذ ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد في مواقع أثرية متعددة منها المواقع التي تمثل حضارة بئر السبع والحضارة والغسولية .

- الأنوال اليدوية ، ظهرت منذ ٣١٠٠ سنة قبل الميلاد في كافة المدن والقرى الفلسطينية ولم يخل منها بيت .

- الصبغة الأرجوانية - كانوا يستخرجونها من أصناف الموركس التي تكثر على الساحل

الكنعاني (السوري – اللبناني – الفلسطيني) . وخاصة منذ مطلع عصر البرونز المتوسط ٢١٠٠ قبل الميلاد حين ارتدى الرجال والنساء والأطفال والشيوخ الملابس المطرزة .

– زخارف التطريز وزعت بشكل طولي على الأزياء وخاصة منذ ٢١٠٠ سنة قبل الميلاد والزخارف خالية في الغالب من الوحدات الزخرفية الحيوانية والطيور والآدميين ، ويغلب عليها طابع الوحدات الهندسية والنباتية والأزهار وأوراق النباتات والأشجار المحورة تحويراً هندسياً . وهذه الميزات مازالت باقية حتى الآن في تطريز الأزياء الشعبية الفلسطينية المعاصرة . بل وتعتبر أساساً لتنفيذ الزخارف على الأزياء الفلسطينية .

– العقال ، من أزياء الرأس المعاصرة ظهر في الصور الجدارية خلال عصر البرونز المبكر والمتوسط . وكان عبارة عن شريط واحد تضعه المرأة على رأسها فوق الشعر مباشرة ، ويظهر واضحاً منذ بداية عصر البرونز المتوسط في مرحلته الأولى (٢١٠٠ – ١٩٠٠ سنة قبل الميلاد) .

ومع نهاية عصر البرونز المتوسط ، وبداية عصر البرونز المتأخر ، أصبح الرجال يرتدون العقال على الشعر مباشرة ، ولكن خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد أصبح العقال شبيهاً بالعقال المعاصر ، إلا أنه كان مصنوعاً من القماش ، ويوضع فوق طاقية مطرزة تلبس على الرأس . ومنذ الفتح الاسلامي أصبح يوضع فوق الحطة والطاقية عقال مصنوع من وبر الابل مجدول على هيئة حبل .

– القمباز – كانوا يرتدونه منذ بداية عصر البرونز المتأخر ١٦٠٠ سنة قبل الميلاد ، وكان قديماً يتكون من (الدماية – القميص – الهدم أو الخلق والشملة) .

– الدماية – كانت نوعين الأول مطرز ويرتدى لوحده دون القميص .
والنوع الثاني ، غير مطرز وكان يرتدى عليها قميص « الهدم أو الخلق » ولها فتحة طولية من الأمام تمتد من العنق حتى القدمين مثل الدماية المعاصرة .

– الهدم أو الخلق – كان يرتدى فوق الدماية وله فتحة صدر ، تماماً مثل فتحة الهدم

المعاصر . ولكن الهدم القديم كانت أكمامه تصل فقط إلى الكوع وهي ضيقة .

- العباءة - ظهرت في بداية عصر البرونز المتأخرة وهي تعتبر زياً خالصاً بالكهنوت الكنعاني والآن من أزياء البادية الأساسية .

- السروال - ظهر في بداية عصر البرونز المتأخر وما زال باقياً حتى الآن .

- تطور زي المرأة الفلسطينية في نهاية عصر البرونز المتأخر ، حيث ظهر الثوب الكامل للمرأة وهو شبيه بالأزياء الفلسطينية المعاصرة ، وخاصة الثوب المعروف باسم (ثوب الردان) . ولا يختلف في شكله العام عن الأزياء الفاسطينية المعاصرة ، كذلك في زخارفه التي اتخذت شكل أشرطة طولية على الثوب ، ويظهر غطاء الرأس المعروف شعبياً باسم « الخرقة » لأول مرة خلال عصر البرونز المتأخر .

- انتقل تأثير الأزياء الشعبية الفلسطينية إلى جزر بحر إيجه نتيجة لتصدير كميات كبيرة من الأثواب إليها خلال عصر البرونز المتأخر وعصر الحديد والعصر اليوناني الروماني .

- بعد أن اعترف قسطنطين بالديانة المسيحية ازداد الطلب على الأزياء الأرجوانية لحاجة رجال الكهنوت إليها ، وكذلك لحاجة الحجاج المسيحيين ، حيث حملوها معهم كهدايا إلى بلادهم .

- بعد ظهور الاسلام ، أصبح معظم سكان فلسطين مسلمين ، وقد ترتب على ذلك ابتعاد الرجال عن اللباس المطرز ، كي لا يتشبهوا بالنساء ، وحل محلها خطوط هندسية ضمن نسيج الأقمشة التي يرتدونها وخاصة الدماية والعري والهام والشماغ . وأصبح غطاء الرأس يتكون من الطاقية والحطة والعقال بالا من الطاقية والعقال . وأزياء الرجال لم تتغير في تصميمها العام حتى الآن . كما أن أزياء المرأة الفاسطينية بقيت كما هي دون تغير مع تعديلات بسيطة حتى وقتنا الحاضر .

وهكذا ومن خلال العرض السابق نرى عراقة التراث العربي الفلسطيني المتمثل في الأزياء الفاسطينية وزيف وسرقة الصهاينة لتراث أجدادنا العرب الكنعانيين والذين ورثنا عنهم هذه الأزياء طيلة تسعة آلاف سنة دون إنقطاع ، فهي منا ونحن منها ، انها التاريخ والتراث والهوية والوجود ، وسيبقى هذا الوجود الأصيل لشعبنا العربي الفلسطيني في مواجهة صراعنا الحضاري الذي نخوضه بدون كلل أو ملل حتى النصر .

المصادر :

(١) المزين عبدالرحمن : الفن التشكيلي في فلسطين – رسالة ماجستير ١٩٧٥ (غير مطبوعة) .

(٢) Kenyon Kathleen Excavations at jericho, 1954, p. 4,

(٣) Kenyon Kathleen, Excavations at Jericho 1956, P. E. Q, July – December, 1956, pp. 8,9

(٤) Kenyon, Kathleen Jericho – Archaeology, vol. 20, No, 4 (october 1967) p. 272.

(٥) An Article from Scientific American April 1954, vol. 190, No, 4, (Ancient Jericho) p. 81.

(٦) الناضوري رشيد: جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا – الكتاب الأول – مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد – بيروت – سبتمبر ١٩٦٨ م .

(٧) Kenyon Kathleen, Jericho, Archaeology, vol– 20. No, 4. (October 1967) . p. 270.

(٨) أولبريت و. ف.: آثار فلسطين ، ترجمة الدكتور زكي اسكندر والدكتور محمد عبدالقادر ، مراجعة الدكتورة سعاد ماهر – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – الكتاب الحادي عشر ١٩٧١/١٣٩١م –ص ٧١ .

(٩) الناضوري رشيد : المصدر السابق – بيروت (راجع فلسطين خلال العصر الحجر النحاسي) .

(١٠) حتي فيليب : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين – الجزء الأول – ترجمة الدكتور جورج حداد وعبد الكريم رافق أشرف على مراجعته وتحريره الدكتور جبرائيل جبور – دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٨ م – الطبعة الثانية ص ص ٩٩ – ١٠٠ .

(١١) نفس المرجع السابق ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(١٢) ابراهيم نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم (٣) الطبعة الثالثة، دار المعارف – ١٩٦٦ م ص‌ص ٩٧ ، ٩٨ .

(١٣) حتى فيليب : المصدر السابق ص ١٠١ .

(١٤) حتي فيليب: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، مراجعة الدكتور نقولا زيادة ، دار الثقافة بيروت ، لبنان – الطبعة الثانية ١٩٧٢ م ، ص ١٣٣ .

(١٥) Kenyon Kathleen, P. E. Q. (July – December 1956), pp. 13 – 14

(١٦) فندلاي الكسندر: الكيمياء في خدمة الانسان – ترجمة زكريا فهمي – مراجعة الدكتور عبدالفتاح اسماعيل – مؤسسة سجل العرب – القاهرة ١٩٦٦ ، ص‌ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(١٧) المزين عبدالرحمن: موسوعة التراث الفلسطيني منشورات فلسطين المحتلة وصامد – الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م راجع الفصل الرابع – الاصباغ المستخدمة في الأزياء الفلسطينية .

(١٨) ARCHAEOLOGICAL ENCYCLOPEDIA OF THE HOLY LAND 4 Vols,
Oxfoerd and Jerusalem.

(١٩) كتاب فلسطين بطاقات بريدية من مجموعة عز الدين القلق – انجاز الكتاب المركز الجرافيكي – القاهرة .

سليمان موسى

عمان – الاردن

رحلات في فلسطين

مابين ٧٠٠ و ١١٠٣ م

تعطي كتابات الرحالين لمحات وملامح عن أوضاع البلاد التي يزورونها في فترات معينة من الزمن . وقد حظيت فلسطين عبر العصور ، باعتبارها البلاد المقدسة ، باهتمام عدد كبير من السياح والحجاج الذين عمد بعضهم إلى تسجيل مشاهداتهم وانطباعاتهم . ومع أن معظم كتابات الرحالين الغربيين تركز على وصف الأماكن المقدسة ومقارنة مواقعها بما ورد عنها في الكتب الدينية (وبخاصة التوراة) – الا أننا نجد فيها بين الفينة والفينة مايصور لنا الحالة الاجتماعية أو الاقتصادية التي كانت عليها البلاد في أثناء مرحلة من مراحل التاريخ .

لقد استوفى الباحثون دراسة كتب الرحالين العرب والمسلمين من مشارقة ومغاربة . ولكن المكتبة العربية ماتزال بحاجة إلى دراسات تتعلق برحلات الاوربيين إلى فلسطين بصورة خاصة والاطلاع عليها حتى تعين المؤرخين والباحثين في تكوين صورة أكثر شمولاً عن أوضاع هذه البلاد في مختلف العصور .

ويتبين من دراسة بعض الرحلات القديمة ، أن رحلات الاوربيين إلى فلسطين بقصد زيارة الأماكن المقدسة الدينية المسيحية ، كانت تتم بيسر وسهولة لمدة قرنين أو ثلاثة قرون بعد تسليم القدس للخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ للميلاد ، وظل الحجاج يفدون اليها بأعداد لاتقل عن عدد الأشخاص الذين كانوا يؤمونها في عهد الروم البيزنطيين ولم تكن الضريبة التي يدفعها الحاج في العهد الاسلامي العربي تزيد عن الضريبة التي كان يدفعها في العهد البيزنطي[1] .

١– عن كتاب : P. T. T. S.
المطبوع سنة ١٨٤٨ (المقدمة) وهذا الكتاب يضم الرحلات التي اشتمل عليها هذا البحث .

رحلة اركولف (٧٠٠ م) .

قام اركولف ، وهو اسقف فرنسي ، بزيارته لفلسطين سنة ٧٠٠ للميلاد (على سبيل الترجيح) . فهو يذكر أن الخليفة معاوية ملك المسلمين « عاش في زمنه (توفي معاوية سنة ٦٧٩ م) . وقد قام اركولف في القدس تسعة أشهر ، كان في أثنائها يقوم بجولات في المناطق المجاورة . وهو يذكر أن سور القدس كان يضم أربعة وثمانين برجاً وست بوابات ويقول إن جماهير غفيرة من المسلمين ، من مختلف الأمم ، تجتمع في القدس يوم ١٥/ ايلول من كل سنة لشراء البضائع التجارية أو بيعها ، وإن شوارع المدينة تغص في ذلك اليوم ببعر الجمال والخيول والبغال والبقر ، حتى يكاد المرء لايستطيع المرور فيها ، وان عناية الله شاءت في السنة التي كان هو فيها أن تهطل أمطار غزيرة ، بعد أن انتهى يوم السوق الكبير ، فلم تتوقف الا بعد أن أصبحت الأسواق نظيفة تماماً(١) .

يتحدث اركولف عن زياراته في فلسطين ، ويذكر خصوبة المزروعات من القمح والشعير في جبل الزيتون ، بالإضافة إلى أشجار الزيتون والكرمة . وقد شاهد في العيزرية عدداً كبيراً من أشجار الزيتون ولدى زيارته لبيت لحم قال إن بيوت السكان متناثرة هنا وهناك ، ضمن نطاق السور الواطيء الذي يحيط بالبلدة والذي لاتوجد له أبراج . وذهب اركولف إلى الخليل عبر طريق مرصوفة ، وقال إنها دون سور ، وإن مباني البلدة القديمة أصبحت خرائب ، غير أن هناك بعض القرى والدساكر وبيوتها من الحجر الغشيم وهي تنتشر في السهل وتقيم فيها جموع من الناس .

وغير بعيد عن الخليل شاهد مرتفعات مكسوة بأشجار الشربين ، وقال إن الحطب يحمل من تلك الغابة إلى القدس على ظهور الجمال ، حيث يستعمله الأهلون وقوداً .

وعند زيارته لموقع بلدة أريحا يقول إنه لايوجد فيها سكان ، وإن أرضها مغطاة بحقول القمح وأشجار الكرمة . وفيما بين أريحا ونهر الاردن بساتين واسعة من أشجار النخيل ، وبين تلك البساتين مساحات من الأرض أنشئت فيها بيوت للسكن كثيرة العدد يقيم فيها أناس « من نسل كنعان» (٢) .

١ - يقابل تاريخ ١٥ ايلول سنة ٧٠٠ للميلاد (تقريباً) ليلة الاسراء والمعراج (٢٧ رجب لعام ٨١ للهجرة). فهل كانت السوق العامة في القدس تقام في تلك المناسبة الدينية ؟ أم أن تلك السوق كانت تقام بمناسبة أخرى تقليدية ؟ من المحتمل أن تلك السوق كانت تقام بعد انتهاء موسم الحصاد وقبل بدء موسم الأمطار .

٢ - لابد أن يكون هؤلاء هم أهل البلاد الأصليون الذين ظلوا يقيمون فيها بعد رحيل الروم .

وزار نهر الاردن فشاهد جسراً بني من الحجارة فوق أعمدة . ولاحظ أن مياه النهر تميل إلى الصفرة . ولدى زيارته للبحر الميت شاهد الناس وهم يستخلصون ملح الطعام من الماء .

ولدى زيارته للناصرة لاحظ أن البلدة غير محاطة بسور ، وأن فيها بيوتاً كبيرة الحجم بنيت من الحجارة وشاهد نبع الماء الذي يستقي منه الناس . ثم مضى إلى جبل طابور ومنه إلى دمشق في رحلة استغرقت ثمانية أيام . وقال إن دمشق تقع في سهل تحيط به أسوار عريضة ذات أبراج عديدة وتتخلل المدينة أربعة أنهر كبيرة ، وتحيط بالاسوار من جميع الجهات غابات من شجر الزيتون .

وعاد اركولف إلى القدس ومنها إلى يافا حيث سافر بحراً إلى الاسكندرية « المدينة الشهيرة في أرجاء العالم كله » ، والتي قضى نهار يوم بأكمله حتى مر فيها من أحد طرفيها إلى الطرف الآخر[1] .

رحلات ويليبالد (٧٢١ – ٧٢٧ م) .

بدأ هذا الرحالة البريطاني أسفاره الى فلسطين سنة ٧٢١ م بقصد الحج إلى الأماكن المقدسة وكانت رحلاته في فترة صعبة ، اذا كان الخليفة يزيد الثاني قد اصدر منشوراً يمنع الرسوم والصور في الكنائس «بتحريض من اليهود » كما يقول محرر الكتاب ، مما أحدث استياءاً في نفوس المسيحيين . ونشأ عنه توتر في العلاقات بين الأهلين .

وصل ويليبالد في بداية الرحلة إلى طرطوس بطريق البحر معه نحو سبعة أشخاص . ومن طرطوس مضى ورفاقه إلى حمص ، حيث اعتقلها رجال الأمن ظناً منهم بأنهم

١ – يقول محرر الكتاب (صفحة ١٠) ان وصف اركولف لضخامة مدينة الاسكندرية ونشاط الحركة التجارية فيها ، يعطي الدليل على أن أهميتها ازدهارها لم يتناقصا بعد فتح العرب لها عام ٦٤٠ م مباشرة حسب الاعتقاد السائد بصورة عامة (في بلاد الغرب) .

جواسيس . وزجوا بهم في السجن . ولكن يبدو أن أنظمة السجون في ذلك العهد لم تكن مثالها في أيامنا هذه اذ حدث أن تاجرا هناك أخذته الشفقة عليهم فكان يرسل لهم وجبات الطعام ، وفي يومي الأربعاء والسبت من كل أسبوع يرسل ابنه ليصطحبهم إلى الحمامات ، ثم يعيدهم إلى السجن ، ويوم الأحد يصطحبهم إلى الكنيسة مروراً بالسوق التجاري حتى يشاهدوا المتاجر . ثم حدث أن شخصاً اسبانياً توسط حتى بلغ أمرهم مسامع الخليفة فأمر باطلاق سراحهم لعدم وجود أية بينة ضدهم ، بل أمر أن لايدفعوا مبالغ الأربعة دنانير التي كان يدفعها أمثالهم عند إطلاق سراحهم . ويقول ويليبالد إن المسلم كان سائداً بين المسلمين والروم يومذاك ، وكانت بين الطرفين صداقة[1] .

ومضى ويليبالد من دمشق إلى الناصرة وطبريا ، ثم زار نهر الاردن وأريحا والقدس والخليل وفي أطراف مدينة نابلس مرورفاقه بسهل واسع تغطيه أشجار الزيتون . ورافقهم في رحلتهم هذه رجل أسود اللون يقود جملين وبغلاً وهو يرافق امرأة . وفي الطريق صادفهم أسد أخذ يزأر فخافوا ولكن الرجل الأسود شجعهم على المضي إلى الأمام . وهكذا لم يعترض الأسد طريقهم بل مضى في اتجاه آخر . وفي القدس ابتاع ويليبالد بلسماً ، ثم جاء بجبة يقطين جف داخلها ، فملأها بالبلسم ثم أغلق الثقب الذي كان قد أحدثه في جانبها بنوع من الشمع . وفي صور تعرضت الجماعة لتفتيش رجال الحكومة ، ولكنهم لم يشتبهوا باليقطينة ، وظلوا ينتظرون حتى مرت بالميناء سفينة فسافروا عليها إلى القسطنطينية[2] .

رحلة برنارد الحكيم (٨٦٧ م) :

في أيام خلافة هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩ م) حدثت اتصالات ودية بين ذلك الخليفة العظيم وشارلمان ملك فرنسا . وأدت الصداقة التي نشأت بينهما إلى ازدياد عدد الحجاج القادمين من أوربا إلى فلسطين وازدادت التسهيلات التي أخذ هؤلاء يلاقونها . وكان بين الحجاج الذين قاموا إلى فلسطين في تلك الفترة راهب بريتوني ، تطلق عليه المخطوطة التي تركها لقب (الحكيم) وقد كتب تفاصيل رحلته بيده . ولكن يبدو أن

١ — يرد في النص اسم Saracens لتسمية العرب والمسلمين . ويقول أحد المصادر أن كلمة لاتينية محرفة في الأصل عن كلمة عربية هي « شرقيين » .

٢ — لابد أن البلسم كان مادة ثمينة يومئذ حتى لجأ الرحالة إلى هذا الأسلوب لتهريبه وهو يقول إنه كان سيواجه الحكم بالموت لو أن رجال الجمارك العرب اكتشفوا حيلته .

برنارد لم ياق في رحلته تلك المعاملة الحسنة التي كان يلقاها أمثاله في عهد هارون الرشيد .

وكان برنارد قد سافر عن طريق روما ومنها سافر جنوباً حتى وصل إلى مدينة باري . ويقول إنه أعد هناك الترتيبات اللازمة للرحلة بمعاونة أمير المدينة ولقبه (السلطان) الذي أعطاه ورفاقه مذكرتين على أساس أن توفرا لهم أسباب الأمن والحماية [1] . وكانت المذكرتان تسجلان وصفاً للأشخاص وأهداف رحلتهم ، وأولاها موجهة إلى أمير الاسكندرية والثانية إلى أمير الفسطاط .

ثم مضوا من باري إلى ميناء تارانتوم ، مسافة ٩٠ ميلا وهناك وجدوا ست سفن تحمل ٩ آلاف أسير مسيحي . كانت اثنتان من السفن تقصدان التوجه إلى افريقيا واثنتان إلى تونس ، أما السفينتان الأخريان فقد كانت وجهتهما إلى الاسكندرية . وسافر برنارد ورفاقه على متن إحدى السفينتين الأخريين في رحلة استغرقت ٣٠ يوماً . وعند الوصول إلى الاسكندرية ذهبوا إلى الأمير وسلموه رسالة سلطان (باري) فلم يأبه لها بل أصر أن يدفع كل واحد منهم ١٣ ديناراً ومن الاسكندرية مضى برنارد على سفينة صغيرة في نهر النيل إلى الفسطاط واستغرقت الرحلة ستة أيام . وهناك أخذه رجال الحرس ورفاقه إلى أمير المدينة ، فقدموا اليه رسالة سلطان باري الثانية ورسالة أمير الاسكندرية ، ولكنه أرسلهم إلى السجن فبقيا فيه ستة أيام ، ولم يخرجا منه الا بعد دفع الضريبة المقررة . وبعد ذلك أعطاهم الأمير رسائل قال إنها تعفيهم من دفع أية ضرائب أخرى . ولكن على الرغم من ذلك — يقول برنارد — لم يكن يسمح لهم بمغادرة أية مدينة من المدن التي زاروها فيما بعد ، إلا بعد الحصول على إذن خروج مقابل ضريبة تتراوح بين دينار أو دينارين . ويقول أن نصارى البلاد يعيشون في أمن وحرية . ولكنهم يدفعون جزية سنوية للأمير .

غادر برنارد مصر إلى فلسطين بطريق البر . وكانت مدينة فارميا (الفرما) آخر المدن المصرية قبل البدء بالرحلة الطويلة التي تستغرق ستة أيام . وفي هذه المدينة عدد كبير من الجمال

---

١ — كانت باري قد أصبحت مركزاً للحكم العربي في أوائل القرن التاسع ، لجزء من ساحل ايطاليا . ونتيجة لغزوات العرب في الداخل قام الامبراطور لويس الثاني بحملة ضدهم فاستولى على باري بعد حصار استمر أربعة أعوام ، وضربت قواته نطاق الحصار حول تارانتوم ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها الا بعد ذلك بزمن . والأسرى الذين يذكرهم برنارد كان العرب يأخذونهم في غزواتهم .

يستأجرها المسافرون من أصحابها لحمل أمتعتهم عبر الصحراء . من هنا تبدأ الصحراء ، وهي تكاد تكون قاحلة يبابا لولا أشجار النخيل. وفي منتصف المسافة موقعان (البري والبحري) وهما أشبه بسوق عامة يبتاع فيهما المسافر ما يحتاج اليه في رحلته . ويصل برنارد إلى غزة فيرى أنها مدينة غنية بجميع الأشياء . بعد ذلك يمر بالعريش* والرملة وبعدهما بقلعة عمواس ومنها إلى القدس حيث نزل ورفاقه في المبنى الذي أنشأه شارلمان ، وهناك يجتمع الحجاج الذين يتكلمون لغة الرومان .

يتجول برنارد في المناطق المحيطة بالقدس ويقول إن المسيحيين في القدس ومصر يعيشون في وفاق تام . حتى لو حدث اني مضيت في رحلة ، وفي الطريق نجد الجمل أو البهيم الذي يحمل أمتعتي ، فاضطررت أن أترك كل شيء على قارعة الطريق دون حراسة من أجل الذهاب إلى بلدة أخرى للحصول على دابة بدياة ، فانني عند عودتي سأجد متاعي كله كما تركته لم يمسسه أحد . إن المحافظة على الأمن العام تحظى بكل اهتمام حتى إن رجال الأمن اذا وجدوا شخصاً في مدينة أو في البحر على الطريق أو رجلاً مسافراً في الليل أو النهار – وهو لا يحمل مذكرة أو علامة من ملك تلك البلاد أو أحد أمرائها ، فإنهم يلقون به في السجن حالا حتى يقدم دليلاً مقبولاً عن نفسه . ويقول برنارد في معرض المقار المقارنة إن جرائم كثيرة ترتكب في بلاد الروم . وهناك أشخاص أشرار ولصوص وقطاع طرق ، حتى إن الناس لا يستطيعون الذهاب إلى روما فرادى ، بل يذهبون مسلحين وفي مجموعات .

رحلة ساولف (١١٠٢ – ١١٠٣ م) **

تبع هذا الرحالة خطى الغزاة الصليبيين إلى فلسطين ، وهو أول رحالة في تلك الحقبة يكتب قصة رحلاته . وقيل في تعريفه إنه تاجر انجلو – ساكسوني ، زار فلسطين حاجاً بعد أن ارتدى لباس الرهبان .

---

* مدينة العريش بالنسبة للقادم من مصر الى فلسطين تكون قبل غزة (المحرر)

** نشرت هذه الرحلة تحت عنوان : Pilgrimage of Saewulf (in P.T.T.S. IV
(المحرر)

يمكن تلخيص رحلة ساولف كما يلي :

بعد أن غادرنا جزيرة عبثت بناء الرياح العاتية مدة سبعةأيام بلياليها . وبعد عناءشديد وصلنا في صباح اليوم الثامن إلى يافا ، الأمر الذي ملأ قلوبنا بالغبطة . ومن يافا مضينا إلى القدس في رحلة استغرقت يومين ، عبر طريق جبلية وعرة وحافلة بالأخطار بسبب المسلمين الذين يكمنون في مغاور الجبال ويراقبون ليل ونهار ، كي يفاجئوا المسيحيين (الصليبيين) ويشنوا عليهم الهجمات كما وجدوا فرصة ملائمة . فتراهم أحياناً في كل مكان وأحياناً أخرى يختفون فلا يظهر أحد منهم . وهذا مايعرفه أي انسان يسافر إلى هناك . وترى جثث أشخاص ملقاة هنا وهناك على جانبي الطريق وقد يتساءل المرء : كيف تترك جثث المسيحيين دون أن توارى في التراب ؟

ولكن من هو ذلك الذي يجرؤ أن يترك الجماعة التي يسافر معها لكي يحفر قبراً لرفيقه ؟ إذا مافعل هذا فانه على الأرجح يكون قد حفر قبراً لنفسه وليس للرجل الذي قضى لأن الطريق محفوفة بالأخطار المهلكة . كثيرون يفتك بهم المسلمون وكثيرون غيرهم يموتون عطشاً . أما نحن فقد وصلنا مع جماعتنا إلى القدس بسلام .

بعد القدس زرنا بيت‌لحم وتبين لنا أن المسلمين لم يتركوا مكاناً للمرء أن يلجأ إليه كل شيء لحقه الدمار . ليس هنا فحسب بل في كل مكان خارج اسوار القدس .

يقع نهر الاردن على بعد اربعة فراسخ إلى الشرق من أريحا . وتعرف البلاد في هذا الجانب من نهر الأردن وحتى يافا باسم (اليهودية) ، أما الجانب الآخر من الأردن فهو بلاد العرب المعادية إلى أقصى حد للمسيحيين .

لقد دمر المسلمون مدينة بيت‌لحم ، وكانت مدينة كبيرة وجميلة ، وكذلك مدينة الناصرة لحق بها دمار كبير من قبل المسلمين ، ولكن الدير الكبير فوق موقع (البشارة) مايزال قائماً .

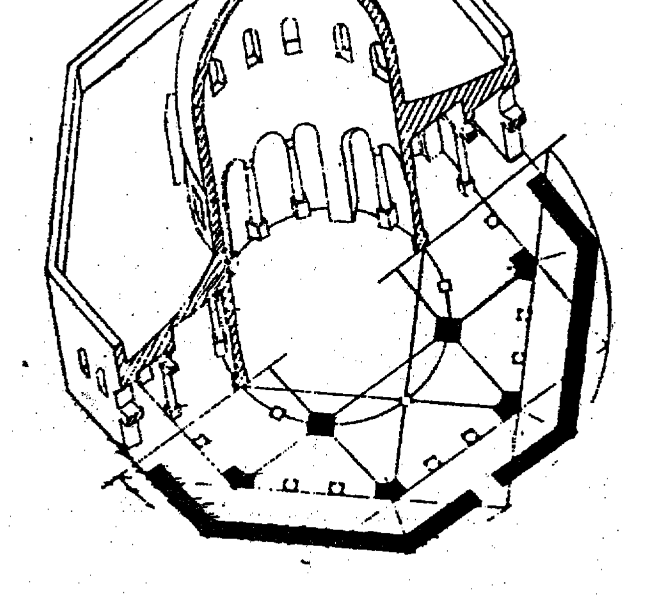
بعد أن زرنا جميع الأماكن المقدسة في القدس والمنطقة المحيطة بها ركبنا سفينة في يافا (أيار ١١٠٣ م) ، ولكن بسبب خوفنا من أن نصادف اسطولاً للمسلمين ، فاننا لم نغامر بالتقدم في عرض البحر على الخط الذي جئنا فيه ، بل أبحرنا على محاذاة الشاطىء

غير بعيد عن المدن الساحلية التي سقط بعضها في أيدي الافرنج . بينما كانت هناك مدن أخرى ماتزال في أيدي المسلمين . والمدن التي مررنا بها هي ارسوف وقيصرية وحيفا . ثم مررنا غير بعيد عن مدينة عكا الحصينة (لم يستول الصليبيون على عكا الا في ١٥ أيار ١١٠٤ م أي بعد سنة من مرور ساولف بها) .

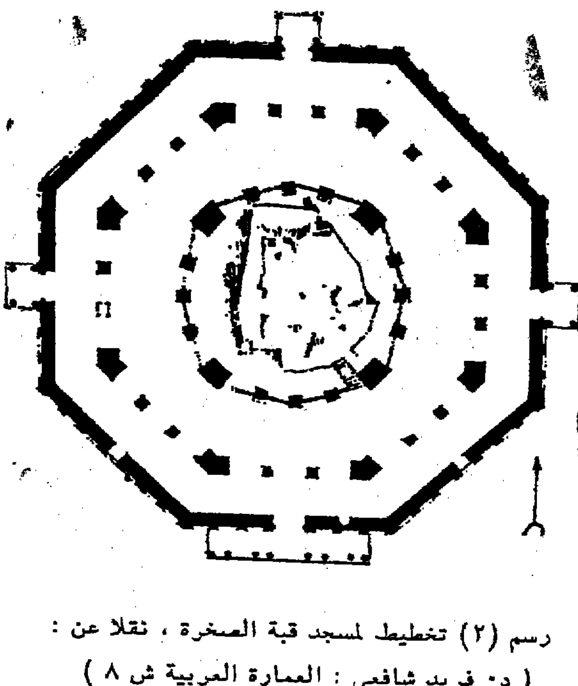
ولكن بينما كنا نبحر بين حيفا وعكا . ظهرت على حين غرة ست وعشرون سفينة من سفن المسلمين ، وكانت بقيادة أمير البحر في صور وصيدا وتحمل جيشاً للمساعدة في اعلان الحرب ضد ملك القدس . وعند ظهور سفن المسلمين عمدت سفينتان كانت ترافقانها من يافا إلى الفرار بكل سرعة واتجهنا نحو قيسارية وتركتاسفينتناوحدها . رأحاط المسلمون بسفينتنا من كل جانب ،ولكن رجالنا استعدوا للقتال واتخذوا مواقعهم في جوانب السفينة ، وكان على متنها نحو ٢٠٠ جندي . وبعد نحو ساعة أرسل قائد الاسطول أكبر سفنه نحونا للاستطلاع ، وحينما عرف باستعدادنا للقتال أطلق أشرعة سفنه للريح واتجه إلى عرض البحر لأنه لم يرد المغامرة بالدخول معنا في معركة . وهكذا واصلنا رحلتنا إلى قبرص بسلام فوصلنا بعد ثمانية أيام[1] .

١ – نستدل مما جاء في رحلة ساولف أن مقاومة العرب للغزوة الصليبية اتبعت أسلوب الحرب الشاملة تدمير كل شيء في المناطق التي تقع بأيدي العدو (باستثناء أماكن العبادة) . ليس ذلك فحسب بل ان المقاومة للغزو الصليبي لم تتوقف ، وبقي المجاهدون يكمنون في المناطق الوعرة ، وخاصة في منطقة باب الواد الوعرة بين يافا والقدس ، ويقومون بشن الهجمات على قوافل العدو ، ويعملون على قطع طرق مواصلاته وازعاجه وارباكه وقتل أكبر عدد ممكن من أفراده . فالسكان لم يستسلموا بمجرد استيلاء العدو على المدن الرئيسية بل ظلوا يرفعون لواء المقاومة ويرفضون الرضوخ للغزاة حتى جاءتهم النجدات الكبرى من أبناء عمومتهم في مصر وسورية فتم على أيديهم طرد المعتدين وتطهير البلاد منهم .

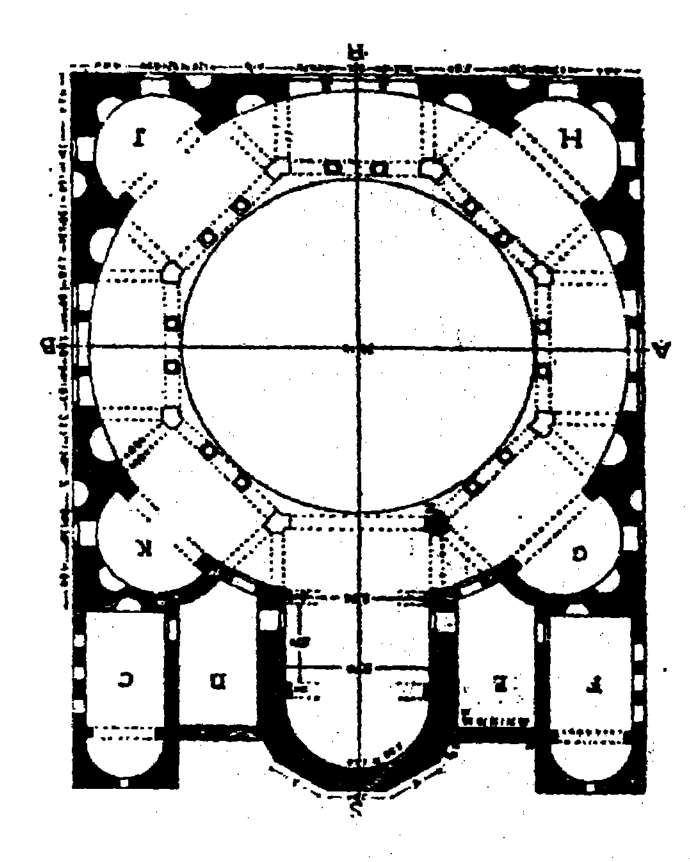
الرسوم والصور



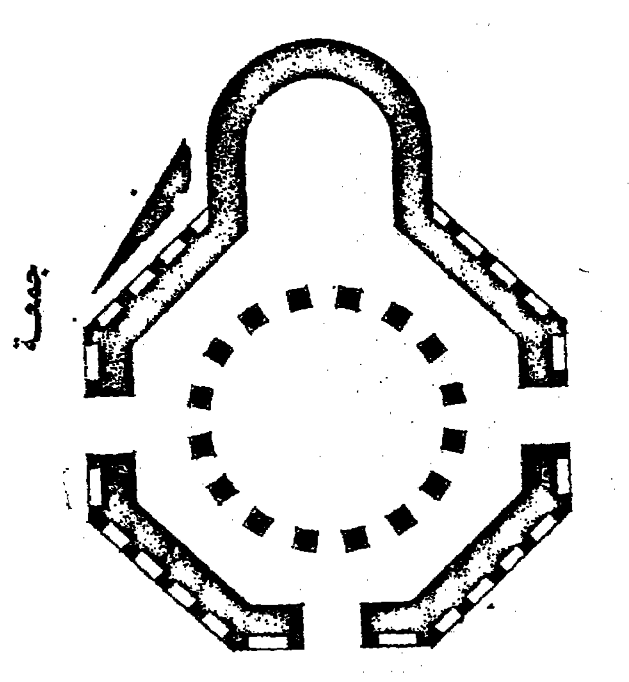
رسم (١) مقطع طولي لمسجد قبة الصخرة ، نقلا عن :
(Grube, The World of Islam, P. 13)



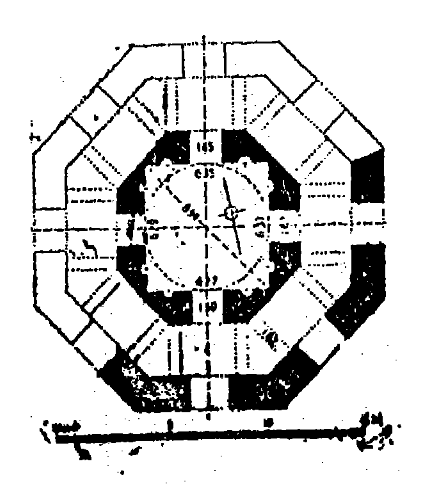
رسم (٢) تخطيط لمسجد قبة الصخرة ، نقلا عن :
(د· فريد شافعي : العمارة العربية ش ٨)



رسم (٣) تخطيط كنيسة بصرى في الشام • عن :
(Creswell, E. M. A. Vol. L. Fig. 36)

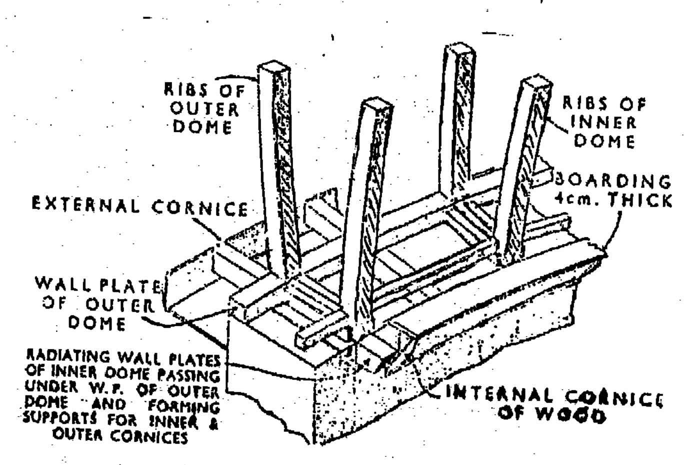


رسم (٤) تخطيط كنيسة الصعود في الشام • عن :
د• شافعي : العمارة العربية ص ٧٦



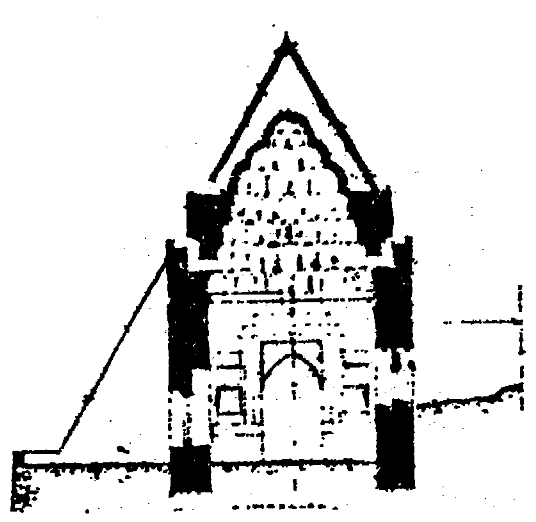
رسم (٥) تخطيط قبة الصليبية بسامراء عن :

(د. سامح : العمارة في صدر الاسلام ، شكل ٤٥)

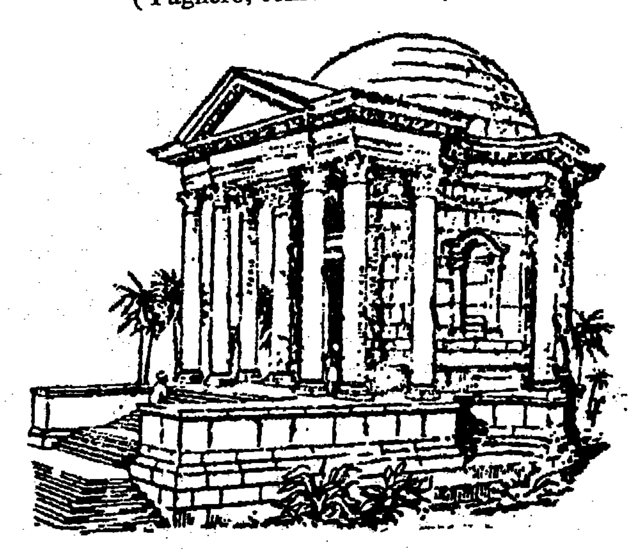


رسم (٦) الغطاء الخشبي المزدوج لقبة الصخرة • عن :

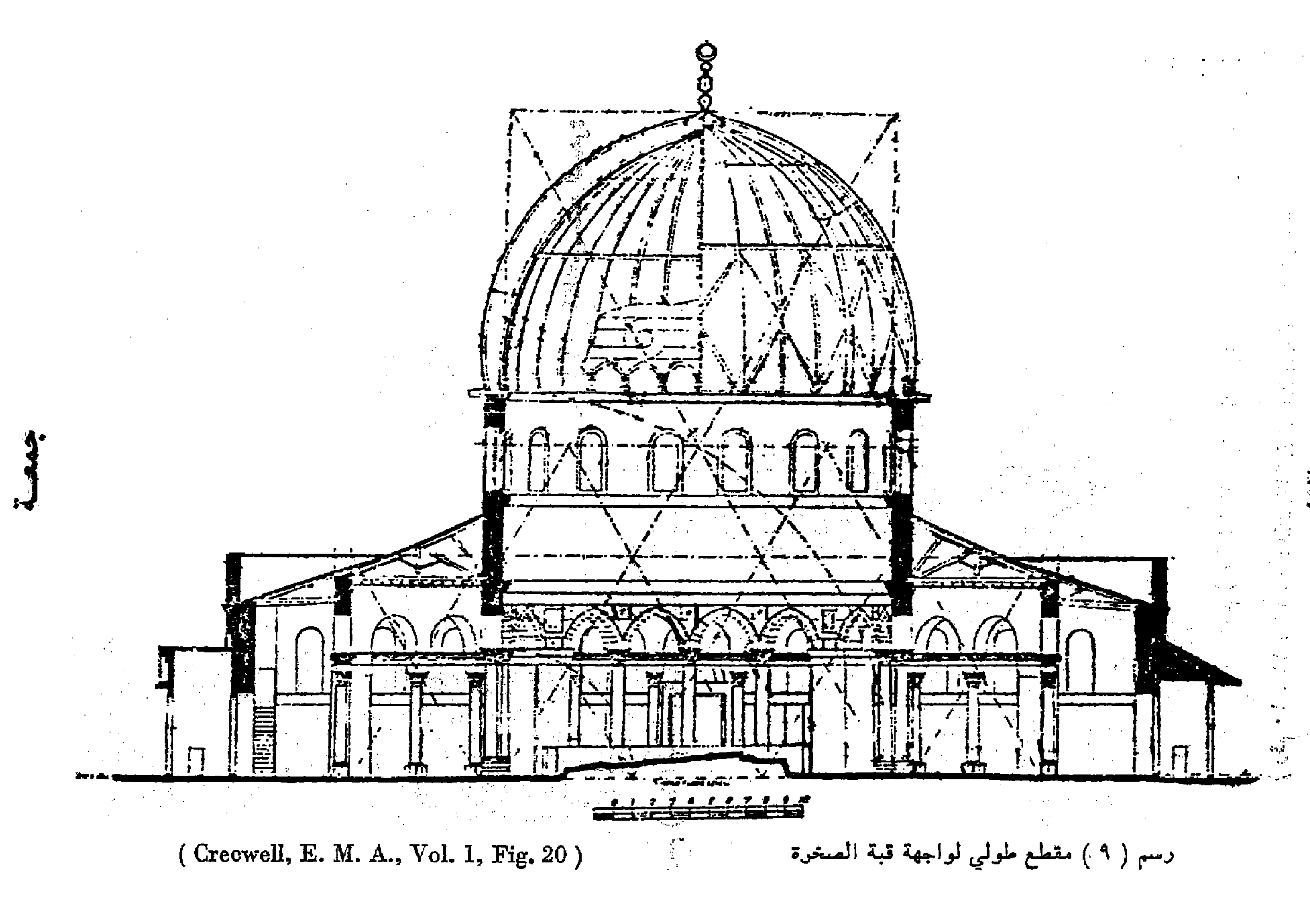
(Creswell, A. Short account., Fig. 5)



رسم (٧) قبة يحيى بن القاسم المزدوجة بالموصل ، عن :
(Pagliero, conservation, Fig. 7)

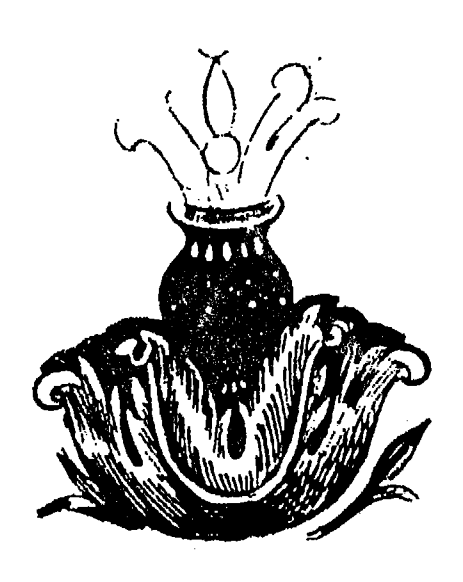


رسم (٨) معبد فينوس ببعلبك عن :
(Flectcher, A. history of Architecture).

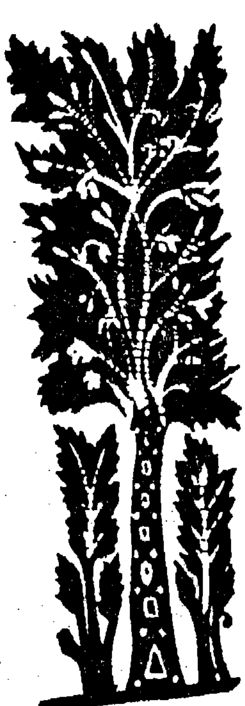


رسم (٩) مقطع طولي لواجهة قبة الصخرة

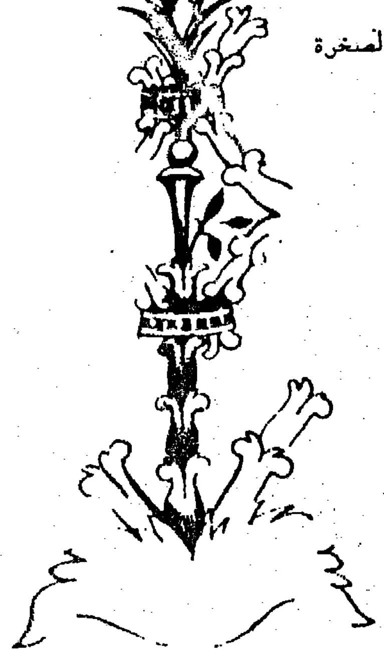
(Crecwell, E. M. A., Vol. 1, Fig. 20)



رسم (١١) أكانتس بقبة الصخرة

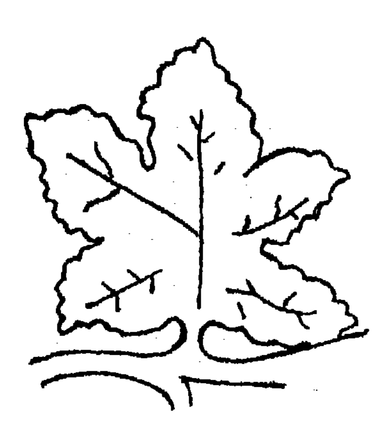


رسم (١٠) أشجار بقبة الصخرة



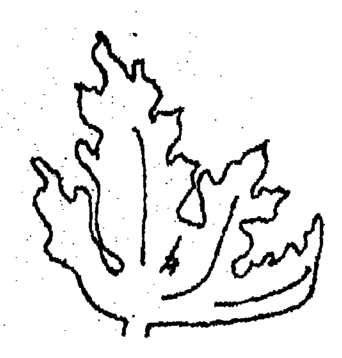
رسم (١٢) أكانس بقية الصخرة

(رقم ١٠ ، ١١ ، ١٢ عن : Creswell, Op. cit., Figs. 197, 212, 265)



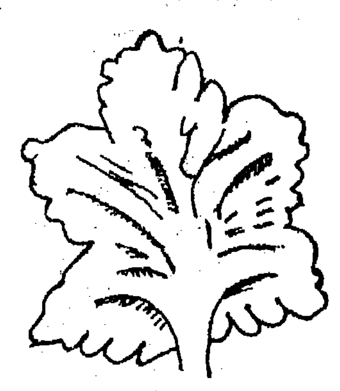
رسم (١٣) ورقة عنب آشورية

(Parrot, Ninavah., Fig 71)



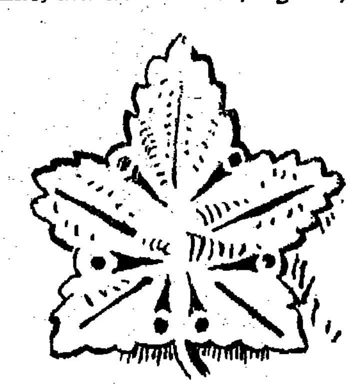
رسم (١٤) ورقة عنب بيزنطية

(Lechler, The Tree of Life., Fig. 27c)

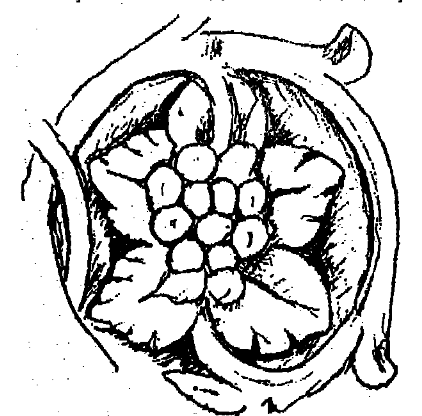


رسم (١٥) ورقة عنب بقبة الصخرة

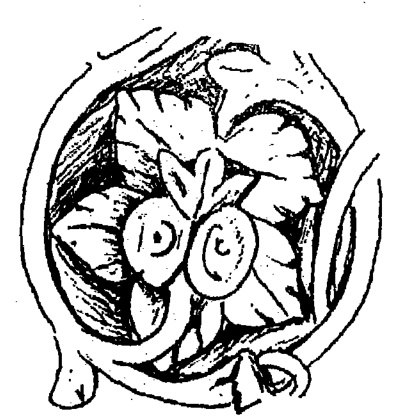
(Dimand, Studies in Islamic Ornament, Fig. 9)



رسم (١٦) عن:د· شافعي:الاخشاب المزخرفة،ش٢١

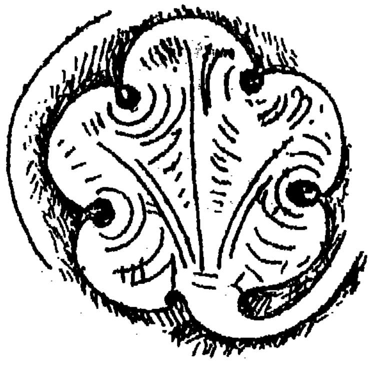


رسم (١٧) د· أحمد قاسم الجمعة



رسم (١٨) د· أحمد قاسم الجمعة

(الرسوم ١٦ ، ١٧ ، ١٨ أوراق عنب من المسجد الاقصى)



رسم (١٩) ورقة عنب من سامراء
د. شافعي : زخارف وطرز سامراء ، ش ١



رسم (٢٠) ورقة عنب من مصر
د. فكري : مساجد القاهرة ، ش ١٠



رسم (٢١) ورقة مركبة من قبة الصخرة
(Creswell, Op. cit., Fig. 222)



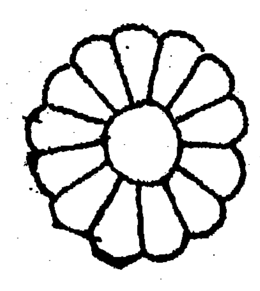
رسم (٢٢) ورقة مركبة بقبة الصخرة
(Creswell, Op., cit., Fig. 298)



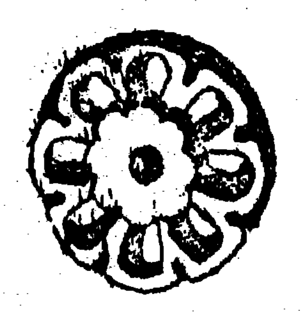
رسم (٢٣) كوز صنوبر آشوري
وهبة : الزخرفة التاريخية ، ص ٢١

رسم (٢٤) كوز صنوبر بقبة الصخرة
(Creswell, Op., cit., Fig. 228)

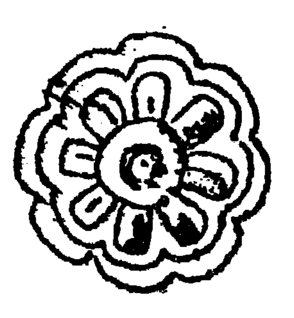
جمعة



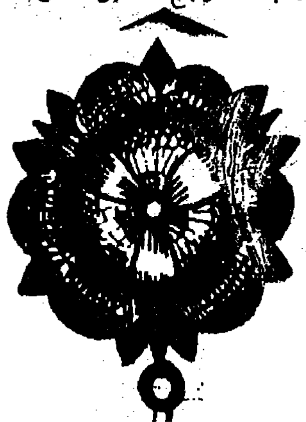
رسم (٢٥) وردة اغريقية
(Parrot, Historic., Fig. 31)



رسم (٢٦) وردة آشورية
وهبة : المرجع السابق ، ص ٢٢



رسم (٢٧) وردة ساسانية
(Pope, Aservey., Vol. II P. 611)



رسم (٢٨) وردة من قبة الصخرة
(Creswell, E. A., Vol. I, Fig. 321)



رسم (٢٩) وردة من قبة الصخرة
(Creswell, Vol. Fig. 352)



رسم (٣٠) ورقة كاسية اغريقية
د. شافعي : الاخشاب المزخرفة ، ش ١

جمعـة



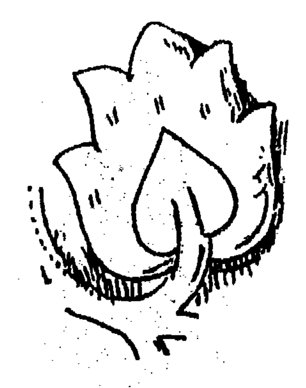
رسم (٣٢) ورقة كأسية من قبة الصخرة
(Creswell, op. Cit. Fig. 319)

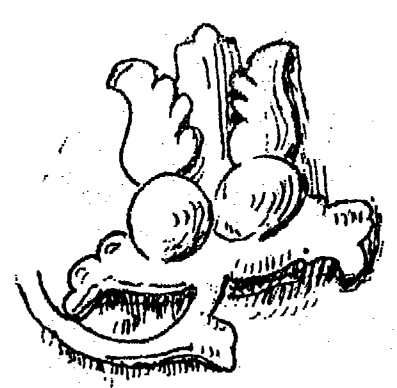


رسم (٣١) ورقة كأسية ساسانية
د. شافعي : المرجع السابق ، ش ٣



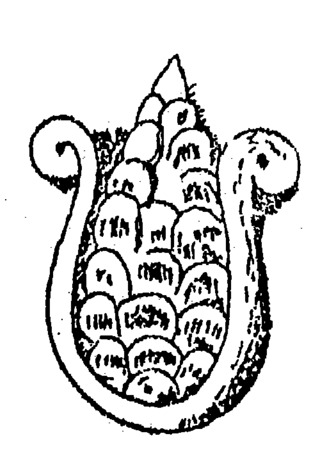
رسم (٣٣) ورقة كأسية من قبة الصخرة
(Creswell, Op. cit., Fig. 295)





رسم (٣٤ ، ٣٥) ورقتان كأسيتان من المسجد الاقصى
د. شافعي : الاخشاب المزخرفة ، ش ١٢ ، ١٤

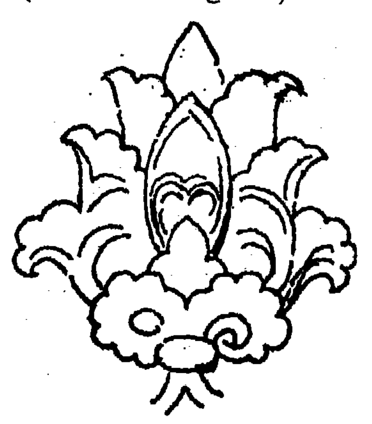
جمعـة



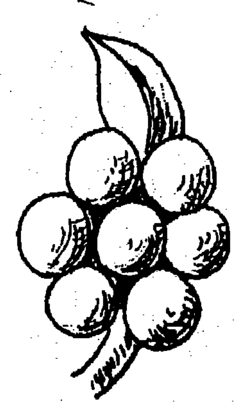
رسم (٣٦) ورقة كاسية من قصر المشتى
(المرجع نفسه ، ص ٢٨)



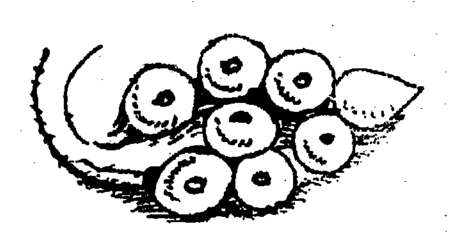
رسم (٣٧) ورقة كاسية من قصر الطوبة
(المرجع نفسه : ش ٥)



رسم (٣٨) ورقة لوتسيه
ساسانيه (د٠ شافعي العمارة العربية)



رسم (٣٩) حبيبات مجمعة بقبة الصخرة
د٠ شافعي : الاخشاب المزخرفة ، ش ١٨



رسم (٤٠) حبيبات مجمعة بالمسجد الاقصى
د٠ شافعي : المرجع السابق ، ش ١٦



رسم (٤١) مزهرية من قبة الصخرة
(Creswell, Op. cit., Fig. 260)



رسم (٤٢) مزهرية بيزنطية
د. الجمعة : الآثار الرخامية ، رسم ٨١٨



رسم (٤٣) مزهرية من المسجد الاقصى
(Herzfeld, Archaologish, Fig 12)



رسم (٤٤) مزهرية من قصر المشتى
(Dimand, Studies., Fig. 60)



رسم (٤٥) مزهرية من محراب الخاصكي
د. الجمعة : المرجع السابق ، رسم ٨٢٢



رسم (٤٦) أجنحة من قبة الصخرة



رسم (٤٧) أجنحة ساسانية

(Creswell, Op. cit., Vol. I, Figs. 273, 284, 290)

جمعـة



رسم (٤٨) أهلة نجوم من قبة الصخرة

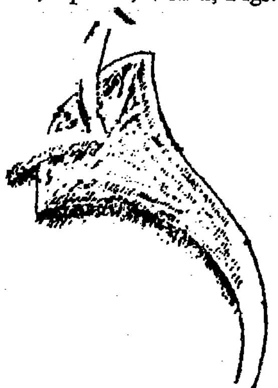


رسم (٥٠) قرن الرخا من قبة الصخرة

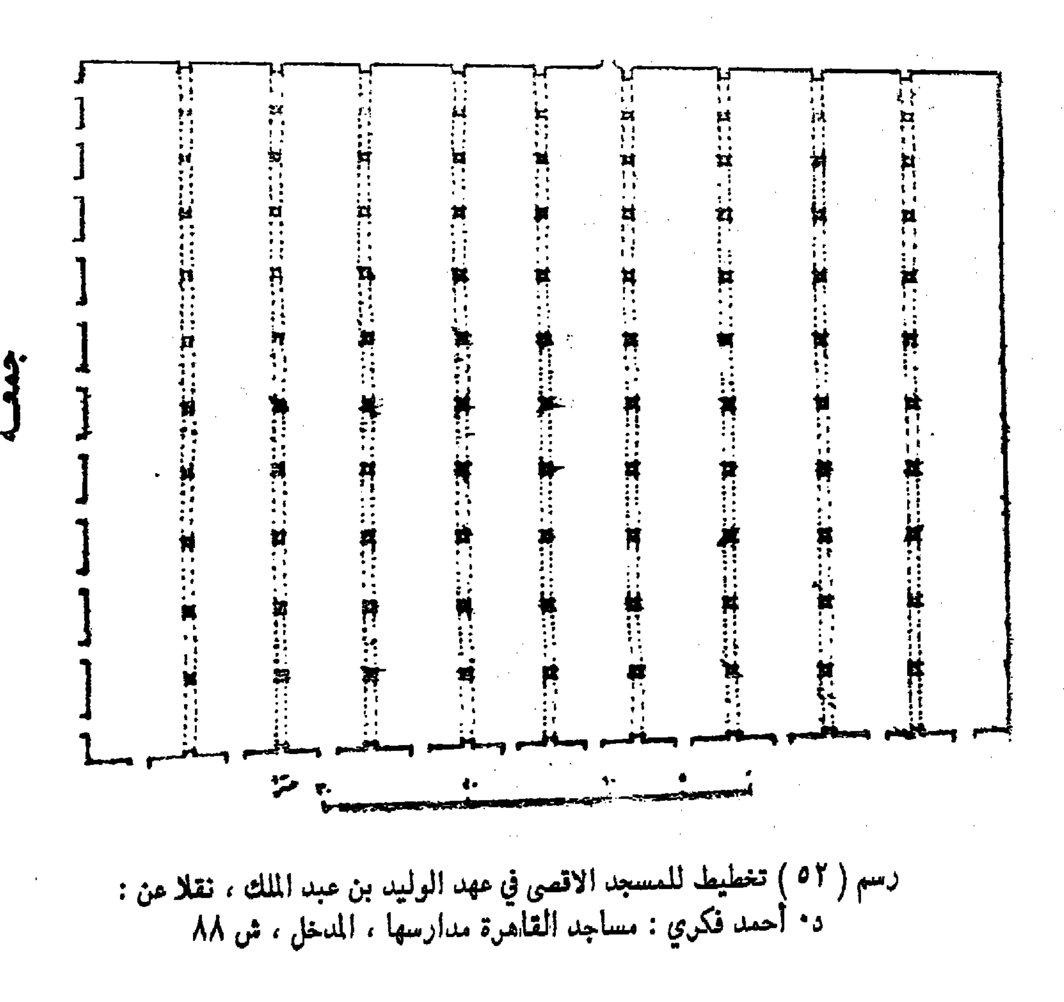


رسم (٤٩) جواهر من قبة الصخرة

(Creswell, Op. cit., Vol. I, Figs. 239, 278)

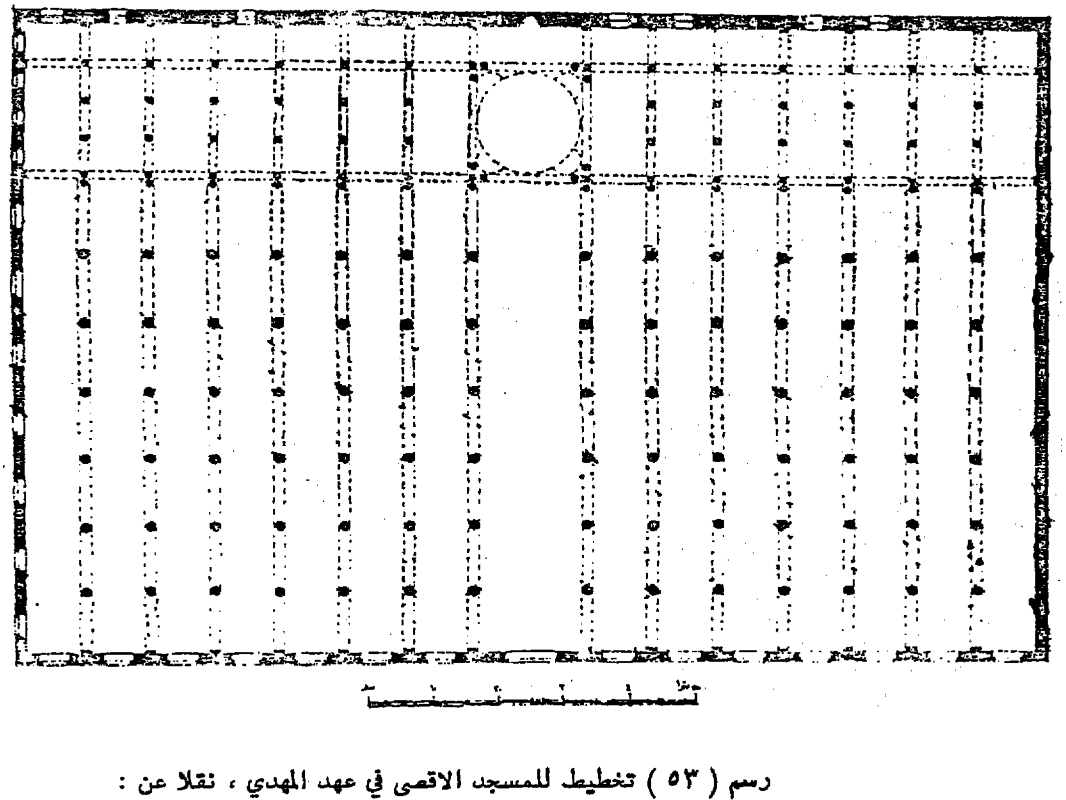


رسم (٥١) قرن الرخا بمحراب السيدة رقية بمصر
د. شافعي : مميزات الاخشاب المزخرفة ، ش ٢١

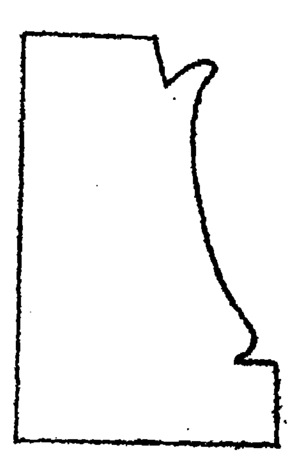


رسم (٥٢) تخطيط للمسجد الاقصى في عهد الوليد بن عبد الملك ، نقلا عن :
د. أحمد فكري : مساجد القاهرة مدارسها ، المدخل ، ش ٨٨

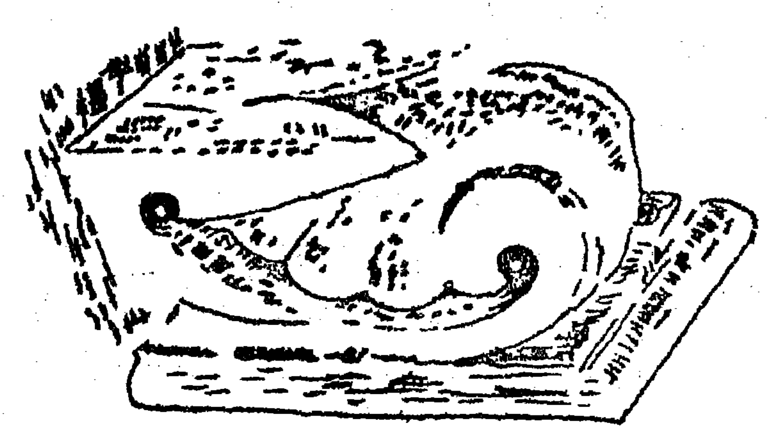
جمعة



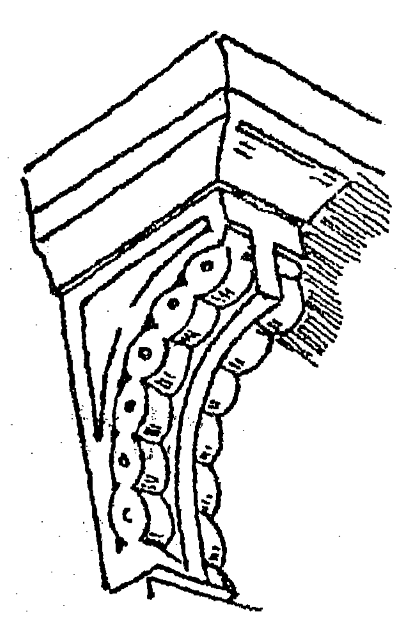
رسم (٥٣) تخطيط للمسجد الاقصى في عهد المهدي ، نقلا عن :
د. فريد شافعي : العمارة العربية : ش ١٦٧



رسم (٥٤) كابول بيزنطي
عن بيتلر

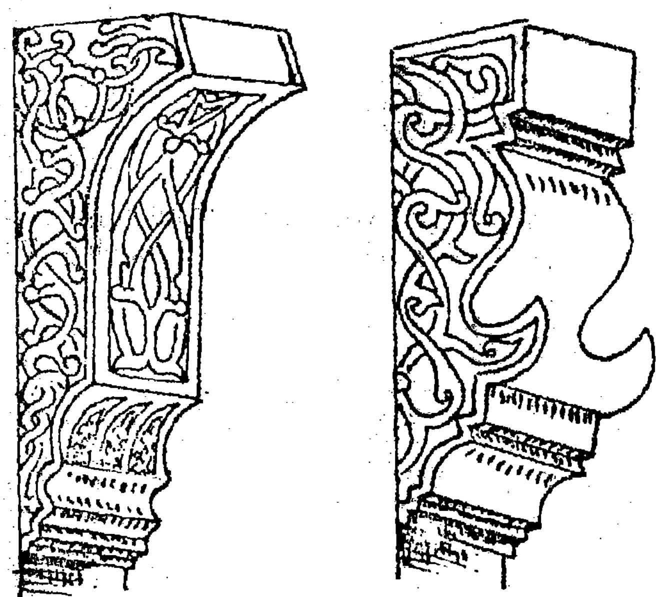


رسم (٥٥) كابول من جامع عمرو بن العاص بمصر
جوميث : الفن الاسلامي ، ش



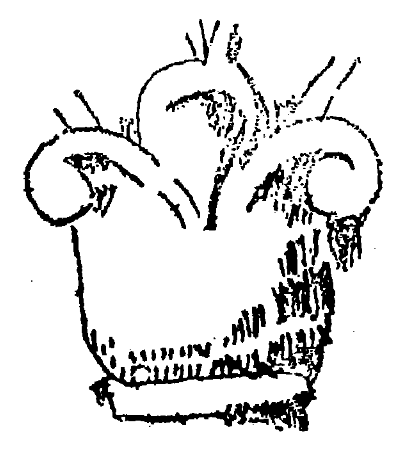
رسم (٥٦) كابول من اسبانيا

المرجع نفسه ، ش ٢٤٠



رسم (٥٧) كابول من الموصل رسم (٥٨) كابول من الموصل

د. الجمعة : الآثار الرخامية ، ش ٢٨٦ ، ٢٨٧



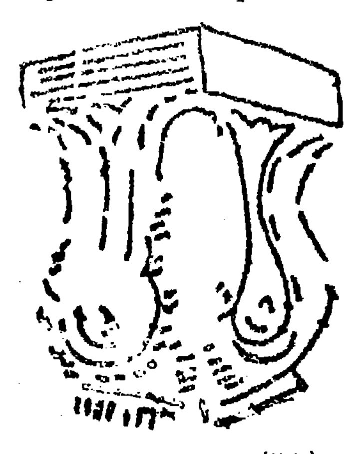
رسم (٦٠) تاج كأسي من خربة المفجر
المرجع نفسه ، ش ٢٢



رسم (٥٩) تاج بصلي من المسجد الاقصى
د· شافعي : الاخشاب المزخرفة ، ش ٩



رسم (٦٢) تاج كأسي من جامع القيروان
المرجع نفسه : رسم ٣٣٩



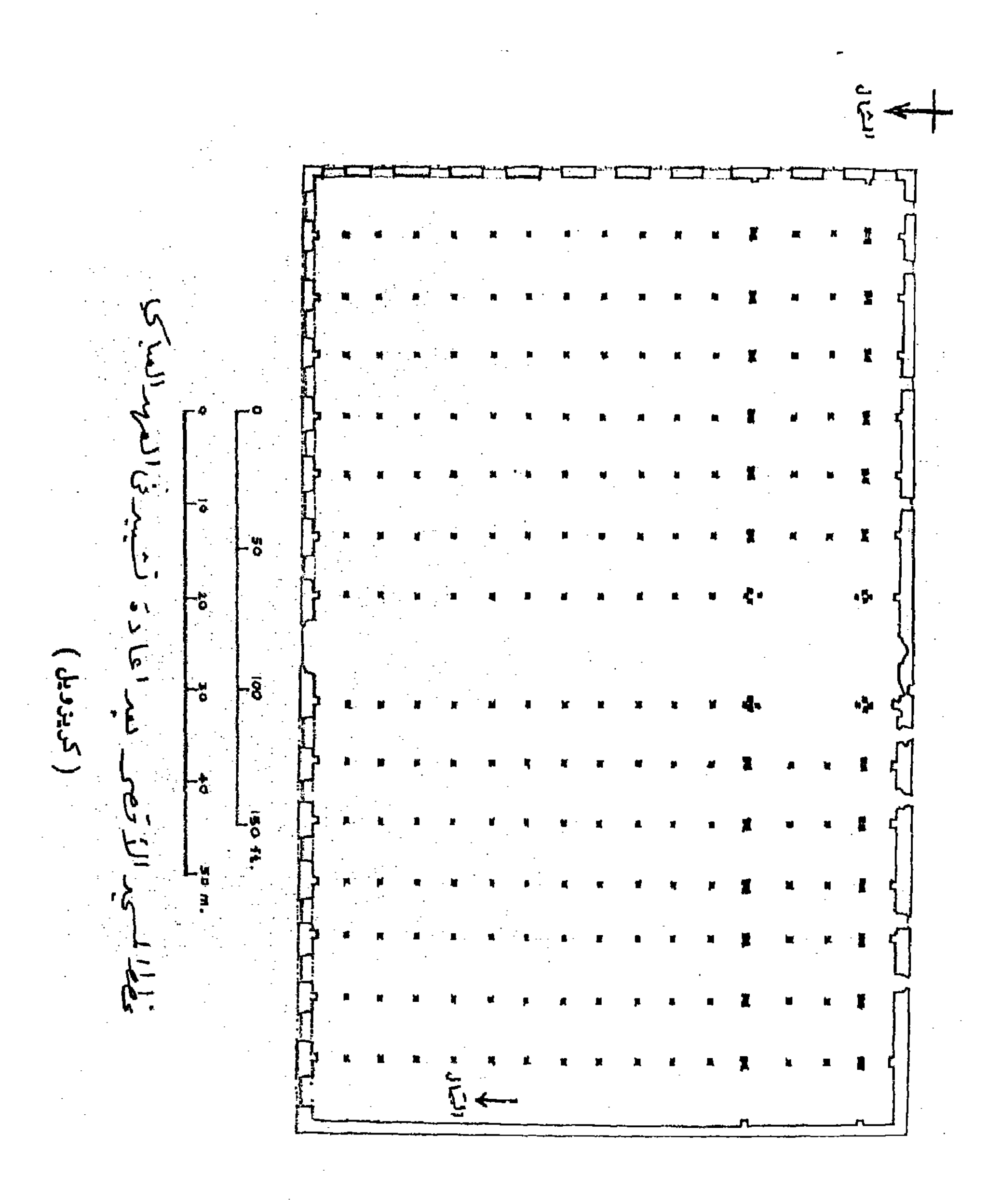
رسم (٦١) تاج كاسي من الجوسق الخاقاني
د· الجمعة : المرجع السابق



رسم (٦٤) ثمر رمان من المسجد الاقصى
المرجع نفسه ، ش ٢٣

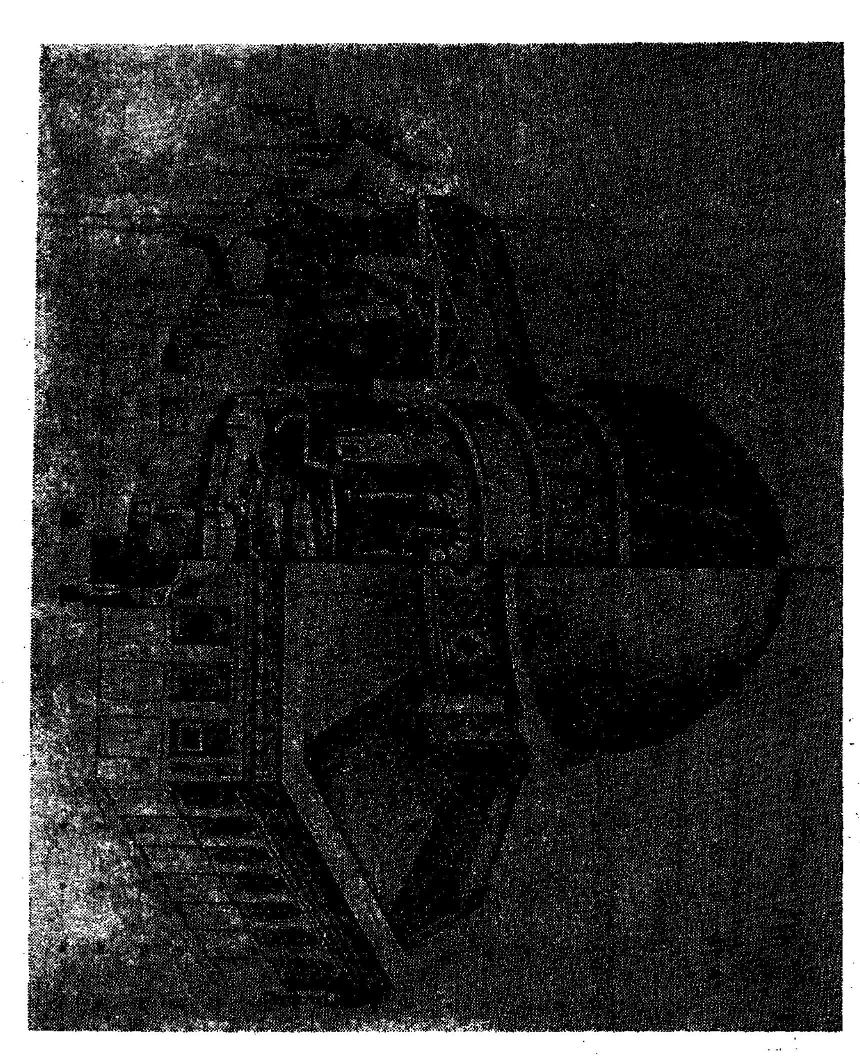


رسم (٦٣) ثمر رمان من المسجد الاقصى
د· شافعي : المرجع السابق ، ش ٢٢

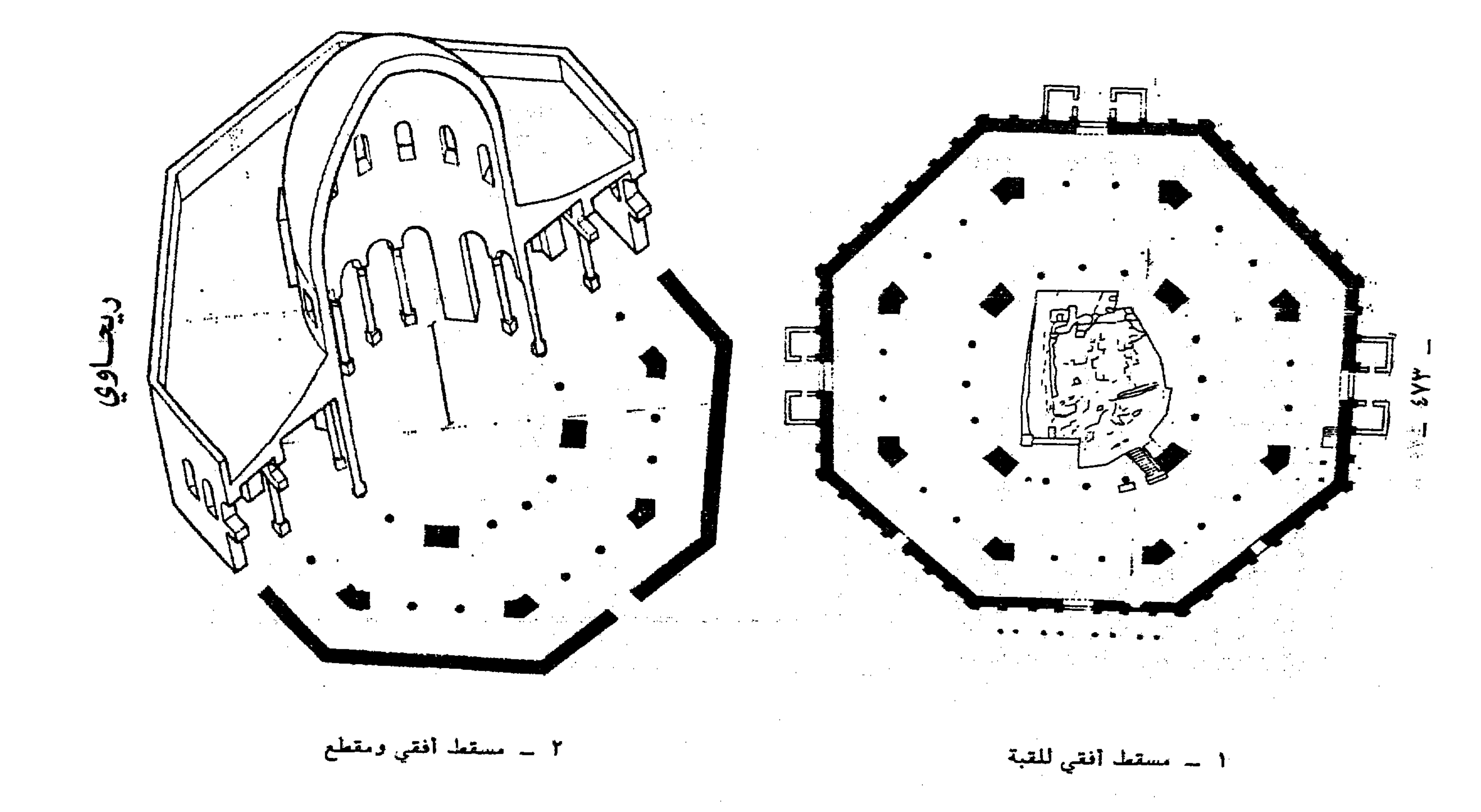


مخطط المسجد الأقصى بعد اعادة تشييده في العهد العباسي

(كريزويل)

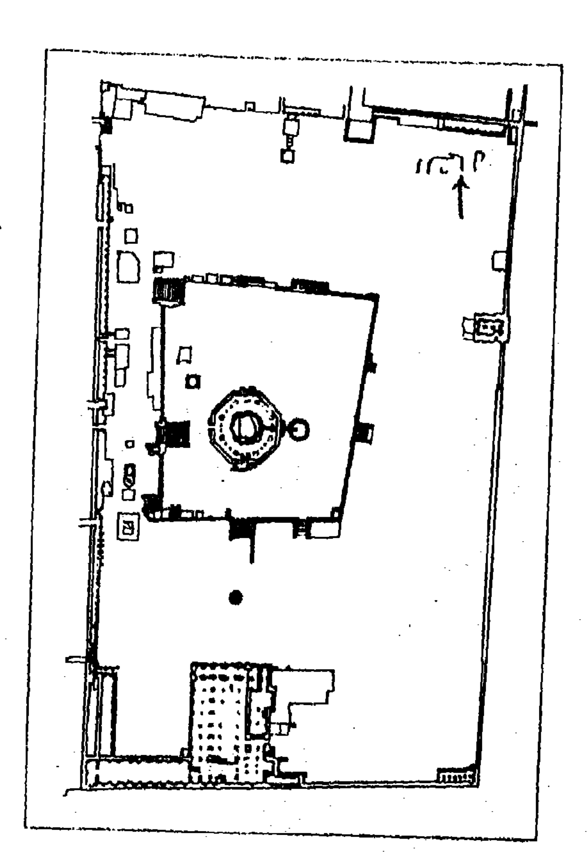


الظاهر والباطن في قبة الصخرة
تفاصيل لعناصر القبة نقلا عن (J. J. NORWICH)

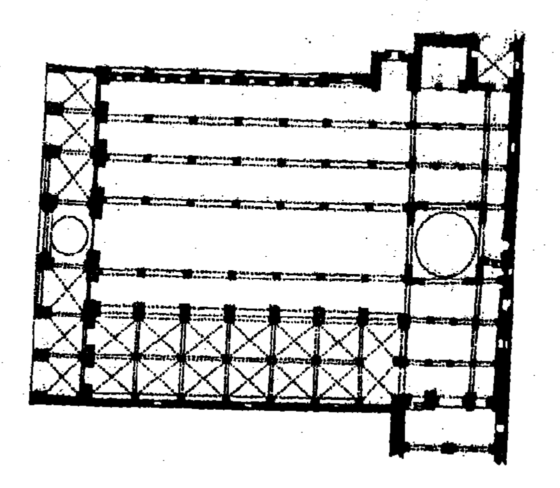


١ ـ مسقط أفقي للقبة

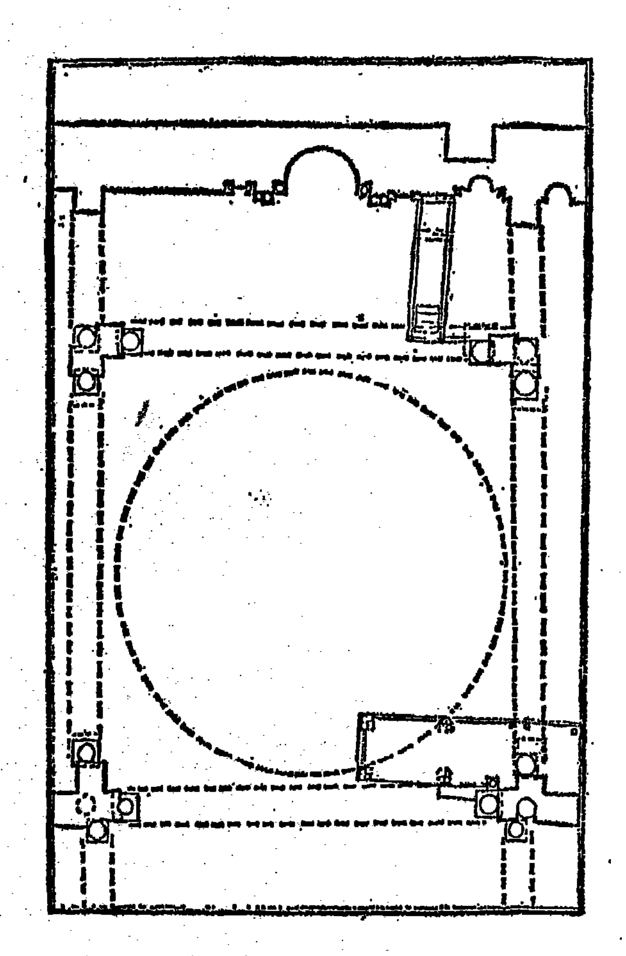
٢ ـ مسقط أفقي ومقطع



١ – الحرم القدسي الشريف – موقع قبة الصخرة والمسجد الأقصى وبعض الآثار الأخرى



٢ – المسجد الأقصى في وضعه الحاضر

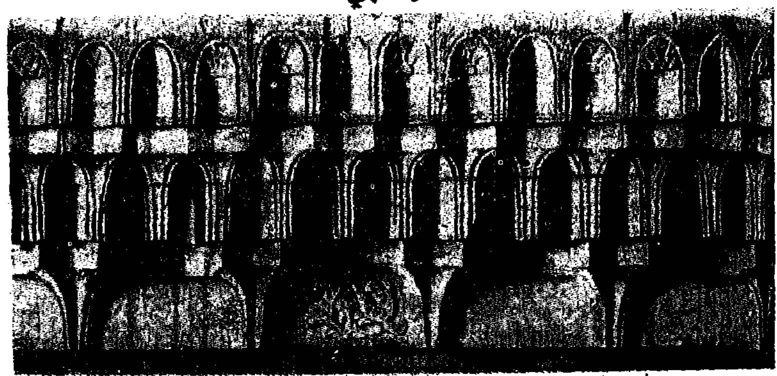


DOME PLAN BEFORE 1924, AFTER KEMAL EL DIN BEY.

رسم رقم (١)

مسقط أفقي يظهر ميل المنبر القدسي على مستقيم القبلة بسبب العمود المحدث

« عن كتاب هاملتون »



رسم رقم (٢)
تفصيل لزخرفة المقرنصات من تاج الباب بالمبنى



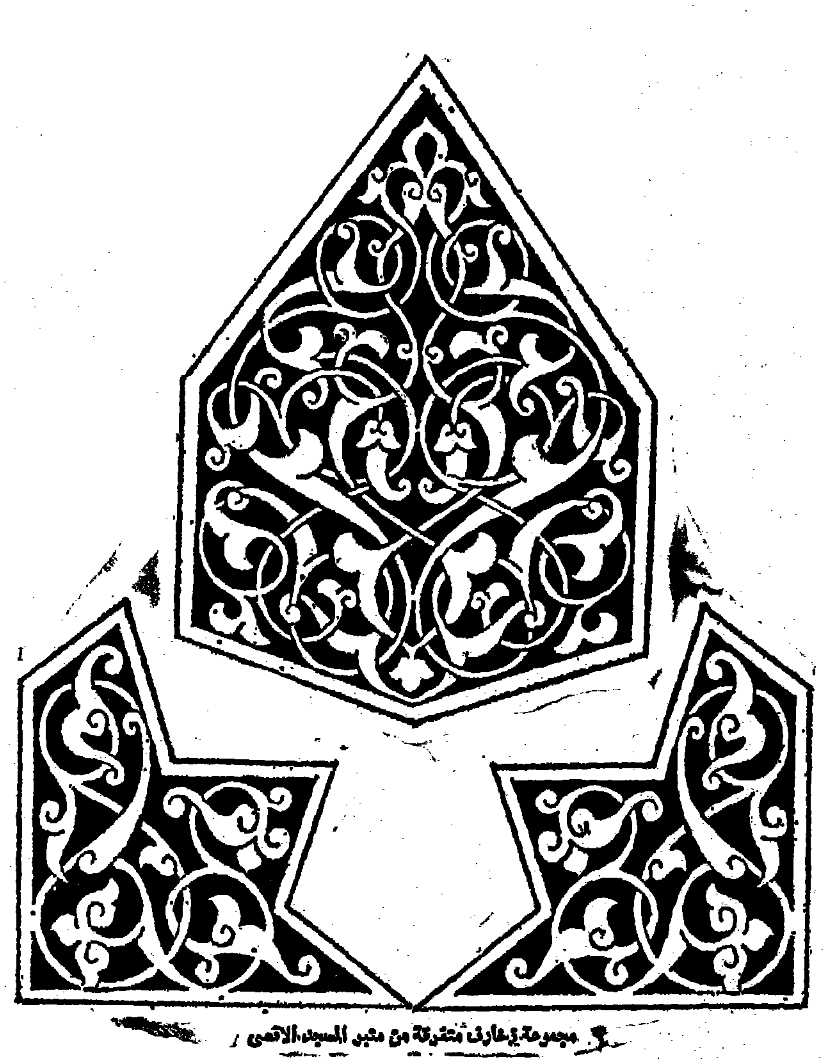
رسم رقم (٣)
منبر المسجد الاقصى قبل ترميم القبلية وتغيير الاعمدة وقبل ازالة قبة الجوسق
« تصوير فان برشم »



رسم رقم (٤)

جزء من الزخارف والكتابة على الجهة والدرابزين الشرقيين من منبر المسجد الاقصى
« تصوير فان برشم »

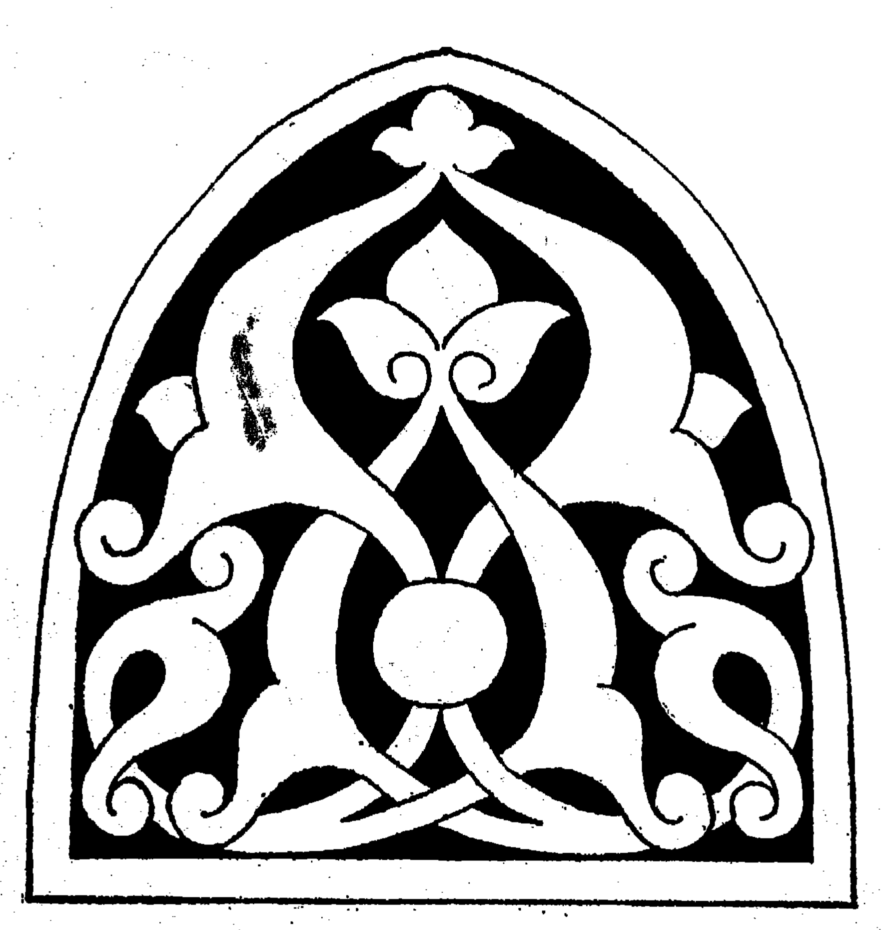
كواكبي



رسم رقم (٥)

زخارف عاجية مطعمة على الحشوات المتداخلة من منبر المسجد الاقصى

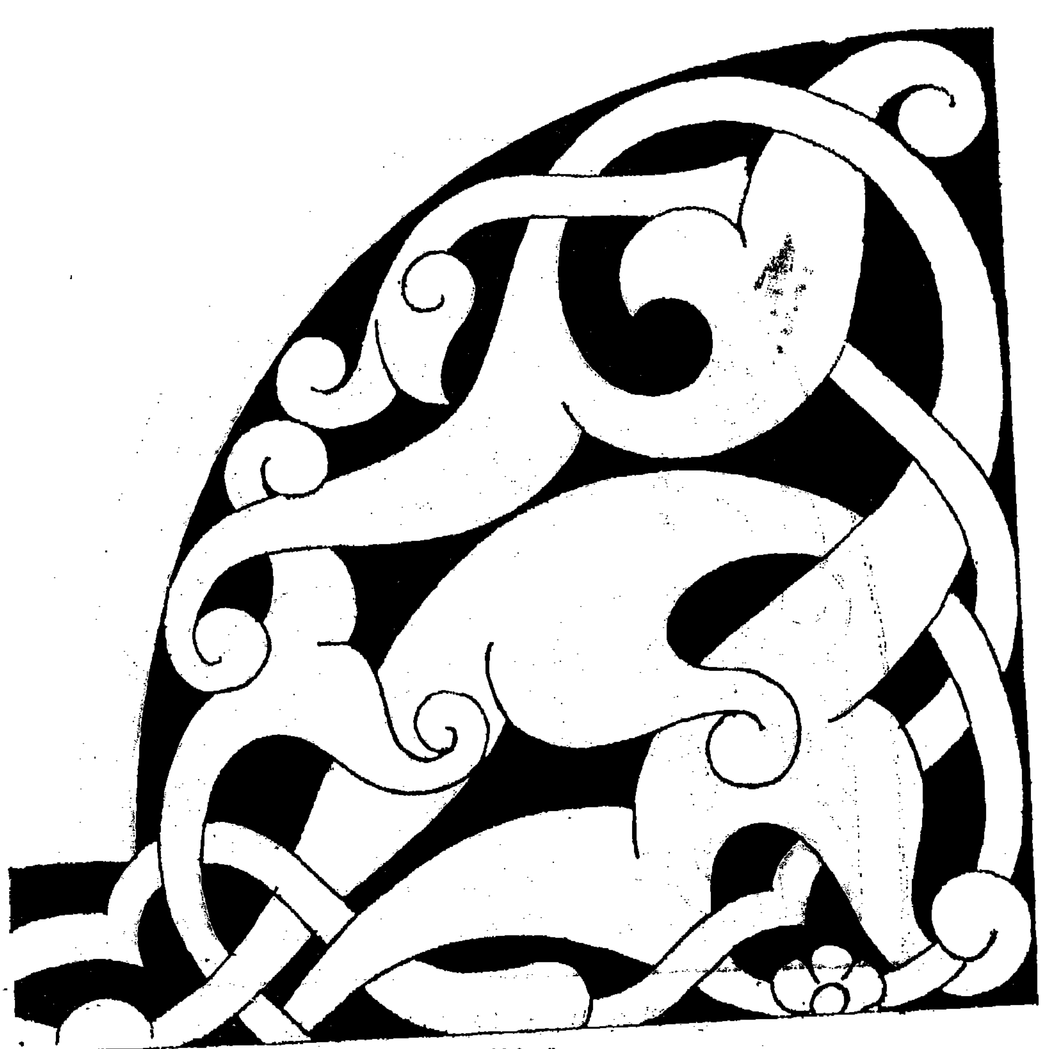
كواكبي



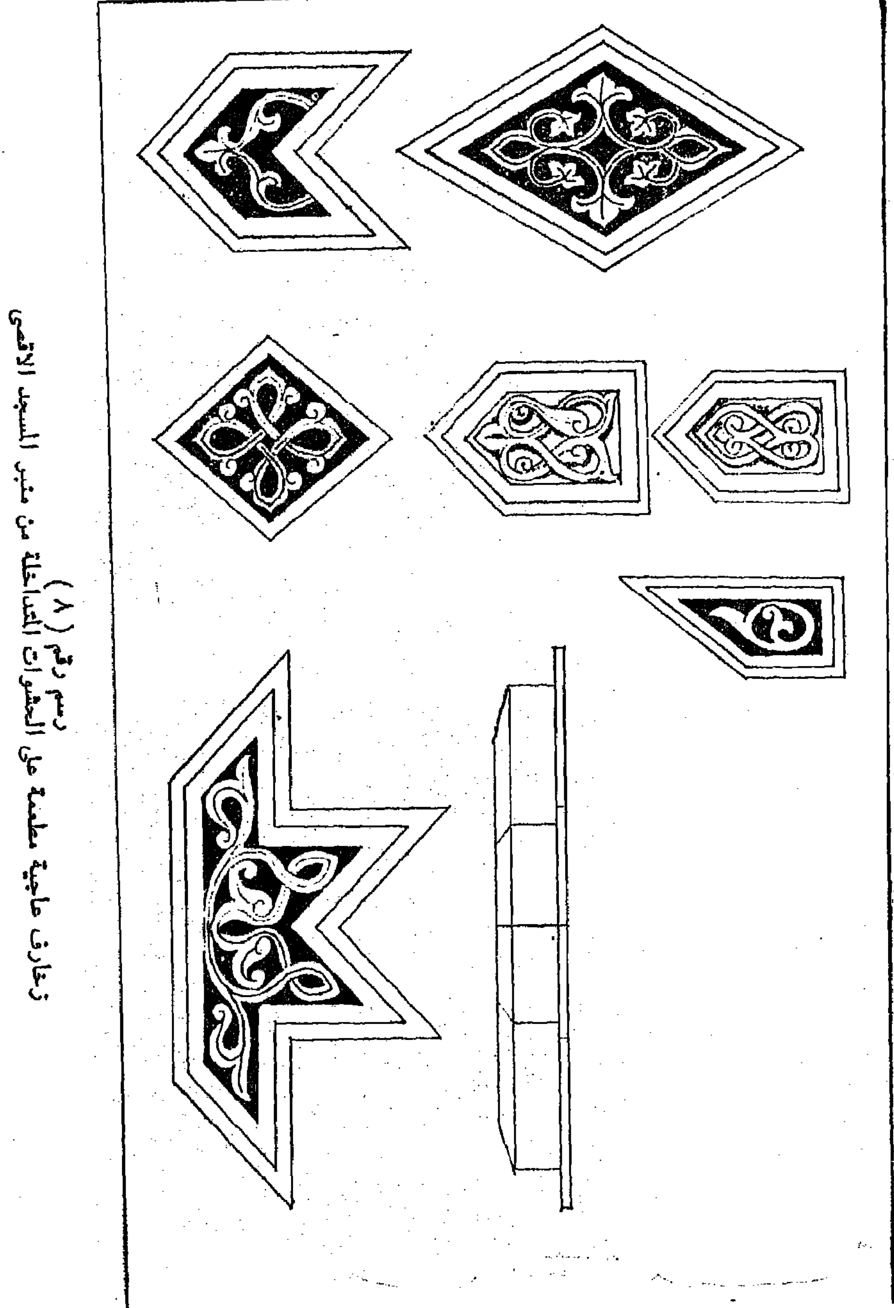
تكبير لزخرفة عاجية في منبر المسجد الاقصى

رسم رقم (٦)

زخارف عاجية مطعمة على الحشوات المتداخلة من منبر المسجد الاقصى



رسم رقم (٧)
زخارف عاجية مطعمة على الحشوات المتداخلة من منبر المسجد الاقصى



مجموعة زخارف متفرقة لقطع من منبر المسجد الأقصى

رسم رقم (٨)
زخارف عاجية مطعمة على الحشوات المتداخلة من منبر المسجد الأقصى

كواكبي



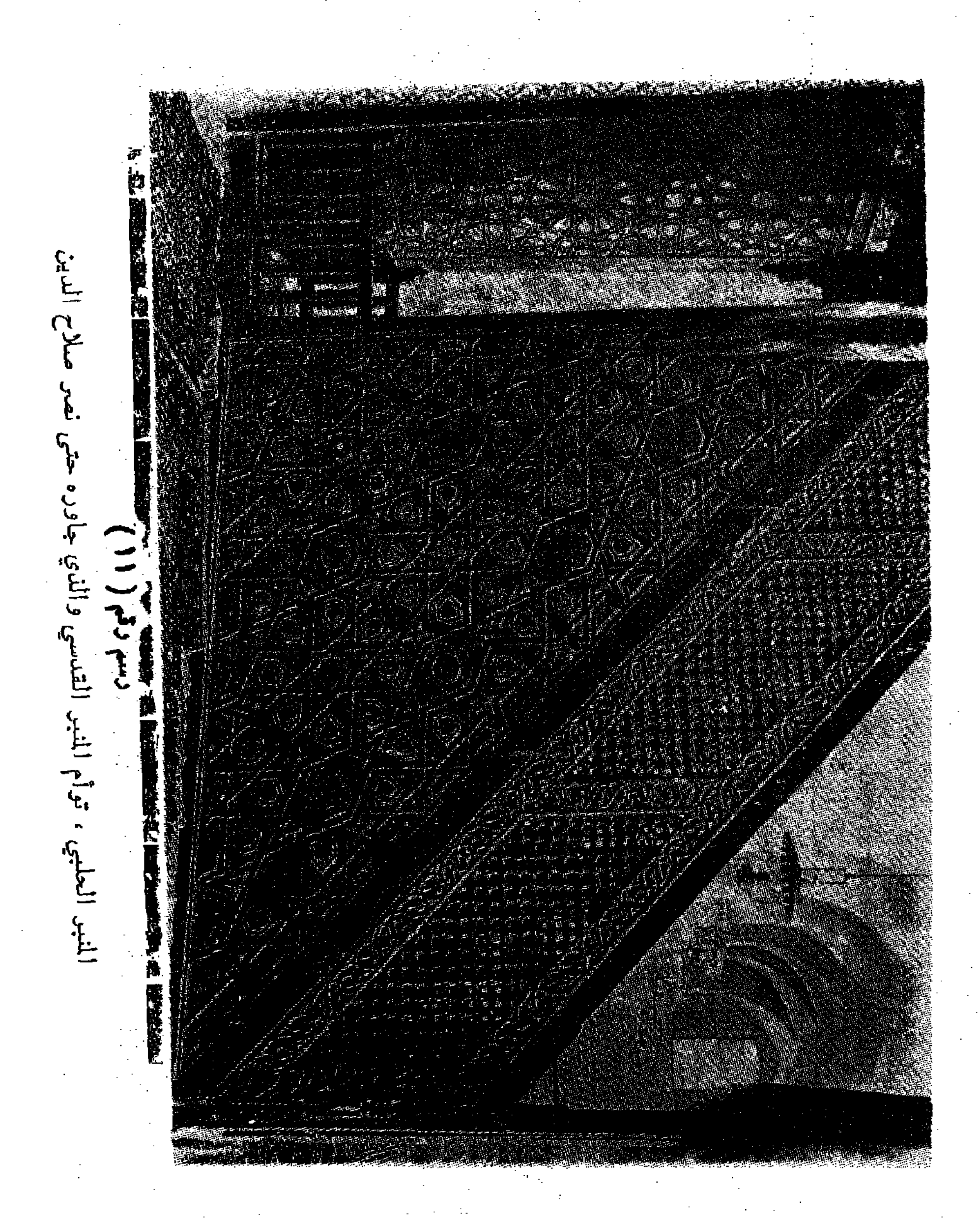
رسم رقم (٩)

من بقايا زخارف منبر المسجد الاقصى بعد الاحراق الصهيوني



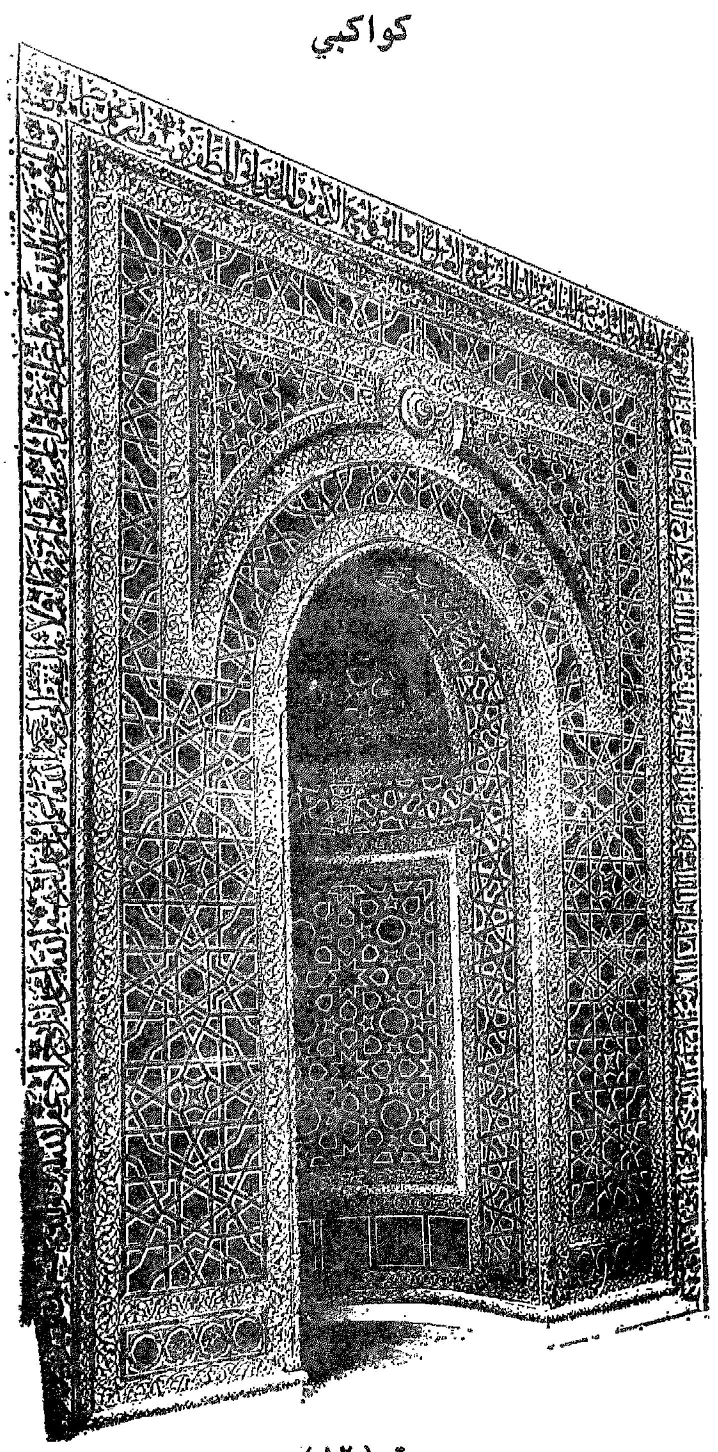
رسم رقم (١٠)

من بقايا زخارف منبر المسجد الاقصى بعد الاحراق الصهيوني

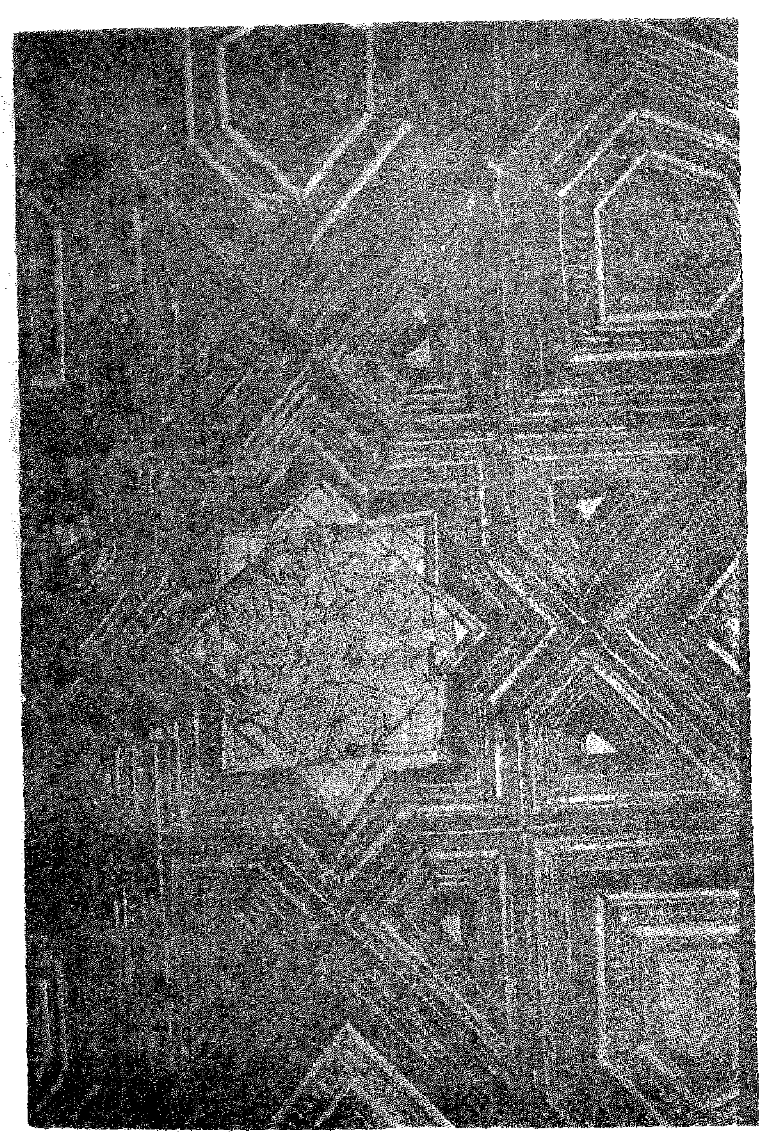


رسم رقم (١١)

المنبر الحلبي، توأم المنبر القدسي والذي جاوره حتى نصر صلاح الدين



رسم رقم (١٢)
محراب مسجد الحلاوية بحلب

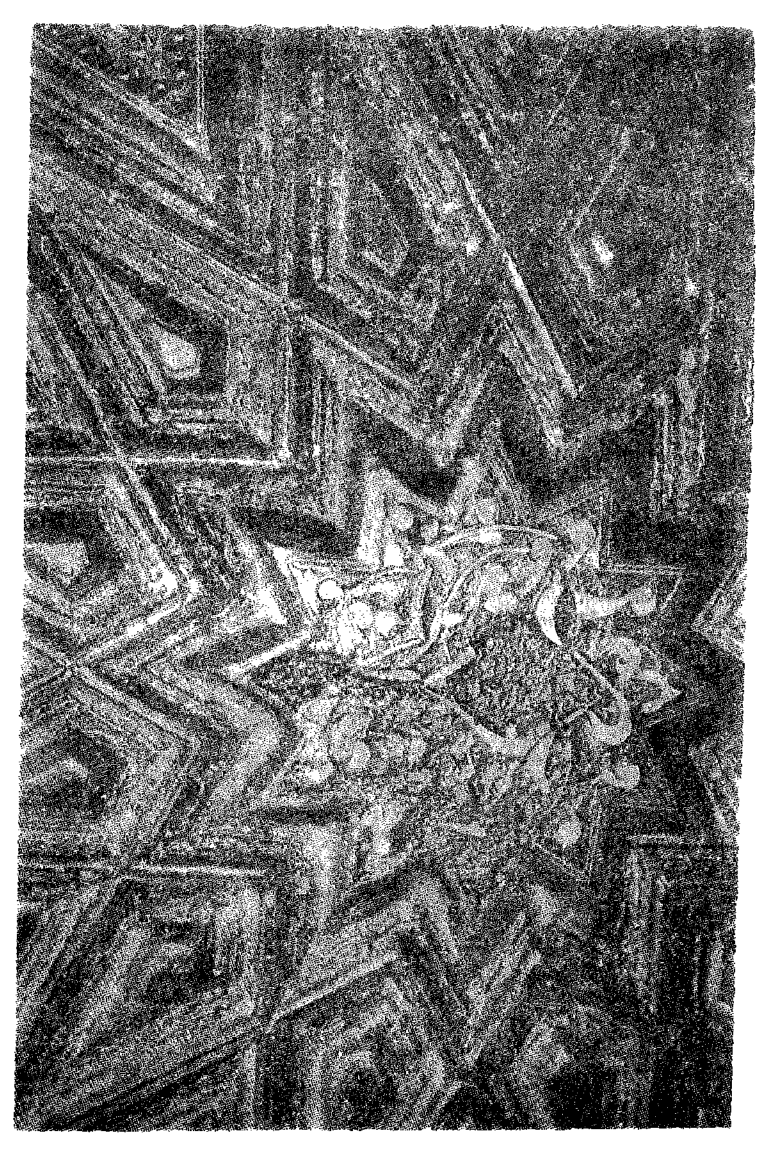


رسم رقم (١٣)

تفصيل لحشوات وزخارف عاجية من منبر

الجامع الاموي الكبير بحلب

« من صناعة الاختريني »

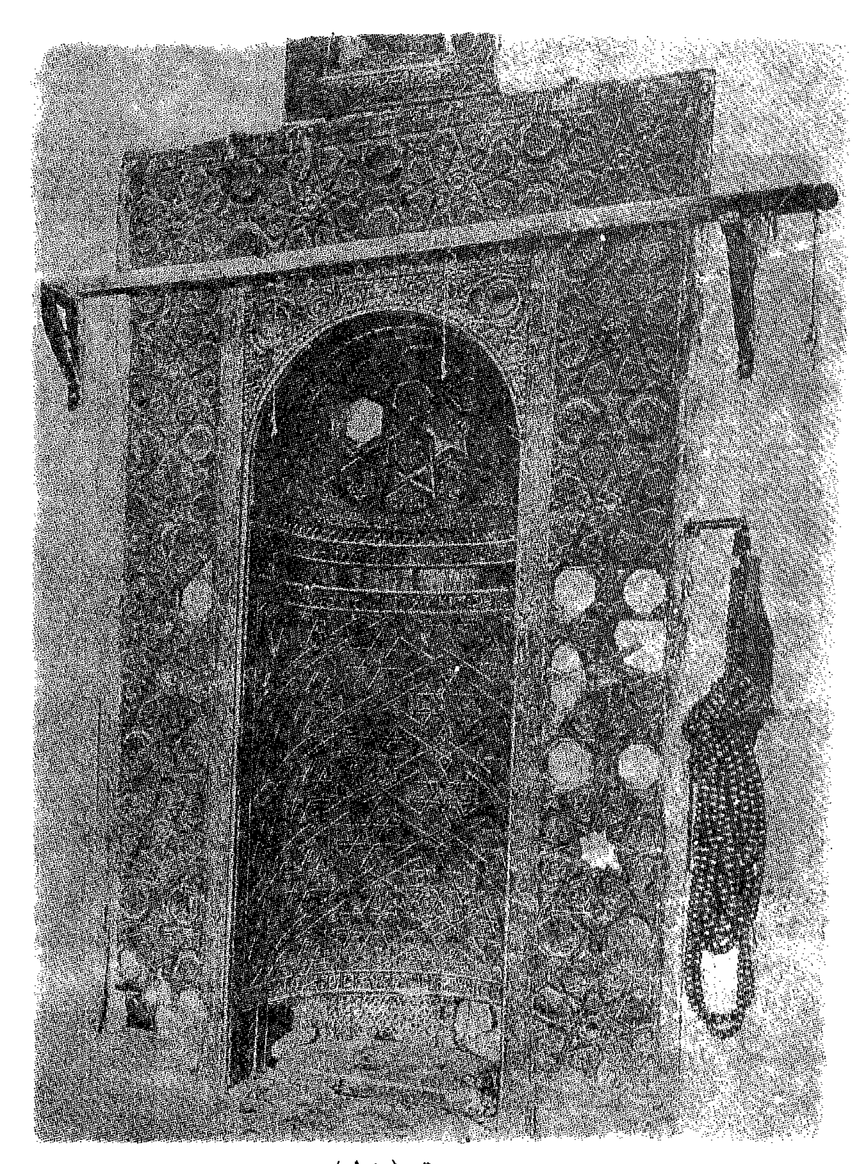


رسم رقم (١٤)

تفصيل لحشوات وزخارف عاجية من منبر

الجامع الاموي الكبير بحلب

« من صناعة الاختريني »

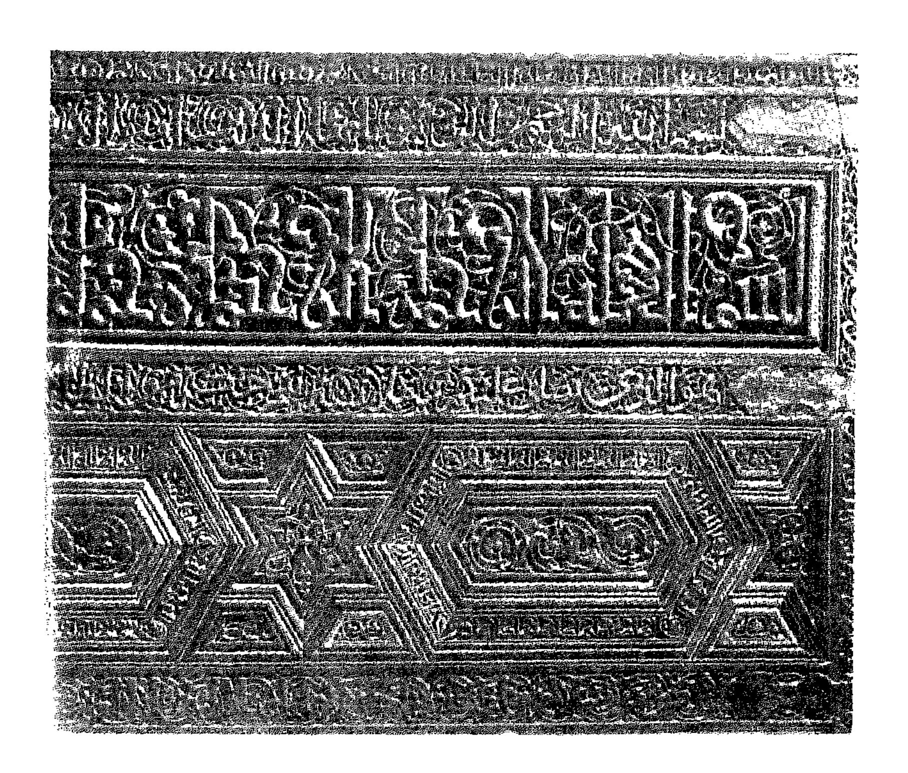


رسم رقم (١٥)

محراب مسجد ابراهيم بالقلعة الحلبية قبل سرقته ،

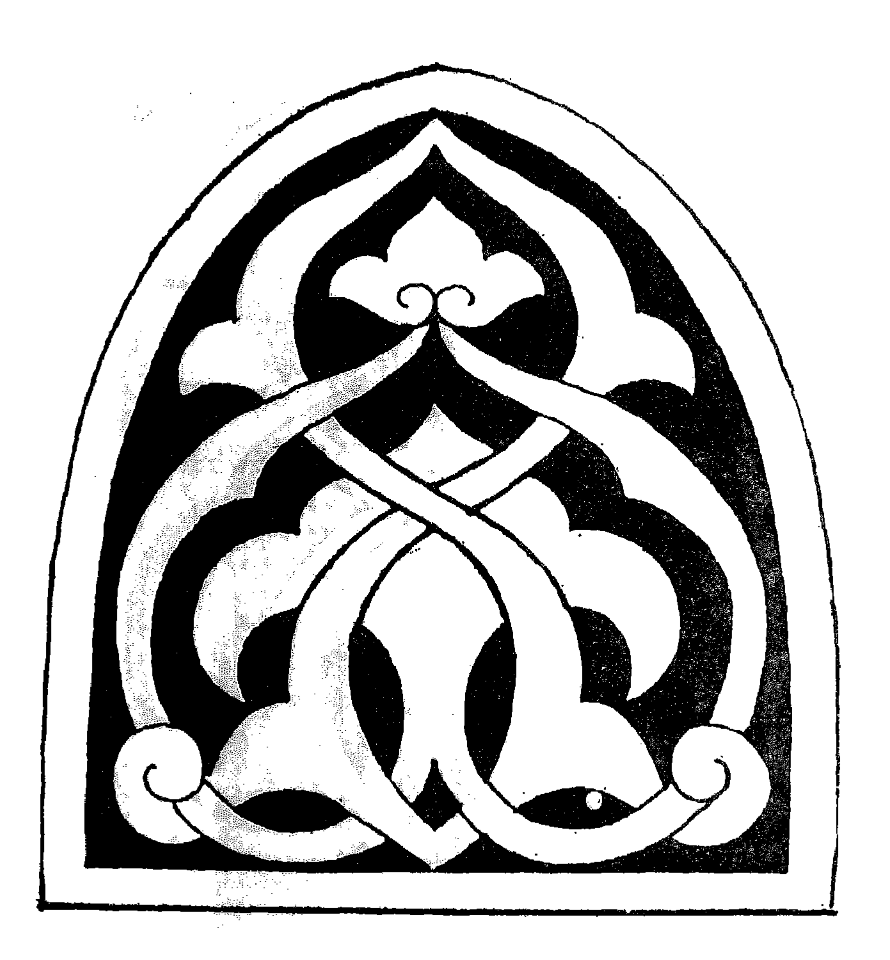
نموذج من صناعة اسرة « الاختريني » صانع منبر الاقصى

« تصوير هيرزفيلد »



رسم رقم (١٦)

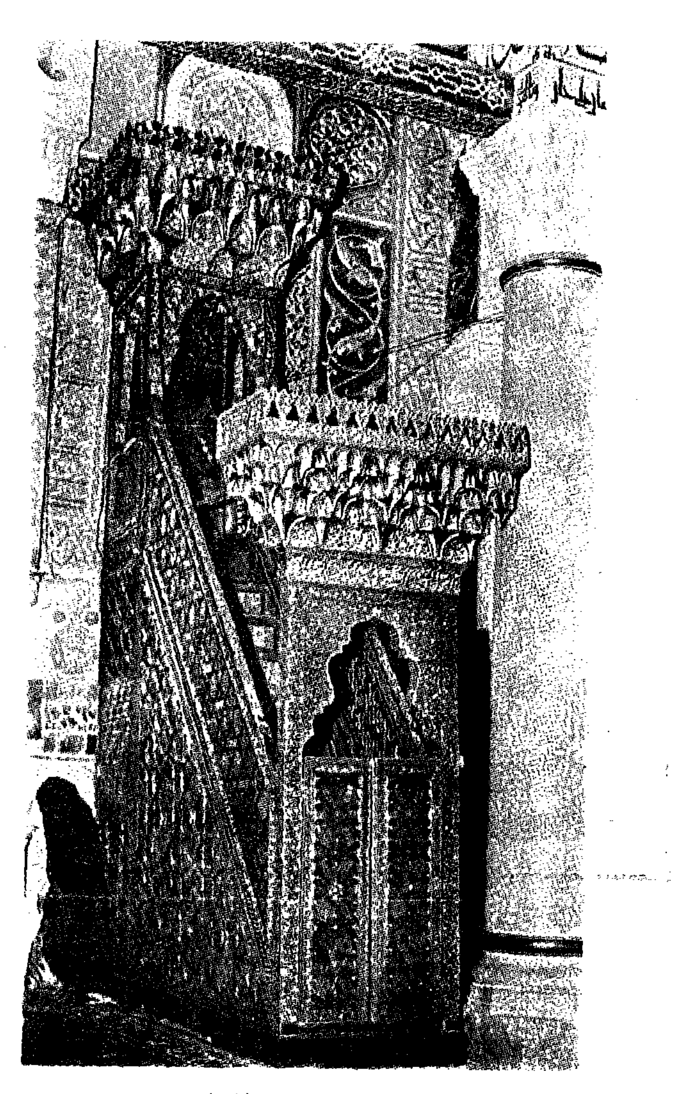
صورة لجزء من زخارف تابوت الامام الشافعي بالقاهرة
من صنع عبيد بن مالي الحلبي الاختريني



رسم رقم (١٧)

تفصيل لزخارف عاجية من حشوة خشبية في بناء منبر المسجد الاقصى

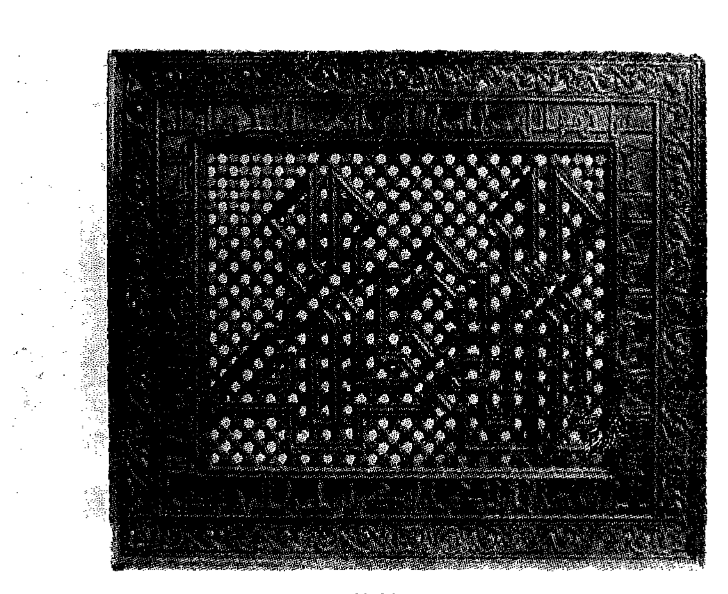
كواكبي



رسم رقم (١٨)

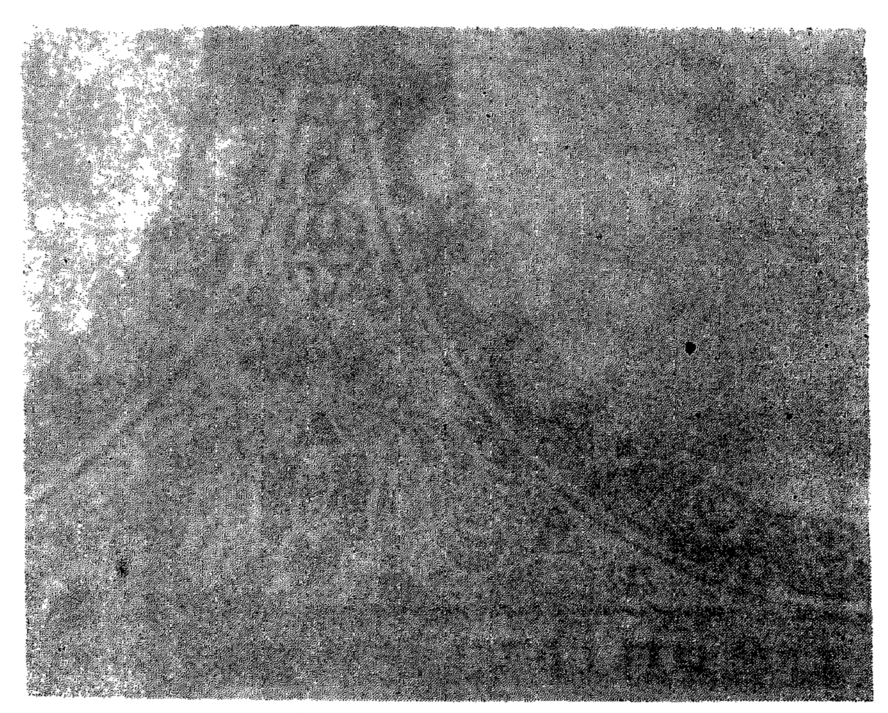
صورة منبر المسجد الاقصى الحلبي الذي أحرقه الصهاينة عام ١٩٦٩

كواكبي

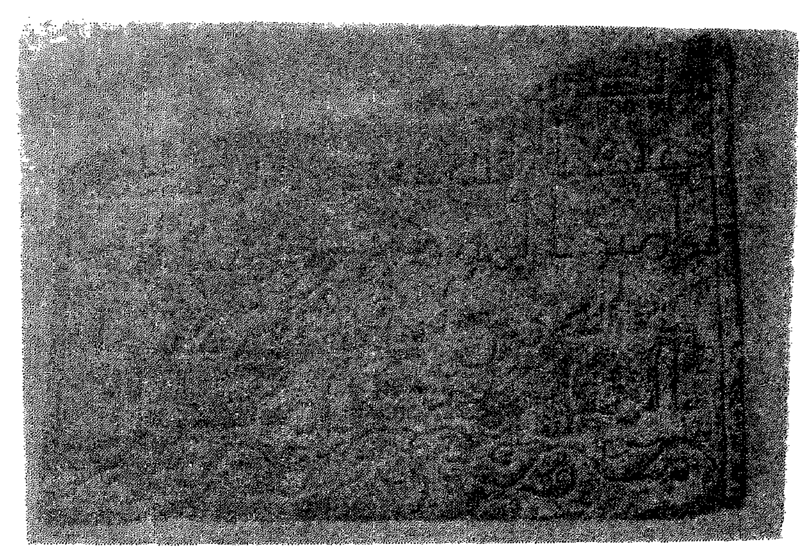


رسم رقم (١٩)

سورة لوحة لكتابة لفظ الجلالة التأسيسية للمنبر العتيد الذي يصنع الان في حلب بأمر من السيد رئيس الجمهورية حافظ الاسد

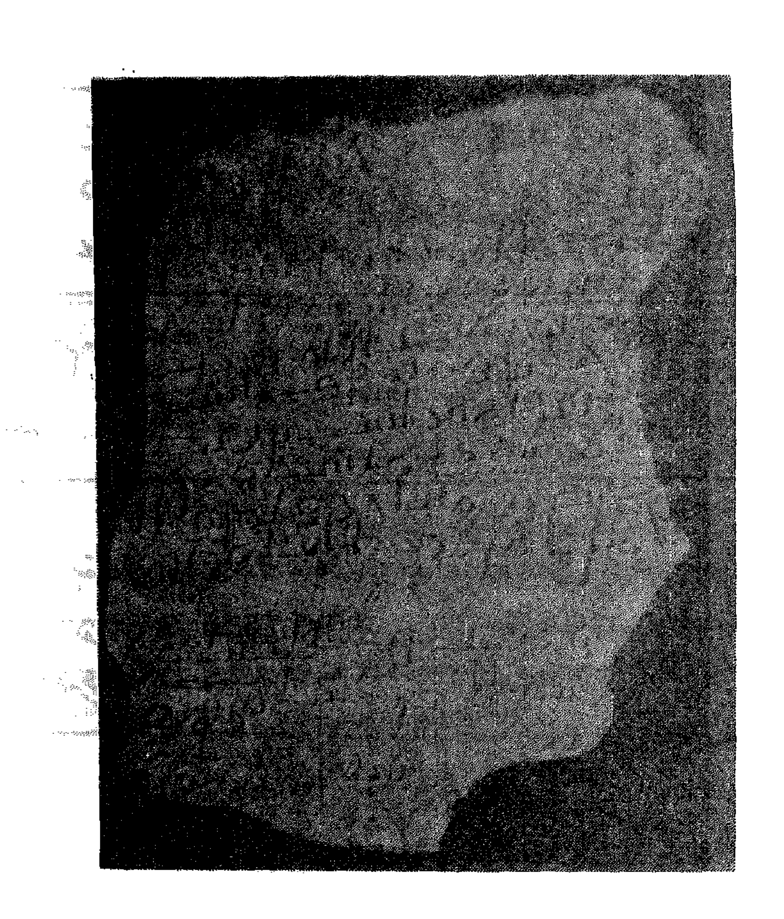


صورة (١) تاريخ كتابة فسيفساء قبة الصخرة ٧٢ هـ



صورة (٢) حجرة أميال الطريق من عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ

زنـــون



صورة (٣) : الحجر التذكاري لوادي خفنة الابيض قرب كربلاء المؤرخ ٦٤ هـ

١٢

ا ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س

ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

الرسم - ١ - جدول مقارنة حروف المسند بالخط العربي في كتابات قبة الصخرة من ناحية الشكل الهندسي

ا ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل

م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ

الرسم - ٢ - جدول مقارنة الحروف العربية من القرن الاول الهجري مع حروف الكتابة النبطية القديمة والحضرية في القرن الاول الميلادي

مستقيم: شهد الله انه لا اله الا هو

لا شريك له له الملك وله الحمد

اللهم صلى على رسولك وعبدك عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته

تحليل كتابات الفسيفساء في قبة الصخرة ٧٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي لا اله الا هو الر

والارض وهو السموت والارض الاحد الصمد

الملك لا شريك له في الملك ...

الرحمن الرحيم كتب على نفسه الرحمه ووسعت رحمته

كل شئ ...

تحليل كتابات النحاس المطروق في قبة الصخرة ٧٢ هـ

عليه من ايليا الى هذا

الميل ثمنية اميال

تحليل كتابة حجر اميال الطريق من عهد عبد الملك ٦٥-٨٦ هـ

الرسم - ٣ -

خـولي *

المرحلة الاولى

بيسان TTOAHC CKY⊕0



* كانت الالواح خمسة ألواح وزعت لضرورات فنية الى اثني عشر لوحا فيرجى الانتباه

المرحلة الثانية

ايليا فلسطين

النموذج (١)

أ ــ



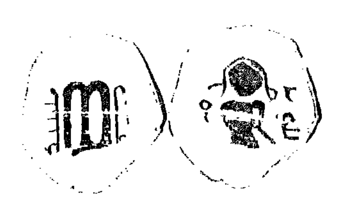


فلسطين ــ عمود

ب ــ







جـ ــ طبريه





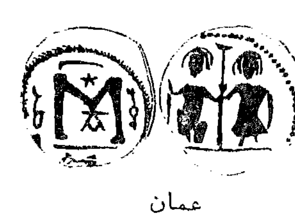


النموذج (٢)



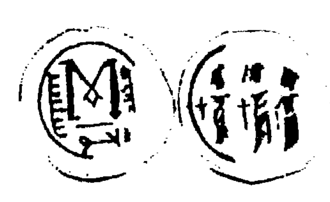


عمان

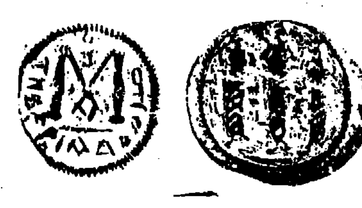


عمان

نموذج ٣

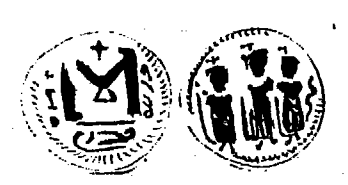


شاش ــ فلسطين





طبريه



طبريه ــ مصري

النقود المعربة المصورة

المرحلة الثالثة

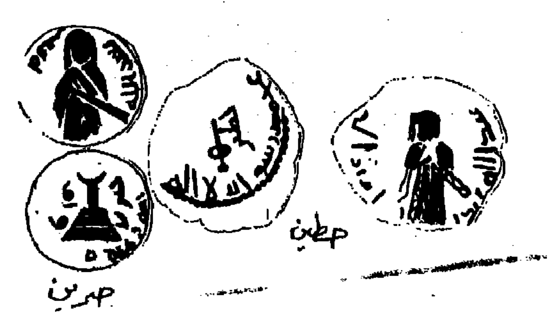
١ ــ خلفة الله / أمير المؤمنين

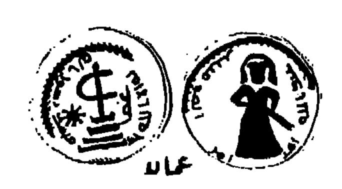


٢ ــ محمد / رسول الله

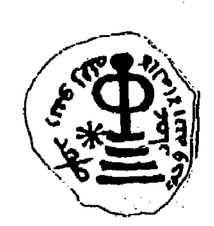


٣ ــ لعبد الله عبد الملك المؤمنين





٤ ــ لا اله الا الله وحده محمد رسول الله



عمان



عمان

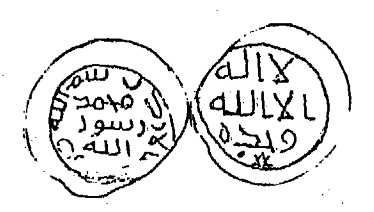
٥ ــ لا اله الا الله وحده



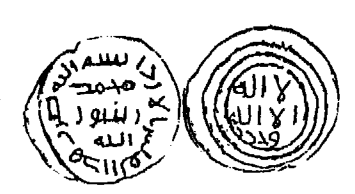
عمان

النقود المعربة

الاردن



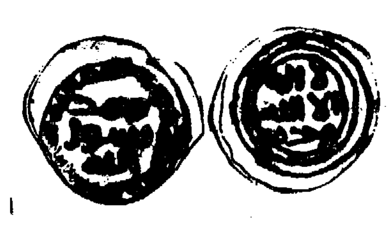
النموذج (١)





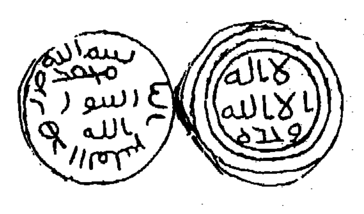
النموذج (٢)

ايــــله



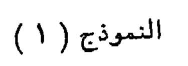
ا

ايليــــاء



النموذج (٢)

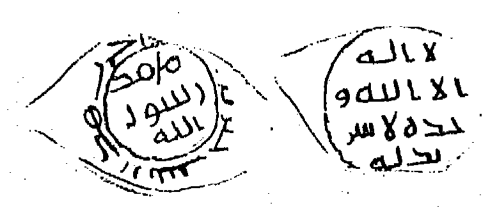




النموذج (١)

خـولي

بيت جبرين



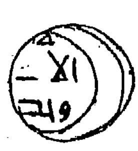
النموذج (١)





النموذج (٢)

جبرين





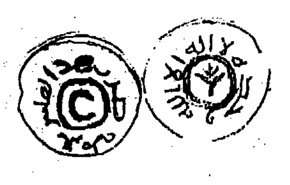
النموذج (١)



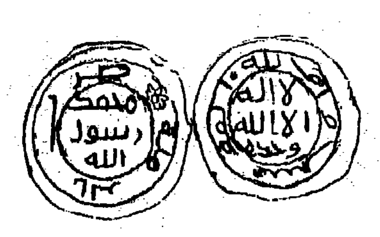


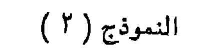
النموذج (٢)

الرملة



النموذج (١)

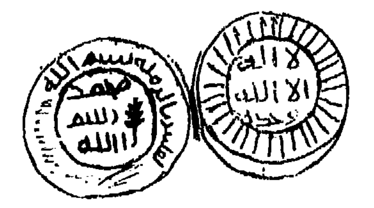




النموذج (٢)

خـولي

المرحلة (يشبه ما قبله)





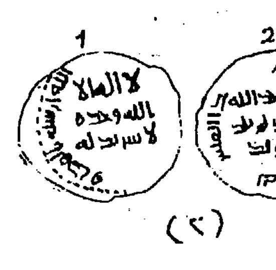
نموذج ٣

طبرية



(١)

1 2



(٢)



(٣)



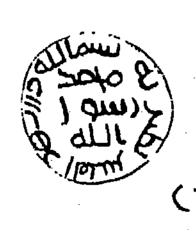
(٤)





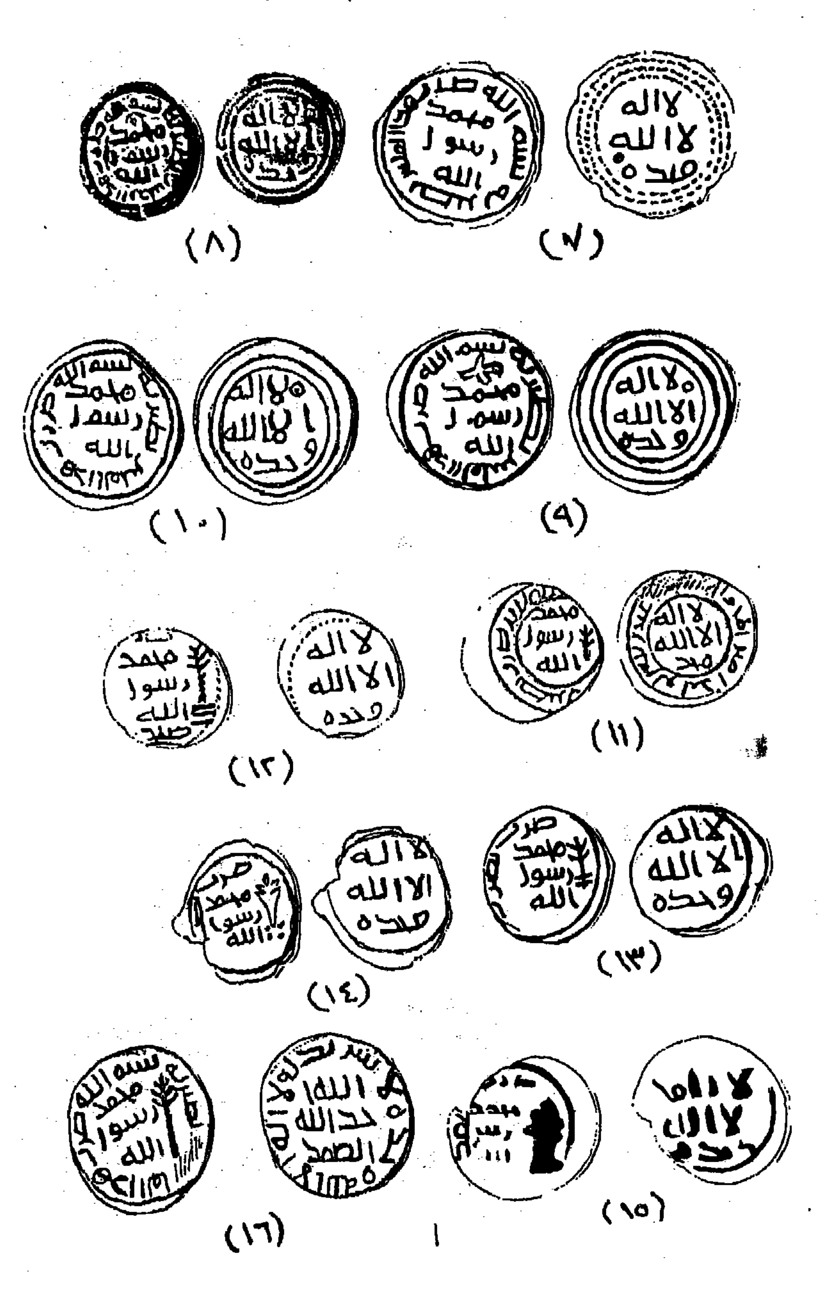
(٥)





(٦)

طبريه (يتبع ما قبله)



طبريه (يتبع ما قبله)

(١٨) (١٧)

(٢٠) (١٩)

(٢٢) (٢١)

(٢٤) (٢٣)

(٢٥)

خــولي

صفورية

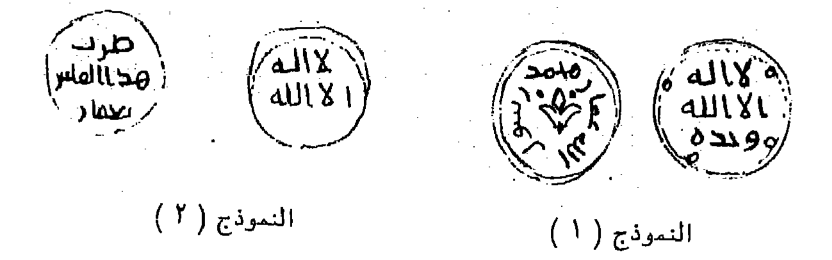


النموذج (١)   النموذج (٢)

عسقلان   عكا

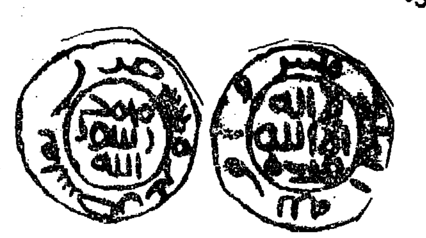


عمان



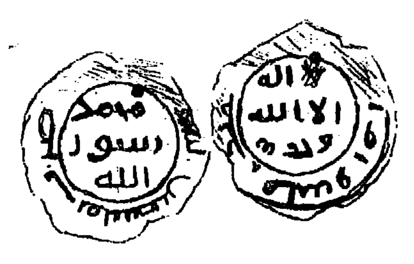
النموذج (١)   النموذج (٢)

غزة



خـولي

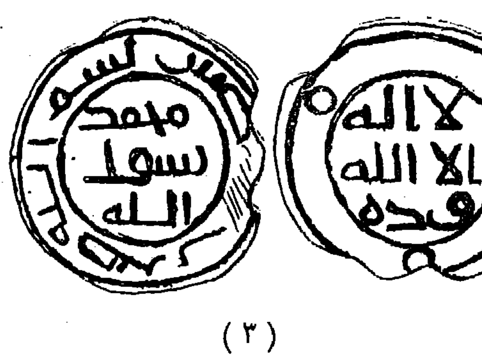
فلسطـين



(١)



(٢)



(٣)





(٤)





يبنى

نقود فلسطينية مزخرفة











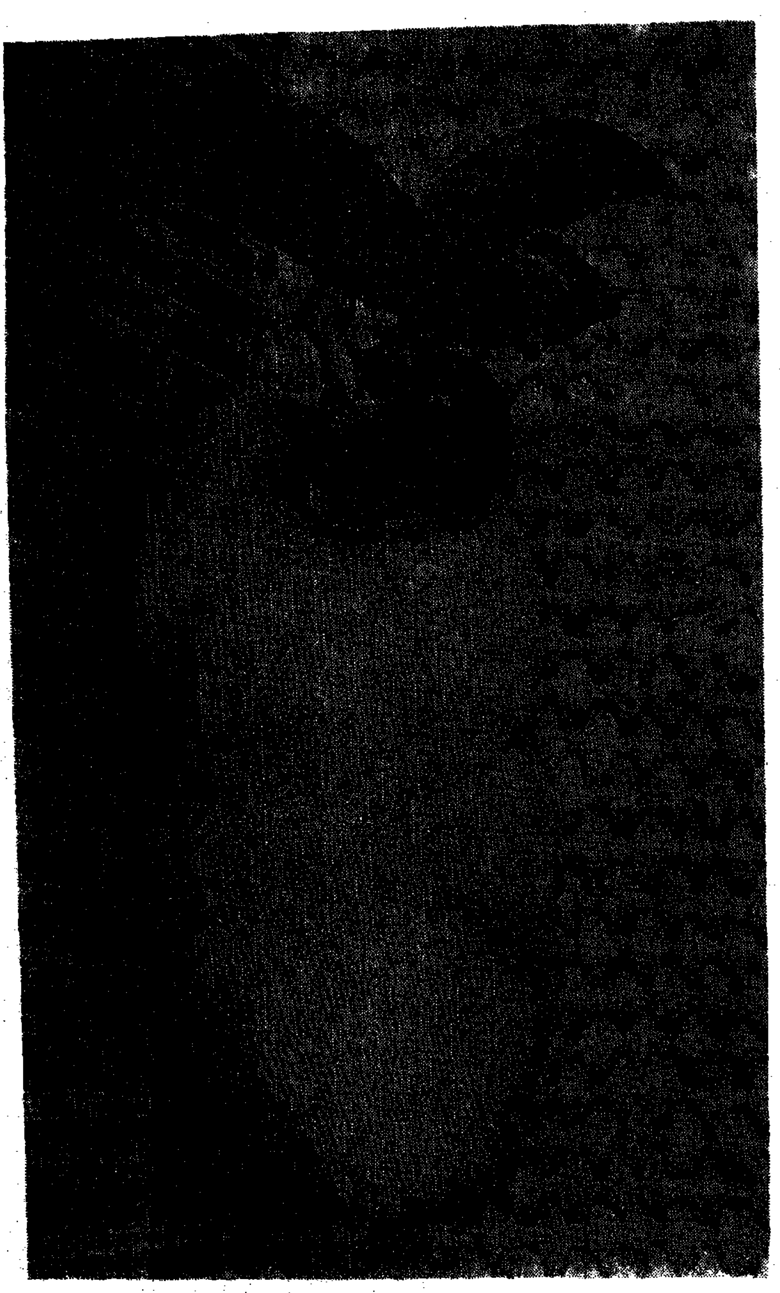






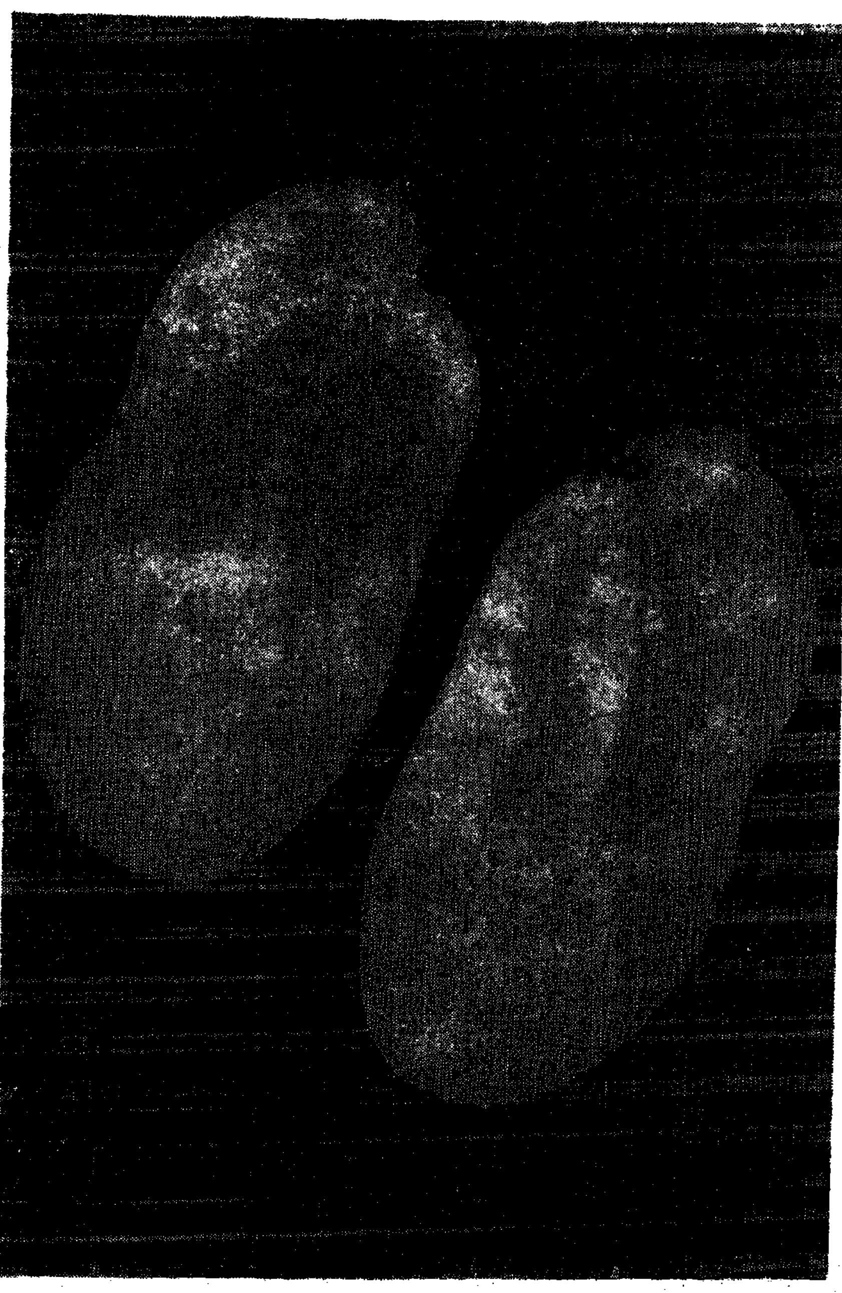
شكل (١) : فسيفساء الفاكهة والسكين من خربة المفجز (٧٢٤ ـ ٧٤٣ م)
(ايتنهاوزن شكل ٥٩)

Fig. 1 The Mosaic of The Fruit and The Knife in Khirbit al - Mifjar, 724 - 743 A. D.
(From : Ettinghausen Fig : 59)



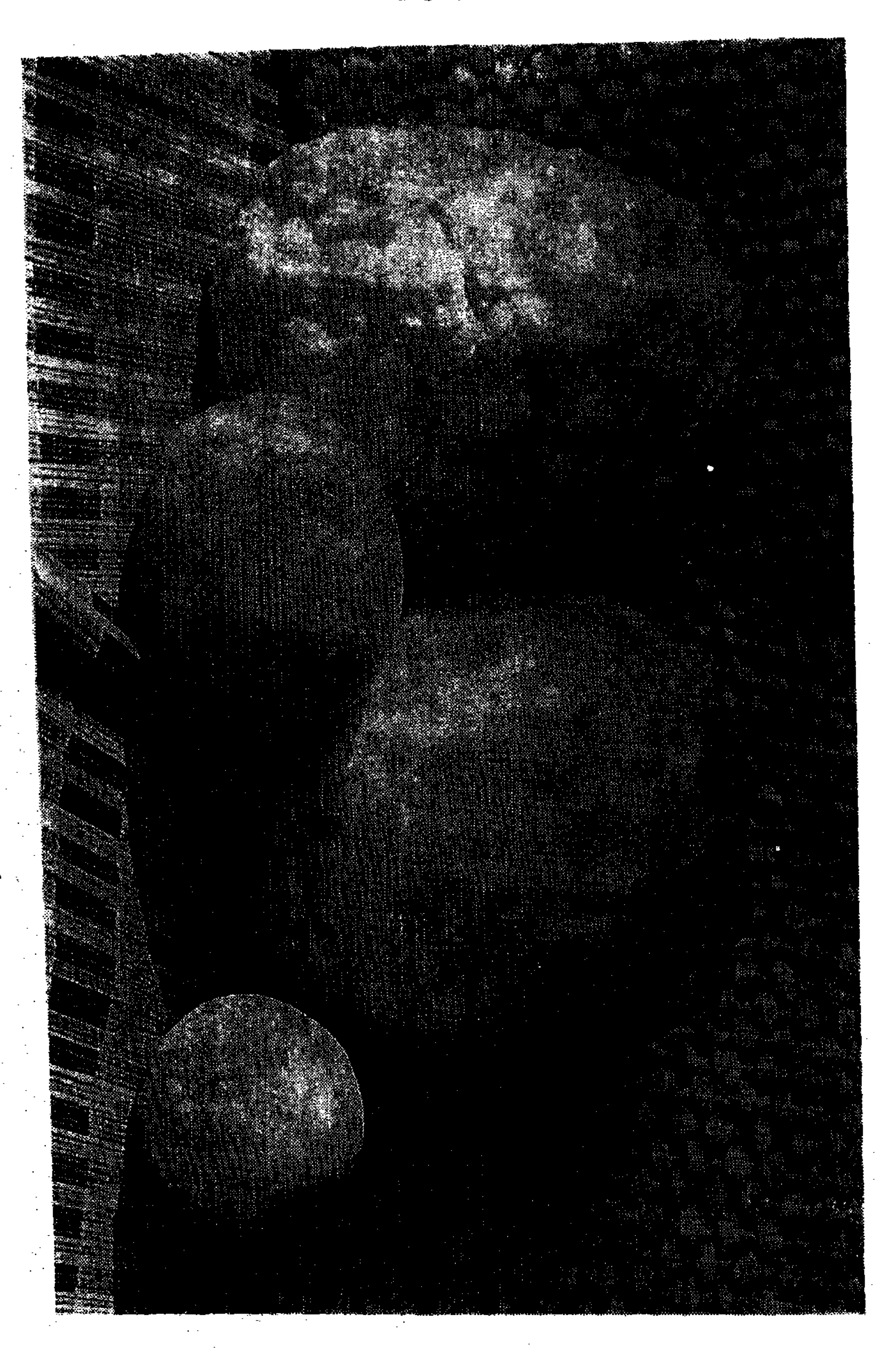
شكل (٢) : حامض أو كباد

Fig. 2 : Ethrog, Citrus media or Kibbad



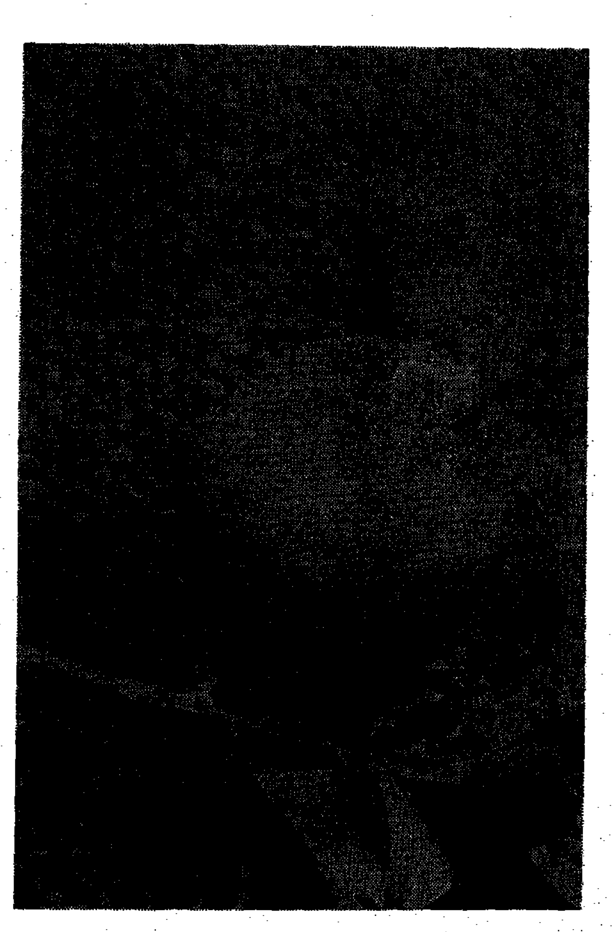
شكل (٣) : كباد من الداخل

Fig. 3 : The Ethrog or Kibbad Showing The Inside of the Fruit



شكل (٤) : كباد يشبه البرتقال في شكله

Fig. 4 : Ethrogs or Kibbad, Compared with Oranges for Size



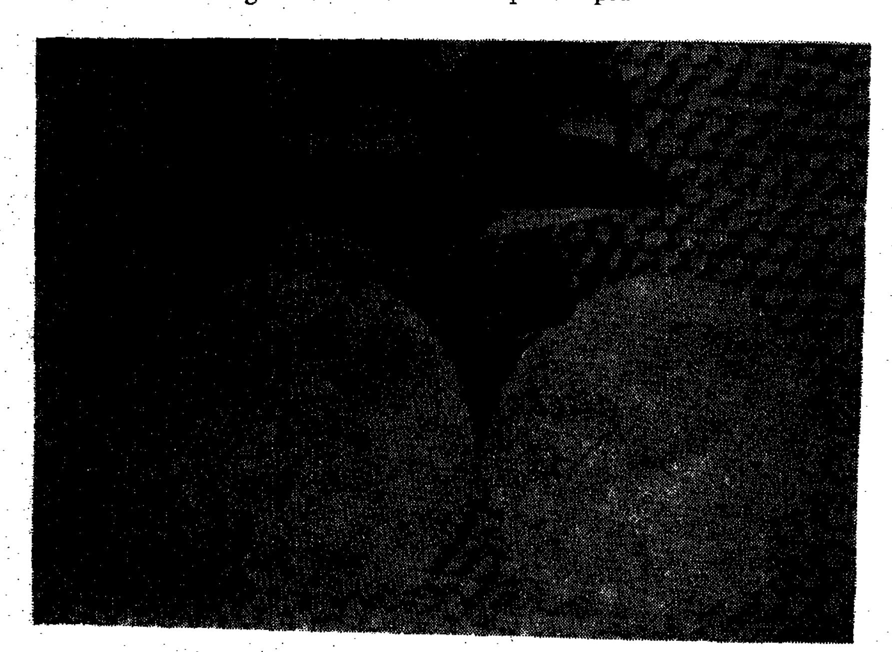
شكل (٥) : البوملي حجمه كحجم الليمون

Fig. 5 : The bamuli or citrus grandis Compared with a lemon for size



شكل (٦) : البوملي في شكل الاجاص

Fig. 6 : Bamuli in the shape of a pear



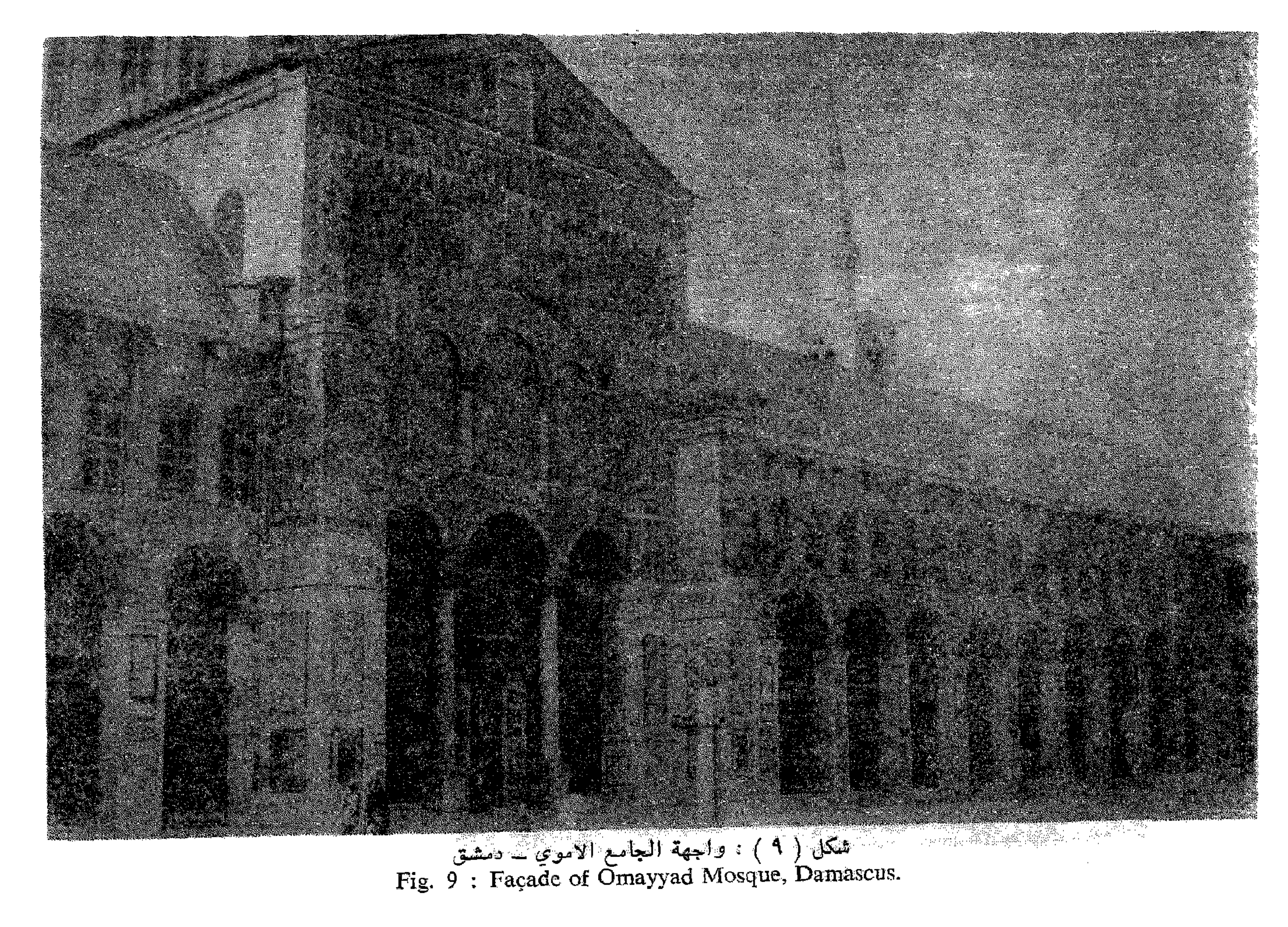
شكل (٧) : ثمرة البوملي من الداخل لاحظ سماكة القشرة

Fig. 7 : Inside of the Bamuli, notice thick of the Skin.



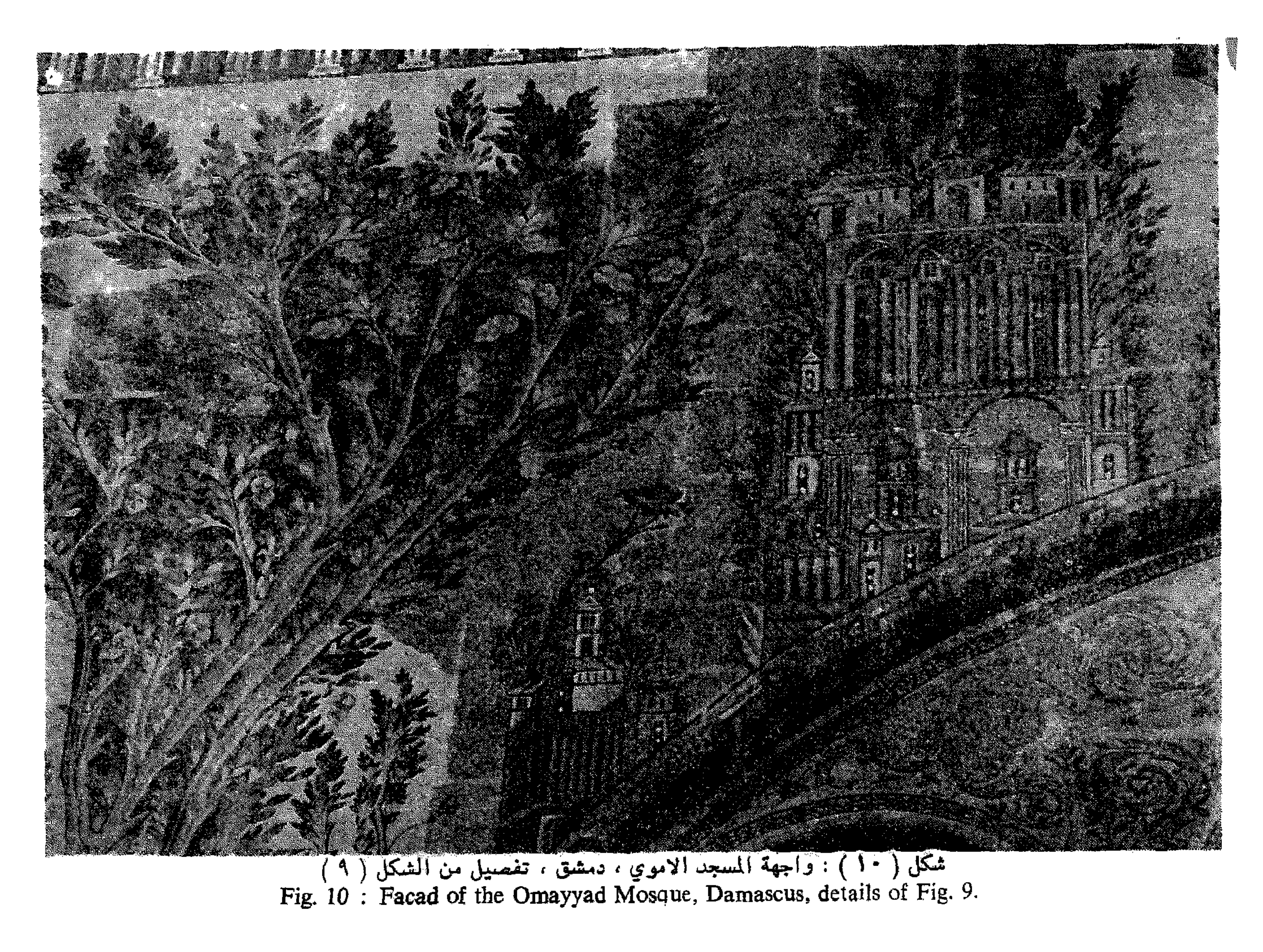
شكل (٨) : ليمون حامض ، حجم الليمون

Fig. 8 :The laymun hamid the size of lemons .



شكل (٩) : واجهة الجامع الاموي – دمشق

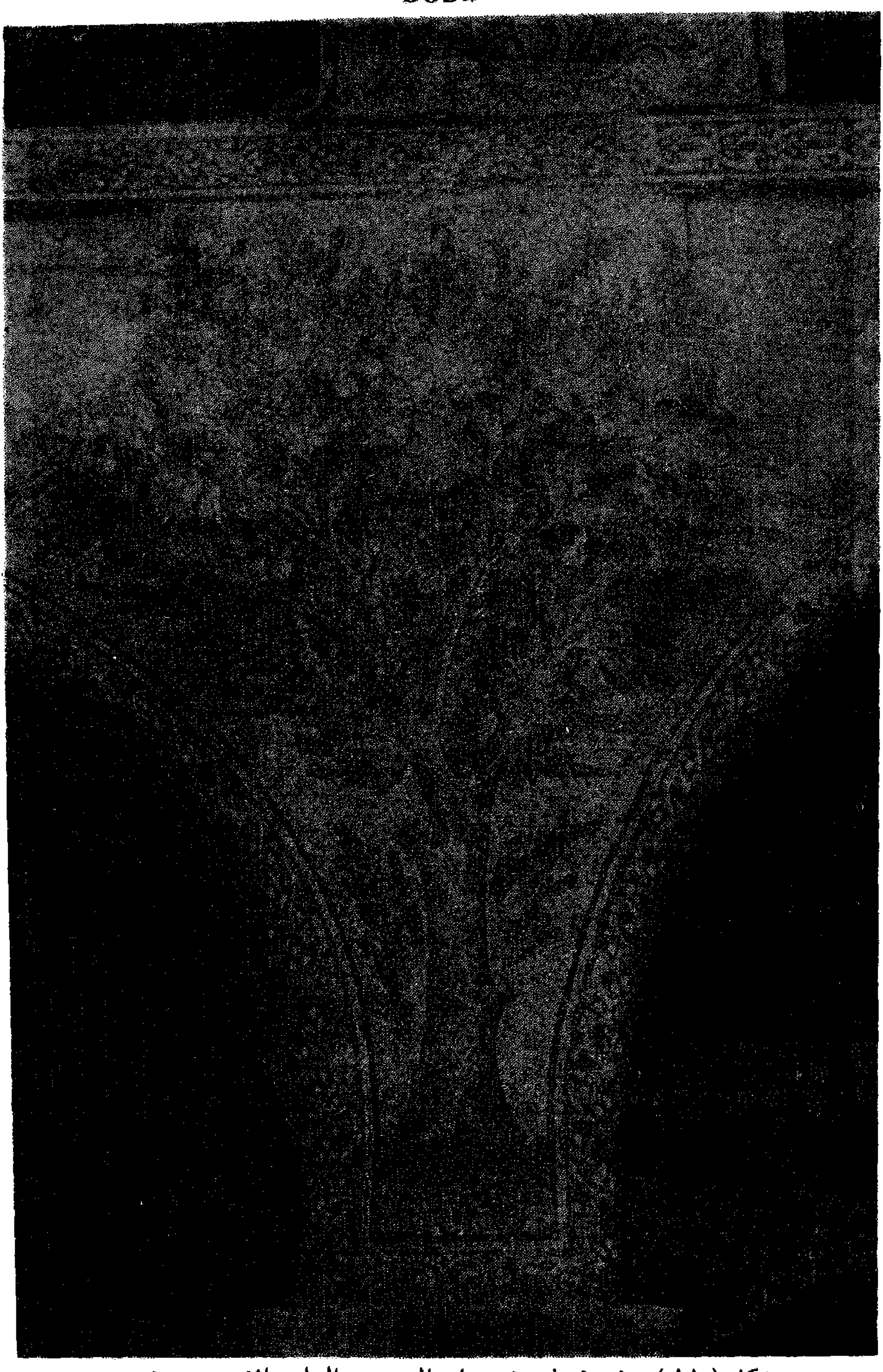
Fig. 9 : Façade of Omayyad Mosque, Damascus.



شكل (١٠) : واجهة المسجد الاموي ، دمشق ، تفصيل من الشكل (٩)

Fig. 10 : Facad of the Omayyad Mosque, Damascus, details of Fig. 9.

DODD



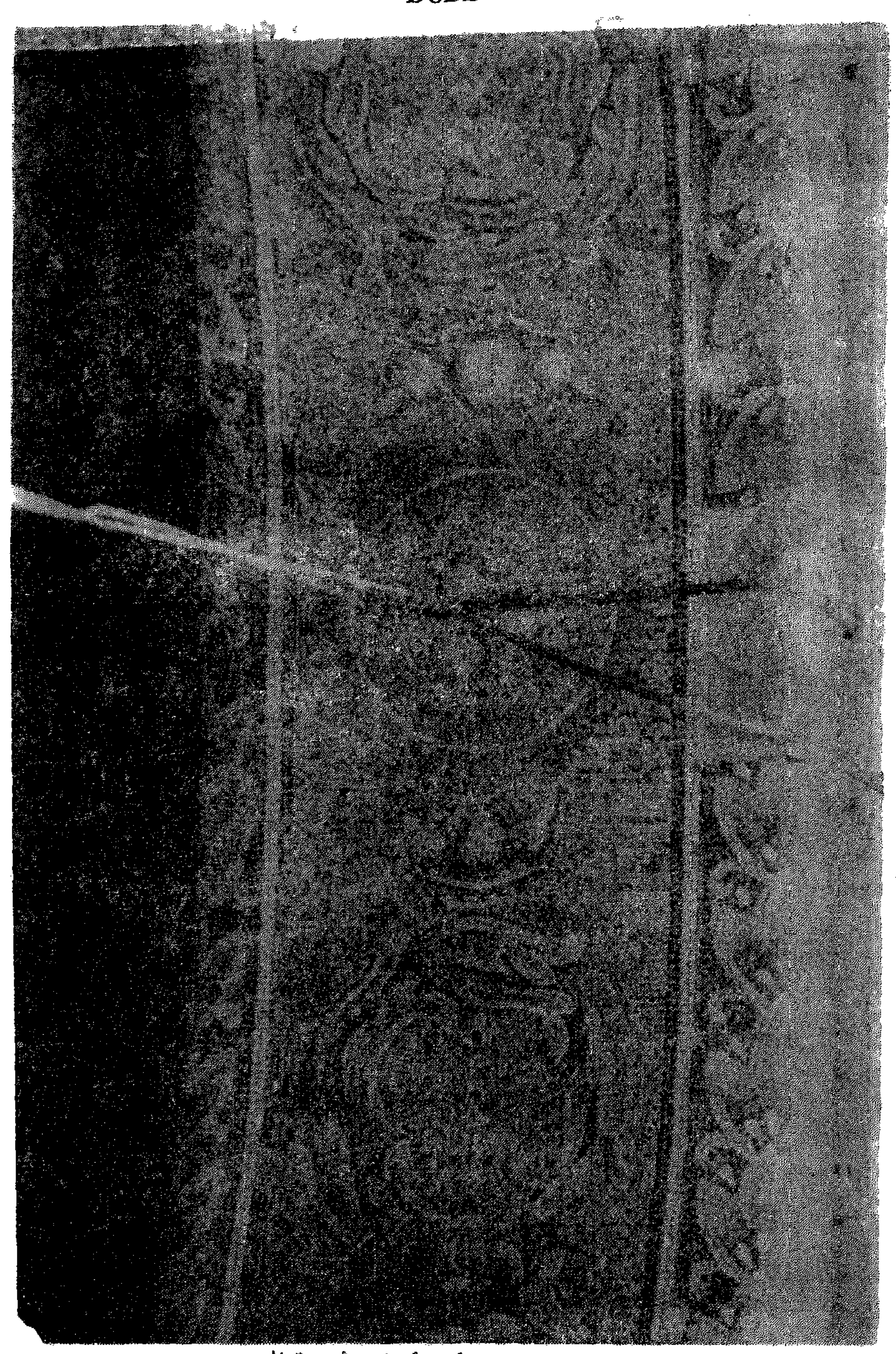
شكل (١١) : فسيفساء على رواق الصحن ، الجامع الاموي ، دمشق

Fig. 11 : Mosaic on Arcad of courtyard, Omayyad Mosque, Damascus.



شكل (١٢) : باطن القوس الكبير في الصحن ، الجامع الاموي ، دمشق

Fig. 12 : Omayyad Mosque, Damascus, Soffit of one of the arches in courtyard.



شكل (١٣) : باطن أحد أقواس أروقة الصحن

Fig. 13 : Omayyad Mosque, Damascus, Soffit of the arches in courtyard.



شكل (١٤) : قبة الصخرة ، القدس ، تفصيل من الفسيفساء (٦٩١ م)

Fig. 14 : Dome of the Rock, Jerusalem, Detail of mosaics, A. D. 691.



شكل (١٥) : تفصيل من فسيفساء أرضية ، متحف مادبا ، حوالي القرن السادس م

Fig. 15 : Detail of Floor mosaic, Madeba Museum, C. 6th. cent. A. D.



شكل (١٦) : تفصيل من فسيفساء أرضية ، متحف مادبا ، حوالي القرن السادس الميلادي

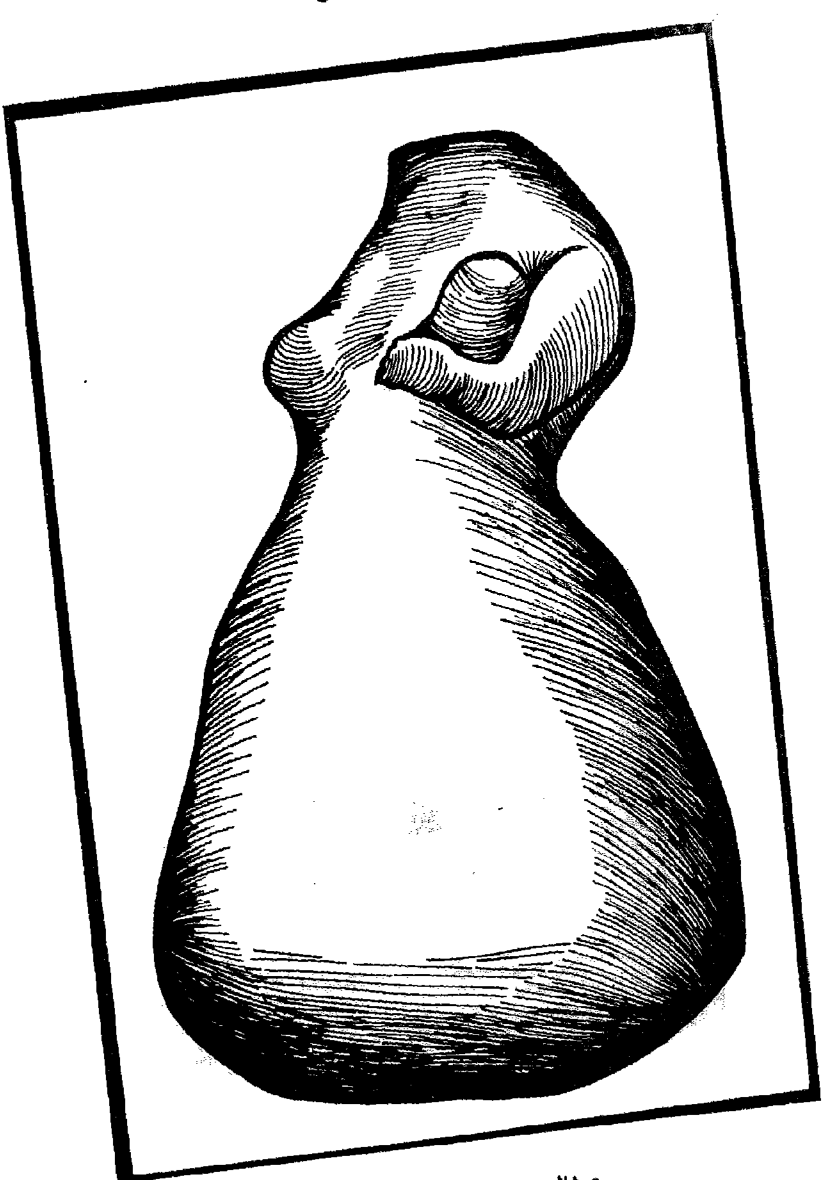
Fig. 16 : Detail of Floor mosaic, C. 6th. Cent. A. D. Madeba Museum.



شكل (١٧) : تفصيل من فسيفساء أرضية ، جبل نيو
حوالي القرن السادس ميلادي

Fig. 17 : Mound Nebo, Floor Mosaic detail, 6th. Cent. A. D.

مزيـن

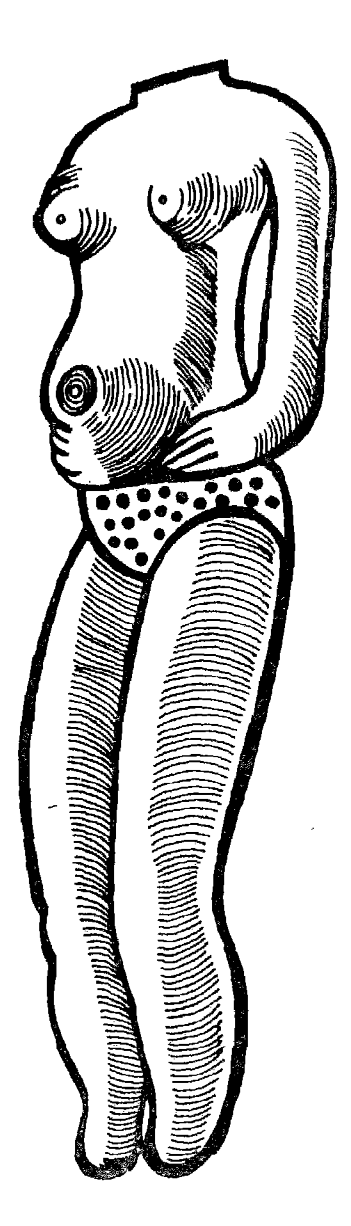


تمثال ربة الامومة (أريحا)
(٦٨٠٠ ق٠م)

مزيــن

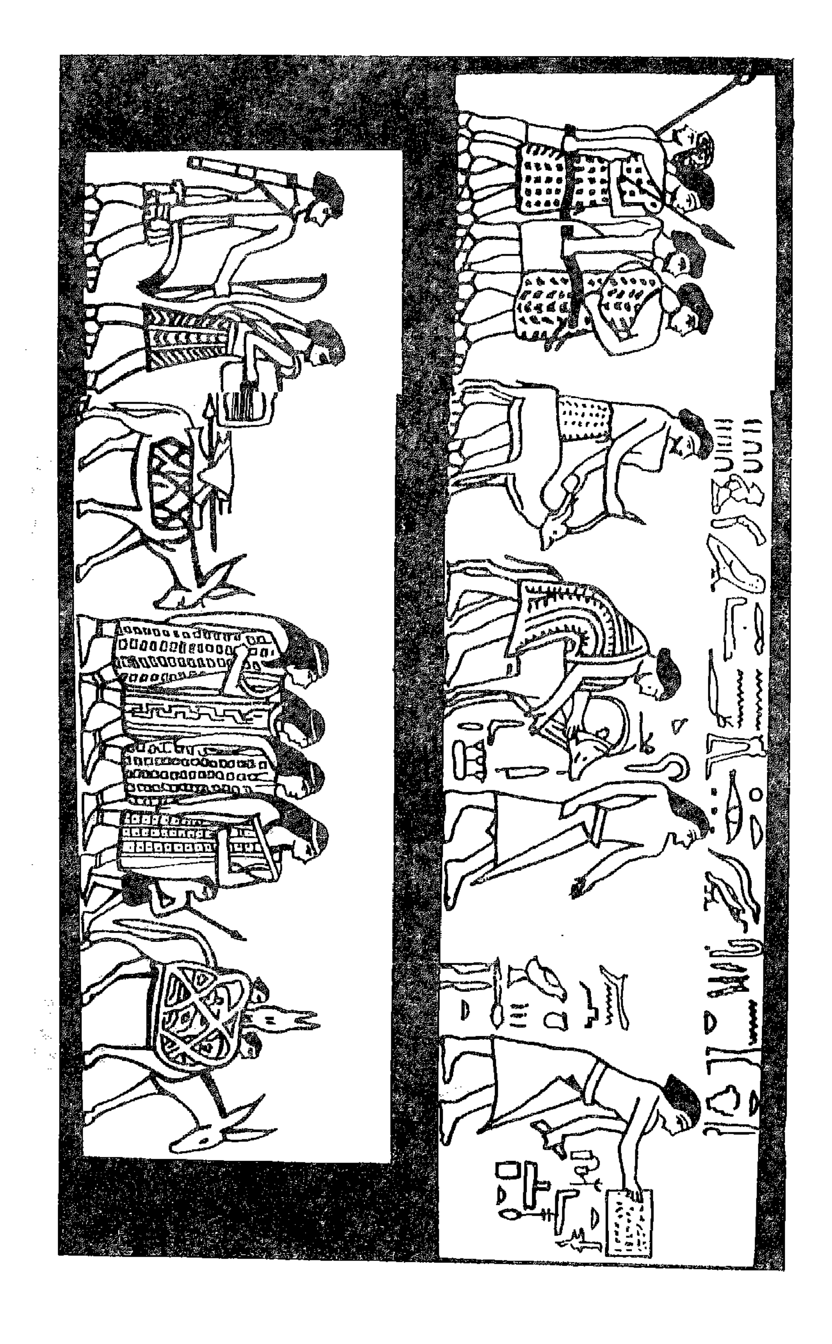


جمجمة عثر عليها في أريحا مغطاة بطبقة من الجبس وفي عيونها أصداف



تمثال ربة الامومة عثر عليه جنوب غربي مدينة بئر السبع ، عاج ، ٤٠٠٠ ق٠م

مزيــن



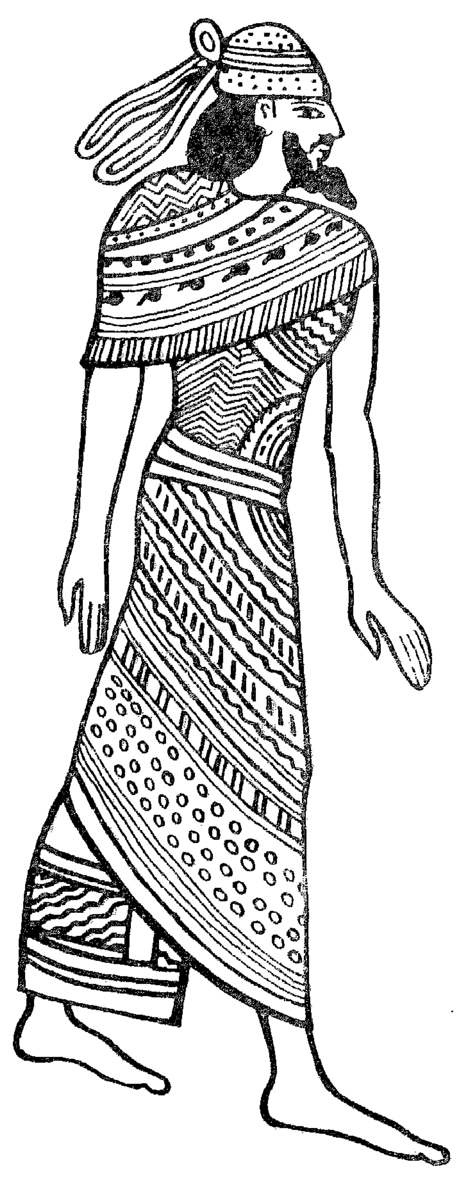
نقش على مقبرة خنوم حتب الثاني من عهد سنوسرت الثاني

مزيــن



نقش على قبر من طيبة في عهد تحوتمس الرابع (١٤٢٠ – ١٤١١ ق.م)

مزيــن



نقش على أحد جدران المعابد المصرية (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)

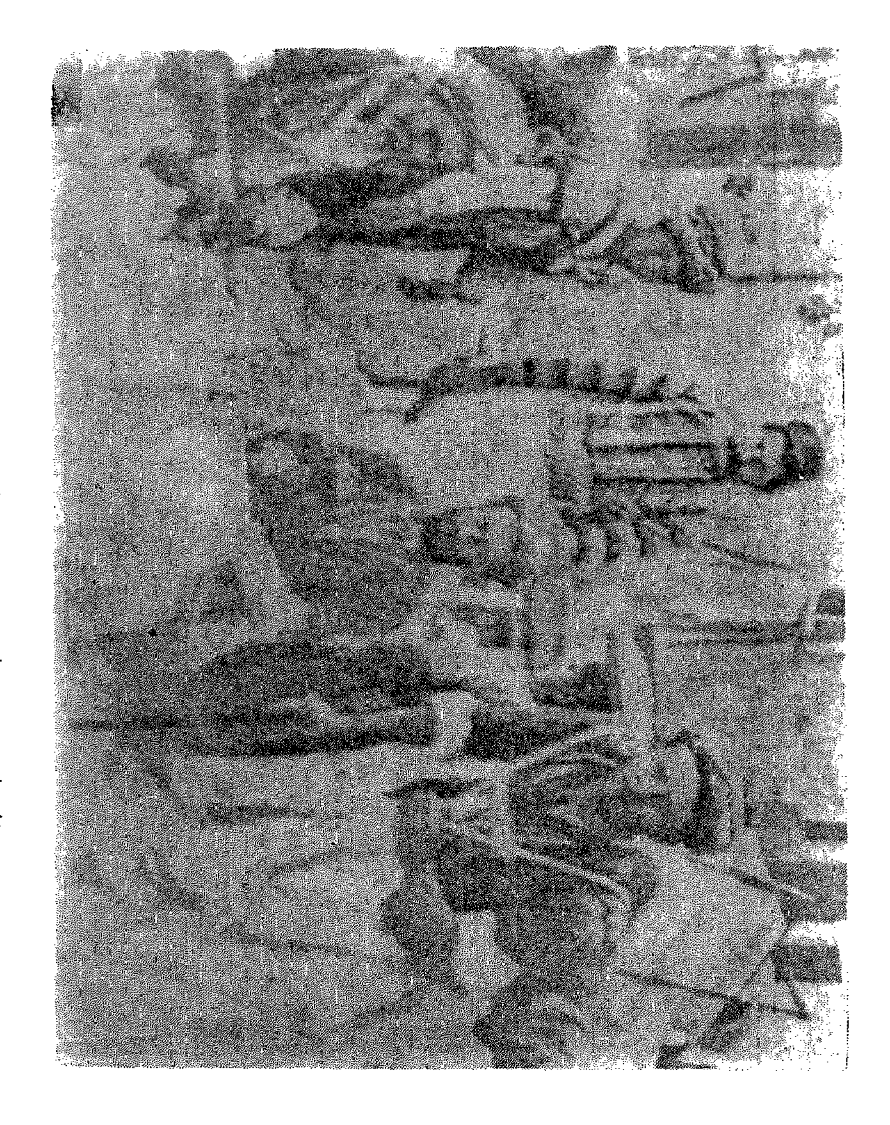
مزيـن



لوحة عاجية (مجدو)

(القرن الثالث عشر ق٠م)

مزيــن



فلسطينيون من القدس يقطعون الحجارة ١٨٨٩ م



فلسطينيون يطحنون القهوة بالقرب من غزة ١٨٨٢

مزيـــن

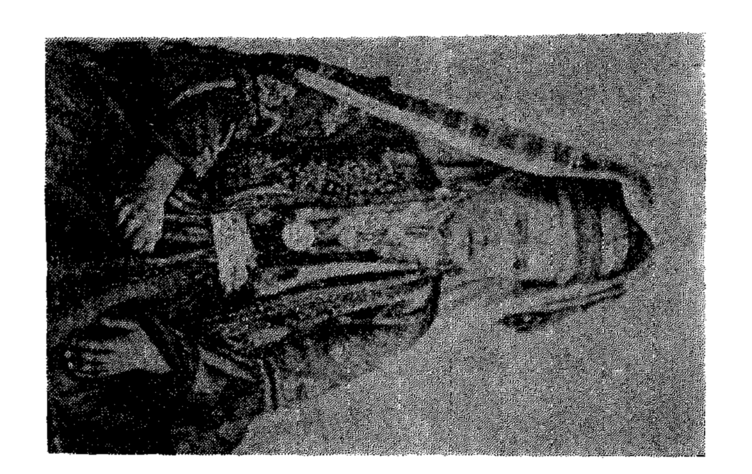


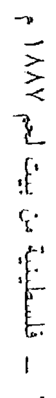
فلسطينيون من طبريا ١٨٣١ / ١٨٣٢

مزيــن



٢ - فلسطينية من القدس ١٨٩٤ م





١ - فلسطينية من بيت لحم ١٨٨٧ م











